

جامعة الجزائر - 3-
كلية العلوم السياسية والإعلام
قسم علوم الإعلام والاتصال

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية
من خلال جريدة البصائر (1954-1956م)
دراسة وصفية تحليلية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال

تحت إشراف الأستاذ:
- الدكتور: أحسن بومالي

من إعداد الطالب:
- عبد الغفور شريف

لجنة المناقشة

الأستاذ: الدكتور الحيسي صفوان رئيسيا
الأستاذ: الدكتور أحسن بومالي مقرا
الأستاذ: الدكتور حاروش نور الدين عضوا
الأستاذة: الدكتورة بوكريسة عائشة عضوا

2011/2010

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور أحسن بومالي والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة التي كانت دعماً وسنداً لنا طيلة مدة

إنجاز عملنا

ونتمنى له دوام الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر لأساتذة كلية العلوم السياسية والإعلام

وإلى أعضاء لجنة المناقشة راجين من الله أن يُديمهم لخدمة العلم وطلبة

العلم

عبد الغفور شريف

إهداء

أقدم بإهداء عملي هذا إلى:

التي لم تبخل علي بحنائها و سهرها و دعائها: أمي.

الذي لم يأبه إلا بنجاحي و تفوقي: أبي.

إلى كافة إخوتي عبد الله، عبد الرحمان و حسام...

إلى الأستاذين: إبراهيم و الطيب.

جميع الأصدقاء وبالخصوص أوشريف علي ، بوعلام ، رابح.

إلى كل من درسني أو علمني حرفاً.

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

و إلى كل من يعرفني.

وشكراً

عبد الغفور شريف

خطة البحث

مقدمة

الإشكالية.

التساؤلات.

أسباب اختيار الموضوع.

أهمية الدراسة وأهدافها.

تحديد المصطلحات.

المنهج وأدوات الدراسة.

صعوبات البحث.

الدراسات السابقة.

الإطار النظري

الفصل الأول: العمل الإعلامي ودوره في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: النهضة الإصلاحية في المشرق العربي و انعكاساتها على علماء الجزائر.

المطلب الأول: رواد النهضة الإصلاحية في المشرق العربي.

المطلب الثاني: الصحافة الإسلامية في المشرق العربي .

المطلب الثالث: تأثير الفكر الإصلاحي على العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الأول: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الثاني: الأسس الفكرية لمبادئ و أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الثالث: الآراء السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت غطاء العمل الثقافي.

المبحث الثالث: مكانة العمل الإعلامي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الأول: ظهور الصحافة الإصلاحية في الجزائر.

المطلب الثاني: العمل الصحفي يجمع شمل العلماء الإصلاحيين.

المطلب الثالث: وسائل الإعلام عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

الفصل الثاني: مسار الجهاد التربوي و السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
المبحث الأول: أسبقية التعليم على العمل المسلح.

المطلب الأول: دعائم الفكر التربوي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس.
المطلب الثاني: جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ميدان التربية والتعليم .
المطلب الثالث: الجمعية في مواجهة الاستعمار و الطُرقين.

المبحث الثاني: إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العمل السياسي و الثوري.
المطلب الأول: مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي سنة 1936.
المطلب الثاني: موقع الجمعية في الساحة السياسية وعلاقتها بالأحزاب.
المطلب الثالث: جمعية العلماء المسلمين و العمل الثوري.

المبحث الثالث: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية.
المطلب الأول: العمل الإصلاحي أثناء الحرب العلمية الثانية.
المطلب الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية.
المطلب الثالث : أوضاع الجمعية قبيل الثورة التحريرية.

الفصل الثالث: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية.
المبحث الأول: اندلاع الثورة التحريرية و المواقف المختلفة تجاهها.
المطلب الأول : البدايات الأولى للثورة التحريرية الجزائرية .
المطلب الثاني: رد الفعل الفرنسي على العمل المسلح للثورة الجزائرية.
المطلب الثالث: مواقف الأحزاب السياسية من الثورة التحريرية.

المبحث الثاني: موقف جمعية العلماء المسلمين تجاه الثورة من خلال رجالها.
المطلب الأول: موقف الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية من العمل الثوري.
المطلب الثاني : دور الشيخ العربي التبسي نائب رئيس الجمعية في العمل الثوري.
المطلب الثالث : تفاعل أعضاء الجمعية مع الثورة التحريرية.

المبحث الثالث : موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية.
المطلب الأول: المشهد الإعلامي ما بين 1952 – 1954.
المطلب الثاني: الإستراتيجية الإعلامية لجهة و جيش التحرير الوطني.
المطلب الثالث: جريدة البصائر محور موازي للثورة التحريرية.

الفصل التطبيقي : تحليل مادة الدراسة.

المبحث الأول : الدراسة التقنية لجريدة البصائر.

المبحث الثاني : الثورة التحريرية من خلال التحليل الكمي لجريدة البصائر.

المبحث الثالث : الثورة التحريرية من خلال التحليل الكيفي لمحتوى جريدة البصائر.

- النتائج

- الخاتمة

- المراجع

- الملاحق

- الفهرس.

مقدمة

مقدمة

إذا اعتبرنا الحياة طريقا يقطعه الإنسان، فلاشك في أن معرفتنا بما قطعناه من الطريق تعيننا على قطع ما بقي منه ، من هنا تظهر أهمية كتابة التاريخ ، فهي السبيل الوحيد للحفاظ على الميراث الثقافي و الفكري و النضال الثوري للشعب الجزائري، و الذي يُعتبر إرثا معنويا أكثر منه ماديا و ذلك للوقوف في وجه تحديات العولمة التي تهدف إلى إلغاء الشخصية و الهوية الوطنية للشعوب و هي الوجه الجديد للاستعمار الغربي الذي يستهدف الهيمنة على الثقافة و اللغة و الانجازات الحضارية للشعوب. و إن كانت تلك الهيمنة لا تتخذ شكل المواجهة المباشرة، كما كان يحدث في الاستعمار الأوروبي القديم للشعوب الأخرى، فإنها تتمثل في نوع من الزحف الحضاري السلمي و غير المباشر .

و من هنا يُمكن القول أن التمسك بالإنجازات الحضارية للشعوب هي أحد أشكال مقاومة العولمة، ففي الجزائر و بالرغم من مرور عقود عن استقلال الجزائر ، إلا أن الثورة الجزائرية مازالت تشكل مصدر إلهام و مفخرة للشعب الجزائري، و تُعتبر مرجعية مقدسة في خطابات الطبقة السياسية في الجزائر، كما هي مصدر تساؤلات اذ يرى معظم الباحثين في التاريخ الجزائري أن الثورة الجزائرية الجيدة حققت إجماع على عظمة و بطولة إنجازاتها العسكرية و السياسية و الدبلوماسية على الصعيدين الداخلي و الخارجي: إلا أن هناك بعض القراءات التاريخية الحديثة كشفت عن الكثير من نقاط الظل و الغموض، و التي تصل أحيانا إلى حد الاختلاف و التناقض ، مما طرح أسئلة أكثر إلحاحاً على ضرورة إعادة قراءة تاريخ الثورة الجزائرية بعيدا عن تقديس صنائع أحداثها.

و هناك بعض الكتابات التاريخية الأجنبية التي تناولت أحداث و وقائع الثورة الجزائرية بالتشكيك في بعض الحقائق التاريخية كما تُخون بعض الرجال من رموز و أبطال الجزائر و تكشف عن التيارات المتعارضة داخل الثورة مثل : الخيانات، الاغتيالات، و تصفية الحسابات الشخصية بين قيادات جبهة التحرير الوطني من أجل المصلحة الشخصية و الطموح في الاستيلاء على زمام السلطة و هو ما جعل جيل الاستقلال ينظر إلى منجزات الثورة بعين الريب و حتى بالنسبة لبعض الحقائق التي كانت في وقت قريب من المسلمات و البديهيات التي يُؤمن بها الشعب الجزائري : كنبيل و إخلاص الثوار و بطولة الأعمال التي قاموا بها في ميادين الشرف و التضحية و دور الشعب الجزائري في احتضانه لهذه الثورة المباركة ، خاصة و أن تاريخ الجزائر يعاني مشكلة التوثيق و الكتابة، بسبب فقدان أرشيف الثورة و صمت أغلب صناع الحدث.

و يبدو أن أهمية إعادة كتابة تاريخ الثورة أصبح أكثر من ضرورة من أجل إطلاع الشباب الجزائري بكل الحقائق و الأحداث بكل صدق و موضوعية بتوثيق الروايات و الشهادات التاريخية للمجاهدين الذين لا يزالون على قيد الحياة ، و هذا تطبيقاً لنصوص التعديلات الأخيرة التي أدخلت على دستور بتاريخ 15 نوفمبر 2008 م و التي حثت على ضرورة إعادة كتابة تاريخ الثورة الجزائرية من منظور حديث و تلمين رموزها التاريخية. كما أشار رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة من خلال خطابه إلى تشجيع الكتابات التاريخية حول الثورة الجزائرية.

و لعل كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بأقلام مؤرخين جزائريين سوف يسد الباب أمام محاولات تشويه حقائق التاريخ خاصة في الكتابات الأجنبية التي تحمل الكثير من المغالطات و تُجانب في كثير من الحالات صدقية الحوادث التاريخية التي يخضع إلى ضوابط الكتابة التاريخية التي تلتزم الصرامة و الحذر التاريخي ، لأن التاريخ هو سجل الماضي وصورة الحاضر والمرشد إلى الغد.

و بالعودة إلى أرشيف الكتابات التي تناولت مختلف جوانب الثورة الجزائرية نجد أنها اجتمعت حول فكرة أن الجزائر تحررت بفضل قوة السلاح و دور الحسم العسكري في استقلال الوطن ، و هو منطق تجاهل أن الثورة هي فكرة تخمرت و نضجت حتى صارت مشروعاً حضارياً و ذلك بالرغم من كل الصراعات القديمة التي كانت بين أبناء الوطن الواحد، من مناضلي مختلف التنظيمات السياسية ، و لقد مكنت الجهود من إعادة توحيد التشكيلات السياسية تحت راية واحدة حملت اسم جبهة التحرير الوطني التي تبنت العمل الثوري المسلح شارحة في بيانها الأول فلسفتها و عقيدتها العسكرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي .

تتكون دراستنا من جانبين : جانب تضمن الإطار النظري و الجانب الثاني تطبيقي ، بحيث تضمن الإطار النظري ثلاثة فصول، و احتوى كل فصل على ثلاثة مباحث أساسية إذ حيث جاء الفصل الأول بعنوان : العمل الإعلامي و دوره في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و لقد عالجنا في المبحث الأول انعكاسات النهضة الإصلاحية في المشرق العربي على علماء الجزائر، و في المبحث الثاني تطرقنا إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في حين تناولنا في المبحث الثالث من هذا الفصل مكانة الجانب الإعلامي في العمل الإصلاحي و ظهور الصحافة الإصلاحية في الجزائر.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان مسار الجهاد التربوي و السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و لقد تطرقنا في مبحثه الأول إلى أسبقية التعليم على العمل المسلح ، و في المبحث الثاني منه أشرنا إلى إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العمل السياسي و الثوري، و تناولنا في المبحث الثالث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية.

أما الفصل الثالث فقد حمل عنوان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية: و خصصنا المبحث الأول منه إلى إبراز المواقف المختلفة تجاه الثورة التحريرية. ثم تحدثنا في المبحث الثاني عن موقف جمعية العلماء المسلمين تجاه الثورة من خلال رجالها. وفي المبحث الثالث ركزنا على موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية. و لقد قمنا في الفصل التطبيقي بتحليل مضمون جريدة البصائر التي تناولت موضوع الثورة الجزائرية التحريرية المباركة و كذا موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة بالاعتماد على أسلوب تحليل المضمون الكمي و الكيفي لأرقام الجداول الإحصائية و من ثمة الخروج بنتائج الدراسة و خاتمة .

الإطار المنهجي

إشكالية الدراسة :

ارتبطت الصحافة بأشكالها المختلفة بحياة المجتمع، عن طريق تسجيل نشاطاته : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الأمر الذي جعلها ذاكرة الأيام، تُعيد الأحداث وتحفظها لأجيال المستقبل، ممن يريد التعرف على أحداث الماضي. ولقد أثبت التاريخ أن الإنسان لم يكن ليحل أسرار الحضارات والشعوب القديمة إلا من خلال الكتابة المدونة على الصخور أو صفائح الطين و أوراق البردي قديماً، ثم على صفحات الجرائد في العصر الحديث.

كما أن ارتباط الصحافة بالتعبير عن الرأي في نشرها للتعليقات والبيانات السياسية جعلها أدوات جيدة في يد الأنظمة الحاكمة والأحزاب والحركات التحريرية والمنظمات الاجتماعية، في نضالها ونشر أفكارها والمطالبة بحقوقها في الحرية والعيش الكريم المحترم، وسمح لها بأن تكون لسان الحال المعبر عن الأفكار الإيديولوجية ومنبراً لعرض الأفكار والتصريح بالمواقف اتجاه قضايا الأمم.

و لم تخرج الصحف الجزائرية بمختلف تياراتها الناشطة في الساحة الوطنية عن فكرة مقاومة المحتل الفرنسي من خلال نضالها الوطني الذي يهدف إلى المطالبة بحقوق الجزائريين المهضومة، مما عرضها لجميع أنواع القمع والتنكيل لإسكات صوتها، ولم تجدد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن هذه القاعدة: فكانت من الأطراف الفاعلة التي حاولت وضع حل لمشكل الوجود الاستعماري في الجزائر، ومواجهته بطرق وأساليب متعددة في الشق الفكري والثقافي بالتصدي لمحاولات إحلال اللغة الفرنسية والديانة المسيحية في الجزائر المسلمة العربية، وقد عملت لتحقيق هذا الهدف على ثلاث جبهات وهي: 1- محاربة فرنسا الاستعمارية، 2- محاربة الجهل والامية، 3- محاربة الطرق والطرقية، مستعملة في ذلك كل الطرق والوسائل من خلال تكوين جيل قادر على قيادة الجزائر بعد أن يحررها من الاستعمار الفرنسي .

وتبرز أهمية الدور الريادي للجمعية عبر تواجدها الأسبوعي على صفحات جرائدها، ونخص بالذكر البصائر في سلسلتها الثانية (1947م-1956م) والتي كانت بمثابة المنبر تعبر من خلاله عن آرائها وأفكارها وتصوراتها، بالإضافة إلى متابعتها وتغطيتها للأخبار وشؤون الثورة.

و يتناول موضوعنا بُعدين أساسيين هما : الإعلام من جهة والتاريخ من جهة أخرى وكلاهما وسيلتان اتصاليتان، حيث تعتبر الجريدة وسيلة اتصالية إعلامية جماهيرية، والتاريخ عبارة عن أداة تحقق نوع من التواصل بين الأجيال، فدراستنا للتاريخ نتصل بالأجيال السابقة عن طريق دراسة وتقصي أخبار الأمم الماضية، وتُعبّر هذه الجرائد بصدق كبير عن راهن المجتمع بعيداً عن أي لبس يمكن أن يكون قد اعتراه لاحقاً، فالكتابة على صفحات الجريدة بمثابة النقش على الحجر فلا

سبيل إلى التراجع عن ما كُتِبَ أو ما قيل بعد نشره، و تشكل الجرائد المصدر الرئيسي و المخزن الذي لا ينضب أبداً للمعلومات في الدراسات التاريخية.

و يبدو أن الأحداث المتعلقة بالثورة الجزائرية لم تحض بحقها من الدراسة و البحث المستفيض من منظور إعلامي صحفي و تركت المجال واسعاً للتضاربات و التناقضات و إعطاء التأويلات لهذه الأحداث و المواقف التي صنعت أحداث الثورة، و حيث أن الدراسات التاريخية تخضع لدقة صارمة و حذر في التعامل مع الأحداث و الوقائع التاريخية، فإنه لا بد من الاعتماد على دعامة توثيقية تمثلت في دراستها هذه على جريدة البصائر بوصفها لسان حال عبرت من خلالها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن ظروف و معانات الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي .

و من خلال دراستنا هذه أردنا أن نأخذ من البصائر أداة تُبصر من خلالها أحوال المجتمع الجزائري و تبيان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من قيام الثورة الجزائرية خاصة و أنها برزت كحدث مفاجئ، بالنسبة للجزائريين سنة 1954 م : لأن في هذه المرة أخذ مجموعة من أفراد المنظمة الخاصة زمام المبادرة من الجميع و أعلنوا الثورة لأنها حسبهم هي السبيل الوحيد للتخلص من فرنسا و من الاختلاف الداخلي بين التشكيلات السياسية من جهة و داخل التشكيلات السياسية نفسها، و هذه الحركة الفتية حملت أفكار ثورية جديدة تدعم العمل الثوري المسلح شارحة في بيانها الأول فلسفتها و عقيدتها الحربية في مواجهة الاستعمار، و تجاوز الانقسام الداخلي الناتج عن الاختلافات الأيديولوجية، و مخلفات الاستعمار الذهني الناتج عن البطش الاستعماري، و كانت الجمعية كغيرها من التنظيمات تجهل الحدث و من يقف وراءه.

إذا كان من السهل معرفة موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة فمن الصعب تحليله و توصيفه إلا من خلال تحليل مضمون جريدة البصائر.

فكيف عبرت جريدة البصائر عن موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة الجزائرية التحريرية خلال الفترة 1954/1956 م ؟

التساؤلات:

- و تتفرع عن هذا التساؤل المحوري جملة من التساؤلات الفرعية:
- من هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟
- ما هو موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من العمل الثوري و السياسي؟
- ما هي مكانة الصحافة المكتوبة في هيكل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟
- ما هو موقف رؤساء و قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من العمل الثوري بعد

1954م؟

- كيف كان اتجاه محتوى مضامين جريدة البصائر من الثورة الجزائرية ؟.

أسباب اختيار الموضوع:

أ- الأسباب الموضوعية:

- زيادة الجمعية في ميدان النضال الإصلاحي و الإعلامي في الجزائر، و مكائتها الكبيرة في تاريخ الجزائر الحديث.
- أهمية جريدة البصائر بإعتبارها مصدر لتاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية وكذا بالنظر إلى علاقتها بمختلف الشخصيات و التيارات السياسية و الدينية المؤثرة في المجتمع الجزائري خلال النصف الأول من القرن العشرين.
- فضل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إحياء الروح القومية الجزائرية بعد قرن وربع من الاستعمار الفرنسي، و محاربة الجهل و الطرقية.
- تجربة الجمعية العريقة في ميدان العمل الإعلامي.
- الغموض الذي يكتنف العمل الإعلامي في الفترة الممتدة من 1954م إلى 1956م.
- جهل الجيل الجديد من الشباب الجزائري، بنضال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلمي والتربوي والثوري من أجل تحرير الجزائر.
- التعريف بالوسائل الإعلامية التي استخدمت من طرف رجال الإصلاح أثناء فترة الاستعمار.

ب- الأسباب الذاتية:

- حب التاريخ الدائم، و إعادة قراءته.
- احترامي و تقديري للعلم والعلماء، و لرجال الجزائر الغيورين على أرض هذا الوطن الذي تكفل بمواجهة التحديات الاستعمارية .
- تميز تجربة البصائر الإعلامية في ظل الاستعمار الفرنسي.

أهداف الدراسة:

- الكشف عن الموقف الحقيقي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اتجاه الثورة التحريرية، من خلال تحليل المحتوى الإعلامي لجريدة البصائر.
- تبيين أهمية العمل الإعلامي، و إبراز الأبعاد الاتصالية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دور العمل الصحفي في تأسيس الجمعية و مكانته في مفكرة أعضاء الجمعية.
- الاقتراب النظري من العمل الصحفي أثناء فترة الوجود الاستعماري.
- محاولة إحداث التواصل الحضاري بين الأجيال الصحفية الجزائرية.

تحديد المصطلحات: سوف نُحاول التطرق إلى أهم المفاهيم التي تُشكل مفاتيح هذه

الدراسة و هي:

الجريدة: و هي النشرة المطبوعة التي تصدر يومياً، و تشمل موضوعات متنوعة، أهمها الأخبار و في مقدمتها الأخبار التي يراعى فيها السبق الصحفي، و الوقوف على آخر الأنباء، إلى جانب الموضوعات المتغيرة و الأبواب الثابتة، و لكن قد تتوسع في المعنى فيقصد بها المجلة الأسبوعية أو أي دورية تقدم تقريراً عن الأحداث¹.

أو " هي كل مطبوع يقع في عدد من الصفحات، يحمل اسماً معيناً، و يصدر بصفة دورية منتظمة بنفس الاسم، و يصدر يومياً في الصباح، أو المساء و ينشر الأخبار و المقالات، و التعليقات و المقابلات، و التحقيقات الصحفية، و يستهدف الإعلام التوجيه و الإرشاد و الترويج، و يمكن أن ينشر إعلانات متنوعة، مقابل أجر تحصل عليه الجريدة من هذه الإعلانات²."

كما تعرف الجريدة بأنها: "أحسن تعبير لظاهرة الثقافة المعاصرة، إذ يُمكن تصنيفها في إطار العملية الثقافية على أنها نشاط معرفي قائم بذاته، مُحصن بشخصية إيديولوجية، تدعمها مفاهيم قوية و معرفة علمية و خبرة تجريبية و فنية، إنها نشاط معرفي خاص بالاتصال الجماهيري الذي يحدث إلى نوع خاص من الرجة داخل وسائل الإعلام الجماهيرية نفسها و التي تعمل على إبراز الآنية و الجماهيرية و الاستمرارية، على أنه لا يمكن فهم الصحافة خارج علاقتها بالمجتمع المجدد و بنيته الاجتماعية في مرحلة معينة من تطوره³. و بالتالي فإن الجريدة هي أشيع الألفاظ الدالة على الصحافة في اللغة العربية⁴.

"الصحيفة" "الجريدة"، "المجلة": أول من استعمل في العربية لفظة "صحيفة" بمفهومها الحديث الكونت رشيد الدحداح، كما يستحيل عليه كذلك أن يمر دون توقف عند صحفي آخر هو "أحمد فارس الشدياق"، الذي كان أكثر تحديداً، حيث اختار كلمة "جريدة" للدلالة على النشرة المعروفة الآن بهذا الاسم، و لا بد له من أن يتوقف أيضا عند الشيخ "إبراهيم اليازجي" الذي وضع بين أيدينا تسمية ثالثة هي "المجلة"⁵.

¹ - محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، ط1، 2004، ص 197.

² - كرم شليبي، معجم المصطلحات الإعلامية، عربي إنجليزي، بيروت: دار الجيل، ط2، 1994، ص 528.

³ - عزّة عجان، من هو الصحفي، الجزائر، دار النشر غير موجودة، 2006، ص 11-12.

⁴ - هارمان و آخرون، الجريدة أو الصحافة عند المسلمين، ترجمة إبراهيم خورشيد و آخرون، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1984، ص 15.

⁵ - عبد الرحيم غالب، مئة عام من تاريخ الصحافة لسان الحال، بيروت، جروب برس، ط1، 1988، ص 12.

صحافة الرأي: غالباً ما تكون دورية (أسبوعية، نصف شهرية، شهرية، فصلية)، و تتميز بالمقالات التحليلية العامة و المتخصصة، تاركة المجال الإخباري العام للصحف اليومية¹.

الموقف : جمع مواقف مكان مُعين لوقوف وسائل النقل موقف اختياري، ما يكون كشافاً عن نيات و مقاصد ما يظهر من ميل واستعداد و يُعبر به عن شعور حيال شخص أو شيء². من هنا يمكن تعريف الاتجاه "على أنه اتخاذ موقف معين والتجاوب مع حدث أو سلعة أو مجموعة أحداث، و منتجات بشكل عام"³، شرط أن يتكرر هذا الموقف في فترات زمنية متتالية و إلا يقي مجرد رأي في قضية معينة، كما يعتبر الاتجاه من العوامل الرئيسة التي تأخذ بعين الاعتبار في عملية اتخاذ القرارات المختلفة، إذن مفهوم الموقف يشير إلى سلوكيات الفرد اتجاه وضعية معينة للفرد إلا أن الاتجاه يختلف عن الموقف من حيث أن هذا الأخير هو تراكم الموقف لفترات زمنية طويلة.

الموقف هو ما يؤثر في الفرد في لحظة ما من منبهات اجتماعية و من علاقات تنظم هذه المنبهات، و هو نقطة على تدرج متصل يشير إلى درجات متفاوتة من تعقد العوامل المؤثرة في السلوك، والتدرج يبدأ بالمنبه و هو أبسط المؤثرات الخارجية في السلوك ثم ينتقل إلى الشيء، ثم إلى المحيط، ثم إلى الموقف، ثم إلى البيئة، ثم إلى المجال.

هذا و يشير الموقف إلى وجود نمط من القوى و العوامل، التي تنطوي على معنى شامل و التي من الممكن أن نطلق عليها مصطلحاً معيناً، أو عبارة محددة، و تتجلى المواقف الإنسانية أو تعبر عن ذاتها، في شكل أنماط للتفاعل بين الأشخاص، تبدو وكأنها تحظى باتساق معين يجعلها قابلة للتنبؤ باستمرار، و يدور الموقف حول شيء معين أو فعل أو منبه يشار إليه بلفظ محدود⁴.

و هناك تتداخل بين الموقف و الاتجاه إذ يعرف قاموس علم الاجتماع الاتجاه بأنه "قد يشير إلى الاستعداد أو الميل المكتسب الذي يظهر في سلوك الفرد أو الجماعة عندما تكون بصدد تقييم شيء أو موضوع بطريقة متسقة و مميزة، و ينظر إليه على أنه تعبير محدد عن قيمة أو معتقد، و لهذا يشمل نوع من التقييم الإيجابي أو السلبي"⁵.

الثورة Revolution : هو مصطلح يستخدم في سياقات و معان عديدة، إذ يكون إشارة إلى تغييرات جذرية و أساسية في حقل من حقول العلم و المعرفة، كالقول بالثورة الصناعية أو الاقتصادية أو الثقافية، أو قد يكون إشارة إلى تحولات رئيسية في البنى الاجتماعية و

¹ - فضيل دليو، الاتصال مفاهيمه - نظرياته - وسائله، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ص82.

² - أنطوان نعمه وآخرون، المجدد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت: دار المشرق، ط2، 2002، ص1552.

³ - طلعت أسعد عبد الحميد، التسويق الفعال، الأساسيات والتطبيق، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط9، 1999، ص118.

⁴ - محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، المجلد السادس، 2003، ص2417.

⁵ - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص175.

السياسية و يشير مفهوم الثورة إلى تغيرات تحدث عن طريق العنف والانقلاب في شكل حكومة بلد ما¹.

و يستخدم معظم المفكرين المعاصرين اصطلاح الثورة للدلالة على:

- إحداث تغيرات فجائية و جذرية تتوخى الظروف الاجتماعية و السياسية، أي عند تغيير حكم قائم، و النظام الاجتماعي و القانوني المصاحب له بصورة فجائية و أحياناً عنيفة بحكم آخر.

- تغييرات ذات طابع جذري غير سياسية، حتى و إن تمت هذه التغييرات ببطء و دون عنف، كما هو الحال عندما نقول ثورة علمية، فنية، ثقافية، فإن هذه التغييرات المعاصرة تستخدم لوصف تغييرات متسلسلة في مجالات متعددة من الحياة².

الثورة الجزائرية 1954-1962م La Révolution Algérienne:

و تعرف أيضاً بثورة المليون و نصف المليون شهيد، و هي حرب تحرير وطنية ثورية ضد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي قام بها الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الوطني الجزائري و كان نتيجتها انتزاع الجزائر لاستقلالها بعد استعمار شرس، و طويل استمر أكثر من 130 عام³.

جبهة التحرير الوطني: و هو الحزب الذي قاد الجزائر خلال ثورتها الوطنية المجيدة إلى الاستقلال ففي مارس 1954م، أنشأ زعماء المنظمة الخاصة، التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية التي كانت تُعرف في السابق بحزب الشعب الجزائري للجنة الثورية للوحدة و العمل من أجل جمع شمل كل الوطنيين الجزائريين من كل الاتجاهات و الميول.

كان زعماء الثورة الأوائل: بن بولعيد مصطفى، و ديدوش مراد، و العربي بن مهدي، وأحمد بن بلة، و محمد بوضياف، و حسين آيت أحمد، و رايح بيطاط، و محمد خيضر قد اجتمعوا في صيف 1954م، و قرروا إعلان النضال المسلح في الأول من نوفمبر و إعلان تشكيل جبهة التحرير الوطني و بدأت بعد ذلك جميع التنظيمات السياسية تنضم إلى تلك الجبهة.

و تبنّت الجبهة مبدأ القيادة الجماعية، و أنشئ في مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956م مجلس وطني لقيادة الثورة الجزائرية، و لجنة تنسيق تنفيذ أعلنت الجبهة في 19 سبتمبر 1958م عن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في القاهرة برئاسة فرحات عباس ثم برئاسة يوسف بن خدة في أغسطس 1961م، و تشكل بعد ذلك مكتب سياسي من خمسة أعضاء: بن بلة، و خيضر، و بيطاط، و آيت أحمد، و بوضياف، و انتُخب خيضر أميناً عاماً للجبهة

¹ - أحمد الشويخات و آخرون ، الموسوعة العربية العالمية ، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، 1996، ج8، ص 58.

² - عبد الوهاب الكيالي و آخرون، موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1990، ج1، ط3، ص 870.

³ - عبد الوهاب الكيالي و آخرون ، موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1991، ج2، ط2، ص 177.

إلا أنه اختلف مع بن بلة و كانت نتيجة ذلك أن انعقد أول مؤتمر للجبهة بعد الاستقلال تقرر فيه انتخاب بن بلة أميناً عاماً لها¹.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: جمعية دينية ذات طابع ثقافي و سياسي، أدت دوراً بارزاً في الحفاظ على عروبة الجزائر، أسسها عام 1931م الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي كان يردد باستمرار: الإسلام ديني و العروبة لغتي و الجزائر وطني، و كان معظم الشيوخ الذين دخلوا هذه الجمعية من المصلحين، الذين تأثروا بأفكار محمد عبده و جمال الدين الأفغاني، و قبلوا أفكار شكيب أرسلان الإسلامية- العروبية، كانت جمعية العلماء المسلمين تنشر أفكارها من خلال مجلة الشهاب و جريدة البصائر ، و كانت تطالب بحرية تعليم اللغة العربية، و حق الجزائريين في إنشاء صحافة عربية، حاولت السلطات الفرنسية ايقاف مجلة الشهاب، و جريدة البصائر من الصدور، حتى تضع حداً لبت أفكار هذه الجمعية، حيث عمدت الجمعية إلى إنشاء العديد من المدارس الدينية الخاصة، التي تخرج منها العديد من المناضلين، و ساعدت على الإبقاء على الثقافة العربية، في وجه الغزو الثقافي الفرنسي، بعد وفاة الإمام عبد الحميد ابن باديس، حيث خلفه البشير الإبراهيمي في رئاسة الجمعية².

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي حركة فكرية و ثقافية، تنفض غبار الجهل و الأمية عن الشعب الجزائري، حيث أسست المدارس الشعبية للتعليم، و المساجد لأداء الشعائر الدينية و النوادي الثقافية، و علمت الشعب الجزائري كيف يصمد و ينتقي العناصر الوطنية لتسيير هذه المؤسسات بنفسه، بواسطة الانتخابات، و التصويت، و الاجتماعات و المناقشات³.

أما في دراستنا فهي : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية و التي ترأسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و نائبه الشيخ العربي التبسي ، و ذلك خلال الثورة الجزائرية.

جريدة البصائر:

التعريف اللغوي: جمع بصيرة، و هي قوة الإدراك و الفطنة. نظراً نافذاً إلى خفايا الأمور⁴.

التعريف الاصطلاحي: جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي الصحيفة الرابعة تعطيل كل من السنة، الشريعة، الصراط ، و ظهر أول عدد منها بتاريخ 1 شوال 1354 هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1935 مديرها و صاحب تحريرها الشيخ الطيب العقبي و صاحب امتيازها الشيخ خير الدين، و كانت تصدر بالجزائر العاصمة و تطبع باللغة العربية، في

¹ - أحمد الشويخات وآخرون ، الموسوعة العربية العالمية ، ج7 ، مرجع سبق ذكره، 1996. ص 135.

² - عبد الوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص 86.

³ - عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية و قضايا التنمية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1981، ص 55.

⁴ - أنطوان نعمة وآخرون ، مرجع سبق ذكره، ص 96.

مطبوعة الشيخ أبو اليقضان، حجمها (40x28)، تقع في ثماني صفحات، وكان شعارها الآية الكريمة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا بِمُكْرِمٍ بِمَعْظَمٍ﴾¹.

توقفت جريدة البصائر عن الصدور في 25 وت 1939، بأمر من إدارة الجمعية، بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، وهذا حتى لا ترضخ لضغوطات الإدارة الفرنسية، لمساندة دول الحلفاء فرنسا و بريطانيا، ضد دول المحور ألمانيا و إيطاليا².

جريدة "البصائر" في سلسلتها الثانية 1947-1956م: بعد أن خرج "البشير الإبراهيمي" رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السجن وعودته إلى النشاط، وكانت الساحة الجزائرية تشهد هدوءاً نسبياً، حيث ارتأت الجمعية تشكيل خمس لجان، كان من بينها لجنة جريدة "البصائر" التي أوكلت للأستاذ "أحمد توفيق المدني"، فصدر العدد الأول منها بتاريخ يوم الجمعة 7 رمضان 1366هـ الموافق لـ 25 جويلية 1947م، و قد حافظت الجريدة على موعد صدورها الأسبوعي، كل يوم جمعة و على شكلها أيضاً. و كان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الإبراهيمي .

و حمل هذا العدد تعريفاً للصحف، وفقاً لمنظور رئيس الجمعية: "إنَّ الصحف في لسان العرف كالصحائف في لسان الدِّين منها صحائف الأبرار و صحائف التجار، لذلك كان من حظَّ الابتلاء بالتعطيل والتعويق، جريدة "البصائر" هي أحد الألسنة الأربعة الصامته لجمعية العلماء، وتلك هي السنّة، والشريعة، والصراط، والبصائر"³.

وتتميز بأنها تعد من أهم المصادر المؤرخة للفكر الجزائري الوطني الإسلامي في مرحلة ما قبل الثورة التحريرية، ومتابعة الاستعمار لكل ما هو عربي و وطني ارتأت إدارة جريدة البصائر أن توقف صدورها وذلك في 6 أفريل 1956 صدور 361 عدد⁴.

و جريدة البصائر المعنية بالدراسة والتحليل في الدراسة هي السلسلة الثانية من الجريدة 1947-1956م . والصادرة خلال الثورة التحريرية .

¹ - سورة الأنعام، الآية 104.

² - محمد خير الدين، مذكرات ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص297.

³ - البصائر، العدد 1، بتاريخ 25 جويلية 1947، ص1.

⁴ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 1980، ص268.

منهج الدراسة وأدواتها:

منهج البحث هو طريقة موضوعية يتبعها الباحث لدراسة ظاهرة من الظواهر، فلا يمكن لأي بحث علمي أن يقوم بدون منهج واضح، فالمنهج هو فن تنظيم الأفكار سواء للكشف عن حقيقة غير معلومة لدينا أو لإثبات حقيقة نعرفها¹.

و ترى "مادلين قرافيتز" "Madeleine Grawitz" أن المنهج: "يعني مجموع العمليات العلمية التي تنطبق عليها أخلاقيات البحث من أجل الوصول إلى الحقائق مهما كانت، وهذا المفهوم للمنهج في المعنى العام مسار منطقي مطابق لكل الخطوات العلمية التي تسمح بملاحظة هذه الحقائق مثل مجموع القواعد المستقلة لأي بحث أو محتوى خاص"².

و تندرج دراستنا ضمن البحوث الوصفية التحليلية، التي يعرفها هويتني " تلك البحوث التي تتضمن دراسة الحقائق الراهنة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع"³. أو هي محاولة التقرب من عناصر مشكلة أو ظاهرة قائمة للوصول إلى فهم أفضل وأدق للمشكلة المدروسة.

و يتسم الأسلوب الوصفي بأنه يُقرب الباحث من الواقع حيث يدرس الظاهرة كما هي على أرض الواقع و يصفها بشكل دقيق، إما بتعبير كمي لخصائص و سمات الواقعة، أو بأسلوب كيفي⁴.

و مما سبق توجب علينا الاعتماد على المنهج المسحي انطلاقاً من مقتضيات طبيعة الدراسة و متطلباتها، إذ يعتبر منهج المسح واحد من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية حيث يهتم بدراسة الظروف الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و غيرها في مجتمع معين بقصد الحقائق و استخلاص النتائج اللازمة لحل مشاكل هذا المجتمع⁵.

و يعرف محمد عبد الحميد المنهج المسحي على أنه: "من أنسب المناهج العلمية ملائمة للدراسات الوصفية بصفة عامة، ذلك أن هذا المنهج يستهدف تسجيل و تحليل و تفسير الظاهرة في وضعها الراهن، بعد جمع البيانات اللازمة و الكافية عنها و عن عناصرها من خلال مجموعة من الإجراءات التي تحدد نوع البيانات و مصدرها و طرق الحصول عليها"⁶.

¹ - محمد الصاوي محمد مبارك، البحث العلمي أسسه وطريقته كتابته، القاهرة، المكتبة الأكاديمية ، 1992، ص26.

² - Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, Paris, Dalloz, 5ème ed, 1981, p348.

³ - محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، القاهرة، دار الفجر، ط3، 2002، ص 86.

⁴ - أحمد حسين الرفاعي، مناهج البحث العلمي - تطبيقات إدارية واقتصادية، عمان، دار وائل للنشر ، 1998، ص123.

⁵ - أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط 9 ، 1966، ص 289.

⁶ - محمد عبد الحميد، دراسات الجمهور في بحوث الإعلام، بيروت، عالم الكتب ، 1993، ص 122.

و عند اللجوء إلى استخدام المنهج التاريخي في دراسة ظاهرة صحافة في بلد ما، فإن دراسة هذه الظاهرة بمعزل عن التوجهات و الظروف السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية السائدة في تلك الفترة، هي محاولة فاشلة يعترها كثير من النقص: لأن الباحث أجرى دراسته على الظاهرة و هي في حالة ثبات، و ذلك عند عزل الظاهرة عن التوجهات و الأوضاع و الظروف التي نشأت في ظلها، و المتغيرات التي صاحبها و أثرت عليها سلباً أو إيجاباً.

ثم إن الاهتمام بمواقف الصحف و اتجاهاتها في الأحداث و الوقائع التاريخية البارزة في المجتمع، يعطي دلالة واضحة على طبيعة هذه الأحداث من واقع الأداء الصحفي، و ليس من واقع تفسيرات المجتهدين، و لهذا فإن التفسير لمثل هذه الظواهر في معناها العلمي يتطلب إلقاء الضوء على ما يلي¹:

- النظم السياسية السائدة في فترة الدراسة باعتبارها أحد العوامل المؤثرة في الظاهرة، و لأنها تعطي صورة حقيقية للأوضاع السياسية في فترة زمنية معينة.

- الاتجاهات الفكرية و التيارات الثقافية و الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع خلال فترة الدراسة.

- حركة المجتمع بصفة عامة و إدراك حالات التطور و التخلف و الركود من خلال تقديم بيانات عن المستوى العام للمجتمع كالتعليم، و الدخل القومي، و النشاطات الأخرى.

- حالات الصراع السياسي و الديني و الاجتماعي والعسكري، و دوافعه و أثر ذلك على الظاهرة موضوع البحث.

أساليب الدراسة و أدواتها:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على أسلوب تحليل المضمون كأداة رئيسة لجمع البيانات و الإجابة على أكبر قدر ممكن من التساؤلات المطروحة، و يعتبر تحليل مضمون مضامين الإعلام و الاتصال: القيام بتفكيك ما تنتجه وسائل الإعلام من مضامين متنوعة إلى أجزاء تسمح بكشف الرموز و الصيغ المستخدمة في التعبير عن الأفكار المراد تبليغها إلى المرسل إليه.

و حسب "سمير محمد"، فتحليل المضمون: "أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمها الباحثون في محاولات بحثية متنوعة، و على الأخص في علم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر و المضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل و المضمون، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في شكل تساؤلات البحث، أو فروضه طبقاً للتصنيفات الموضوعية التي يحددها الباحث"².

1- أحمد مصطفى عمر، البحث الإعلامي ومفهومه، إجراءاته ومنهجه، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط2، 2002، ص189.

2- سمير محمد، تحليل المضمون، القاهرة، عالم الكتب، 1983، ص35.

ويرى "محمد عبد الحميد" بأنه: "مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني في المحتوى و العلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي الموضوعي و المنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى"¹.

ويشير من خلال هذا التعريف أنه يوجد مستويين للبحث:

-**التحليل الكمي**: إن هذا التحليل قائم على الوصف الكمي بالاعتماد على عدد التكرارات المسجلة في كل فئة من فئات التحليل المعتمدة، فيقوم هذا التحليل على تفسير البيانات تفسيراً كميًا بحسب درجة تكرارها (المساحة، الكلمة، الجملة، الموضوع).

-**التحليل الكيفي**: يستخدم في شرح المعطيات الرقمية التي توصلنا إليها في التحليل الكمي والتعليق عليها، من خلال التعبير عن هذه النتائج والاستنتاجات في شكل كلمات و ألفاظ و يقوم على قراءة و تسجيل الانطباعات الشخصية للباحث و الحصول على نتائج بناءً على هذا التسجيل و التعبير عنها برموز لفظية.

و يعرف "روحي موكشيلي": تحليل المضمون كما يلي: "يتم تحليل مضمون وثيقة أو عملية اتصالية عن طريق مناهج مضمونة بالبحث عن المعلومات الموجودة في هذا المحتوى من أجل استخراج المعنى أو المعاني المعروفة فيه بصياغة و تصنيف كل ما يضمه محتوى الوثيقة أو العملية الاتصالية، وكل وثيقة سواء كانت منطوقة، مكتوبة، أو مسموعة، تحتوي كميًا على معلومات حول شخصية المرسل و الجماعة التي ينتمي إليها"².

و يعتمد أسلوب تحليل المضمون على استمارة تحليل المضمون^(*)، من أجل تحليل محتوى جريدة البصائر، لترجمة مواضيع الثورة التحريرية إلى جداول و أعمدة بيانية و منها نستخلص معاني و نتائج تجيب على التساؤلات الفرعية للدراسة.

فئات التحليل:

أما فئات التحليل التي اعتمدها عليها في هذه الدراسة، فهي التقسيمات التوزيعات والأركان التي يعتمدها الباحث في توزيع وحدات التحليل المتوصل عليها في المادة المدروسة، وهذا بناءً على ما تتحد فيه من صفات أو تختلف عنه من خصائص³، وتستخدم الفئات في تحليل المضمون كي تصف بأكبر قدر من الموضوعية، مضمون الصحف والمجلات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية أو الأفلام السينمائية، وتمثل فئات في الواقع متغيرات البحث التي ترتبط بالإطار النظري والفروض الرئيسية له، والفئات هي الأماكن التي يصنف

¹ - محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص55.

Mucchielli Roger: l'analyse de continue des documents et des communications, application pratique, paris,

1988, p17.

(*) - أنظر الملحق رقم (1).

³ - أحمد بن مورسلي، منهج البحث في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003، ص213.

فيها الباحث الوحدات المختلفة للمضمون يقوم أو يسقط حسب فئاته، بمعنى تصنيف المضمون في فئات مناسبة يعد من الشروط الأساسية لنجاح بحوث تحليل المضمون¹. و تنقسم هذه الفئات إلى نوعين:

1- **فئة المحتوى:** ماذا قيل؟ تعتبر هذه الفئة أكثر فئات تحليل المحتوى انتشاراً، و تجيب على السؤال الأساسي، على ماذا تدور مادة الاتصال؟².

وتفيد هذه الفئات في الكشف عن مراكز الاهتمام في المحتوى، ذلك أن الوسيلة الإعلامية تعطي الاهتمام للموضوعات التي تتفق مع سياستها التحليلية، فما يُنشر منها يُعتبر أهم من المواد التي لا تنشر، وما يُنشر بتوسع يعتبر أهم مما يُنشر في مجالات محدودة أو أوقات متفرقة، ويقل تكرار النشر فيها عن غيرها مما يحتل الاهتمام لدى الوسائل الإعلامية.³

2- **فئات المصدر:** و يقصد بها تحديد مصادر الموضوعات " الثورة" و تتراوح ما بين المصادر الذاتية للصحيفة و مصادرها الخارجية، و تضم فئة المصدر عدة فئات فرعية وهي كالآتي:

- توقيع الصحفي: و يُقصد به تلك الموضوعات التي اهتمت بالموضوع "الثورة الجزائرية" و التي حملت توقيع الصحفيين التابعين للجريدة.

- بدون توقيع: و هي مجموعة الأخبار الخاصة بالثورة في الصحيفة المخصصة للدراسة و لكنها لم تحمل أي مصدر يُشير إليها، أي مجهولة المصدر.

- مصادر أخرى: هي مجموعة الأخبار الخاصة بالحدث و التي حملت توقيعات مصادر غير المصادر التي ذكرناها سابقاً.

3- **فئات الاتجاه:** و تعتبر هذه الفئات الشائع استخدامها في بحوث تحليل المحتوى، رغم المصاعب العديدة التي تواجه الباحث عند استخدامه هذه الفئات، حيث يصعب السيطرة على ذاتية الباحث في تحديد الاتجاهات و بصفة خاصة عندما تكون عند الباحث أحكام مسبقة، و قد يلجأ إلى توظيف الإجراءات لتأكيد هذه الأحكام⁴. فئة الاتجاه إذا هي فئة التي توضح التأييد أو الرفض أو الحياد في المضمون موضع التحليل والدراسة، بالنسبة للموقف والقضايا أو الموضوعات المتضمنة فيه⁵، و يتم اختيار الاتجاهات حسب طبيعة الموضوع، ذلك بأن للاتجاهات عدة تصنيفات، وكذلك حسب الكيفية المراد توظيفها من قبل.

الباحث بهدف الوصول إلى الغرض المنشود، لذا قمنا بتصنيف الاتجاهات في دراستنا على النحو التالي: مؤيد، محايد، معارض.

1- عواطف عبد الرحمان وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، بيروت، العربي للنشر و التوزيع، 1983، ص 237.

2- عاطف عدلي العبد و زكي أحمد، الأسلوب الإحصائي و استخداماته في بحوث الرأي العام، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993، ص 211.

3- محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، مرجع سبق ذكره، ص 121.

4- نفس المرجع، ص 123.

5- سمير محمد حسن، بحوث الإعلام - الأسس و المبادئ، القاهرة، عالم الكتب، 1999، ص 266.

كما ترى الدكتورة عواطف عبد الرحمن: أنه من الفئات الهامة المنتشرة في فئات تحليل المضمون هي اتجاه المحتوى، هل هو مؤيد، معارض، أو محايد، لأنه من المتعذر معرفة اتجاه كاتب النص، فلا بد للباحث أن يحدد اتجاه المضمون.

و هناك عدة محاولات لتقنين بعض السمات المعبرة عن التأيد أو المعارضة، ولكنها محل جدل لأن الفئة المؤيدة قد تكون معارضة تبعا لإيديولوجية الباحث و من المحاولات الجديرة بالنظر محاولة **جيمس مالوران و فيليب إليوت، و جراهام هيردوك** ، لتعريف فئة مؤيد أو معارض، فيرون أن المؤيد يمثل المواضيع التي تعكس التضامن الاجتماعي والتعاون والاستقرار الاقتصادي والسياسي والمعارض يحكم عليهم في ضوء التعاون الدولي، فتعتمد على المعايير التي تصف دولة ما بمعانيها التقدمية ومحبة للسلام وتخضع للقانون الدولي وموحدة وتمارس القيادة بصورة صحيحة، وهذا التعريف لا ينطبق إذا وصفت تلك الدول بأنها تمارس استغلالا أو تعرض قوتها على شعوب أخرى أما المحايد فهي المواضيع التي لا تندرج تبعا للمؤيد أو غير المؤيد¹. وهذا يعطينا مثال على كيفية تحديد الاتجاه.

و عليه فإن الاتجاه المؤيد المعتمد في دراستنا هو ما يركز على الجوانب الإيجابية لموضوع الثورة، و هي المواضيع التي تتحدث عن موقف الجمعية، بطرق إيجابية أما الاتجاه المعارض فهو الذي يصف الثورة بالسلبية و يتحدث عنها بطريقة انتقادية، بينما الاتجاه المحايد فهي تلك الموضوعات التي تتحدث عن الأوضاع دون إبداء أو رأي مؤيد أو معارض.

4- فئات الشكل (كيف قيل؟): هي الفئة التي تجيب على السؤال كيف قيل؟ و يتمثل في شكل المادة الإعلامية التي اهتمت بمعالجة موضوع الثورة في المحتوى المضاميني، و تحتوي فئة الشكل على عدة فئات فرعية هي:

أ- فئة شكل المادة الصحفية: ويقصد بها نوع القالب الصحفي الذي تناول مضمون المادة الإعلامية المنشورة في مادة الدراسة وتمثلت في سبعة أشكال:

- 1- **الخبر الصحفي:** و يستعمل لنقل معلومات عن أحداث جديدة.
- 2- **التقرير الصحفي:** وهو عرض لحادث أو مبادرة أو ندوة صحفية أو اجتماع أو مناقشة، يقوم بتلخيص الأفكار الأساسية من خلال هيكلتها في نص إخباري.
- 3- **المقال الصحفي:** وهو رؤية يقدمها كاتب معين لظواهر وأحداث يختارها.
- 4- **التعليق الصحفي:** و التعليق هو الكتابة التي يتدخل فيها الصحفي بآرائه الشخصية التي تلتزم بها الجريدة، كما يعرف بأنه مادة صحفية لا تقترح شرح الحادث فحسب، بل تسمح للجريدة أو الصحفي بتأويله بطريقة تعكس التزام الجريدة الإيديولوجي².

¹ -عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ص 267 .

² - نصر الدين لعباضي ، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2007، ص79.

5- **معرض الصحافة:** هو تقديم قراءات لما تناقلته مختلف الصحف، ومعرض الصحافة هو مقارنة بين ما تنشره الصحف، يأخذ مقتطفات من المقالات والافتتاحيات، تجمعها وتقوم بتركيب "مقتبسات" منها وترتيب وفق زاوية خاصة حول موضوع معين¹.

6- **المقال الافتتاحي:** و يقدم رأي الوسيلة الإعلامية حول حدث ما، إذا كان الخبر يعد الوظيفة الأولى و الأساسية للصحافة، فالمقال يأتي بالمرتبة الثانية بعد الخبر، فهو يبين مغزى الخبر ومضمونه ومعناه من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية، و المقال يشارك مشاركة فعلية في توجيه الأمة توجيهها صحيحا وسليما، كما يشارك في تثقيفها تثقيفا سليما أيضا في كل مجالات الحياة، وقد يكون العكس تماما، فكاتبه يستغل الأخبار المختلفة ويصب فيها وجهة نظر توجيهية إلى ما يراه هو أو يراعي فيه الرأي العام ووجهة نظره أو وجهة نظر مؤيدة وموافقة لمجموعة أو حزب معين².

7- **فئات أخرى:** وتتمثل في الشعر، المقابلة، ومختلف الأجناس الصحفية الأخرى.

ب- **فئات موقع المادة الإعلامية:** و نقصد بها الصفحة التي تم فيها عرض المادة الخاصة بالثورة، سواء كان موقعها الصفحة الأولى، أو الأخيرة، أو صفحات أخرى.

ج- **فئات العناصر التيبوغرافية:** و تتمثل فيما يلي:

- **فئة النص:** هي النصوص التي وظفت ضمن عينة الدراسة، والتي تمثلت في مختلف الأنواع الصحفية بغرض معالجة الحدث موضوع الدراسة.

- **فئة العناوين:** وهي النوافذ التي نطل منها على الصحف، وهي التي وظفت على صفحات الجريدة من أجل الحديث عن موضوع الحرب أو الثورة، و تمثلت في عدة أنواع منها: العنوان الاستفهامي، الاقتباسي، التفسيري...

أما فيما يخص أسلوب القياس ووحدات التحليل فتمثلت فيما يلي:

1- أسلوب القياس:

المساحة: و هي التي تم فيها عرض المادة الإعلامية الخاصة بموضوع الثورة على صفحات الجريدتين، وقد استخدمنا في هذه الدراسة السنتيمتر المربع " سم² " لقياس الموضوعات الخاصة بالدراسة وهذا حتى نحدد المساحة التي الصحفية للموضوع بغرض معرفة مدى درجة الاهتمام.

وحدات التحليل: هي أصغر وحدة اعتمدها لمعرفة المادة الإعلامية التي خصصتها الصحيفة لتغطية الحدث، من أخبار، تقارير، ومقالات وغيرها من الفنون الصحفية التي وردت في صحيفة الدراسة، بغرض معرفة اهتمام الصحيفة بالموضوع محل الدراسة.

¹ - نفس المرجع ، ص 202.

² - فواد توفيق العاني، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة ، 1993، ص 175.

ومنه قمنا باعتماد اختيار التكرار كوحدة للقياس والفكرة داخل كل موضوع كوحدة للتحليل ويتطلب تحليل المضمون عند استخدامه لدراسة المشكلة العلمية، والأخذ بعين الاعتبار بعض الإجراءات المنهجية.

مجتمع الدراسة:

"مجتمع البحث هو المجتمع الأكبر أو مجموع المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق نتائج الدراسة، ويمثل هذا المجتمع الكل أو المجموع الأكبر للمجتمع المستهدف الذي يهدف الباحث إلى دراسته و يتم تعميم نتائج الدراسة على كل مفرداته"¹. وهو الإطار الوثائقي الذي يحتوي على مجال العينة محل التحليل.

و في دراستنا، يعد مجتمع البحث جميع أعداد جريدة "البصائر" التي صدرت خلال فترة الثورة التحريرية من نوفمبر 1954م إلى تاريخ صدور آخر عدد من السلسلة الثانية لجريدة البصائر (1947-1956م) محل الدراسة، وذلك لاستقراء موقف الجمعية من الثورة التحريرية وذلك بالعودة إلى أرشيف الجريدة الذي طُبع أخيراً لدى دار الغرب الإسلامي في بيروت².

تحديد العينة: وعندما أردنا اختيار العينة بعد التعرف على مجتمع البحث وجدنا أن حجم مجتمع البحث يُقدر بـ 70 عدد فقط، أما عن **طريقة المعاينة:** ارتأينا اعتماد طريقة الحصر الشامل، وهذه الطريقة تُعتمد في المجتمعات الصغيرة، المتكونة من عدد محدود من المفردات، أين يستطيع الباحث حصر حجمها الكلي، وإخضاعها كلها للملاحظة العلمية، وفق الأهداف المسطرة للبحث³. ولذا قمنا بإخضاع جميع الأعداد للدراسة والبحث، مع ملاحظة أن بعض الأعداد من العينة مفقودة وبعضها مُصادر من طرف السلطات الاستعمارية⁴، وهي أربعة أعداد لتصبح العينة تقدر بـ 66 عدد أما **الإطار الزمني:** هو الإطار الوثائقي الذي يحتوي على مجال العينة محل التحليل، وهو يتمثل في مقامنا هذا، في مجموع أعداد جريدة البصائر خلال مدة الدراسة التي حددت بفترة الثورة التحريرية 1954-1956م و تنحصر بين 5 نوفمبر 1954م و 6 أفريل 1956م، أي من أول عدد بعد الثورة إلى غاية توقفها عن الصدور.

و الجدول أسفل يوضح عينة الدراسة

1 - محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصر: عالم الكتب، 2000، ص130.
2 - أنظر جريدة البصائر، السلسلة الثانية 1947-1956، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2006.
3 - أحمد بن مورسلي، نفس المرجع، ص169.
4 - الأعداد المفقودة والمصادرة من طرف فرنسا، وهي الأعداد التي تحمل الأرقام التالية: 333،335،339،341.

رقم العدد	تاريخ الصدور	رقم التسلسلي	رقم العدد	تاريخ الصدور	رقم التسلسلي
3 25	1955/07/01	4	292	1954/11/05	1
3 26	1955/07/08	5	93 ²	1954/11/19	2
3 27	1955/07/15	6	2 94	1954/11/29	3
3 28	1955/07/22	7	2 95	1954/12/03	4
3 29	1955/07/29	8	2 96	1954/12/10	5
3 30	1955/08/26	9	2 97	1954/12/17	6
3 31	1955/09/02	0	2 98	1954/12/24	7
3 32	1955/09/09	1	2 99	1954/12/31	8
3 34	1955/09/23	2	3 00	1955/01/07	9
3 36	1955/10/07	3	3 01	1955/01/14	0
3 37	1955/10/14	4	3 02	1955/01/21	1
3 38	1955/10/21	5	3 03	1955/01/28	2
3 40	1955/11/11	6	3 04	1955/02/04	3
3 42	1955/11/25	7	3 05	1955/02/11	4
3 43	1955/12/02	8	3 06	1955/02/18	5
3 44	1955/12/09	9	3 07	1955/02/25	6
3 45	1955/12/16	0	3 08	1955/03/04	7
3 46	1955/12/23	1	3 09	1955/03/11	8
3 47	1955/12/30	2	3 10	1955/03/18	9
3 48	1956/01/06	3	3 11	1955/03/25	0
3 49	1956/01/13	4	3 12	1955/04/01	1
3 50	1956/01/20	5	3 13	1955/04/08	2
3 51	1956/01/27	6	3 14	1955/04/15	3
3 52	1956/02/03	7	3 15	1955/04/22	4
3 53	1956/02/10	8	3 16	1955/04/29	5

3 54	1956/02/17	9	3 17	1955/05/06	6
3 55	1956/02/24	0	3 18	1955/05/13	7
3 56	1956/03/03	1	3 19	1955/05/20	8
3 57	1956/03/09	2	3 20	1955/05/27	9
3 58	1956/03/16	3	3 21	1955/06/03	0
3 59	1956/03/23	4	3 22	1955/06/10	1
3 60	1956/03/30	5	3 23	1955/06/17	2
3 61	1956/04/06	6	3 24	1955/06/25	3

جدول يوضح عينة الدراسة

يمثل الجدول أعلاه عينة جريدة " البصائر " التي تم اختيارها في تحليل المحتوى من أجل دراسة التغطية الإعلامية التي اعتمدها جريدة البصائر في الحديث عن الثورة الجزائرية ، ومن خلال الجدول يتبين لنا أن العينة بلغت 66 عددا من العدد 292 الصادر بتاريخ 5 نوفمبر 1954م إلى غاية العدد 361 الصادر في 6 أفريل 1956م.

صعوبات البحث :

لا يكاد يخلو البحث العلمي من صعوبات رغم التسهيلات التي تقدمها الوسائل الحديثة زيادة على ذلك أن البحث التاريخي يفرض العودة إلى الأرشيف و محاولة استقرائه جيداً خاصة عندما يتعلق الأمر بفترة مهمة من تاريخ الجزائر، و بموضوع حسّاس كموضوع الثورة التحريرية وذلك لتعرض كتابة التاريخ للتأثيرات الإيديولوجية و السياسية التي تغذيها الجهوية و تغليب المصالح الشخصية الضيقة على المصالح العامة .

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا خلال فترة إنجاز هذه الدراسة نذكر ما يلي :

- صعوبة أسلوب التحرير في جريدة البصائر، و ذلك نظراً للخلفية الأدبية للكتاب الصحفيين، هذا من جهة و من جهة أخرى راجع إلى سياسة الجريدة التي كانت تكتب بطريقة غير مباشرة حتى لا توقفها السلطات الرقابية الفرنسية .

- صعوبة التعامل مع المادة التاريخية ، بسبب حساسية الموضوع و بسبب الكتابات التاريخية التي لم تسلم من تأثير توجهات كتابها. - صعوبة تصنيف واستغلال الكم الكبير من المعلومات التاريخية بما يخدم أهداف الدراسة. - صعوبة تطبيق مناهج البحوث الإعلامية لمعالجة المواضيع التاريخية مما يجتم على الباحث بذل مجهودات أكبر حتى يوائم منهج البحث مع الموضوع المدروس .

- ندرة المراجع التي تتناول موضوع الثورة الجزائرية من منظور إعلامي في المكتبات

الجامعية.

الدراسات السابقة:

لقد قمنا بالإطلاع على مجموعة من الدراسات الجامعية، التي تقترب من موضوع دراستنا وذلك بغرض الاستفادة منها ومحاولة الاعتماد عليها، خاصة في مجال تحليل المضمون وذلك لإلقاء نظرة على تطبيقاته العملية و التعرف على طرق التحليل المختلفة.

الدراسة الأولى: دراسة لعلي حشلاف بعنوان: "المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931-1939م"، وهي عبارة عن رسالة لنيل شهادة الماجستير بمعهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1994م، تحت إشراف الأستاذ زهير إحدادن. ولقد اعتمد الطالب على المنهج التحليلي المبني على الوثائق التاريخية مع تحليلها، باعتماد صحافة الجمعية كمحتوى ولكن الباحث لم يقيم بعملية تحليل المضمون، وقد برّر ذلك كون الموضوع ليس دراسة صحيفة، وإنما هو دراسة المواقف السياسية للجمعية، أمّا الخطة المعتمدة فشملت مقدمة وثلاثة فصول. خُصص الفصل الأول فيها للأوضاع السياسية، والاقتصادية، و الاجتماعية، والثقافية والدينية، التي كانت سائدة بين الحريين، ركز في المبحث الأول على سياسة فرنسا في تعاملها مع المساجد، وعملية التنصير، وفي الثاني كيف حوّلت فرنسا المجتمع الجزائري إلى مجتمع استهلاكي، وسوق حرّة لجميع السلع، ثم بيّن في الثالث وضعية المجتمع من أمة وضرائب وأمراض، في حين خصص الرابع للوضع الثقافية، من خلال التعليم وتشويه تاريخ الجزائر، وفي الأخير الصحافة الأهلية؛ وجاء المبحث الأخير ليشمل الحركات السياسية، التي ظهرت حينها كحركة الأمير خالد و الحزب الليبرالي وغيرهما.

أما الفصل الثاني فتناول العوامل التي ساعدت على ظهور الجمعية داخليا و خارجيا كذا الأحداث التي صاحبت ظهورها للجمعية في عام 1931م، بمحاولة رجال الطريقة الاستيلاء عليها بإيعاز من فرنسا؛ وركز في الفصل الثالث على نظرة العلماء للسياسة ومشاركتها في العمل السياسي، وكان المبحث الأول من نصيب المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، وفي المبحث الثاني بيّن العلاقة بين الجمعية والنواب و الطريقة، وفي الأخير تعرّض لموقف الجمعية من الإدارة الفرنسية، ثم بيان موقف الجمعية من مشروع "بلوم فيوليت".

ومن النتائج التي توّصل إليها الباحث:

- دخول الجمعية في الميدان السياسي منذ نشأتها بطريقة غير مباشرة، بواسطة الاحتجاجات والبيانات، إلى غاية 1936م، حيث دخلت بشكل رسمي للميدان السياسي.

- اشتداد الصراع بين الجمعية ورجال الدين الطريقيين، بسبب اختلاف الأفكار والمبادئ وكان ذلك أكثر عند تأسيس جمعية علماء السنة حيث وقفت وراء أغلب القرارات التي ضيقت الخناق على الجمعية مثل قرار "ميشال"، الصادر سنة 1933م.

- مسالمتها للحكومة الفرنسية وميلها للتعامل معها رغم الصعوبات والعراقيل، حيث ظلت الجمعية متمسكة بفرنسا مستجيبة بها، مرحبة بكل حاكم عام جديد يصل، الجزائر معتمرا أنّ الموقف الوحيد الذي يُسجل لصالح الجمعية رفض المجلس الإداري للجمعية إرسال بريقة التأييد لحكومة فرنسا في الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى موقفها من التجنيس، وعدّ المتجنس كافرًا وخلص الطالب حسب دراسته إلى كون الجمعية ذات اتجاه سياسي اندماجي والتي لم ينقص من حدّتها إلا سنة 1937م حين وجهت الإدارة الفرنسية ضربة قاسية للتيار الاندماجي.

الدراسة الثانية: دراسة الطالب عبد الكريم بسيس بعنوان: "ملامح المجتمع الجزائري من خلال جريدة البصائر: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين". إشراف الدكتور عمر بن خروف، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003م.

حاول الباحث أن يستنبط ملامح المجتمع الجزائري أو خصائصه من خلال مقالات جريدة "البصائر" عبر سلسليتها الأولى والثانية.

وقد عرّف الباحث في مدخل بالنشاط الصحافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذكر جرائد الجمعية، ثم خص لدراسته بأربعة فصول؛ جاء في الأول منها، تحت عنوان: "المشروع الاجتماعي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مبينا صورة المجتمع الجزائري من خلال كتابات الجمعية، وقد ركز في هذا الفصل على ثلاثة عناصر، تتمثل في العقيدة، الشريعة والقيم والأخلاق. واستعرض في الفصل الثاني، نماذج من الإصلاح الاجتماعي ومنها موضوع الأسرة بمختلف قضاياها، وخاصة موضوع المرأة وموقعها ضمن حركة المجتمع الجزائري، بمختلف تفاعلاته وتناقضاته، فموضوع الشباب والتربية، ثم نظرة الجمعية إلى المواسم والأعياد، وأخيرا موقف الجمعية من التيارات الفكرية، والاجتماعية المعاصرة لها.

و ركز في الفصل الثالث، على موضوع الإصلاح العلمي، التربوي والثقافي بصفة عامة مبينا موقع التربية في فكر الجمعية المبذولة في نشر التعليم العربي والثقافة الإسلامية، عبر نشر المدارس والنوادي والمساجد الحرّة. وعالج في الفصل الرابع، العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والسياسة، وأوضح بذلك مساهمة الجمعية في الحركة الوطنية خلال الثلاثينيات، والأربعينيات والخمسينيات. وخلص الباحث إلى نتائج أهمها:

أن مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان شاملاً، سعى إلى النهوض بالمجتمع الجزائري وإخراجه من دائرة التخلف الحضاري، إلى حالة من التقدم والتحضّر، عبر نشاطها التربوي، والإصلاحي والصحفي.

والملاحظ أنّ هذه المذكرة تنفرد بكونها تجمع بين الإعلام والتربية، في ظرف تاريخي حسّاس، حيث كانت الهوية الجزائرية مهددة في صميمها، فكان الدور كبيرا على رجال الإصلاح

قصد المحافظة على عناصر الهوية، حيث جمعوا بين التعليم والإعلام سيما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كتبت آثارها في ورقة بوجهين، أحدهما التعليم العربي الحر، والآخر الصحافة الإصلاحية.

الدراسة الثالثة: دراسة الطالب: سعيد علي الغيلاني، تحت عنوان: **الإسلام وتحرير الجزائر من فرنسا: دور العلماء الجزائريين 1919-1940**، رسالة دكتوراه، جامعة إنديانا، 2002.

تحلل هذه الدراسة عنصراً هاماً في تحرير إفريقيا الشمالية من الاحتلال الفرنسي وهو الإسلام ومعاهده، بعد مرور أكثر من مائة عام على الإمبريالية الفرنسية، بقي الإسلام، عند أغلب الجزائريين، العنصر الأساسي في تعريف أنفسهم، و مصدر مبادئهم، وبشكل نهائي، الملجأ الرئيسي من هيمنة الثقافة والسياسة الفرنسية ولهذا، فقد شهدت الجزائر نهضة إسلامية في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، حيث كانت هذه النهضة نتيجة جهود العلماء، الذين لعبوا دوراً مشابهاً لدور المفكرين، ورجال الدين الغربيين، لقد قاد ابن باديس والإبراهيمي، وهما من أكبر العلماء تأثيراً في الجزائر في القرن العشرين، حركة جديدة كوّنت قاعدة المقاومة الرئيسية للحكم الفرنسي، وقد ساهم ابن باديس بالذات بشكل عميق في النهضة الإسلامية. وتحليل كتابات ابن باديس.

فإن هذه الرسالة تثبت البعد الذي كان الأساس المعتمد عند ابن باديس في نظرتة العالمية وردوده البليغة لتحديات التحديث، و باختصار شديد، فإن التحرر من الاستعمار الفرنسي لا يمكن أن يفهم كاملاً دون البحث في جهود العلماء وخصوصاً جهود ابن باديس، إن هذه الرسالة تبحث في جوانب معينة في سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر قبل عام 1940 م، وهي تعطي تركيزاً خاصاً على كيفية فهم الفرنسيين ومعاملتهم للإسلام والمسلمين، وكيف أنه -بحلول عام 1940 م- دفع النظام الاستعماري الذي بني على عدم المساواة السياسية والاقتصادية والتعليمية والقضائية - حتى أولئك الجزائريين الموالين لفرنسا والذين تلقوا تعليماً فرنسياً- إلى عدم الثقة في مبادئ الثورة الفرنسية في عام 1789م، إن الإسلام فقط -وليس الشيوعية أو التحررية- بقي العامل المشترك الأعظم بين الجزائريين في حركتهم ضد الاستعمار الفرنسي. وتبين هذه الدراسة كيف فشلت السياسة الفرنسية، وتبين أيضاً حلال «مهمة التمدين» وكيف أن الجامعات الإسلامية أضحت المدارس الأخيرة لأولئك الذين حضروا وطوروا التعليم الإسلامي من أجل بناء الشخصية الإسلامية، وتعميم اللغة العربية، والتضييق على اللغة الفرنسية، لقد أصبحت شبكة المدارس والمساجد، والنوادي الثقافية، وغيرها من المعاهد، وسائل أساسية، يستعملها العلماء، في نشر

أفكارهم المعادية للاستعمار الفرنسي، و بخاصة ابن باديس ، لقد كان العلماء هم الذين غيروا الثقافة الجزائرية وكونوا بشكل مؤثر الشخصية الجزائرية وجعلوا الثورة ممكنة¹.

الدراسة الرابعة: دراسة الطالب بهناس عادل بعنوان: " دور جريدة البصائر في التعليم العربي الحرّ لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1947-1956م) ، رسالة ماجستير تحت إشراف الأستاذ أحسن بومالي ، كلية العلوم السياسية و الإعلام ، قسم علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر، 2007م.

وكانت إشكالية الدراسة : "كيف أسهمت جريدة "البصائر" في دعم التعليم العربي الحرّ لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟" وتفرعت إشكالية الدراسة إلى عدة تساؤلات :

- كيف كانت أوضاع المجتمع الجزائري عشية ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟
- ما هي حال التعليم غداة الاستعمار؟ وما أهداف فرنسا من سياستها التعليمية؟
- ما هو المسار التاريخي الذي عرفته الحركة الإصلاحية في الجزائر؟ وما أسباب ظهور جمعية العلماء؟

- بَمَ تميّز النظام التعليمي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ وكيف دافعت عن مقومات الشخصية الوطنية؟ - أيُّ الأفكار التي ركزت عليها جريدة البصائر؟

- ما هو اتجاه المادة الإعلامية الذي يستخلص من البصائر في تناولها للتعليم العربي الحرّ؟
ومن النتائج المتوصل إليها:

- اهتمت جريدة "البصائر" بالتعليم العربي الحرّ اهتماما كبيرا، كما ركزت الجريدة على أنشطة المدارس واحتفالاتها.

- في المواضيع التي ركزت عليها جريدة "البصائر" كان للتعليم العربي ووسائله الحيز الأكبر وتصدّرا لقائمة التلاميذ المعلمون، وهو ما يدلّ على الاهتمام بالموارد البشرية، كما أنّ حيازة الموضوع ككل لأكثر من 14 % يبين الخدمة الكبيرة التي قدمتها جريدة "البصائر" للتعليم العربي الحرّ بل أنّه في كثير من الأحيان شكل المادة الدسمة للجريدة، بنشرها أخبار المسابقات والمناظرات، ونتائج الامتحانات وأخبار البعثات.
- رفعت جريدة "البصائر" لواء الدفاع عن اللّغة العربية بالدعوى إلى العناية بها نطقا، وحماتها من الاندثار، الذي أراده لها الاستعمار أسوة باللاتينية، ثم بوجوب استعمال اللّغة العربية في شتى مناحي الحياة. وهي بذلك آلت على نفسها أن تتقاسم هذا الدّور مع المدارس الحرّة ومشايخها.

الفصل الأول

العمل الإعلامي ودوره في تأسيس العلماء المسلمين
الجزائريين

تمهيد:

يعد العمل الإعلامي من أبرز مظاهر مقاومة المستعمر في البلاد العربية، وذلك بعد فشل الثورات والانتفاضات المسلحة، و أمام التضييق الاستعماري للعمل الثوري، و الفعل التحرري لجأ زعماء الحركات الإصلاحية إلى ميدان الإعلام والعمل الصحفي الدعوي .

هذه الحركة الإعلامية قادها نخبة من العلماء و الدعاة في العالم الإسلامي و المشرق العربي، على رأسهم جمال الدين الأفغاني ، و محمد عبده رشيد رضا و جرائدهم التي شكلت بحق صحوة في مجال رد الفعل اتجاه القوى الاستعمارية الكبرى بداية القرن العشرين و وسيلة مهمة لمقاومة الهيمنة الفكرية الاستعمارية و محاربة الروح الانهزامية التي استشرت في أوساط الشعوب العربية و معظم البلدان التي ابتليت بالاستعمار الغربي، كما كان دعامة مهمة لحمل الأفكار النهضوية و المبادئ الإصلاحية التي ناضلت من أجلها .

و يعد العمل الصحفي كنتيجة لبلوغ نخبة المجتمعات العربية ذروة الوعي في ميدان العمل النضالي، و وعيهم التام بأهمية الصحافة في مقاومة الدعاية الاستعمارية الكاذبة اتجاه الشعوب المستعمرة، و تتميز بأنها ولدت من لدن الطبقة المثقفة و لم تكن نتيجة تقليد للنموذج الإعلامي الاستعماري الغربي.

و نستطيع القول بان العمل الدعوي انتقل من منابر المساجد، و القاعات المغلقة، إلى منابر الجرائد و فضاء الإعلام المفتوح، و بذلك انتشرت الأفكار التحررية النهضوية في عموم بلاد المسلمين، و امتد إشعاعها إلى بلدان شمال إفريقيا و على رأسها الجزائر التي كانت تضمد جراح مقاومة شعبية شرسة ، امتدت من دخول المستعمر حتى مطلع القرن العشرين، إذ وصلت إصدارات و إعداد المجلات و الجرائد في المشرق الإسلامي مثل العروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني و المنار لمحمد رشيد رضا، عن طريق حجاج بيت الله الحرام، ليتمدد تأثير النهضة الإصلاحية إلى الجزائر خاصة بعد عودة نخبة من العلماء من المشرق و عزمهم على بعث المشروع الإصلاحي في الجزائر بداية بالتعليم ثم العمل الصحفي و بعدها تأسيس الهيئات والأحزاب السياسية، و على رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و التي لعب العمل الإعلامي دور كبير في تسهيل نشأتها و مساعدتها على نشر أفكارها و ساهم في إنجاح مشروعها على أرض الواقع، أي أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تجسيد للأفكار الإصلاحية التي وردت في صفحات جرائد العلماء المسلمين على أرض الواقع .

المبحث الأول: النهضة الإصلاحية في المشرق العربي و انعكاساتها على علماء الجزائر.

كان للدعوة التي قادها الأستاذ جمال الدين الأفغاني أثر كبير في نشر الفكر الإصلاحية السلفي في الجزائر، فرغم الحصار الذي ضربه المستعمر لعزلها عن العالم الإسلامي، زار الشيخ محمد عبده - تلميذ الأستاذ جمال الدين الأفغاني- الجزائر عام 1903م، و اجتمع بعدد من علمائها منهم الشيخ محمد بن الخوجة، و الشيخ عبد الحليم بن سماية، كما ألقى في الجزائر تفسير سورة العصر، و قد كان لجملة العروة الوثقى و مجلة المنار، تأثير كبير على المثقفين من أهل الجزائر، الذين اعتبروا دروس العقيدة التي كانت تنشرها "المنار" للإمام محمد عبده، بمثابة حبل الوريد الذي يربطهم بأمتهم.

و قد استمر الاتصال الفكري بين الجزائر و غيرها من البلدان الإسلامية و لم ينقطع، حيث شارك الشيخ عمر بن قدير بقلمه في جريدة "الحضارة" بالآستانة، و "اللواء" و "المؤيد" بمصر سنة 1914م، و قد كانت هذه الجرائد والمجلات تدعو إلى نهضة العرب والمسلمين، وكانت راتجة في بلاد المغرب و الجزائر خاصة، و يعترف الفرنسيون بأن هناك "مجرى سرّي، و لكنه غزير و متواصل من الصحف و المجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجهداتهم الإصلاحية، و جعلتهم مرتبطين دائما بالرأي العام العربي"¹.

المطلب الأول: رواد النهضة الإصلاحية في المشرق العربي.

لقد شهد المشرق العربي بروز العديد من العلماء و الدعاة المناهضين للاستعمار الغربي أسهموا في نشر الوعي و لعبوا دورا بارزا في النهضة الإصلاحية التي شهدها العالم العربي و سوف نأتي لذكر أبرز أقطابه.

جمال الدين الأفغاني : لم يكن جمال الدين الأفغاني قائداً، أو فيلسوفاً للحركة الإصلاحية الحديثة، و إنما كان رائدها، حين حمل ما حمل من القلق، و نقله معه أينما حل، و هو القلق الذي ندين له بتلك الجهود المتواضعة في سبيل النهضة الراهنة، و كان رائدها أيضا حين جاهد في سبيل إعادة بلورة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي، و إن كان قد قصد بذلك التنظيم: تنظيم جموع الشعب و إصلاح القوانين، دون أن يقصد إصلاح الإنسان².

و يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي كان بحاجة إلى فكر ثوري كفكر "جمال الدين الأفغاني" يدعو إلى الهدم من اجل إعادة البناء، أو إلى فكر منهجي يجري عمليات التشذيب الضرورية لتحرير النظام القائم من أوزار التقاليد، على أساس منهج مرسوم، و كان لابد أولا من إحصاء تلك العمليات الضرورية بأن يميز المصلحون سيء "التقاليد" من طيبها، فأية مقارنة لتلك

¹ - مصطفى محمد حميداتوا، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، قطر، كتاب الأمة، عدد55، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997، ص58.

² - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر ترجمة، عبد الصبور شاهين، 2002، ط2، ص51.

التقاليد بالإسلام، تنقي الثقافة الإسلامية من تلك المقدسات الوهمية التي تسمى تقاليد، وقد قام بتلك المهمة على خير وجه الشيخ عبد الحميد بن باديس، فاستطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة التي كانت تتجسد في الطريقة المرابطية، و لكن الفرد الواحد يعجز عن القيام بتلك المهمة وحده.¹

أما في إفريقيا الشمالية فقد أفسحت المكان شيئاً فشيئاً لقيام مؤسسة ذات أهمية تتمثل في مؤسسة التعليم الحر، التي تعالج النقص الهائل في التعليم العام علاجا ايجابيا، و قد ظلت الفكرة الإصلاحية متماسكة نوعا ما، حيث كان بعض المدرسين الشباب مندفعين بقوة للمحافظة على تراث السلف، و حماسة لبعثه ونشره، على حين كان يرى آخرون أنه عبارة عن وظيفة لكسب العيش.²

و اعتبر جمال الدين الأفغاني بأن الإسلام و العلم متوافقان، إذ أن الإسلام لم يرد خنق العلم أو توقيف الحرية الفكرية، كما آمن الأفغاني بضرورة ترويج مذهب الإرادة الحرة كوسيلة لتحقيق الحرية الدينية والسياسية من التقدم، و بينما تحول فهم الإسلام إلى تقليد، نظر الأفغاني للمبادئ الإسلامية الأساسية على أنها متوافقة مع العلوم والتطور الحديث، و الفكر الإسلامي عليه أن يوظف الحداثة عمليا لكي يحيي الإسلام، كما دعا الأفغاني إلى إعادة النظر في الفكر السياسي أيضا لكي يشتمل على الديمقراطية و الحكومة الدستورية، ركز آراءه السياسية و الإيديولوجية على ضرورة إصلاح الدولة الإسلامية من خلال الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، فطالب بالتمسك بالعدالة والشورى كركنين رئيسيين للحكم الحديث.³

محمد عبده: بعد الفترة التي كان فيها تحت تأثير جمال الدين الأفغاني، أصبح محمد عبده لا يؤمن بجدوى النشاط السياسي ، و بدأ التركيز بدلا من ذلك على الإصلاحات التربوية و الثقافية، فحاول إعادة تفسير الإسلام في ضوء الحداثة، مما يعني تجاهل التفسيرات التقليدية، و قد فتح باب الاجتهاد على مصراعيه لكي يستفيد الفكر الإسلامي من العلوم و الحداثة، و قد اعتقد انه ليس هناك تناقض ضروري بين الإسلام و الحضارة الحديثة، كما أكد محمد عبده ضرورة أن يكون الإسلام القاعدة الأخلاقية للمعيشة الاجتماعية و السياسية، فهو على سبيل المثال طور مفهوم المصلحة، كما جعل من الشورى نظام مشابه للديمقراطية البرلمانية، و جعل من الإجماع رأيا عاما و دعا إلى تبسيط أو تنقية الإسلام من التعقيدات السياسية والفلسفية و الكلامية غير الضرورية

¹ - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره ، ص 58.

² - نفس المرجع، ص 61.

³ - أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي و إيران و تركيا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2004، ص 167.

التي طُورت في مراحل تاريخية عدة، كما قبل عبده الدور الأساسي للعقل في تفسير القرآن، رافضاً بذلك التراكمات الكلامية والفقهية الماضية¹.

حيث لخص الشيخ محمد عبده فكره الإصلاحية، وجمّل دعوته فقال: "ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

الأمر الأول: تحرير الفكر من قيد التقاليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، و الرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، و اعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه و تقلل من خلطه و خبطه، و أنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم باعثاً على البحث في أسرار الكون داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس وإصلاح العمل.

الأمر الثاني: إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس"

عبد الرحمان الكواكي: إلى جانب الشيخين نجد مصلاً آخر لا يقل عمله أهمية عنهما وهو عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكي، لقبه السيد الفراتي رحالة من الكتاب الأدباء و من رجال الإصلاح الإسلامي. لقد ولد الكواكي في حلب سنة 1855م من أسرة عربية، تمتد جذورها إلى الإمام علي بن أبي طالب من جهة الوالدين، توفيت والدته عفيفة آل النقيب و عمره ست سنوات، فكفلته حالته صافية واصطحبته إلى بيتها في أنطاكية، حيث بقي هناك ثلاث سنوات عاد بعدها إلى حلب، ليتعلم فيها على يد الشيخ "طاهر الكلزي" و بعد أن تعلم القراءة و الكتابة و أتم قراءة القرآن و حفظه، عاد إلى حالته، كي ترعى تنمية علومه، فاستعانت بقريبها "نجيب النقيب" والذي أصبح فيما بعد أستاذاً للخديوي عباس الذي كان على عرش مصر حين لجأ إليها الكواكي.

و حين أتمّ تعليمه هناك، عاد إلى حلب ليتابعه باللغتين العربية والفارسية، بعد أن أتقن التركية في أنطاكية، درس الشريعة والأدب وعلوم الطبيعة والرياضة في المدرسة الكواكبية، التي كانت تتبع مناهج الأزهر في الدراسة، وكان يشرف عليها و يدرّس فيها والده مع نفر من كبار العلماء، لم يكتفِ الكواكي بالمعلومات المدرسية، فقد اتسعت آفاقه أيضاً بالاطلاع على كنوز المكتبة الكواكبية التي تحتوي مخطوطات قديمة و حديثة، و مطبوعات أول عهد الطباعة، فاستطاع أن يطلع على علوم السياسة و المجتمع و التاريخ و الفلسفة.

¹ - أحمد الموصلي، مرجع سبق ذكره، ص 347.

بدأ ميل الكواكي للصحافة منذ مرحلة شبابه المبكر قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فقد رأى فيها خير منبر يواجه عبره الفساد، و ينشر الوعي للنهوض من بؤس التخلف، بدأ عمله أو بالأحرى كفاحه في "الفرات" جريدة حلب الرسمية، التي كانت تصدر باللغتين العربية و التركية، كتب فيها حوالي أربع سنوات (1872_ 1876م) ثم هجرها ليصدر صحيفة "الشهباء" سنة 1877 م التي تعدّ أول صحيفة عربية تصدر في حلب، و قد كانت أسبوعية تصدر كل يوم خميس، أوقفها السلطة العثمانية بعد صدور العدد السادس عشر بشكل نهائي، و كانت قد أوقفتها قبل ذلك مرتين، لكنه لم ييأس، فسارع إلى إصدار صحيفة "الاعتدال" باسم صديقه "شريف زادة سعيد" في عام 1879م و قد صدرت باللغتين العربية و التركية بناء على أوامر السلطة العثمانية، رغم ذلك أوقفتها الحكومة بعد صدور عشرة أعداد، و قد كان يحرر وحده كل الجريدة كغيره من رواد النهضة "أديب إسحاق" و "فرح أنطون"، رغم هذه المعاناة لم يستطع التوقف عن الكتابة للصحافة، فعاد ليساعدهم في كتابة المقالات في الصحف و المجلات: "القاهرة" و "نور الإسلام" بالإضافة إلى "المؤيد" عام 1899م و "المقطم" و "المنار" عام 1900م¹.

كما برز على الساحة الإصلاحية كذلك الشيخ محمد رشيد رضا: وُلد الشيخ محمد رشيد رضا في قرية قلمون بالقرب من طرابلس الشام عام 1282هـ الموافق 1865م، و تلقى تعليمه فيها، و كان في بداياته واعظاً متصوّفاً، ثم تأثر بمدرسة الأفغاني و محمد عبده بعد قراءته لأحد أعداد مجلتهما العروة الوثقى، و ارتحل إلى مصر عام 1315 هـ، و تنقل من الإسكندرية إلى القاهرة التي استقرّ به النوى فيها عام 1315 هـ، و التقى بالأستاذ محمد عبده و لازمه و أفصح له عن رغبته بإصدار مجلة تعني بأحوال المسلمين، و طرق إصلاح واقعهم المتردّي، لكن الأستاذ محمد عبده لم يكن متحمساً لإنشاء مجلة لاقتناعه بعدم جدواها في مقاومة الصحف التي تهتم بأخبار الخديوي و الإنجليز مثل: "المؤيد" و "المقطم" و "الأهرام"، إلا أن محمد رشيد رضا أقنعه بصحة رأيه و بضرورة إنشاء المجلة للتصدي لمهمة الإصلاح المنشودة، و أنه في هذا السبيل على استعداد للمغامرة و تحمّل تبعات هذه المغامرة، و قال له: "إن معالجة قضايا التربية و التعليم و نشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل و الأفكار الفاسدة التي فشلت في الأمة كالجبر و الخرافات، هي الباعث لي على إنشاء هذه الجريدة، و إنني أسمح أن أتحمّل نفقاتها سنة أو سنتين من غير أن أكسب شيئاً"².

و لما صحّ العزم من الشيخ محمد رشيد رضا قام بإنشاء المجلة، و أطلق عليها اسم: "المنار"، و طبعها في مطبعة التوفيق القبطية، فصدر أول أعدادها في تاريخ 22 من شوال عام 1315 هـ، الموافق 15

¹ - ماجدة حمود، عبد الرحمن الكواكي فارس النهضة والأدب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص95.

² - مبارك القحطاني، أوراق متناثرة في تاريخ الصحافة الإسلامية، على الرابط، <http://www.Alqim.com/index.cfm?method=home>

مارس من عام 1898م، يتألف العدد منها من ثمان صفحات كبيرة، تتوسطها كلمة المنار بخط كبير، و قوبلت المجلة حين إصدارها بالترحاب و الاهتمام من شتى طبقات المجتمع المثقفة، إذ كان أكثر المشتركين فيها من الطبقة المتعلمة و على الأخص من فئة المحامين و القضاة الأهليين، و كانت في بداية صدورها أسبوعية، لكنها اضطررت لظروف معينة إلى أن تكون نصف شهرية، ثم إلى شهرية شبه منتظمة، و مع ذلك كان انتشارها في إطار ضيق فلم يزد المشتركون فيها عن الثلاثمائة، و قد كان من أسباب ضيق انتشارها منع السلطات العثمانية المجلة من الدخول إلى ولاياتها، بسبب مواقفها المعارضة للسياسة العثمانية آنذاك، و استمرت المجلة على هذا الحال من الانتشار في العالم الإسلامي و على الرغم مما تعرضت إليه من مصاعب جمّة، فقد كانت المجلة تسدّ ثغوراً كثيرة من ثغور العمل الإسلامي، و يقوم الشيخ محمد رشيد رضا بتحرير أغلب موادّ المجلة بنفسه و يقوم بتصحيحها و فهرسة مجلداتها مما يسبب له الكثير من الإرهاق .

تعرضت مجلة المنار إلى هجوم شديد على صفحات مجلة الأزهر في مقالات كتبها الشيخ "يوسف الدجوي" حول قضايا التصوّف و التوسّل، و الشفاعة، و الإجهاد، فردّ الشيخ محمد رشيد رضا عليه بمقالات في المنار، و في بعض الصحف المصرية اليومية، و جمعها أخيراً في كتاب واحد باسم "المنار و الأزهر" و تعرض أيضاً لهجوم من محسن العاملي و أحمد عارف الزين و عبد الحسين شرف الدين، و ردّ عليهم بسلسلة مقالات في مجلة "المنار"، و فنّد شبهاتهم و نقضها بأسلوب علمي رصين، و كان للأقباط بطبيعة الحال نصيبٌ من الهجوم على الشيخ و مجلته، فقد هاجمته جريدة "مصر" القبطية، و أهتمته بالهجوم على المسيحية و أهلها و ألّبت عليه الإنجليز و الحكومة المصرية، فتعرض الشيخ إلى مضايقات من الإنجليز الذين ضغطوا عليه بعدم نشر شيءٍ يمسّ السياسة على خلاف باقي الصحف، بحجة أن المنار مجلة أدبية، و تعرض كذلك إلى مضايقاتهم عند توجهه إلى الشام، حيث حاولوا منعه من العودة إلى مصر.

و لقد توفّي الشيخ محمد رشيد رضا في 23 من جمادى الأولى لعام 1354 هـ، الموافق 1935م، بعد أن استكملت المنار مجلدتها الرابع و الثلاثين، و شرعت في الخامس و الثلاثين، فكان لوفاة الشيخ و انقطاع المجلة وقعاً محزناً في العالم الإسلامي، فطالب الكثيرون من العلماء و الأدباء و المؤرخين بإعادة إصدارها مرة أخرى لسدّ الفراغ الكبير الذي أحدثته توقفها، فأصدر أخوه "محي الدين رضا" عددان فقط، و لكنه لم يستطع الاستمرار في إصدارها، إذ توقّفت بعد ذلك لمدة عامين، ثم تولّت جماعة الإخوان المسلمين زمام المجلة، برئاسة الشيخ "حسن البنا" فصدرت ستة

أعداد منها، ثم توقفت نهائياً في شعبان 1359 هـ، الموافق سبتمبر عام 1940 م، لينطفئ آخر إشعاع انبثق من هذا "المنار" الشامخ¹.

المطلب الثاني: الصحافة الإسلامية في المشرق العربي.

يقول " أحمد على الشاذلي" في التعريف بالصحافة الإسلامية: " إذ هي مصباح النهي، و رائد الأمة و مرآة ذوي الأمور، بما يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقاً و غرباً، و يهتدون إلى حجة الصواب بلا معاناة سفر، أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أساساً و ربت بنين و بنات، و هذبت رجالاً و شيوخاً و هي السبب الأكبر الذي فحّض بالغربيين إلى هذا الحد الذي نراه حين استعملوا حرب الأقلام بدلاً من حرب المدافع، و استغنوا بالدروس عن الديناميت و بالحبر عن التوربين، لم يزل بين أظهرنا معشر الشرقيين المسلمين من يلتفت لهذا الأمر الجليل "الصحف الإسلامية" بلادهم مليئة بالجرائد الدينية"².

و من أهم رجال هذه الصحافة و عناوينها نذكر:

جمال الدين الأفغاني* و الإعلام الصحفي:

استطاع محمد جمال الدين الأفغاني أن يوجه الصحافة و جهة إسلامية صحيحة لترسيخ مفاهيم التوحيد، و محاربة الاستعمار، و إيقاظ المسلمين³.

و رغم أن الأفغاني لم يكن صحفياً محترفاً شأن معظم زعماء ذلك العصر اللذين اتخذوا من الصحافة منبراً لنشر أفكارهم و توجيه أمتهم، فقد شجع الأفغاني تلاميذه على إصدار الصحف و أخذ يغذيتهم بروحه و يشجعهم بأفكاره، و قد انتهجت هذه الحركة إيقاظاً للوعي و تنبيهاً للفكر و بدأت الحياة تدب في جسم أمة فرقتها الظلم و أماتها الجور، و انبعثت النفوس تطلب ما

¹ - مبارك القحطاني، أوراق متناثرة في تاريخ الصحافة الإسلامية، على الرابط، www.Alqlm.com/index.cfm?method=home

² - أنور الجندي، مرجع سبق ذكره، ص7.

* 1315هـ، 1838 - 1897م). محمد بن صفدر (صفدر أو صفتر كلمة فارسية معناها: مخترق الصفوف) الحسيني، جمال الدين .مفكر إسلامي، وأحد رجال عصره الأفاضل الذين ساهموا في إحياء حضارة الشرق. وُلِدَ في أسعد آباد بأفغانستان، ونشأ بكابل. وتلقى العلوم الدينية والعربية وبرع في الرياضيات. وكان يُجيد اللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية. وله إلمام باللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية. كان كثير الرحلة؛ فقد سافر إلى الهند، وحج سنة 1273هـ، 1856م وعاد إلى أفغانستان وأقام بكابل، وشارك في حكومة محمد خان. ثم رحل إلى الآستانة (إسطنبول) سنة 1285هـ، 1868م وانضم إلى أعضاء مجلس المعارف. ونفي من تركيا إلى مصر سنة 1288هـ، 1871م؛ فاستقر هناك وعمل على نشر الإصلاح الديني والسياسي، وتلمذ له كثيرون منهم الشيخ محمد عبده. انظر: عبده، محمد. ولما نفته الحكومة المصرية سنة 1296هـ، 1879م رحل إلى حيدر آباد ثم إلى باريس التي أنشأ فيها مع تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة العروة الوثقى. كما أقام نحو أربع سنوات في روسيا، ومكث قليلاً في ألمانيا، فالتقى بشاه إيران ناصر الدين الذي دعاه إلى بلاده، فسافر إليها ثم رحل عنها إلى لندن بعد أن ضيق عليه الشاه. وسافر من لندن إلى الآستانة بدعوة من السلطان عبد الحميد الذي طلب منه الكف عن التعرض لشاه إيران، فترك التحريض على خلعه والكتابة عنه في الصحف. كان يكتب بتوقيع مستعار في بعض الصحف مثل صحيفة مصر التي كان يصدرها أديب إسحاق — أحد مريدي الأفغاني. وكان الأفغاني واسع الإطلاع، كريم الأخلاق، كبير العقل. ولم يكن يكتر من التصنيف لانصرافه إلى الدعوة في السر والعلن. من مصنّفاته: تاريخ الأفغان، وهو مطبوع؛ رسالة الرد على الدهريين، مطبوعة بترجمة تلميذه الشيخ محمد عبده. وجمع محمد باشا المخرومي بعض آرائه في كتاب خاطرات جمال الدين الأفغاني. ومحمد سلام مذكور كتاب جمال الدين الأفغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق. مرض أخيراً بالسرطان في فكّه، ويقال: دُسَّ له السُّمُّ. وتوفي بالآستانة ونقل رفاته — فيما بعد — إلى أفغانستان سنة 1363هـ، 1943م.

3- إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامي، مصر، دار الفكر العربي، 1985، ص161.

شعرت به من حاجتها، و أقوى دليل على سريان هذه الروح الجديدة في الصحافة المصرية بفضل تعاليم جمال الدين الأفغاني، ذلك الانجاز الكبير الذي قام به الشيخ محمد عبده - تلميذ الأفغاني - لتحويل الوقائع المصرية الرسمية إلى صحيفة رأي موجهة للجماهير العريض من الناس، فقد قامت الصحيفة برفع مستوى التحرير العربي، و الإشراف على الصحف الأخرى، فقد كان محمد عبده محرراً للوقائع و رئيساً لقسم المطبوعات و المطابع المختصة بنشر الصحف العربية و التركية.

و يعلق محمد رشيد رضا - تلميذ محمد عبده - على هذا الانجاز الكبير بقوله: "و إن العجيب حقاً أن ترى صاحب عمامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بعيدة في أعمالها عن رجال العلم و الدين، فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة الرسمية، على نظارات الحكومة و مجالسها و محاكمها و مصالحها، ثم يشرف من نافذة أخرى على الأمة فيقوم من أخلاقها، و يصلح ما فسد من عاداتها، و يطل من نافذة ثالثة على الجرائد العربية، فيعلمها حسن التحرير، و يدرّبها على الصدق في القول"¹.

مجلة "العروة الوثقى" بين الأفغاني و محمد عبده*:

و العروة الوثقى صحيفة إسلامية لها قيمة تاريخية كبيرة، صدرت في باريس، حيث كان يقيم الأفغاني، و وفاه فيها الشيخ محمد عبده، الذي كان منفياً في بيروت بعد فشل الثورة العربية في مصر، فكانت العروة الوثقى التي أعربت عن أفكار الأفغاني، بصياغة الشيخ محمد عبده، بالإضافة إلى بعض الموضوعات التي كان يترجمها "ميرزا محمد باقر" عن الصحف الأجنبية مما يهم المسلمين².

و صدر من العروة الوثقى ثمانية عشر عدداً، ظهر العدد الأول في مارس 1884م و ظهر العدد الأخير في 17 أكتوبر 1884م. و من بين الأهداف التي حددتها العروة الوثقى لنفسها: التمسك بالأصول التي كان عليها آبائهم وأسلافهم، و كان المثل الأعلى للعروة الوثقى حالة المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين، من حيث العقيدة، و النظام السياسي، لأنهم كانوا موحدين حقاً

¹ - رشيد رضا، تاريخ محمد عبده، ج1، ص 177-178، نقلاً عن إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص162.

* (1266 - 1323) هـ، 1849 - 1905م). محمد عبده بن حسن خير الله. أحد رجال الفكر الإسلامي النابغين في مصر في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وعالم من علماء الأزهر ومفتي الديار المصرية. كان خبيراً بالشريعة ومقاصدها ودارساً جيداً للقانون. حاول أن يضع تفكير المسلمين في خط انسجام وتوافق مع المكتشفات العلمية وظروف العصر الحديث، وكان يدعو إلى تحرير الفكر من قيود التقليد وكانت لجهوده وأفكاره آثارها في النهضة الإسلامية. ولد محمد عبده في منطقة دلتا النيل بمصر وتعلم بالجامع الأحمدى بطنطا، وتخرج عام 1294هـ، 1877م في جامعة الأزهر. كان محمد عبده في صغره من أتباع الفكر المسلم جمال الدين الأفغاني الذي نادى بالصحة العالمية للقوى الإسلامية. قاوم محمد عبده السلطات الأوروبية في مصر عدة سنوات، فحينما احتل الإنجليز مصر ناوأمهم، وشارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن ثم نفي إلى بلاد الشام سنة 1299هـ، 1881م. لكنه لاحظ مؤخراً أنّ التعاون مع البريطانيين هو أفضل طريق لإنجاز تغييراتٍ في مجالي التربية والاجتماع على المدى الطويل. أصبح محمد عبده محامياً مشغلاً بالمهنة وصار مفتياً للديار المصرية عام 1317هـ، 1899م. كتب في الصحف المصرية مثل جريدة الوقائع المصرية، وحين سافر إلى باريس أصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى. واشتغل بالتدريس والتأليف. له من المؤلفات: تفسير القرآن الكريم، لم يتمه وهو مطبوع؛ رسالة التوحيد؛ شرح نهج البلاغة؛ شرح مقامات بديع الزمان الهمداني؛ الإسلام والرّد على منتقديه؛ الرد على الدهريين. وله رسائل كثيرة مطبوعة. وقد جمع محمد رشيد رضا آثاره في كتاب تاريخ الأستاذ الإمام. وكتب عنه كُتّاب كثيرون

2- إبراهيم إمام، مرجع سبق ذكره، ص163.

و تربطهم روابط الأخوة، و يعتزون بدينهم، و ينشرون العلم بينهم، و يدعون للإسلام بغير هوادة¹، و رغم قصر عمرها فقد لعبت دوراً هاماً في حركة البعث العربي الإسلامي العام في العصر الحديث و أيقظت الضمير الوطني في النفوس، و عملت على توطيد الصلة بين المسلمين و فتحت عيون العرب على الخطر المشترك، و هو الاستعمار الذي اكتسح العالم العربي².
و يمكن تلخيص أهداف العروة الوثقى في مايلي³:

- إيقاظ الروح الكامنة في النفس الشرقية، و محاربة اليأس، و مواجهة النفوذ الأجنبي الزاحف.

- التماس منهج القرآن في بناء الأفراد، و المجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين.
- تنبيه الأمة إلى ذاتيتها الأصيلة التي أنشأت الحضارة الإسلامية الزاهرة، و قدمت صفحات التاريخ المضيء، و التفكير بعظمة التراث الإسلامي.

- محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الإسلامي.
- الدعوة إلى امتلاك أسباب القوة، و التقدم، و العلم، و التمرد، دون التخلي عن الجذور في دائرة مفهوم الإسلام القائم على العدل، و الرحمة، و الإخاء البشري.
- مقاومة التبعية و الحيلولة دون الذوبان في الأممية أو الفكر العالمي.

و قد أحس رجال الاستعمار الإنجليزي خطورة العروة الوثقى، و عملوا على مقاومتها و منع تداولها في مصر و الهند، و لما استحال عليهم منعها لأنها كانت تصل داخل جرائد أجنبية فقد رأت الحكومة البريطانية أن تتفاهم مع مصدرها في باريس لعلها تضع حداً لما كانت تقوم به هذه الصحيفة الإسلامية من تهيج شديد للرأي العام، و قامت بريطانيا بالضغط على فرنسا لمنع البريد الفرنسي من حمل العروة الوثقى.

و هكذا نجحت المؤامرات في القضاء على هذه الصحيفة الإسلامية فأغلقت بعد العدد الثامن عشر الصادر في 16 أكتوبر 1884م، و عندما انفرط عقد القائمين على الصحيفة، عاد جمال الدين الأفغاني إلى فارس، كما عاد الشيخ محمد عبده إلى منفاه في بيروت⁴.

جريدة "المؤيد" و عبد الرحمن الكواكبي:

تعتبر جريدة "المؤيد" من أهم الصحف الإسلامية التي ظهرت في أول ديسمبر 1889م، و كان محررها الشيخ "علي يوسف"، و نالت صيتاً واسعاً و شهرة ذائعة، و من الكتاب الذين اشتركوا في تحرير "المؤيد"

¹ - نفس المرجع، ص 164.

² - رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1970، ص 99.

³ - أنور الجندى، مرجع سبق ذكره، ص 20.

⁴ - نفس المرجع، ص 166.

"الشيخ عبد الحميد الزهراوي"، و "الشيخ حامد إبراهيم"، و "محب الدين الخطيب"، و "عمر منصور" و "مصطفى لطفي المنفلوطي"، و "محمد مسعود"، و "الشيخ عبد القادر المغربي"، و "حافظ عوض"، بيد أن أشهر الكتاب في "المؤيد" هو عبد الرحمن الكواكبي، جاء إلى مصر سنة 1899م و كان قد عالج الصحافة و مارسها في حلب في صحيفة "فرات" الرسمية، ثم صحيفة "الشهباء"، و صحيفة "الاعتدال"¹.

عمله الصحفي: بدأ حياته بالكتابة إلى الصحافة، و يرجح حفيده "سعد زغلول الكواكبي" أن جده عمل في صحيفة "الفرات" الرسمية سنتين لا أكثر، و قد ترك العمل فيها نظراً لمعاناته مع "الرقابة، الاضطهاد لكونه لا يمدح السلطة"، و قد أحس أن العمل في صحيفة رسمية يعرقل طموحه في تنوير العامة و تزويدها بالأخبار الصحيحة، لذلك رأى أن ينشئ صحيفة خاصة لاعتقاده أنه يستطيع الكتابة فيها بحرية أكبر من الصحيفة الرسمية للدولة، فأصدر صحيفة "الشهباء" عام 1877م باسم صديق له "هاشم العطار"، كي يفوز بموافقة السلطة العثمانية، لأنه لو طلب الترخيص باسمه لما فاز به، و كان عمره حينها حوالي اثنين و عشرين عاماً.

و لم تستمر هذه الصحيفة طويلاً، حيث عطلت ثلاث مرات قبل أن تتوقف بشكل نهائي بعد صدور العدد السادس عشر، إذ لم تستطع السلطة تحمل جرأته في النقد، فالحكومة كما يقول الكواكبي نفسه "تخاف من القلم خوفها من النار".

تابع جهاده الصحفي فأصدر عام 1879م باسم صديق آخر جريدة الـ "اعتدال" سار فيها على نهج "الشهباء" فعطلتها السلطة، فتابع الكتابة في صحف عربية تصدر في بلدان عربية و غربية "النحلة" بنسختها العربية و الإنكليزية، و "الجنان"، و "ثمرات الفنون"، و "الجوائب" و "القاهرة" و "المؤيد"، فكان قلمه نصير الحق، يقف إلى جانب المظلوم بغض النظر عن انتمائه الديني أو العرقي، لذلك وجدناه يوظف قلمه ضد المستبد، فينقد تصرفاته و تماونه تجاه مواطنيه فكتب مقالاً ينتقد فيه عدم قبول بعض المسيحيين في الجيش العثماني إلا بعد اشتراط تغيير أسمائهم بأسماء إسلامية².

و هكذا جسّد لنا الكواكبي ظاهرة تستحق التأمل في الفكر العربي الحديث، إنها ظاهرة انسجام القول النظري بالمواجهة العملية، فقد بدت لنا حياته مرآة لأفكاره، إذ جسّد صورة المثقف النموذجي، الذي يقرن القول بالفعل، فيبدو لنا خطابه النظري في مقاومة الاستبداد و إصلاح الأمة نتيجة جهاد حقيقي في مواجهة الظلم، بالنفس و القلم و المال، لذلك نجد واجه سلطة الاستبداد

¹ - نفس المرجع، ص 172.

² - ماجدة حمود، مرجع سبق ذكره، ص 12.

العثماني فعلاً وقولاً، و بدأ يحاول النهوض بأمرته عبر بث الوعي لدى أبناء أمته في الصحافة، كان صلباً في مقارعة المستبد، ممن يؤمنون بأن "أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"¹.

أتاحت له مقارعة سلطة الاستبداد والعمل في الصحافة فهم الواقع المتردي، مما جعله يدرك أن التخلف مرض يصيب جسد الأمة بأكمله، لهذا نجده في هذا الكتاب يحاول الوقوف عند الخلل الذي أصاب المسلمين وقفة متأملة موضوعية، تتجاوز المؤلف في ذلك العصر، إنها وقفة تتجاوز النظرة القدرية والمستسلمة².

و من أشهر ما أصدره الكواكي كتاب "طبائع الاستبداد" الذي صد على شكل مقالات متتابعة في جريدة "المؤيد"، و قد استهدف الكواكي من هذا الكتاب أن يكون صيحة مدوية توقظ النفوس، و تحي موات الهمم، و تدفع الزعماء، و المصلحين إلى الأخذ بيد الأمة الإسلامية و النهوض بها³.

و يرى الكواكي أن الاستبداد يحول ميل الأمة الطبيعي في طلب الترقى إلى طلب التسفل بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت، و الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقاوم باللين والتدرج، إن الوسيلة الوحيدة لقطع دابر الاستبداد هي ترقى الأمة في الإدراك و الإحساس و هذا لا يتأتى إلا بالتعليم و التحمس، و لذلك يقترب الكواكي في فكره من محمد عبده و يتعد عن الأفغاني في تفضيله التعليم عن ممارسة السياسة .

لقد كان للفكر السلفي آثاره البعيدة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، و قد وجه حركة الإعلام توجيهاً إسلامياً صحيحاً لمحاربة البدع، و العودة إلى منابع الإسلام الصافية في الكتاب و السنة، و نبذ التقليد و تحبذ الاجتهاد و الحث عليه، و قد اتضح ذلك في الجزائر على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، و في الهند ظهرت جماعة أهل الحديث، و ندوة العلماء، و مدرسة دار العلوم ، و في اندونيسيا في حركة تجديد المنار .

و هكذا ساهمت الصحافة العربية الشرقية في زعزعة الجمود الفكري، و ساعدت في إيقاظ الضمير العربي الإسلامي في الجزائر فاستجاب لها الجزائريون على الفور بخلق صحافة عربية و فرنسية وطنية كانت تصدر عن اتجاهات متعددة ، ينتمي زعمائها إلى النخبة و بعضهم تقليديين مرتبطين بالطبقة القديمة، و لكن الهدف كان واحداً هو التعبير عن مطالبهم الوطنية⁴.

¹ - نفس المرجع، ص 19.

² - نفس المرجع، ص 20.

³ - ماجدة حمود ، مرجع سبق ذكره ، ص 173.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3 ، دار الغرب الإسلامي ، ط4، 1992. ص 156.

إذ كان عبد الحميد بن باديس يعالج مشكلات العصر معالجة إسلامية، و منذ أن صدرت صحيفة "واد ميزاب"، سنة 1926، ثم "المنتقد" التي حل محلها "الشهاب"، كان علماء الجزائر هم اللذين يقودون الرأي العام الجزائري بفضل صحف أصدروها لهذا الغرض مثل "البيان" و"الشريعة"¹.

المطلب الثالث: تأثير الفكر الإصلاحى على العلماء المسلمين الجزائريين.

عاشت الجزائر منذ سنة 1830م في جمود رهيب، حيث تقلصت الثقافة العربية الإسلامية، و خيم الجهل و البؤس على الجزائريين، فتفوقوا بعيدين عن الحياة الفكرية و الحضارية، و نضبت المعارف و العلوم من البلاد، و سيطرت الزوايا المنحرفة على عقول العامة، و انقطعت الاتصالات الثقافية و الحضارية بين الجزائر و العالم الإسلامى حتى كاد الجزائريون يفقدون الصلات التي كانت تربطهم بالأمة العربية، نتيجة العزلة التي فرضتها سلطات الاحتلال على الجزائر، و أغلقت أمام الوطنيين كل نوافذ العالم الخارجى²، لكن شهد الجزائريون مع مطلع القرن العشرين حركة فكرية، و نهضة عامة شملت كل ميادين الحياة تقريبا، كان أهمها الصحافة و التأليف، و الجمعيات و النوادي، ففي مجال الصحافة انفتح طريق الاتصال بين الجزائر و بين العالمين العربى و الإسلامى فكانت الجرائد و المجلات العربية تنسرب إلى الجزائر من مصر وغيرها من البلاد العربية الأخرى خفية، أو بصورة علنية عن تونس التي كانت مازالت تتمتع بنوع من الحرية، و المغرب الذي لم يكن قد أصبح مستعمرة فرنسية، أو عن طريق أوروبا، كما كانت هذه الجرائد تصل إلى الجزائر بواسطة الحجاج الذين يعودون من البقاع المقدسة بعد أداء فريضة الحج³.

و بذلك لم يكن الجزائريون في مطلع القرن العشرين معزولين عن الأحداث العالمية، فقد تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية في الشرق، و الفكر السياسى الغربى، و بالتنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية⁴. و يذكر محمد علي دبور: "أن نهضة مصر، و صدق زعمائها مثل الأفغانى، و محمد عبده و رشيد رضا كان لها أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين، و أهل المغرب عموماً، إذ اعتبر هؤلاء نهضة مصر نهضة الإسلام كله و جهاداً للعدو المشترك، و بأنهم كانوا يقرؤون في نشوة و حماس جرائد مصر و مجلاته، و وجدوا فيها تعبيراً عن رغباتهم و أحاسيسهم و آلامهم و آمالهم"⁵.

¹ - إبراهيم إمام، مرجع سبق ذكره، ص 188.

² - عبد الكريم بو الصفا، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال

الإشهار، 1996، ص 62.

والنشر و

³ - نفس المرجع، ص 63.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ج2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1983، ص 100.

⁵ - محمد علي دبور، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، المطبعة العربية، 1971، ص 28.

و ضمن هذا السياق "فإن مدرسة مجلة العروة الوثقى والمنار فما تزال ذلك أثر واضح في الصحافة الإسلامية التي لم تخرج عن نفس الأصول العامة التي وضعتها ، بل أن القضايا التي ظهرت في سنوات ما بين الحربين و ما بعدها كسقوط الخلافة الإسلامية، و إنشاء إسرائيل، و ظهور حركات التبشير والتغريب و الغزو الثقافي، فإنها تدخل كلها تحت تلك الأصول و قد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبي واضحة تماماً لصاحبي العروة الوثقى"¹.

و يقول أنور الجندي في معرض حديثه عن تأثير جريدة المنار في العالم الإسلامي : " و قد أشار مؤلف كتاب "الفكر و الثقافة في شمال إفريقيا"، إلى أثر الشيخ محمد عبده و المنار في الحركة السلفية في تونس و الجزائر و المغرب على إثر زيارته لتونس عام 1903 م ثم زيارته للجزائر عام 1905 م ، ثم كانت المنار التي تصل إلى كل مكان في العالم الإسلامي و قد تأثر الدعاة المسلمون هناك و كان خطها واضحاً في مجلة الشهاب التي أصدرها الإمام عبد الحميد بن باديس عام 1930م على نفس النهج"².

و حتى البشير الإبراهيمي يتكلم عن رواد الحركة الصلاحية في المشرق فيقول : "إمام النهضة بلا منازع، و فارس الحلبة بلا مدافع، الأستاذ محمد عبده، فجلا بدروسه في تفسير كتاب الله عن حقائقه التي حام حولها من سبقه، و لم يقع عليها، و كانت الدروس آية على أن القرآن لا يفسر إلا بلسانين: لسان العرب و لسان الزمان، و به و بشيخه جمال الدين، استمرت هذه النهضة، ثم جاء الشيخ رشيد رضا، جارياً على ذلك النهج الذي نهجه محمد عبده في تفسير القرآن، كما جاء شارحاً لآرائه و حكمته و فلسفته، في الدين و الأخلاق و الاجتماع، ثم جاء أخونا و صديقنا الأستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس، رائد تلك النهضة في الجزائر بتفسيره لكلام الله على تلك الطريقة، و هو ممن لا يقصر على من ذكرناهم، في استكمال وسائلها من ملكة بيانية راسخة، و سعة الاطلاع على السنة و تفقه فيها، و غوص في أسرارها، و إحاطة و باع مديد في علم الاجتماع البشري و عوارضه، و إمام بمنتجات العقول و مستجدات الاختراع، و مستجدات العمران بمد ذلك كله، قوة خطابية قليلة النظر، و قلم كاتب لا تغل له شاة"³.

و يقول أيضاً: "لا نزاع في أن أول صحيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني و العلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صحيحة إمام المصلحين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده"⁴.

و يقول عن الشيخ محمد رشيد رضا: "حمل لواء الإصلاح بعد موت الإمام تلميذه الأكبر و وارث علومه السيد محمد رشيد رضا، و قد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره باعتراف الإمام، و المنافع عنه

¹ - أنور الجندي، مرجع سبق ذكره، ص24.

² - أنور الجندي ، مرجع سبق ذكره ، ص22.

³ - الشهاب، ج4، م14- جوان- جويلية 1938م.ص148.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، جمع أحمد طالب الإبراهيمي ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1997م ، ص177.

و المدافع دونه، و اضطلع بعد موته بحمل أعباء الإصلاح حين نكل عن حمله أقوام، و ضعف عن حملها أقوام و استقل بتسيير سفينته فكان الربان الماهر و أقام على مبادئ أستاذه وفيها لها و له، أكمل الشيخ رشيد في حياة الإمام إنشاء مجلة المنار، و أنفس ذخر علمي اشتملت عليه هو دروس الإمام في التفسير، و لعمرى لو أن رشيداً قصر كما قصر غيره و لم يجمع دروس الإمام، لأضاع على العالم الإسلامي كتراً علمياً لا يقوم بمال الدنيا " ¹ . هذه المقتطفات تبرز تأثير البشير الإبراهيمي برواد حركة النهضة الإصلاحية في المشرق العربي.

أما الشيخ عبد الحميد بن باديس فانه يلتقي مع رواد الإصلاح في ميدان التربية ، خاصة مع الشيخ محمد عبده و الذي تعد التربية عنده الركيزة الأساسية التي بنا عليها مشروعه الإصلاحية و لذلك تنوعت إسهاماته في ميدها، فكانت عملية بنهوضه بالتدريس في أكثر من مؤسسة و كانت نظرية بتجويره العرائض في إصلاح التعليم، و دعوته إلى العناية بأصول التربية العامة القائمة على مبادئ الدين و الفضائل، كما كانت له إلى جانب ذلك بعض العناية بشؤون التربية الخاصة فيما يتصل بمحتوى البرامج الدراسية، و الطرق المتبعة في أدائها وذلك بالتأكيد على انتهاج أسلوب التدرج في ذلك، و مراعاة تنوع استعدادات المتعلمين واختلاف قدراتهم في الاستيعاب، و ما إلى ذلك، و لعل هذه العناية الملحوظة بشؤون التربية عند محمد عبده و غيره من المصلحين تبرز أهميتها فيما كان ينشده هؤلاء من تحديد في أسس البنية النفسية و الفكرية و السلوكية للأمة. و يمكن القول أن الإمام ابن باديس يلتقي مع محمد عبده في معظم ما دار فيه الحديث في هذه القضايا:

1 . دعوته الأمة إلى الإقبال على المعرفة ذكوراً و إناثاً.

2 . الإسهام ببعض الأفكار في عملية إصلاح التعليم.

3 . التأكيد على أهمية العلوم الدينية في البرامج التربوية.

4 . الحديث عن مخاطر التعليم الأجنبي.

5 . بعض النظرات في التربية الخاصة.

و يلتقي عبد الحميد بن باديس و محمد عبده في ميدان الدعوة للإصلاح الإسلامي، فقد عني كلاهما بتصحيح المفاهيم و العقائد، و اعتمدا على تفسير القرآن لتطهير العقول من ركام التقاليد البالية و البدع و الضلالات، و اهتم كلاهما بالتربية و التعليم و إنشاء المدارس للنهوض بالأجيال القادمة من أبناء المسلمين و قد كان محمد عبده معروفاً في الجزائر و بخاصة بعد انتشار "مجلة المنار" و بعد زيارته للجزائر في آخر أيامه و لكن ذلك لا يُعبر عن مُتابعة و تبعية، و إنما يعبر عن استجابة فطنة من الرجلين للظروف القائمة المتشابهة في بلديهما و لمؤثرات العصر المحيطة بهما، و لا بأس على كل حال بالتأثر الطبيعي الحمود من اللاحق بتجربة السابقين بإحسان.

¹ - نفس المرجع ص179.

و يقترن اسم محمد عبده كذلك "بالجمعية الخيرية الإسلامية"، و مؤسستها التعليمية و الإصلاحية و إن تبين نشاطه في ذلك نوعاً و درجة عن نشاط ابن باديس في "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" اذ كان ابن باديس أشد صرامةً و دأباً في محاربة "الطرقية" بينما عني محمد عبده بصفة أساسية بمقاومة الجمود الفقهي و التعصب المذهبي¹.

لقد كان محمد عبده رجل بحث و علم و تأليف و تدريس بوجه خاص، و لم يكن رجل عمل شعبي منظم مستمر مثل ابن باديس، قد يُلقى محمد عبده محاضرة أو درساً لهما بعض الأثر الشعبي، لكن أثرهما إنما يتناول المثقفين أو المستنيرين بوجه خاص. لقد كان محمد عبده يؤمن بالأثر الذي يحدثه التعليم في التغيير و التحويل و خاصة حين يرى فشل الجهود في مجالات العمل العام، و هو صاحب فكرة المدرسة التي يختار لها نجباء الناشئين من مختلف البلدان الإسلامية و تقام في مكان بعيد غير خاضع لسلطان دولة تعرقل سيرها، و فيها يربي محمد عبده و أستاذه جمال الدين الأفغاني طلاب المدرسة على منهج قويم يضعانه، و يعدانهم لريادة الإصلاح في بلدانهم و مجتمعاتهم².

كما يبدو جليا تأثر ابن باديس بمحمد رشيد رضا و عمله الإصلاحية و نشاطه الصحفي، حين خصّ به بترجمة شاملة في أعداد مجلة الشهاب، أوضح فيها جوانب عظمة الأستاذ رشيد رضا، و الجوانب التي تأثر بها فيقول: "لقد كان الأستاذ نسيحاً و حدياً في هذا العصر، فقهياً في الدين، و علماً بأسرار التشريع و إحاطة بعلوم الكتاب و السنة، ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان و سر العمران و الاجتماع، و كفى دليلاً على ذلك ما أصدره من أجزاء التفسير، و ما أودعه مجلة المنار في مجلداتها"³.

كما يؤكد بعض المعاصرين أنّ ابن باديس كان يدرس بعض فصول العروة الوثقى لطلبته⁴ و من خلال ما نشر من تفسيره و أفكاره في المنار، يؤكد محمد عبده نفسه أن صاحب المنار قد أنشأ له بواسطتها «حزباً أوجد له تلاميذ و أصحاباً»، و قد كان الجزائريون من قراء هذه المجلة مما يجعل هذه المقولة تشملهم، و يؤكد ذلك أن بعضهم كان قد أوصى محمد عبده أثناء زيارته للجزائر بأن يبلغ صاحبها رغبتهم في عدم التعرض لفرنسا بشيء حتى لا تتخذ بذلك ذريعة تحملها على حرمانهم من تلك المجلة التي كانوا يعدونها بمثابة «مدد الحياة لهم»، و كان ابن باديس كثير الرجوع إلى المنار، كثير النقل منها، كما كانت الصلة الروحية و الفكرية بين صاحبها و بين ابن باديس حميمة و قوية، و يصادف المرء إعجاب ابن باديس بشخصية محمد عبده و تقديره له في أكثر من موطن، و يبدو بعض ذلك فيما نشره في الشهاب على هامش إحيائه و وفاته الثلاثين من نصيحته

¹ - مصطفى محمد حميدا توا، مرجع سبق ذكره، ص 87.

² - محمد هي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، مصر، دار الشروق، 1999، ص 89.

³ - عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 3، 1983م، ص 82.

⁴ - أحمد حماني، مجلة الثقافة، الجزائر، وزارة الثقافة، العدد 38، 1977، ص 101.

للجزائريين مرفوقة بصورته، كما سجل ابن باديس بخط يده ما يخلد هذا الإعجاب وهذا التقدير في كلمة بعنوان "قولة عظيم في عظيم" يقول فيها: "ترك فراغاً عظيماً كان يشغله وحده لم يستطع أحد أن يشغله بعده" و يختم ابن باديس هذه الكلمة بقوله: "فحيا الله تلك الأرواح الطاهرة و النفوس الكبيرة".

و يصادف الدارس كثيراً من الجزائريين الذين يؤكدون هذه الصلة و هذا التلاقي الروحي و الفكري بين الإمامين، و يحسن التذكير في هذا المضمار أن هذا التأثير العبدوي لا يخص ابن باديس وحده من بين غيره من الجزائريين، و إنما يكاد يشمل معظمهم، سواء منهم أولئك الذين أرهصوا باليقظة العامة و مهدوا إلى النهضة الحديثة من أمثال: "المجاوي، ابن سماية، عمر راسم، ابن الخوجة و غيرهم"¹.

و يعترف الشيخ عبد الحميد بن باديس بفضل الشيخ محمد رشيد رضا و مجلة "المنار" عليه بقوله: "نشرنا ما يلي في تفسير حجة الإسلام محمد رشيد رضا من آخر جزء أصدره من مجلة المنار اعترافاً له بفضل السبق إلى نشر هداية القرآن على المسلمين. مجلة شهرية كانت قدوتنا فيما نشر من مجالس التذكير، إذ لم تقتصر الاستفادة من الشيخ رشيد رضا على موضوع تفسير القرآن، فان ما كان يكتبه الشيخ رضا في المنار و غيرها قد أوضح الإسلام للمسلمين و لغيرهم، و بين لهم ما في الإسلام من خير و هداية". و يضيف الشيخ ابن باديس "فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى في العالم إصلاحاً و هداية و بياناً و دفاعاً كلها من آثاره"².

و من المعروف انه كان هناك اتصال شخصي بين الإمام محمد رشيد رضا و بعض رجال الجمعية، كالشيخ البشير الإبراهيمي الذي قابلته في سوريا عندما ترك الحجاز ليقوم في سوريا و كذلك أبو يعلى الزواوي*.

كما كان ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثمرة بذور زرعها بعض المصلحين العرب و المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، أمثال جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، كما كان لبعض العوامل المحلية، الايجابية منها و السلبية، تأثيرها الواضح في ولادة الجمعية، و تتمثل العوامل الايجابية في المظاهر التالية:

1- الأرض الطيبة التي احتضنت البذور الإصلاحية و تفاعلت معها، وقد كان التفاعل بطيئاً في البداية بسبب العوامل السلبية التي كانت تشد على الأرضية و تخنقها بتراكماتها البالية و ضغوطها الثقيلة.

¹ - محمد بن سمينة، موازنة الإمامان ابن باديس و محمد عبده، على الرابط

http://www.binbadis.net/Dirasat/lire_mohamed_bensmina3.htm

² - ابن باديس: حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا، الشهاب ج 1 م. 1 ديسمبر 1935 م. ص 78.

* من رجال الإصلاح، كان له نشاط كبير في الصحافة الإصلاحية. انظر الملحق الخاص بشخصيات الجمعية.

2- جيل المصلحين الأول، الذي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و يبدو أنه كان سلفيا و قد تأثر بالحركة الإصلاحية المشرقية و من أعلامه:

الشيخ صالح بن مهنا، الشيخ عبد القادر المجاوي (1848- 1913 م)، الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866- 1933)، الشيخ محمد بن الخوجة (1965- 1917 م). و قد اجتمع محمد عبده عندما زار الجزائر عام 1905م ببعض هؤلاء العلماء مثل ابن سماية و ابن الخوجة، و كان قد اجتمع إليه قبلا بعض علماء الجزائر عندما زار تونس عام 1903م¹.

3- الدور الذي لعبته الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر في أوائل العشرينيات في تحضير الرأي العام لتقبل الحركة الإصلاحية، و من هذه الجرائد " الجزائر" للفنان التقدمي عمر راسم و " الفاروق" لعمر بن قدور الذي تأثر بمحمد عبده، فكان ينقل بعض مقالات " المنار" في جريدته و " ذو الفقار" لعمر راسم، و "الإقدام" للأمير خالد و "المنتقد" ثم " الشهاب" لعبد الحميد بن باديس، و " الجزائر" للزاهري و " صدى الصحراء" ثم "الإصلاح" للطيب العقبي. و " وادي ميزاب" ثم " ميزاب" لأبي اليقظان.

4- الثورة التعليمية و التربوية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس في قسنطينة منذ العام 1913م حيث خرج من التقليد إلى التجديد، فكانت دروسه الحية و تربيته الصحيحة تفعل فعلها في نفوس تلامذته، فتخرجت على يديه أفواج من الطلبة مستكملة الأدوات " من فكر صحيحة و عقول نيرة و نفوس طامحة و عزائم صادقة و ألسن صقلية و أقلام كاتبة " اعتبرت بحق " طلائع العهد الجديد الزاهر" .

5- عودة الطلبة الأوائل الذين اهتموا دراساتهم في البلاد العربية كالحجاز و مصر و تونس حيث تلقوا العلم هناك بفكرة إصلاحية ناضجة و مكتملة كان من بينهم البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، و مبارك الملي، و طفيش. و قد أقام هؤلاء كل في منطقته يعلم و يربي و يدعوا إلى الإصلاح بالعلم و الحكمة، فكانوا مع بن باديس النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين².

6- التطور الفكري الذي أفرزته الحرب العالمية الأولى على الصعيدين السياسي و الاجتماعي، و قد أدى التطور الاجتماعي في نظر الشيخ البشير الإبراهيمي إلى " انخراط قيمة المقدسات الوهمية في نظر كثير من الناس... و انكباب أساطين التدجيل على المال، و التكالب على

¹ - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص92.

² - أحمد الخطيب، نفس المرجع، ص93.

جمعه و الاهتمامك في الملدات و مزاحمة العامة في الوظائف و النياشين بعد أن كانوا يتظاهرون بالبعد عن هذه المواقف " ¹.

أما العوامل السلبية فتتمثل في المظاهر التالية:

1- اشتداد تأثير الحركات الصوفيّة بالجزائر، و ازدياد نشاطها، و تكاثر طرائقها حتّى اكتسحت جميع المدن والقرى، بل البوادي أيضا، في الجزائر، فأمتت تصول وتحوّل، فلم يكن شيء يُتداول بين مستتيري الناس غير الفكر الصوّفيّ الذي لا يجاوز سِير الشيوخ وكراماتهم، و ميل أهل التّصوّف، من عوامهم خصوصا، إلى الإغراق في الرّوحيات، و الكلّف الشّديد بالخوض في أمور الغيب على سبيل اليقين، و التّعلّق المثير بمشاهد البرّكة و المناقب و الكرامات.

2- اشتداد شراسة الاستعمار الفرنسيّ، و مبالغته في محاربة اللّغة العربيّة و الدّين الإسلاميّ و التّمكين للتّخلّف الذهبيّ والشّعوذة لدى الناس، و تشجيع ممارسات وطقوس فلكلوريّة ليست من الدّين الصّحيح في شيء.

3- شيوع الجهل بين عامّة الجزائريين حيث كانت الأميّة تجاوز ثمانين في المائة في أوساط الجزائريين من الذكور، و ربما كانت تجاوز تسعين في المائة في أوساط الجزائريات. و لذلك نجد الأستاذ المرحوم محمّد إبراهيم الكّثانيّ الذي كان شديد الإعجاب بالحركة الإصلاحية في الجزائر فكان لا يزال يتحدّث عنها بتقدير و إعجاب لطلّابه بجامعة الرّباط : يُرأعُ للحالة التي كان الجزائريون عليها في العقد الرّابع من القرن العشرين (وقد زار الجزائرَ عام خمسة و ثلاثين وتسعمائة وألف) حين يقول: " شاهدت من تعاسة المسلمين و دينهم و لغتهم ما لم أكن أتصوّر أنّ الحالة وصلت إلى معشاره: جهل باللّغة العربيّة فظيع، وطمس لمعالم الدّين شنيع " ²

المبحث الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كنتيجة للنشاط الإصلاحي الذي قام به علماء الجزائر و نخبها، على صفحات الجرائد و المنتديات الثقافية ، و مدارس التعليم العربي الحر، و ذلك بعد سعيهم لإيجاد تنظيم يلم شملهم و يوحد لكلمتهم، إذ اكتمل حلمهم و تحول نشاطهم الفردي إلى مشروع وطني يهدف لإعادة بناء المجتمع الجزائري على أسس جديدة دعائمها الجزائر ووطننا و العربية لغتنا و الإسلام ديننا. فالجمعية تأسست خدمة للوطن و للقضاء على الأباطيل و الخرافات التي استعملها المستعمر لث روح الفشل في نفوس الجزائريين حتى لا يميلوا إلى الكفاح، مستغلين عملهم الصحفي و مختلف الصحف الوطنية، و جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

¹ - نفس المرجع، ص94.

² - محمّد إبراهيم الكّثاني، في سجلّ مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص.233.

المطلب الأول: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لقد ظل الجزائريون يحاولون بوسائلهم البسيطة و المحدودة مقاومة ذلك المشروع التغريبي الفرنسي بمختلف تقلباته، و الذي استهدف لغتهم و دينهم كأهم عناصر الشخصية الوطنية، فظل متمسكاً ببعض المؤسسات التي بقيت صامدة كالزوايا و المساجد، أما المحاولات الجادة و الميدانية فتظهر مع بداية القرن العشرين و التي كان لزيارة الشيخ "محمد عبده" في 1903م للجزائر أثراً كبيراً عليها، حيث تجلت المبادرة في ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931م، التي أخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري، التي أصبحت مستهدفة من قبل الاستعمار الفرنسي أكثر من أي وقت مضى، لأنه في هذه الفترة قد أحكم سيطرته على كامل الجزائر تقريباً¹.

و تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التنظيم الوطني الثاني الذي ظهر بعد تأسيس نجم شمال إفريقيا بحوالي خمس سنوات، و لهذا التنظيم أهميته في تاريخ النهضة الجزائرية الحديثة، و في تاريخ الإصلاح الديني في المغرب العربي².

يقول الدكتور سعد الله أبو القاسم: " إن تجنيد العلماء كان قد توقف تقريباً في الجزائر كما لاحظ "دي توكفيل" حوالي منتصف القرن الماضي منذ الاحتلال، و قد لاحظ أن هؤلاء العلماء الذين كانوا مهتمين و مضطهدين قد هاجروا إلى الشرق الأدنى، و إلى الجارتين تونس و المغرب، و بقي آخرون منهم في الجزائر، و لكنهم نموا شاكين في الإدارة الفرنسية، و ما دام بعض هؤلاء العلماء غرباء في وطنهم، و طموحين من أجل المعرفة و الزعامة، فإنهم أصبحوا واعين سياسياً، و مُصلحين ليبراليين، و عندما سمعوا بحركة الجامعة الإسلامية في أواخر القرن الماضي انجذب بعضهم إلى المذهب الجديد، و حاول أن يستعمله من أجل أهداف إصلاحية في الجزائر"³.

إذن فإنشاء الجمعية كان في الوقت المناسب، و كان ضرورة قصوى تقتضيها الظروف و التحديات، رداً على الادعاءات الاستعمارية بأن عهد الإسلام قد انتهى، و بأن الثقافة العربية الإسلامية اندثرت، و لم يعد لها وجود، و أيضاً كان مناسبة لعودة العلماء إلى ميدانهم في القيام بواجبهم النضالي، أسوة بزملائهم في المشرق العربي⁴، و التي أتت لكي تقدم الإسلام في مفهومه القوي كقوة معنوية و طاقة خلاقة على عكس ما أشاعته الخرافات - بتشجيع من الاستعمار - بأن الإسلام دين القضاء و القدر، بالمفهوم الاستسلامي الذي دفع المستعمرين إلى الادعاء "بأن الله هو

¹ - الطاهر زرهون، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1994، ص 28.

² - محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، الجزائر، قسنطينة، دار البعث، ط 1، 1985، ص 107.

³ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 428.

⁴ - محمد الطيب العلوي، نفس المرجع، ص 110.

الذي مكنهم من احتلال الجزائر" و "بأن القضاء والقدر هو الذي عمم سيطرة فرنسا على الجزائر"¹.

و يعرف البشير الإبراهيمي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقوله: "جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تُعلم، و تدعو إلى العلم، و تُرغب فيه، و تعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تستر، و هي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية لأهمما شيئا متلازمان، و تدعو إليهما و تُرغب فيهما، و بالصفة الثالثة تدعوا إلى مكارم الأخلاق التي حض الدين و العقل عليها، لأنها من كمالهما، و تحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها، و ذم مقترفيها، و تعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت، و تُرشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية و الجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي أفراداً و شعوباً، مما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم و مظاهره، و فيما عدى هذا فالجمعية جزائرية محدودة بحدود الجزائر، ملزمة بقانون الجزائر، لأن أعضائها كلهم من أبناء الجزائر"².

و استبشر البشير الإبراهيمي بما ستحققه جمعية العلماء في قوله: "إن جمعية العلماء هي تباشير الصبح و سترونها تتصدع عن فجر صادق، ثم عن شمس مشرقة"³.

يرى أبو القاسم سعد الله في نشأة الجمعية: "ظهرت جمعية العلماء سنة 1931م، و في نظري أن عوامل ظهور هذه الجمعية تزال غير مدروسة، أن معظم الباحثين يستندون إلى المقولة التي تذهب إلى أن الجمعية ظهرت كرد فعل على الاحتفالات المثوية بالاحتلال، و لكن هل هذا يكفي؟ أننا إذا عرفنا الظروف التي ظهرت فيها الأحزاب في عهدنا و "اللعبة" المطلوب أو المأمول منهم تنفيذها، قد نتهدي إلى تفسير الظروف التي ظهرت فيها الأحزاب و التجمعات في العهد الاستعماري، و لكن المطلوب أو المأمول لا يتحقق دائما بالذي خطط، فالرياح أحيانا تجري معاكسة للمطلوب أو المأمول، حدث ذلك عندما سمح لجمعية النجم بالظهور كمنقبة، فإذا بها تتحول إلى حزب سياسي، يطالب باستقلال الجزائر، و حدث هذا أيضا عندما سمح لجمعية من العلماء فيهم المصلح الوهابي، و الطرقي الغياي، و المعتدل في دعوتهم للإصلاح، و المحافظ و المتطرف و فيهم الشيخ الكبير السن، و الشباب المعتدل الطموح، و فيهم المدارس بالشرق و المدارس بالجزائر، قلت سمح لهؤلاء بتكوين "جمعية دينية تهذيبية لا دخل لها في السياسة" أو نقابة دينية، إذا صح التعبير، فإذا بها تتحول إلى مؤسسة تهدد النظام القائم، و تعمل على بعث شخصية

¹ - المرجع نفسه، ص 116

² - نفسه، ص 114.

³ - محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سبق ذكره، ص 136.

الجزائر الضائعة، و تضع لذلك ثوابت إذا تُرجمت بلغة القومية تصبح الدعوة إلى إنشاء دولة مستقلة"¹.

و يعد لنا الباحث سعد الله أسباب تأخر الإعلان عن التأسيس : "و يبدو أنه كان في إمكان جماعة الإصلاح أن يطلبوا تأسيس جمعية لهم قبل 1931م، بدليل أن التفكير في ذلك بدأ في الحجاز سنة 1913م، ثم أوائل العشرينيات في الجزائر، و لكن ظروف موضوعية حالت دون ذلك فحركة ابن باديس " التعليم، الصحافة، النوادي، التوعية بالزيارات و الدروس"، كانت في حاجة إلى عقد العشرينيات لتنتشر و تتجذر و يعرفها الناس، و الشيخ الإبراهيمي لم يدخل بعد ميدان الإصلاح العملي، و نشاط الشيخ الطيب العقي كان إلى سنة 1929م ما يزال محصورا في نواحي بسكرة و لم يكن نادي الترقى بالعاصمة قد تكون إلا سنة 1927م، و لم تظهر كتلة النواب الموالية للإدارة إلا سنة 1927م، و عندما ظهر نجم شما إفريقيا 1926م سرعان ما أصدرت الإدارة قرارا بحله سنة 1929م ، و صورة نفي الأمير خالد 1923م كانت ما تزال ماثلة أمام أعين الجماعة الإصلاحية، لقد كانت هذه الجماعة تحس بالفراغ السياسي المخيف و بطش الإدارة الاستعمارية المسلحة بقانون الأهالي البغيض، و لكن تكوين تنظيم يملأ ذلك الفراغ يحتاج - في ضوء الظروف أعلاه- إلى تبصر و حنكة و قراءة متأنية للعواقب، و لتتصور أن جمعية العلماء وضعت في قانونها الأساسي الذي قدمته للإدارة مادة تنص على أنها تشتغل بالسياسة، أو تدعوا إلى الاستقلال، أو نحو ذلك فهل كانت إدارة "ميرانت" مسؤول الشؤون الأهلية آنذاك، ستوافق على طلبها؟ و حتى لو وضعت برنامجا سياسيا، فهل كانت الإدارة ستقف منها موقف المتفرج؟ لا نظن ذلك أن ابسط ما كانت الإدارة ستفعله عندئذ هم حل الجمعية، الزج بعناصرها في السجن و القضاء على مدارسها و صحفها و بذلك تتحول جمعية العلماء إلى حزب سياسي يعمل في الخفاء و المنافي، و نحن لا نظن أن التكوين الاجتماعي و الثقافي للعلماء يؤهلهم لهذا الدور"².

وكان الشيخ "بن باديس" زار الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" ليؤسس معا "جمعية الإخاء العلمي" سنة 1924م بقسنطينة، بيد أن هذه الجمعية لم تعمّر طويلا سيما و أن أغلب أعضائها بقوا أسرى للإدارة الفرنسية التي توظفهم، و بصدر صحيفتي "المنتقد" و "الشهاب" سنة 1925م أصبح العمل الإصلاحي أكثر فاعلية ما دام قد استفاد من القوة الإعلامية، حيث حمل "الشهاب" دعوة إلى المتعلمين و المصلحين ليلتئموا في حزب ديني، و هو ما شكّل البذرة الأولى في حقل الجمعية الزاهر، و سرعان ما انبرت تأييدات العلماء المصلحين تصلُ تباعا إلى الجمعية، و من

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1996، ص143.

² - نفس المرجع، ص 145.

هؤلاء: الطيب العقي، و الشيخ المولود بن الصديق الحافظي، الشيخ المبارك الملي، و العربي التبسي و لم يكن حال هذا الحزب بأحسن حالاً من جمعية الإخاء العلمي¹.

و حين الحديث عن الوضع السياسي عشية ظهور الجمعية، تراءت انتفاضة فكرية لعديد الأسباب و الظروف التي ظهرت خلالها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لكن القطرة التي أفاضت الكأس هي ما ذُكر سابقاً عن احتفالية الاستعمار و الاستعراض العسكري الذي نُظّم بالعاصمة و غيرها من المدن الجزائرية، كما صرّح الحاكم العام للجزائر في ذلك الوقت واصفاً الجزائريين باللصوص، و قرأ القرآن ابتهاجاً، و قدّم الطعام بركة، و قد نعت أحدهم ذلك بالقول: "لقد كنّا نقرأ القرآن و كأننا نسبّ، و نأكل و كأننا نتناول السمّ الأرعن"².

لقد جاء شهر فيفري 1931م، حيث بدأت الشمس تشرق رويداً، و معها أشرفت دعوة جريدة "الشهاب" بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتجسّد، مخصّصة جائزة بقيمة ألف فرنك لمن ينجز هذا المشروع - أعلن عنها في جانفي-، و شهد نادي الترقّي بالعاصمة ميلادها و يُذكر أنّ "نادي الترقّي"^{*} افتُتح بتاريخ 18 جويلية 1927م، و هو مركز للقاء الطبقة المثقفة الجزائرية و نظرائها من الزوار العرب، و قد انتخب "محمد بن ونيش" رئيساً له، أمّا "التوفيق المدني" فلم ينضم إليه حتى لا يقال أنّ الحزب الدستوري التونسي وراء إقامته³، بل أنّ المدني نفسه ينسب له فكرة الجمعية إضافة إلى تأليف "كتاب الجزائر" و كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر"⁴، لكن أغلب المذكرات و القراءات تردُّ الفكرة إلى الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، و من ذلك شهادة الشيخ محمد خير الدين في مذكراته، و هو النائب الثاني لرئيس الجمعية، مستندا في ذلك إلى زيارة "ابن باديس" للإبراهيمي "بسطيف بشهادة هذا الأخير عازماً تأسيس الجمعية.

إضافة إلى دعوة الشيخ "ابن باديس" في جريدة "الشهاب" في عدد نوفمبر 1925م و الخاصة "بتأسيس تجمع العلماء"، و أيضاً نشر الشيخ "المولود الحافظي" مقالا في أسبوعية "الشهاب" يتعلق بتأسيس حزب ديني، و أخيراً و هو الأهم يعترف الشيخ "محمد خير الدين" أنّ "ابن باديس" طلب من الشيخ "محمد عبايسة" صاحب جريدتي "المرصاد" و "الثبات" أن يدعو لتأسيس الجمعية باختيار جماعة لا تثير شكوك الحكومة و لا مخاوف أصحاب الزوايا، و ذلك في "نادي الترقّي" و فعلاً تمّ ذلك رفقة "عمر بن إسماعيل الدلسي" و الشيخ "العاصمي" و السيد "أحمد

¹ - أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص 99.

² - نفس المرجع، ص 100.

^{*} - نادي الترقّي: يوجد في ساحة الشهداء قرب مسجد كشاوة.

³ - أحمد الخطيب، نفس المرجع، ص 105.

⁴ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاف: مذكرات ج 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 172.

توفيق المدني" يضيف الشيخ خير الدين¹. و كان معه بقسنطينة في مكتب الإمام الشيخ "مبارك الملي" و لقد تميزت جمعية العلماء بشخصية "ابن باديس" القويّة، و ما أحاط به من رجال أسهموا في الكتابة الصحفية مستفيدين من تكوينهم و زيارتهم لدول المشرق³؛ و عن جلسة التأسيس يقول الشيخ الإبراهيمي: "على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع و العشرين من شهر ذي الحجة الحرام عام 1349م الموافق للخامس من ماي 1931م، اجتمع بنادي الترقّي بعاصمة الجزائر اثنان و سبعون من علماء القطر الجزائري، و طلبة العلم فيه، إجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألّفة من جماعة من فضلاء العاصمة، عميدها السيّد "عمر إسماعيل" ، و غرض الدعوة هو تحقي فكرة طالما فكّر فيها علماء القطر فرادى، و هي تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، و قد لبّي الدعوة كتابةً بالقبول و الاعتذار نحو الخمسين عالماً².

فوجّهت الدعوة إلى العلماء و الأعيان و الطلبة من قبل اللجنة التأسيسية، التي كان يرأسها السيّد "عمر إسماعيل"، ليقفوا على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين³. بيد أن أبرز الغائبين عن هذا الاجتماع لم يكن غير الشيخ "ابن باديس"، لكنّ طيفه و فكره كانا حاضرين، انطلاقاً من شهادة الشيخ "خير الدين" حول سرّ أخيره إياه "ابن باديس" رفقة "مبارك الملي"، يتعلق بغيابه عن الاجتماع في انتظار دعوة تصله، فلا يكون من أرسل الدعوة بل مدعواً تجنبا لردّ السلطات و الطرقيين⁴.

و رغم حضور الموظّفين الرّسميين و رجال الطرقية، إلا أن الإصلاحيين عرفوا كيف يُسيرون المعركة لصالحهم، و ذلك باستبدالهم التصويت بالتزكية، مشترطين أن يكون المترشح حاصل على لقب "عالم" مع تكليف لجنة خاصة لضبط مؤهّلات شخصية العالم. و فعلا فقد التأمّت الجمعية دون إقصاء لخصوم "ابن باديس" الذي أنتخب غيايباً رئيساً، الذي ألقى في اليوم الثالث للاجتماع خطاباً، أثنى فيه على الجميع و أنقص من حدّة المناوئين، كما شكر المستشرق "ميرانت" مدير الشؤون الأهلية بما يستحقّه، و على ما يبدو فأساس الفصل الختامي إطلاع الرأي العام في الجزائر و أوروبا على إنشاء الجمعية⁵.

و تم وضع القانون الأساسي و تعيين مجلس الإدارة على الصورة الآتية⁶:

— عبد الحميد بن باديس رئيساً.

¹ — محمد خير الدين ، مرجع سبق ذكره، ص105

² — محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص71.

³ — أحمد منور، تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الظروف والأسباب والوسائل والغايات، الشهاب الجديد، عدد1، محرم 1423هـ/أفريل2002م،

⁴ — محمد خير الدين، نفس المرجع، ص106.

⁵ — أحمد منور، نفس المرجع، ص49.

⁶ — عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، افتتاحية الشهاب، مجلد7، السنة السابعة، 1931، ص 355.

- محمد البشير الإبراهيمي..... نائبا للرئيس.
- محمد الأمين كاتبا.
- الطيب العقبي معاونه.
- مبارك الملي أمين المال.
- إبراهيم بيوض معاونه.
- المولود الحافظي مستشارا.
- مولاي ابن الشريف مستشارا.
- الطيب المهاجي مستشارا.
- السعيد اليجري مستشارا.
- حسن الطرابلسي مستشارا.
- عبدالقادر القاسمي مستشار.
- محمد الفضيل الورتلاني مستشار.

و لما كان أعضاء الجمعية من مناطق مختلفة، و العمل بالعاصمة يتطلب حضور الأعضاء باستمرار لزم تعيين لجنة العمل الدائمة شكلت من سكان العاصمة و من ضاحتها¹:

- السيد عمر إسماعيل رئيسا.
- السيد محمد المهري كاتبا.
- السيد آيت سي أحمد عبد العزيز أمين مال.
- السيد محمد الزمري عضوا.
- السيد الحاج عمر العنقى عضوا.

كانت ردود الفعل حول هذا الانجاز الضخم واضحة وضوح مبادئها، التي برزت في قانونها الأساسي الخاص، و التي اتسمت بالمهادنة، لذلك وافقت إدارة "ميرانت" مسؤول الشؤون الأهلية على طلبها بعد خمسة عشر يوما فقط من تقديمها، كما لاقت تأييدا من كل الفئات الشعبية التي رأت فيها المنقذ الوحيد لكل ما يمس الشعب الجزائري من جهل وتخلف و جمود فكري، حتى النخبة المتجنسة حذت هذه المبادرة².

و خلال العشرينيات و الثلاثينيات يُلاحظ أنها كانت في أغلبها لغة و أسلوب الواعظ لا المهاجم و الداعي إلى الإصلاح لا إلى الثورة، لكن بعد ذلك تغيرت لهجة جمعية العلماء، بل و ظهرت تصريحات حتى من النواب تتجاوز مع المطامح الوطنية و أكبر مظاهرات شاركت فيها

¹ - ابن باديس، الشهاب، نفس المرجع ص355.

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 145.

الجمعية هي " المؤتمر الإسلامي " الذي دعا إليه رئيسها نفسه و يرى الكثيرون أن الجمعية دخلت إلى عالم السياسة من باب المؤتمر، ثم جاءها مؤامرة الشيخ كحول¹.

بالجزائر حيث المساس بالهوية و مقوماتها الدينية و اللغوية أطول مدة و بالضرورة أعمق أثرا سيتصدر بعد الدفاع عن الشخصية الجزائرية و انتمائها العربي الإسلامي خطاب الحركة الوطنية و مقرراتها، خصوصا مع تهيكل جمعية العلماء و بروز حزب الشعب الجزائري، هي بالتأكيد الحدث المركزي لسنوات 1930 - 1935 م بحياة المجتمع الجزائري، لكن نضيف أن اعتماد الدين لتعبئة المعارك الوطنية و استنهاض إحساس و وعي مختلف مكونات المجتمعات المغربية، و ليس جزائرية فقط، قد غدا الأرضية الإيديولوجية الأكثر تأهيلا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و أن الثلاثينيات لم تمثل سوى مرحلة مناسبة لاقتران العامل الديني بالفعل الوطني " الانتقال من سلفية دينية محضة إلى سلفية وطنية مناضلة جديدة².

المطلب الثاني: الأسس الفكرية لمبادئ و أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها و أعمالها، جزائرية في مدارها و أوضاعها، علمية في مبدئها و غايتها، أسست لغرض شريف، تستدعيه ضرورة هذا الوطن و طبيعة أهله، و يستلزمه تاريخهم الممتد في القدم إلى قرون و أجيال، و هذا الغرض هو تعليم الدين و لغة العرب التي هي لسانه المعبر عن حقائقه للكبار في المساجد التي هي بيوت الله و للصغار في المدارس على وفق أنظمة لا تصادم قانونا جاريا و لا تزاحم نظاما رسميا و لا تضر مصلحة أخ و لا تسيء إلى سمعته فجميع أعمالها دائرة على الدين، و الدين عقيدة، اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها و على التعليم و التعليم مهنة، اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها و إكبار أهلها³.

المبادئ التي ناضلت من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

يمكن اختصار المبادئ التي ناضلت من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الشعار المعروف الذي كانت تكتبه على غلاف البعض من كتبها المدرسية التي يدرس فيها تلامذة مدارسها و هي: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا.

و كانت جريدة البصائر، و هي اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحمل في صدر صفحتها الأولى تحت العنوان مباشرة، الشعار التالي: العروبة و الإسلام، و ذلك بتقديم لفظ العروبة على لفظ الإسلام، باعتبار اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم و بالتالي هي لغة الإسلام⁴.

¹ - نفس المرجع، ص 145.

² - أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، ص 266.

³ - البصائر، عدد 160، بتاريخ 07 أبريل 1939، ص 1.

⁴ - تركي رابح، التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عناية، مجلة بونة للدراسات، ع 2، نوفمبر 2004، ص 11.

و طبقاً لشعارها، الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا، و هي المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ماضيا و حاضرا و مستقبلا، فقد ناضلت جمعية العلماء نضالا صامدا لا هوادة فيه، ضد كل ما يمس أحد مقومات الشخصية الجزائرية من قريب أو بعيد و لذلك حاربت الأمور التالية:

1- التنصير

2- الفرنسية

3- التجنيس

4- الاندماج في فرنسا

كما كانت تحارب كذلك ظاهرة زواج الجزائريين بالأوروبيات، و كانت تنادي بأن كل جزائري يتزوج بامرأة أوروبية فهو قد أدخل الاستعمار إلى بيته، و قد قامت كل جرائد جمعية العلماء التي أصدرتها خلال عام 1933 و هي: - السنة - الشريعة - الصراط. و قد أوقفت السلطات الاستعمارية هذه الجرائد الواحدة تلو الأخرى بحيث لم يصدر من كل واحدة منها سوى أعداد قليلة بالإضافة كذلك إلى مجلة الشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس، بحملات ضارية ضد التجنيس و الاندماج، و ضد الزواج بالأوروبيات، و بيان مضارها و أخطارها على الشخصية الجزائرية و الأطفال الجزائريين.

كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول: "العروبة، و الإسلام الفضيلة، هذه أركان همتنا، و أركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي هي مبعث حياتنا، و رمز همتنا فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين، و تعلمنا اللغة، و تيرنا بالعلم، و تحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية، و تحفظ علينا جنسيتنا، و قوميتنا، و تربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة"¹.

مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تكونت من أجل تحقيقها:

و تتلخص مبادئ جمعية العلماء بصفة إجمالية في الفقرات التالية التي ننقلها من مقال كتبه رئيسها الثاني الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بعد وفاة رئيسها الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء تحت عنوان: جمعية العلماء، موقفها من السياسة و الساسة، و قد جاء فيه ما يلي: "يا حضرة الاستعمار، إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، و تفهيم حقائقه، و إحياء آدابه، و تاريخه، و تطالبك بحرية التعليم العربي، و تدافع عن الذاتية الجزائرية، التي هي عبارة عن العروبة و الإسلام مجتمعين في وطن، و تعمل لإحياء اللغة العربية و آدابها، و تاريخها، في موطن عربي و بين قوم من العرب، و تعمل لتوحيد كلمة المسلمين

¹ - البصائر، العدد 83، بتاريخ 30 سبتمبر 1937، ص1.

في الدين و الدنيا، و تعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم، و تذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم، و سير أعلامهم، و أجماد تاريخهم، و تعمل لتقوية رابطة العروبة، بين العربي و العربي لأن ذلك طريق لخدمة اللغة و الأدب"¹.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الأمة و الحكومة :

كتب الشيخ مبارك المليي يوضح مبادئ الجمعية فقال : "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعمل للمحافظة على الإسلام النقي من الخرافات، و البرء من كل البدع، و على العروبة الخالدة العزيزة على كل عربي و كل مسلم، و إن لم يكن عربي الجنس، فليست هي حزباً خاصاً، و لا ضد حزب خاص، و إنما هي جمعية الأمة المسلمة الجزائرية، إذا لا تجدد في أقصى رمال الجزائر، أو أمنع جبالها، من يبرأ من الإسلام الصحيح، أو يستنكف عن العروبة، و إذا وجد في هذه الأمة من يخالفها في شعورها نحو الإسلام و العروبة، فهو أحد رجلين إما من اللذين أفسدتم تربية المبشرين المسيحيين، و إما من الذين أضلتهم تعاليم المدارس اللادينية، و هما قليلان في نوعهما ضئيلان في مجموع الأمة، إن الأمة شديدة الإقبال على جمعيتها، و إن الحكومة شديدة الحرص على معاكسة الجمعية، و الذي نراه من هذه الحالة أن الحكومة غير مبالية بإرادة الأمة مع أن المعقول في سائر الحكومات هو احترام إرادة الأمة"².

جمعية العلماء تنصدي بقوة لسياسة التجنيس، و الإدماج، من خلال جرائدها و

خطبها:

كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يقول: "حاربت جمعية العلماء سياسة الاندماج، في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس، و دعائه المقاول حتى قهرتهم و أخرستهم، و قطعت الجبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه يوم كانت المرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب"³، فكان ذلك منها تحدياً للاستعمار، و إبطالاً لكيده، و تعطيلاً لسحره، و أثبتت بتلك المواقف الجريئة للجزائر إسلاميتها، و حاربت العنصرية التي كان الاستعمار يغذيها، و يعدها من أمضى أسلحته لقطع أوصال الأمة و أثبتت بذلك للجزائر قوميتها العربية.

و حاربت آخر ما حاربت لائحة السابع من مارس سنة 1944 م بشدة و قوة، و شنعت بها في دروسها، و خطبها، و بينت للأمة الدسائس التي تنطوي عليها اللائحة و أنها وسيلة شيطانية إلى الاندماج جاء بها بعد خيبة الوسائل التي تقدمتها"⁴.

¹ - البصائر، العدد 3 ، بتاريخ 22 أوت 1947.ص1،

² - البصائر، العدد 92 ، 1937.ص1.

³ - البصائر، العدد 04، بتاريخ 29 أوت 1947،ص1.

⁴ - تركي رايح ، التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سبق ذكره، ص14.

و كتب الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي منددا بسياسة التجنيس قائلاً: " إن فرنسا تعمل جهدها لإبادتنا و إدماجنا و محونا من الحياة كشعب ذي خاصيات، و أمة ذات ميزة، و إنه لمن العجيب حقاً أن تريد فرنسا بتجنيسها، محو إنساني كامل، في وقت تمنع فيه القوانين الدولية إبادة أنواع الحيوانات و الطيور". ثم يضيف: " إن الله خلق العباد ليكونوا عبيداً له، لا عبيداً لمخلوق آخر، و ذلك فإننا لا نسلم في كرامتنا، و لا نتهاون في الخطر الذي يهدد جنسنا، و ديننا، و الله معنا، و القوانين العادلة الحكيمة تؤيدنا، و سنخرج بحول الله من النذل إلى العز، و من الهمجية إلى المدنية، و من النار إلى الجنة"¹.

مساهمة جمعية العلماء في رفع الوعي في أوساط المهاجرين الجزائريين بفرنسا:

اهتمت جمعية العلماء بالفئة الجزائرية الموجودة بفرنسا حتى لا تنسلخ عن شعبها و تنتكر لدينها و لانتمائها العربي الإسلامي و خاصة الجيل الذي ولد و تربى و ترعرع هناك و ذلك من خلال الوعظ و الإرشاد، و تعليمهم اللغة العربية، و الدين الإسلامي².

و قد نشرت الجمعية في هذا الإطار مقالا جاء فيه³: "إن جمعية العلماء تعلم و تأسف أن مسلمي فرنسا معرضون للتحلل من الإسلام، و العروبة، بطول الأمد، و تأثير الوسط، و تعلم أن الأولاد الذين يولدون هناك من أمهات أوروبيات، يكونون أوفر سهما، من شرور هذا التحلل، فإذا لم تهتم الجمعية بالوعظ و الإرشاد لكبارهم، و تعليم الدين و العربية لصغارهم، ضاع على الأمة آلاف من أبنائها يندمجون في دين غير دينها، و جنس غير جنسها، و أوضحت بأنها الجمعية قد بدأت في هذا العمل الجليل سنة 1936م على يد أحد أبنائها ألا و هو الشيخ الفضيل الورتلاني فقام بذلك أحسن قيام، من خلال جمعه المسلمين هناك على هداية الدين، و شهامة العرب و أشربهم معنى الإصلاح الذي شع نوره في الجزائر، و فتح في باريس و غيرها من مدن فرنسا عشرات النوادي المنظمة للاجتماع، و التخاطب أحسن باللغة العربية، و إلقاء المحاضرات للكبار، و الدروس التعليمية للصغار، و أمدته جمعية العلماء بطائفة من المعلمين، و المحاضرين، فأثمر المسعى و أنتج العمل، و شعر المسلمون هناك أنهم في وسط إسلامي عربي، و بعد انتقال الورتلاني إلى الشرق، و قيام الحرب العالمية الثانية، انفضت المجالس، و أغلقت النوادي، و تعطل عمل من أجل الأعمال التي قامت بها جمعية العلماء، و في هذه السنة (1947م) رأت الجمعية، إحياء تلك السنة

¹ - نفس المرجع، ص 15.

² - بلقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سبق ذكره، ص 104.

³ - البصائر، العدد 04، بتاريخ 29 أوت 1947، ص2.

فأرسلت الشيخ سعيد الصالحى، كي يعمل على إحياء هذه الحركة، و هو ممن عملوا مع الفضيل الورتلاني قبل الحرب العالمية الثانية¹.

أهداف التعليم في مدارس ومعاهد جمعية العلماء :

كانت غاية التربية عند رجال الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تهدف إلى تكوين جيل قائد في الجزائر، أما كيفية تعليم هذا الجيل القائد فيشرحها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفقرات التالية: حيث يقول: " كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في عام 1913م في تربية النشء هي أن لا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، و لو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"². و يضيف: " لقد اعتبرنا أن أبناءنا في الحياة قسمان حياة علمية و إن الثانية منهما تبنى على الأولى قوةً و ضعفاً وإنتاجاً و عقمًا، و إنكم أقوىاء في العمل، إلا إذا كنتم أقوىاء في العلم، و لا تكونون أقوىاء في العلم، إلا إذا انقطعتم له، و وقفتم عليه الوقت كله، إن العلم لا يعطي القيادة إلا لمن مهره السهاد، و صرف إليه أعنة الاجتهاد، أنتم اليوم جنود العلم، فاستعدوا لتكونوا إذا جنود العمل، فإن الوطن يرجو أن يبني بكم جيلاً قويا الأسر، شديد العزائم، شديد الآراء، متين العلم، متماسك الأجزاء، يدفع عنه هذه الفوضى السائدة في الآراء، و هذا الفتور البادي على الأعمال، و هذا الخمول المخيم على الأفكار"³.

و هكذا شرعت جمعية العلماء في تأسيس المدارس لإعداد جيل جديد متشبع بالمبادئ و القيم الإسلامية و متقناً للغة العربية محافظاً عليها، من أجل تحضيره لمهام صعبة لا يقدر عليها سوى من كان مسلحاً بكل تلك القيم، فذكر الشيخ البشير الإبراهيمي في ذلك بقوله: " جاء الدور الثاني لجمعية العلماء و هو دور التربية الإسلامية و التعليم العربي الابتدائي الحر المعتمد على المبادئ العربية و آدابها و مبادئ التاريخ الإسلامي و التربية الإسلامية الصالحة و جاء معه الصراع العنيف مع الاستعمار". و استطرد كلامه بقوله: " للجمعية الآن بل للأمة الجزائرية أكثر من مائة و خمسين مدرسة ابتدائية حرة رغم الاستعمار الفرنسي يتردد عليها أكثر من خمسين ألف تلميذ من أبناء الأمة الجزائرية بنين و بنات يدرسون مبادئ لغتهم و آدابهم و أصول دينهم و تاريخ قومه"⁴.

أمام سياسة الاستعمار التجهيلية و التي ترمي إلى القضاء على هوية الأمة الجزائرية، لم تقف الأمة الجزائرية موقف الخائر القوى، بل أقدمت بجهودها الخاصة الضئيلة، على إنشاء المدارس العربية

¹ - تركي رايح ، التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مرجع سبق ذكره، ص 16.

² - مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21، القاهرة، سنة 1966، ص 143.

³ - البصائر، العدد 9، بتاريخ 03 أكتوبر 1947، ص3.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط2 ، 1971. ص 29.

الإسلامية الحرة، و شيدت منها ما يزيد عن 170 مدرسة، و قد تباهت الأمة على فقرها المدقع في بناء تلك المدارس، تحت إشراف ورقابة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان منها ما بلغت تكاليف بنائه 15 أو 20 مليوناً من الفرنكات¹.

لم تحاول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتح مدارس حرة في المدن الجزائرية بمبادرات مباشرة منها، بل كانت تسعى إلى ذلك عن طريق تكوين جمعيات إصلاحية محلية من أشخاص آمنوا بمبادئ الجمعية، ويتكونون في كثير من الأحيان من مختلف الطبقات الاجتماعية، تتولى كل جمعية من الجمعيات التي تطلق على نفسها اسم جمعية الإصلاح، أو جمعية التربية و التعليم فتح مدرسة حرة، و غالباً ما تسمى المدرسة باسم الجمعية المحلية التي ترعاها². أما عن دور جمعية العلماء فيشمل اختيار المعلمين، و الإشراف على سلوكهم و نشاطهم، كما يشمل الإشراف الفني على المدارس كاختيار البرامج التعليمية، و تأمين الكتب اللازمة للتلاميذ، و التفتيش التربوي، و المراقبة الدورية، و كثيراً ما كانت الجمعية تحتضن المدرسة في حال تضعف الجمعية المحلية، فتؤمن كل متطلباتها الضرورية³.

فهذه المدارس الابتدائية التي تعتنى بها جمعية العلماء بصفة خاصة، و تسطر برامجها و تعين لها قرابة السبعمائة من الشيوخ و المعلمين، قد تمكنت خلال العشرين سنة الأخيرة من تكوين نخبة عربية إسلامية بالقطر الجزائري، و قد تخرج منها منذ تكوينها ما يزيد عن المائة و الخمسين ألفاً من الفتيان و الفتيات، و عدد تلاميذها من بنين و بنات كان يشمل يوم إعلان الثورة الكبرى نحو خمسين ألفاً، و كل هذه المدارس مُحارَب من الإدارة الاستعمارية محاربة سافرة، فهي أن تغافلت عنها في الجهة، فإنها تضربها في جهات أخرى ضربات قاسية، و طالما أوصدت أبواب المدارس دون شفقة، و طالما صدرت على الشيوخ و المعلمين الأحكام القاسية بالسجن و التفرغيم الفادح، و طالما نالها من الاضطهاد ما لا يكاد يتصوره العقل، إلى أن كانت الثورة، فبطشت الحكومة البطشة الكبرى بهذه المدارس⁴.

فحاربت فرنسا جمعية العلماء و وضعت في مسيرتها الدعوية كل العقبات، ففي 16 فيفري 1933م نشر والي العاصمة بياناً هاجم فيه جمعية العلماء واهمها بالعمالة للجامعة الإسلامية و بعد يومين أصدر قراراً بمنع العلماء من التدريس و الإرشاد في المساجد دون رخصة من السلطة الفرنسية، و بلغ الصراع أوجهه في عام 1938م، إذ أصدر وزير الداخلية الفرنسي في العشرين من

¹ - أحمد التوفيق المدني، هذه هي الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية للنشر و الطبع، دت، ص 144.

² - أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص 199.

³ - تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975، ص 209.

⁴ - نفس المرجع، ص 145.

شهر جانفي قانون للتضييق على نشاطات الجمعيات، و النوادي الثقافية والرياضية التابعة لجمعية العلماء، و بقرار الثامن مارس الصادر عن الوزير نفسه، أغلقت عدة مدارس حرة، و اعتقل كثير من العلماء بذريعة عدم امتلاك الرخصة¹.

المطلب الثالث: الآراء السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت غطاء العمل الثقافي:

لئن حاولت الجمعية الابتعاد عن السياسة، و لو على مستوى قانونها الأساسي، إلا أن لا يمكن أن تظل - في ظل الاستعمار الغاشم- منكمشة في إطار ديني محض، بعيدة عن الجماهير و مطامحها، لاسيما و أهما التنظيم الوطني المسموح له قانونياً. بمزاولة نشاطه في البلاد، و يتوفر لديه جهاز يُمكنه من الاتصال بأوسع قاعدة شعبية².

يقول الشيخ عبد المالك رمضاني في كتابه "مدارك النظر": « أن جمعية العلماء لم تكن تجبذ العمل السياسي لعدة أسباب » ، و استند إلى أقوال شيوخها البشير الإبراهيمي و ابن باديس التي كانت تتحاشى العمل الحزبي و تجبذ العمل التربوي و الثقافي، ذلك لأنها كانت ترفض دخول المعركة و الأمة لم تهيأ بعد، حيث يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن حكم التحزب مايلي: " أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نَجَمَ بالشَّرِ ناجمها، و هجم -ليفتك بالخير و العلم- هاجمها، و سَجَمَ على الوطن بالملح الأجاج ساجمها، إنَّ هذه الأحزاب كالميزاب، جمع الماء كَدْرًا و فرقه هَدْرًا، فلا الزُّلال جمع، و لا الأرض نفع". و أضاف قائلاً: "إننا نُعدُّ من ضعف النتائج من أعمال الأحزاب في هذا الشرق كله آتيا من غفلتهم عن هذه الأصول، و من إهمالهم لتربية الجماهير و تصحيح مقوماتها حتى تصبح أمةً و قوةً ورأيًا عامًا".

و من أقواله أيضا في التحزب: " إذا كان من خصائص الاستعمار أن يُضعف المقومات و يُميتهَا، ثم يكون من خصائص أغلب الأحزاب أنها تهملها و لا تلتفت إليها، فهل يلام العقلاء إذا حكموا بأن هذه الأحزاب شرٌّ على الشرق من الاستعمار"، و قد أوضح الدور المنوط بجمعية العلماء المسلمين بقوله: "جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية فهي بالصفة الأولى تعلّم و تدعو إلى العلم و ترغّب فيه و تعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتستر، و هي بالصفة الثانية تعلّم الدين والعربية، لأنهما شيئان متلازمان، و تدعو إليهما و ترغّب فيهما، و تنحو في الدين منحاهما الخصوصي، و هو الرجوع به إلى نقاوته الأولى و سماحته في عقائده و عبادته، لأنّ هذا هو معنى الإصلاح الذي أسّست لأجله و وقّفت نفسها عليه، و هي تعمل في هذه الجهة أيضاً بوسائل علنية ظاهرة، و بمقتضى الصفة الثالثة تدعو إلى مكارم الأخلاق، و لعلّ أصرح كلمة تُبيّن أن جمعية العلماء لم تنهج النهج السياسي هي وصية رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- لطلبته

¹ - رابع تركي، الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال، الجزائر، مجلة التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 11، السداسي الثاني، 1981م، ص 60.

² - محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، مرجع سبق ذكره، ص 161.

حين جمعهم بالمسجد الأخضر في قسنطينة حيث قال لهم: "اتقوا الله! ارحموا عباد الله! اخدموا العلم بتعلمه و نشره، تحمّلوا كل بلاء و مشقة في سبيله، و لِيَهْنْ عليكم كل عزيز، و لَتَهْنْ عليكم أرواحكم من أجله، أما الأمور الحكومية و ما يتصلّ بها فدعوها لأهلها، و إياكم أن تتعرّضوا لها بشيء"¹.

إن علامة الاستفهام تبقى مطروحة بالنسبة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هي جمعية إصلاحية، مثلما تدل تسميتها على ذلك، و هل تعتبر حركة استقلالية، حسب المصطلح الثوري الوطني.

إن النقاش ما يزال قائماً إلى حد الآن، و قد فرضته الساحة الوطنية، حيث انشطر إلى قسمين، فهناك من أكد فعلاً أن رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي ثقافية و دينية، مؤكداً على دور هذه الرسالة، و هناك من رفض رفضاً قاطعاً مساهمة جمعية العلماء في الحقل السياسي و بالتالي بعدها الاستقلالي².

و في الحقيقة فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس كثيراً ما كان يذكر شعارات الثورة الفرنسية ومنها الشعار الثلاثي المتمثل في الحرية و العدالة و المساواة و للإشارة فإن ابن باديس لم يكن يتغنى بالثورة الفرنسية و لا بمجدها، و إنما ليقيم الحجّة على المعتدين، من أصحاب الشعار الثلاثي السالف الذكر، هذا هو المنطق و ليس التغني بالطوباوية و الانزلاق إلى السياسة كما شهدت سنة 1936 م و الذي لم يكن انزلاقاً غير واعي و إنما عن حكمة.

و من ثم فإن جمعية العلماء جاءت لتحرير العقول و عندما يتسنى لها ذلك يكون من السهل عليها تحرير الجزائر، و قد ظل ابن باديس يحافظ على المزاوجة بين المنهج الإصلاحي المنهج السياسي³، حيث ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كغيرها من التنظيمات الثقافية الأخرى و السياسية في دفع الحركة الوطنية من خلال العمل الثوري، من الزاوية الثقافية و المساجد و المدارس الحرة إلى تحريك الفعل المناهض للاستعمار، و إتباع منهجها الإصلاحي، و لا ينبغي أن يفهم على أنه بالمعنى السياسي للكلمة، بل هو إصلاح المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار بنشر الثقافة العربية الإسلامية و إعادة اللغة العربية و الدين الإسلامي إلى مكانها الطبيعي، و الفعل التوعوي المتمثل في مناهضة للاستعمار، و ما كان للحركة الثورية أن تنجح دون امتزاجها بالفعل الثقافي الديني، و الفعل السياسي الوطني، فلم يميز الشيخ عبد الحميد بن باديس بين العمل الفكري النضالي و بين العمل السياسي النضالي، لأن كل واحد منهما مكمل للآخر، فما كان للثورة المسلحة

¹ - الشيخ عبد المالك رمضان، مدارك النظر، على الرابط <http://www.Tasfiatarbia.com/vb/showthread.php>

² - محمد القورصو، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الدور الثقافي و الدور السياسي، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005، ص5.

³ - نفس المرجع السابق، ص25.

أن تنجح دون أبعادها الثقافية و السياسية و الإيديولوجية، في ظروف جد صعبة قاهرة، عاشها الشعب الجزائري في فترة الاستعمار.

و لم يكن الاحتلال الفرنسي في غفلة عن كل ذلك الدور، بل كانت أعينُه السياسية منها و البوليسية و الفكرية و الإعلامية على مقربة من أعمال الجمعية منذ تأسيسها، بل و منذ اللحظات الأولى التي شهدت بدايات النهضة و انطلاق خطوات الإصلاح الجاد بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس و إخوانه العلماء الآخرين، و إن كانت تلك العيون الاستعمارية المتنوعة تبعاً لتخصص كل منها إلى أعمال الجمعية و تحركات رجالها من زوايا مختلفة، إلا أنّها كانت جميعها مقتنعة بخطورة المهمة التي تطلع بها جمعية العلماء، و أهمية الدور النهضوي الذي كانت تقوم به و خطر كل ذلك على الوجود الفرنسي في الجزائر.

و قد عبّرت عن ذلك الإجماع صحيفة "ليكو دو باري" الفرنسية، و نقلته صحيفة "البصائر"¹، لسان حال جمعية العلماء آنذاك، حيث جاء فيها: "إن الحركة التي يقوم بها العلماء المسلمون في الجزائر أكثر خطراً من جميع الحركات التي قامت إلى الآن، لأن العلماء المسلمين يرمون من وراء حركتهم هذه إلى هدفين كبيرين، الأول سياسي و الثاني ديني، فهم لا يسعون إلى إدماج الجزائر بفرنسا، بل يفتشون في القرآن نفسه عن مبادئ استقلالهم السياسي".

لم يكن هدف ابن باديس الخوض في المسائل السياسية البحتة، و لكن في الوضع المتردي الذي كانت تعيشه بلاده و الانتهاكات و المظالم التي كان يتعرض لها الشعب حيث فرضت عليه ذلك أن يدخل الميدان من مداخل مختلفة، و إن لم يصرح بذلك، و يخوض في بعض المسائل التي يراها جديرة بالمناقشة، و التي كان يحرص من خلال تناوله ذلك على إكساب المواطنين وعياً بحقوقهم، و بأشكال الظلم المسلط عليهم، و إدراكاً لحقيقة ما يجري في وطنهم، ليعرفوا - كنتيجة لذلك - ما يجب فعله.

لقد خاض ابن باديس منذ أن فرض على نفسه هذه المهمة معارك نضالية شديدة دفاعاً عن الكيان الجزائري، و قد انتهج في نضاله هذا أساليب متعددة إصلاحية و تربوية و سياسية فكانت مواجهاته السياسية ساخنة تظهر في الصدام مع الإدارة الفرنسية و عملائها، و في الدعوة إلى تحضير الرأي العام و تعبئة الجماهير للمطالبة بحقوقها، كما كانت تظهر في الاجتماعات التي تعقد للنظر في أوضاع الجزائر، و تحديد المطالب التي ترفع إلى السلطة الفرنسية، و في تقديم العرائض و الاحتجاجات، و في الردود الصحافية التي كان أساسها الدفاع عن الشخصية الجزائرية و كرامة المواطن التي أصبحت محل مساومة، و لم يكن ابن باديس في كل المجاهبات السالف ذكرها يخفي

¹-البصائر، العدد 61، بتاريخ 2 أبريل 1937.ص2.

أفكاره السياسية بل كان يعبر عنها بلهجة حادة أحياناً تنبئ عن شخصية قوية و جريئة، و ثقة عالية بالنفس و عن تفكير منسجم يظهر معه تفكير الخصوم ضعيفاً و تافهاً، و حتى الحكام لم يسلموا من نقده لهم و تسفيه أفكارهم، و التنديد بأساليب معاملتهم لأبناء البلد الذين استعانوا بهم في وقت الشدة و الحروب، و تعنيفهم على المماثلة في تنفيذ الوعود التي كانوا يلوحون بها. و من الأمور التي كانت تشكل الوجه السياسي و العمل الإصلاحي الذي أعطاه ابن باديس كل حياته نذكر ما يلي¹:

- 1- مجابهة الإدارة الفرنسية و الدخول في صراع معها.
- 2- الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي و المساهمة فيه.
- 3- دعوة النواب إلى مقاطعة المجالس النيابية.
- 4- محاورة لجنة البحث البرلمانية الفرنسية.
- 5- نداء إلى سكان قسنطينة لمقاطعة الاحتفالات القرنية لاحتلال المدينة.
- 6- موقفه السياسي من وعود حكومة فرنسا.
- 7- موقفه من إرسال برقية التضامن مع فرنسا ضد التهديد الألماني.
- 8- محاولة أخرى للتفاوض مع حكومة فرنسا.
- 9- تقديم العرائض والاحتجاجات.
- 10- الردود على التصريحات.
- 11- مقاومة سياسة الاندماج والتجنيس.
- 12- موقفه من مساومة الولاية العامة وإغراءاتها.
- 13- رأيه في الحرية والاستقلال.
- 14- استخلاص لأصول الولاية (الحكم) في الإسلام.
- 15- دوره في إخماد نار الفتنة بين اليهود و المسلمين صيف 1934.

و من أقوال ابن باديس عن الحرية والاستقلال و عن العلم والسياسة نذكر ما يلي:

يقول ابن باديس عن العلم والسياسة: "وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معاً، و قد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم، و الابتعاد عن مسالك السياسة مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة و العلم، و لا ينهض العلم و الدين حق فهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد"². و نجد للبشير الإبراهيمي رأياً أصيلاً في ممارسة العمل

¹ - إمام الجزائر، عبد القادر فوضيل و محمد صالح رمضان على الرابط www.Binbadis.net/Benbadis/lutte_penitencier.htm

² - مجلة المصادر، الجزائر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 13، السداسي الأول 2006، ص 131.

السياسي، إذ يعرف السياسة بقوله: " أعلى معاني السياسة هو تدبير الممالك بالقانون و بالنظام و إحاطة الشعوب بالإنصاف و الإحسان، فإذا نزلوا بها صارت إلى معنى التحايل على الضعيف ليؤكل، و قتل مقوماته ليهضم و الكيد للمستيقظ حتى ينام، و الهدهدة للنائم حتى لا يستيقظ"¹، و كل انحراف أو تحريف للسياسة عن هذا التصور يجعل من السياسة عبارة عن "أداة وأقاويل، لا يراد بها وجه الحق و لا مصلحة الوطن، و إنما يراد بها إرضاء النزاعات الحزبية المبينة على التحاسد فيما لا يتحاسد عليه العقلاء"². و يواصل الشيخ البشير الإبراهيمي عملية شرحه للسياسة التي تنتهجها جمعية العلماء حيث يقول: "إن جمعية العلماء لسياسة التربية لأنها الأصل، و بعض ساستنا يعملون لتربية السياسة، و لا يعملون أنها فرع لا يقوم إلا على أصله، و أي عاقل لا يدرك أن الأصول مقدمة على الفروع، و إن الاستعمار لأفقه و أقوى و أصدق حدساً، من هؤلاء حين يسمي أعمال جمعية العلماء سياسة، و ما هي بالسياسة في معناها المعروف و لا قريبة منه، و لكنه يسميها كذلك لأنه يعرف نتائجها و آثارها، و أنها اللباب و غيرها القشور، و يعرف أنها إيجاد لما أعدم و بناء لما هدم، و زرع لما قلع و تجديد لما أتلّف، و في كلمة واحدة، و هي تحد صارخ لأسلوبه، و أنها لنقطة اصطدام على الحقيقة بين نظر الجمعية و بين نظر الاستعمار، فلا الإسلام يسمح لنا أن نعمل غير ما عملناه، و لا الاستعمار يرضى عن ذلك العمل، و قد أجنبناه و انتهينا، و مضينا و ما انثنينا"³. و يعتبر الإبراهيمي: " أن جمعية العلماء فوق الأحزاب كلها، ما ظهر منها و ما بطن، و إن مبدأها أعلى من المبادئ كلها، ما استتر منها و ما علن، و لقد اتصلت بجميع الأحزاب في المصالح العامة، فأرثم بأقوالها و أعمالها أنها فوق الأحزاب، و قد احتكت بها جميع الأحزاب من خاطب لودها و جلالها، إلى رائم من نفوذها استغلالاً، إلى عامل على الكيد لها احتيالاً، فأرثم بمعاملاتها لجمعهم أنها فوق الأحزاب، و دعت الأحزاب إلى الصلح و الاتحاد، و جمعتهم للاشتراك في العمل، فكانت في ذلك فوق الأحزاب"⁴. وهكذا اختارت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أسلوب الدعوة الإسلامية و لكنها لم تكن غائبة في مضمونها العملي عن الفكر السياسي، ولكن تحت غطاء ديني .

المبحث الثالث: مكانة العمل الإعلامي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سبق ذكره، ص 39.

2- نفس المرجع، ص 41.

3- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، ج 3، مرجع سبق ذكره، ص 65.

4- نفس المرجع، ص 66.

ما إن قام دعاة وعلماء الإصلاح في الجزائر بمحملتهم الإصلاحية الشاملة مدة من الزمن حتى تنبهوا إلى الدور الخطير والمهم الذي يمكن أن تلعبه الصحافة في الخروج بالدعوة الإصلاحية التي شرعوا فيها من حدود المدن التي كانوا يمارسون فيها دعوتهم ، إلى مستوى جمهور الوطن الجزائري كله. فكانت الصحافة بحق من أمضى الأسلحة التي حاربت بها الحركة الإصلاحية خصومها ونشرت من خلالها أفكارها ، وبالرغم من التضحيات المادية الجسيمة التي قدمها أصحابها ، و ملاحقة القوانين الاستثنائية لهم ، بل بالرغم من تعرضهم أحيانا للتضييق والاعتقال ، لأنها كانت دائما في نظرهم : من أهم الوسائل في إرجاع الناس و ربطهم بدينهم الصحيح ، و من أهم الوسائل في إيقاظ المهتم وتحفيز النفوس لطرد المستعمر الفرنسي .

كما أنها كانت ملتقى للأفكار والآراء قيما يخص القضايا الكبرى التي تهم الحركة الإصلاحية و ساحة لتبادلها و خلق نشاط ثقافي و سياسي، و كانت بمثابة النادي الذي يجتمع فيه أعضاء الحزب أو الحركة لممارسة نشاطهم النقابي، حتى أن جل العلماء العاملين في الجمعية كانوا صحفيين قبل تأسيس جمعية العلماء و بقوا يمارسون العمل الإعلامي بعد تأسيسها و لم تطن جمعية العلماء المسلمين بغافلة عن أهمية هذا الجانب فعملت على تطوير لسان حالها، و عدم ترك نفسها بدون جريدة خاصة و أن المستعمر الفرنسي كثيرا ما كان يصادر و يوقف جرائدها و يقوم بتعطيلها، إلا أنها لم تقف موقف المتفرج بل كانت تسارع لإصدار عناوين جديدة تكون لسان حال أفكاره و رسالتها إلى الشعب الجزائري .

المطلب الأول: ظهور الصحافة الإصلاحية في الجزائر.

لقد كان من الرواد الصحفيين الذين كان لهم شأن في تاريخ الصحافة العربية في الجزائر "العربي فخار" الذي أسس جريدة "المصباح" التي أصدرها باللغتين العربية و الفرنسية، وكانت غاية هذه الجريدة فيما يبدو، محاولة التوفيق بين المجموعتين المتعايشتين في الجزائر يومئذٍ، الجزائريون و الأوروبيون¹.

و من أقوى الصحف الرائدة تأثيراً وقتذاك، جريدة "المغرب" الأسبوعية التي كانت تصدر باللغة العربية². و يضاف إلى هاتين الصحيفتين الوطنيتين صحف أخرى صدرت في مطلع القرن الماضي، منها: "الإسلام" للصادق دندان، و "الجزائر" لعُمر راسم ، و جريدتا "الفاروق" و "الحق"³. و لم تكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها، حتى قامت نهضة صحافية في الجزائر، فعرفت البلاد صدور صحيفتين عربيتين في سنة واحدة و هما: "الإقدام" للأمير خالد، و "النجاح" لعبد الحفيظ بن الهاشمي، و لا نكاد نتقدم طويلاً في الزمن حتى تبرز إلى الوجود صحف عربية كثيرة في

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص156.

2- نفس المرجع، ص157.

3- نفس المرجع، ص 157.

الجزائر، من أهمها على الإطلاق "المنتقد"، ثم الشهاب لابن باديس، و صحف أبي اليقظان الكثيرة التي ظلت تتساقط في عمر الزهر: من وادي ميزاب، و ميزاب، و المغرب، إلى الحق و النور . و نمضي إلى ثلاثينيات فتطالعنا صحف عربية كثيرة منها صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأربع: الثلاث الموقفة، و الرابعة البصائر و التي عمرت من سنة خمسة وثلاثين، إلى تسع و ثلاثين من القرن الماضي¹.

و يقترب عدد الصحف التي ظهرت خلال تلك الفترة من ثلاثين صحيفة من أهمها: الإقدام، و النجاح، صدى الصحراء، الجزائر، المنتقد، الشهاب، لسان الدين، البلاغ الجزائري و هذا بالإضافة إلى صحف أبي اليقظان الثماني، و صحف جمعية العلماء الأربع، و الإخلاص و الإصلاح و البرق، الوفاق و التلميذ و أبوا العجائب، و الليالي، و المغرب العربي، و الجحيم و المعيار. و تمتاز هذه الصحافة بفصاحة اللغة و نقاوتها، في الغالب كما تمتاز بجمال الأسلوب و حسن الإخراج، و الحرص على التبويب و الترتيب، و في هذه الفترة ازدهرت المقالة الصحفية ازدهاراً طيباً. كما نلاحظ أن أول جريدة يومية في تاريخ الصحافة العربية ظهرت خلال هذه الفترة و هي "النجاح" التي ابتدأت أسبوعية، ثم نصف أسبوعية، ثم يومية مطلع العقد الرابع من هذا القرن. و من أهم الصحف التي يمكن ذكرها ما يلي:

مجلة الجزائر: 1908.

تعد مجلة الجزائر من أوائل المحاولات التي بذلتها العناصر الإصلاحية الوطنية المخلصة في ميدان الصحافة، فإن صاحبها عمر راسم، المتأثر بمحمد عبده و صاحب الوطنية الثائرة، كان قد حاول قبل بروز مجلة "الجزائر" إصدار صحيفة عنوانها "الإصلاح" فوقفت دونه الحاجات المادية².

جريدة المسلم: 1909

أصدرها بمدينة قسنطينة الصحافي الفرنسي (دليس) الذي كان في أوساط محرري جريدة "لادبيش دي كونستانتين" "La Dépêche de Constantine".

جريدة الحق الوهراني: 1911-1912

و لقد صدرت هذه الجريدة الأسبوعية بمدينته وهران باللغة الفرنسية ثم أضافت ابتداء من شهر أبريل 1912 لصفحتها صفحة ثم صفحتين باللغة العربية. كان مدير الجريدة فرنسيا يدعى "تاي"، أعتنق الإسلام و أحلص له، حتى قيل عنه أنه كان متحمساً للإسلام أكثر من المسلمين

¹ - عبد الملك مرتاض، نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر، مجلة الثقافة، الجزائر، وزارة الإعلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، العدد 33، جوان-

جويلية 1976، ص 33.

2- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 1980، ص 32.

أنفسهم، و قد شجع اتجاه الصحيفة بعض الكتاب الجزائريين الوطنيين مثل عمر راسم، فراحوا يشاركون فيها بأقلامهم ثم كتم الاستعمار أنفاسها بعد أن صدر منها ستة و أربعون عدداً¹.

جريدة الإسلام: 1912-1913

عندما بدأ الشباب الجزائري يدخل الصحافة ليتخذ منها أداة للتعبير عن اتجاهاته السياسية كان من بين الصحف التي ظهرت في تلك الفترة جريدة "الإسلام"، التي أصدرها "الصادق دندان" وهو يعد من أشدهم حماساً للقضايا الوطنية، و من أقدرهم كتابة باللغة الفرنسية، ظهرت هذه الجريدة في الساحة الإعلامية الوطنية في أكتوبر 1910م، باللغة الفرنسية ثم صدرت نسخة باللغة العربية بداية من 26 جويلية 1912م².

جريدة الفاروق : 1913-1915.

تعد "الفاروق"، أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية و كانت إسلامية وطنية محضة، طالما اهتمت بقضايا المسلمين وحللت واقعهم المرير، أصدرها عمر بن قدور الجزائري في 18 فيفري 1913، توقفت بعد صدور 15 عدداً، و ذلك في سنة 1921م³.

جريدة ذو الفقار: 1913-1914.

بعد ثمانية أشهر من صدور "الفاروق" التي شارك عمر راسم في تأسيسها، أصدر هذا الأخير جريدة خاصة به تحت عنوان "ذو الفقار" و قد توارى عمر راسم خلف اسم مستعار هو "ابن منصور الصنهاجي"، و قد كان عمر راسم متشعباً بأفكار محمد عبده الإصلاحية إلى حد الافتتان.

و عرف المستعمر الفرنسي هذا الإحساس الوطني المتوثب فكتم أنفاس جريدته بعد صدور العدد الرابع منها متعللاً باندلاع الحرب العالمية الأولى، و دس لهذا الوطني من البوليس السري من استدرجه لمعرفة أفكاره تجاه فرنسا و هو ما كان سبباً في دخوله السجن الضيق⁴.

جريدة النجاح قسنطينة: 1919 - 1956.

تعد جريدة النجاح التي أصدرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي بمدينة قسنطينة في سنة 1919 أول محاولة لظهور صحافة عربية بعد الحرب العالمية الأولى، و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس مُساعداً في تأسيسها، مشاركاً في تحرير مقالاتها في أول العهد بها، و لكنه ما لبث و أن تخلى

¹ - محمد ناصر، نفس المرجع، ص35.

² - نفس المرجع، ص36.

³ - نفس المرجع، ص38.

⁴ - محمد ناصر، نفس المرجع السابق، ص42.

عنها لخلاف حول نهجها الإصلاحية فيما يبدو، وقد ظهرت أسبوعية في أول أمرها، و في سنة 1930 تحولت إلى جريدة يومية تطبع 5000 نسخة في اليوم، وهي تُعد الجريدة العربية اليومية الأولى التي ظهرت في القطر الجزائري قبل الاستقلال، ولكن النجاح لم تكن مثل غالب الصحف التي صدرت في العشرينيات والثلاثينيات، فهي صحيفة ذات مبدأ واضح، و اتجاه معين، إذ كانت تجعل المصلحة المادية و الرواج الجماهيري فوق كل اعتبار، حيث أصبحت تتميز عن غيرها بكثرة المراوغة و النفاق. و من هنا غضت السلطات الاستعمارية عنها الطرف، و أرخت لها الحبل فلم تضايقها مضايقتها للصحف الإصلاحية الأخرى فطال بقاؤها واستمر ظهورها من سنة 1919م حتى سنة 1939م حين توقفت بسبب الحرب، ثم عادت للظهور مرة أخرى في سنة 1945م لتستمر حتى سنة 1956م مجموعها سبع وخمسون سنة و هو رقم قياسي في عمر الصحف العربية الجزائرية¹.

جريدة الجزائر: 1925م

بعد صدور جريدة "المنتقد" بأسابيع قليلة، برزت إلى الوجود جريدة إصلاحية أخرى تحمل شعاراً جريئاً و هو "الجزائر للجزائريين" و جاء اسم الجريدة و هو "الجزائر" مكتوباً في وسط الهلال. و يقول محمد السعيد الزاهري مؤسسها و رئيس تحريرها، بأنه إنما أصدر لتكمل الرسالة الوطنية التي بدأها جريدة "الإقدام" للأمير خالد، و هي التي كتم الاستعمار أنفاسها في مارس 1923م²، و لعل الشيخ بن باديس كان يعلق في "الجزائر" آمالاً كبيرةً على نزعتها الوطنية تلك حين قال في تقريرها، الجزائر جريدة، سياسية، أدبية، دينية، أخلاقية، اجتماعية، جلا علينا العدد الأول منها فوجدنا بها مقالات بليغة، في متانة التعبير، و سمو الفكر، و نبالة المقصد. و ثقة ببلوغ الغاية و حدير بها إذا كان السعيد واضعها، أن يكون السعد طالعها"³، لكن أمام قوة المحتوى الإعلامي لهذه الجريدة، لم يصدر منها سوى ثلاث أعداد فقط⁴.

جريدة صدى الصحراء 1925-1926 ثم 1934م:

و هي "نشرة إسلامية، علمية، أدبية، اجتماعية، إصلاحية، وانتقادية، شعارها العمل على درء المفسدة قبل جلب المصلحة"، تعتبر هذه الجريدة الأسبوعية أول جريدة إصلاحية تصدرها بسكرة لمديرها و رئيس تحريرها أحمد بن العابد العقبي، و محمد العيد الشاعر، و كانت تطبع بمدينة

¹ - نفس المرجع ، ص 45.

² - نفس المرجع ، ص 55.

³ - المنتقد، العدد 5، بتاريخ 1925/07/30، ص 5.

⁴ - محمد ناصر، نفس المرجع، ص 58.

قسنطينة و من شعاراتها يتبين لنا أنها كانت تهدف إلى محاربة البدع، و التصدي للطريقة الضالة كما كانت غالب مقالاتها دعوة إلى إصلاح هذا الدين مما علق به من شعوذة و تضليل و سارت في الخط نفسه الذي سارت فيه جريدة الشهاب¹.

جريدة وادي ميزاب: 1926-1929م.

صدر العدد الأول من جريدة "وادي ميزاب" في الجزائر العاصمة في أول أكتوبر من سنة 1926م، و قد جاء في افتتاحية عددها الأول ما يلي: "جريدة وطنية إسلامية، باسم "وادي ميزاب" تصدر مرة في كل جمعة بعاصمة الجزائر، و هي وإن كانت لسان حال الأمة الميزابية إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموماً، و الجزائري خصوصاً"².

المطلب الثاني: العمل الصحفي يجمع شمل العلماء الإصلاحيين.

يقول ابن باديس متحدثاً عن منهجه العملي هذا: "مضينا على مار سمناه من خطة و صمدنا إلى ما قصدناه من غاية و قضيناها عشر سنوات في الدرس لم نخلط به غيره من عمل آخر، فلما كملت العشر أو ظهر بحمد الله نتيجتها رأينا واجباً علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإصلاح الخالص العلم الصحيح، إلى الكتاب والسنة و هدي السلف الأمة و طرح البدع و الضلالات و مفسد العادات، فكان لزاماً أن نؤسس لدعواتنا صحافة تبلغها للناس فكان المنتقد و كان الشهاب و نهض كتاب القطر و مفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام و فتحوا بكتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعيناً عمياناً و آذاناً صماً و قلوباً غلفاً"³.

قال ابن باديس عند تأسيس جمعية العلماء: "إنها فكرة قديمة دعا إليها الكتاب في الصحف العربية الجزائرية و تداولها المفكرون في المحافل الخاصة و العامة، و كتب فيها كتاب "الشهاب" عدة مقالات و بقيت بحاجة إلى رجل أو رجال ذوي إرادة وإقدام يخرجونها من القول إلى الفعل حتى قيض الله هؤلاء الفضلاء (أعضاء اللجنة التأسيسية) فكان فضل العمل مدخرا لهم كما كان فضل التفكير و القول لكل من فكر في الموضوع"⁴.

ملاً أبناء الجزائر قلوبهم حبا لعبد الحميد بن باديس لا لكونه عالماً، ولا مريباً، ولا سياسياً ولا مصلحاً، فما أكثر المصلحين و ما أكثر الساسة، كان ابن باديس صحفياً ممتازاً، و أستاذاً للصحفيين بدون منازع، و الجانب الصحفي يظهر في مجالات مختلفة من حياته⁵.

¹ - نفس المرجع، ص 62.

² - نفس المرجع، ص 65.

³ - محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، البعث، 1984، ص 84.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 1، مرجع سبق ذكره، ص 73.

⁵ - محمد يحيى الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، مصر، دار الشروق، 1999، ص 53.

لقد كان ابن باديس شغوفاً بقراءة الصحف و المجلات العربية "كالمنار" للإمام رشيد رضا و "مجلة الفتح" لمحّب الدين الخطيب، و "جريدة المؤيد" و "اللواء" و مختلف الجرائد الفرنسية¹، مثل "لاديبيش دو كونستونتين" و "لوتون". وعن هذه الصحف الأخيرة يقول ابن باديس "لا ننكر أننا مع المعجبين بالصحافة الفرنسية الكبرى، و ما لها من بديع نظام، و مهرة أقلام، و جرأة وإقدام"² و كان على يقين بالدور الفعّال الذي تمارسه الصحافة في توعية الجماهير و التأثير في أصحاب القرار، و هذا ما جعله يؤسس مطبعة و يصدر جرائد لتحقيق هذه الأهداف و دعم نشاطه التربوي خارج المسجد.

ففي 1925م أصدر العدد الأول لصحيفة "المنتقد". في فترة كان فيها نوع من الفراغ الصحافي، خاصة بعد اختفاء صحيفة "الصديق" سنة 1922م لعمر قدور الجزائري و محمد باكر و كذلك توقف جريدة "الإقدام" في أفريل من سنة 1923م، الأمر الذي حفز ابن باديس، في تأسيس الصحيفة الإصلاحية، و هذا حتى لا يترك المجال الإصلاحي الوطني يتأثر بالفراغ الإعلامي و السياسي³. و بعد إصدار هذه الجريدة تم إنشاء "المطبعة الجزائرية الإسلامية" بقسنطينة كأداة عملية للنشر، لأن دخول المعركة الإصلاحية ثم في خضم سياق استعماري حاد اقتضى اللجوء إلى هذا الأسلوب العملي⁴.

و كان شعارها "الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء". و في العدد الثاني الصادر في 9 يوليو 1925م، أكد من جديد على استقلالية الجريدة و شرح فلسفتها التي تعتمد على الوفاء للوطن و المرأة في بيان الحق "إننا لسنا لإنسان، و لا على إنسان، و إنما نخدم الحق و الوطن و نكرر القول : إن "المنتقد" لا يباع و لا يشتري". و أصبحت هذه الصحيفة منبراً لتوجيه و توعية الجزائريين و قناة لنقد الوضع الاستعماري المفروض على الجزائر و صوتاً لمناصرة القضايا الكبرى للمسلمين في فترة العشرينيات كثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي و مساندة الشعب الليبي. أوقفت السلطة الاستعمارية صحيفة المنتقد بعد ظهور 18 عدداً، فكان مصيرها كالعروة الوثقى التي أنشأها جمال الدين الأفغاني، و محمد عبده، و أوقفتها السلطات الفرنسية و البريطانية بعد صدور العدد الثامن عشر⁵.

¹ - عمار الطالبي. ابن باديس. حياته وآثاره. ج1، مرجع سبق ذكره، ص 92.

² - الشهاب، ج12، مج 11، مارس 1936م، 143.

³ - عبد الحميد ساحل، أصول الدعوة الإصلاحية، الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 2001، ص 223.

⁴ - نفس المرجع، ص 227.

⁵ - عبد الحميد ساحل، نفس المرجع، ص 227.

بعدها أصدر الإمام عبد الحميد بن باديس جريدة أسبوعية سَمَّاهَا "الشهاب" ثم حوَّلها إلى مجلة شهرية تحتوي افتتاحية، و مقالات، و فتاوى، و قصصاً، و أخباراً، و طرائف، و تراجم و عرضاً للكتب، و الصحف العربية، و الأجنبية، و تنشر مقالات للكتاب و الشعراء العرب من مصر و لبنان و تونس و المغرب، و في السنوات الأولى كتب ابن باديس معظم المقالات و قام بتصميمها و كان يوزعها بنفسه، و كان مثله كمثل أبي الأعلى المودودي صاحب مجلة ترجمان القرآن في بداية مشواره الدعوي.

كانت لهذه المجلة شهرة واسعة في العالم الإسلامي، و شهد بفضلها كبار العلماء و المصلحين. إذ كتب أيضاً في السياق نفسه المفكر السوري الدكتور محمد المبارك في مجلة المجمع العلمي الدمشقية أنه كان يطالع في شبابه في الثلاثينيات مجلة الشهاب الجزائرية التي تصل إلى دمشق مع مجموعة من أصدقائه الطلبة "بلهفة شديدة". و عن تأثيرها في المغرب، يقول الشيخ محمد غازي أحد علماء فاس "مجلة الشهاب الغراء خدمت الإسلام و المسلمين عموماً و الإصلاح و المصلحين خصوصاً، تلك الجريدة التي كان الشمال الإفريقي متعطشاً لمثلها منذ زمان"¹.

فرض الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه على عالم الصحافة في فترة العشرينيات و الثلاثينيات و صار رائداً من رواد الصحافة العربية الحديثة و أرسى "دعائمها على أسس متينة من الإيمان بالمبدأ و الوطنية و التقاليد الصحافية العالية"².

علماء صحفيون:

من بين رجال الجمعية اللذين قاموا بعملية الترويج لدعاية الجمعية الصحفية عبد الحميد بن باديس الذي كان يعمل باسم مستعار هو الصنهاجي بمقالاته الكثيرة، و خاصة مقاله المشهور "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان"، و الورتلاني "الفتى القبائلي" و "الفتى الزواوي" باعزيز عمر هذا بالإضافة إلى أحمد توفيق المدني، الذي كان يكتب في الشهاب حيث يقول: "صلت و جلست في الشهاب صولات عميقة، و جولات عريقة، ما يزيد عن العشرة أعوام، منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري، و ما كنت أكتب في الشهاب إخبارياً، و إنما كنت أكتب توجيهاً، فما ذكرت قضية من قضايا العالم، و ما أشدت بكفاح شعب يحاول فك الأغلال و كسر القيود، إلا و كنت أفكر في الجزائر، أقول لها من طرف خفي، إياك أعني فاسمعي يا جارة"³.

¹ - الشهاب ، العدد 86، بتاريخ 3 مارس 1927م ،ص1.

² - رابح تركي. الشيخ عبد الحميد بن باديس. فلسفته و جهوده في التربية و التعليم، مرجع سبق ذكره ، ص 185.

³ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات، ج2، مرجع سبق ذكره ،ص275.

* يعتبر الشيخ أحمد بوشمال بمثابة المساعد الأمين للشيخ عبد الحميد بن باديس في حركته الإصلاحية (1913 - 1940)، و أمين سره، إلى جانب ذلك فهو مدير

مطبعة الشهاب المسماة المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة..

لقد ظهر الحس الصحفي القوي لدى علماء الجمعية من خلال مساهمتهم الكبيرة في محتويات جرائد الحركة الإصلاحية في الجزائر و منها جريدة البصائر، فقد استطاعت أن تستقطب أهم الأعلام الجزائرية و أكبرها شأنًا، و أرضنها تفكيرًا، و أجملها إبداعًا، و ذلك مثل محمد البشير الإبراهيمي، العربي التبسي، محمد خير الدين، أحمد رضا حوحو، أحمد بن ذياب، حمزة بوكوشة، فرحات بن الدراجي، علي مرحوم، محمد المنصوري الغسيري، أبي يعلى الزواوي، محمد بوزوزو، أحمد توفيق المدني، عبد الوهاب بن منصور، محمد العيد آل خليفة، عبد الكريم العقون، أحمد سحنون، الربيع بوشامة، باعزيز عمر، أبي بكر الأغواطي، إسماعيل محمد العربي، جلول البدوي، عبد الله كنون، علال الفاسي، أحمد حماني، عبد الرحمن شيبان، احمد بن عاشور الحفناوي هالي، محمد الصالح رمضان، حسن حموتن، عمر شكيري، أبي الحسن اللمتوني، أبي القاسم سعد الله محمد الأخضر السائحي (الكبير) ¹. و يمكن ذكر أهم أعمدة صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

الطيب العقبي: أصدر الشيخ "الطيب العقبي" جريدة الإصلاح نصف الشهرية، كان الحرر يطبعها في تونس ثم يقوم بنقلها إلى الجزائر وواجهته في ذلك عديد العراقيل. يقول العقبي عن جريدة المنتقد: "إن الجرائد في العصور الأخيرة هي مبدأ نهضة الشعوب و العامل القوي في رقيها و الحبل المتين، في اتصال أبنائها و الصحافة هي المدرس السيار، و الواعظ البليغ و الخطيب المصقع، و هي سلاح الضعيف ضد القوي و نصره من لا ناصر له، و الصحافة إذا قامت بواجباتها هي التي تأخذ الحق و تُعطيه، نعم للصحافة واجب تتوخاه و تبتغيه، و محور حُق لها أن لا تدور إلا عليه، شرطها الأساسي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و مجانبة الأطماع و محاربة الأهواء و الابتداع و أن يكون همها في سير طريق الإصلاح. و هذه مجموعة المقالات التي كتبها العقبي في الجرائد الوطنية و نقدم مايلي: "جريدة المنتقد في الكتاب": المنتقد العدد الخامس بتاريخ 30 جويلية 1925، "الدين و الاجتماع" المنتقد العدد السادس بتاريخ 6 أوت 1925م، "حول الرق -الانتقاد العفيف-"، "قضية جريدة المنتقد و الصحف العربية" المنتقد العدد 13 بتاريخ 24 سبتمبر 1925م، "لبيك يا حزب الإصلاح لبيك" الشهاب العدد السادس بتاريخ 17 ديسمبر 1925م، "جمعية التآمر بقتل العلماء و الفتك بهم"، الشهاب العدد ثمانون لتاريخ 20 جانفي 1927 م، "الصحافة و من هم رجالها" البرق العدد الثاني بتاريخ 14 مارس 1927، "يقول و أقول البرق" العدد السابع عشر بتاريخ 4 جويلية 1927م، "سيل البدع الجارف" الإصلاح العدد الثاني بتاريخ 5 سبتمبر 1929م، "هل في حاجة إلى الإصلاح" ، السنة العدد الثالث بتاريخ 24 أبريل 1933، "ألا فليعيش المصلحون" السنة العدد السادس بتاريخ 15 ماي 1933م "نحن و الطرقيون" الشريعة العدد السادس بتاريخ 12 أوت 1933م ، " و زهق الباطل" البصائر العدد الأول بتاريخ 27 ديسمبر 1935، "كارثة فلسطين" البصائر العدد ثمانية و سبعون بتاريخ 13 أوت 1937م، "من

¹ - عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1930 - 1962): رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري، ج1، الجزائر ، دار هومة ، ص

صور حياة الجزائر يوم مشهود في الملعب البلدي" الأمة العدد خمسة وثمانون بتاريخ 11 أوت 1936م
"الشيخ العقبي يتكلم" الوفاق العدد الثاني والعشرون بتاريخ 23 فيفري 1939م¹.

الأمين العمودي: كانت بداية نشاطه في مجال الدعوة تركز على إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري من خلال الصحافة، حيث كان ينشر مقالاته في جريدة الإقدام التي كان يصدرها الأمير خالد، ثم بجريدة المنتقد التي كان يصدرها ابن باديس، و جريدة الإصلاح التي كان يصدرها الطيب العقبي، و في سنة 1934م قرر العمودي أن يصدر جريدة باللغة الفرنسية اسمها - La Défense - الدفاع، حتى يستطيع أن يشرح أهداف و مقاصد الجمعية للذين لا يفهمون العربية، و قد كان لهذه الجريدة صدى كبير في جميع الأوساط الجزائرية، فكان العمودي يدافع عن مبادئ الجمعية، و يتهجم على أعداء الجمعية ويندد بقانون الأهالي و بتصرفات بعض السلطات الاستعمارية².

أبو يعلى الزواوي: هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي من قبيلة آيت سيدي محمد الحاج الساكنة في إغيل زكري من ناحية عزازقة بمنطقة القبائل الكبرى أو زواوة، و ينسب إلى الأشراف الأدارسة، ولد حوالي عام 1279هـ الموافق لـ 1862م، درس أولا في قرينته فحفظ القرآن الكريم وأتقنه رسماً و تجويداً و هو ابن اثني عشرة سنة، والتحق بزواوية الأيلولي و منها تخرج، و أبرز شيوخه الذين استفاد منهم والده محمد الشريف و الحاج أحمد أجديد والشيخ محمد السعيد بن زكري -مفتي الجزائر - و الشيخ محمد بن بلقاسم البوحليلي.
دخل في هذا السلك عندما كان مقيماً في الشام، فكتب في جريدة المقتبس التي كانت تصدر بدمشق، و في جريدة البرهان التي كانت تصدر بطرابلس الشام، و في جريدة المؤيد المصرية و ثمرات العقول البيروتية و المجلة السلفية بمصر، و عندما رجع إلى الجزائر استمر في نشر بحوثه و آرائه في الصحف، فنشر في جريدة النجاح مدة ثم في مجلة الشهاب لابن باديس و في جريدة الإصلاح للطيب العقبي التي قلما خلا عدد من أعدادها من كتاباته، كما نشر في كل جرائد الجمعية بعد تأسيسها، بل و كتب أول الأمر حتى في جريدة البلاغ الطرقية مما أثار عليه نقمة بعض إخوانه.

و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع أن المقالات التي أمضاها الفتى الزواوي ليست للشيخ أبي يعلى كما قد يتوهم البعض، و إنما هذا الفتى هو «باعزيز بن عمر» و هو أحد تلاميذ الشيخ ابن باديس، و قد توفي سنة 1977م عن عمر يناهز 71 سنة³.

¹ - كمال عجال وآخرون، آثار الشيخ الطيب العقبي، باتنة، جامعة العقيد الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005، ص3.

² - أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر، جامعة الجزائر، 1995، ص3902-391.

³ - www.Manareldjazair.com/index.php?option=com

و عند عودته إلى الجزائر سنة 1924م بقي بنفس الهمة العالية الروح الأبية يكتب و ينتقد و يكافح و ينافح بقلمه السيال و فكره الجوال ، فكتب في صحيفة "صدى الصحراء" التي كانت تصدر بسكرة على غرار زملائه كالطيب العقي و الشاعر محمد العيد و محمد الأمين العمودي وقد دامت حوالي سنة ثم تفرقت شمل أصحابها لأسباب مختلفة رغم أهميتها ، كما شارك أبو يعلى في جريدة "الثمرة الأولى" التي يصدرها طلبة الجزائر في تونس¹.

أبو اليقظان : بدأ الحس الصحافي يتكون عند أبي اليقظان منذ صباه، فقد آنس من نفسه ميلاً لا يقاوم لقراءة الجرائد و المجلات العربية الوافدة عليه من هنا و هناك، يتتبع ما تنشره من ألوان المعرفة، و ضروب الثقافة، و يتابع بنهم حريص ما تقدمه من أخبار الوطن العربي و التطورات السريعة التي كان يمر بها العالم وقتذاك، فقد كان للظروف السياسية التي عاشها الوطن العربي الإسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى أثراً عميقاً في إذكاء هذه الرغبة في نفسه.

و على الرغم من انعزال مسقط رأسه (القرارة) التابعة لولاية غرداية و الموجودة في أقصى الجنوب بعيداً عن مراكز المدنية و العمران وقتذاك، فإن هذا لم يمنعه من أن تصل يده إلى الصحف التونسية، و المشرقية حيث كان يتابع على صفحاتها بحرص شديد مجريات الأحداث المهولة التي كانت الأوطان الإسلامية تمر بها.

فكان يستفز الغيرة الإسلامية و يحركها بين جنبيه ما يقرأه عن وحشية الغزاة الايطاليين في "طرابلس"، و ما تركته جيوشهم على أرضها من ضروب الفتك و الإبادة كما كان يأسى متألماً لما تتعرض له بلاد "البلقان" من حروب دامية من طرف أعدائها الغربيين، بحيث تقلصت من جرائدها دولة الخلافة وأصبحت بالوهن و الشيخوخة، و راح الحس الصحافي يتكون و ينمو عنده، و تطلعت نفسه الطموح إلى تحرير بعض الصحف و حوالي سنة (1913م) حرر بيده صحيفة كاملة أسماها "قوت الأرواح" تعبيراً عن هذا الميل القوي الذي يسميه هو "ميلاً فطرياً غريزياً" و رداً على صديقه "العنق" الذي كان هو الآخر قد أهداه صحيفة حررها بيده تحت عنوان "الرحيق المختوم"².

كما أصدر الشاعر و الأستاذ الكبير بل أحد أعمدة الصحافة الإصلاحية في الجزائر أبو اليقظان مجموعة من الجرائد عطلتها الإدارة الفرنسية كلها الواحدة بعد الأخرى ، أولها " وادي ميزاب " حيث كانت البداية لجهاد مرير دام ثلاثة عشر سنة أصدر خلالها ثماني جرائد أسقطت واحدة تلو الأخرى لحرارة لهجتها ، و جرأة معالجتها لمختلف القضايا ، و هي كالتالي:

(وادي ميزاب) 119 عدداً، من 1926/10/01 إلى 1929/01/18م.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سبق ذكره، ص 275.

² - محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة، على الرابط، www.Aboulyakdan.com/dr_naser.htm

(ميزاب) عدد واحد، 1930/01/25م.

(المغرب) 38 عددا، من 1930/05/29 إلى 1931/03/09م.

(النور) 78 عددا، من 1931/09/15 إلى 1933/05/02م.

(البستان) 10 أعداد، من 1933/04/27 إلى 1933/07/13م.

(النيراس) 6 أعداد، من 1933/07/21 إلى 1933/08/22م.

(الأمة) 170 عددا، من 1933/09/08 إلى 1938/06/06م.

(الفرقان) 6 أعداد، من 1938/07/08 إلى 1938/08/03م.

أحمد رضا حوحو: يعتبر أحمد رضا حوحو شهيد الكلمة الجزائرية و من رواد الكلمة الشجاعة التي كانت تغتال آنذاك لكونها دعوة إلى ثورة الشعب و يقظة الجماهير، و قد عُرف عن رضا حوحو الجرأة و الصراحة و الدعوة إلى التمسك بالشخصية الوطنية في الوقت الذي عمل فيه المستعمر على فرض اللغة الفرنسية على الساحة الجزائرية.

و كما هو معروف، فإن البيئة المحيطة بالأديب تساعده على النبوغ و العكس صحيح حيث ولد الأديب أحمد رضا حوحو عام 1911م بالقرب من الزيبان الشرقي بسكرة في قرية سيدي عقبة مثنوى الفاتح العربي عقبة ابن نافع، رضي الله عنه، و قد اشتهر بالانتساب لهذه القرية شخصيات كبيرة كان لها أثر في تاريخ الجزائر قديماً و حديثاً، و نذكر منها الطيب الأنطالي الشهير بعلي العقبي أحد الرواد الأوائل في الطب الجراحي الجزائري، و الطيب العقبي أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أدخل أحمد رضا حوحو إلى الكُتّاب و هو في سن مبكرة شأنه شأن كل الجزائريين، و لما بلغ سن السادسة التحق بالمدرسة الابتدائية، ثم أرسله والده إلى سكيكدة بعد النجاح في الابتدائية ليكمل دراسته في الأهلية وذلك عام 1928م، و لم يتمكن من متابعة تعليمه الثانوي نتيجة السياسة الفرنسية التي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم، ليعود "حوحو" إلى الجنوب و يشتغل في البريد، و هذا ما زاده معرفة بأسرار الحياة، فكان يلاحظ الفرق البارز بين بيئتين مختلفتين: بيئة صحراوية قروية و أخرى حضرية¹.

و في سنة 1934م تزوج أحمد رضا حوحو، و بعد ذلك بسنة هاجر رفقة أفراد أسرته إلى الحجاز و ما أن استقر به المقام بالمدينة المنورة حتى التحق بكلية الشريعة لإتمام دراسته و تخرج

¹ - لمياء قاسمي، أدباء شهداء، على الرابط، http://www.fustat.com/bibliography/gasmi_1_07

منها سنة 1938 م متحصلاً على أعلى الدرجات، و ذلك ما أهَّله إلى أن يعيَّن معيداً بالكلية نفسها، و بعد عامين استقال من منصبه و انتقل إلى مكة المكرمة، و هناك اشتغل موظفاً في مصلحة البرق و الهاتف بالقسم الدولي، و استمر في هذه الوظيفة إلى أن عاد إلى الجزائر سنة 1946م بعد وفاة والديه، و قد انضم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصبح عضواً فعالاً فيها، فعُيِّن مديراً لمدرسة «التربية والتعليم» التي كان الشيخ ابن باديس قد أسسها بنفسه، و بقي فيها ما يقارب سنتين، ثم انتُدب لإدارة مدرسة «التهذيب» بمدينة «شاطودان»، و التي تبعد عن مدينة قسنطينة بحوالي خمسين كيلومتراً و لم يمكث فيها إلا مدة قصيرة ليعود مجدداً لقسنطينة ليشغل منصب الكاتب العام لمعهد ابن باديس.

و في عام 1949م أسس مع جماعة من أصدقائه جريدة "الشعلة"، و تولى رئاسة تحريرها و أصدر خمسين عدداً منها، و كانت قاسية في مخاطبة المعارضين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و قد جاء في افتتاحية العدد الأول منها أنها «ستكون سهاماً في صدور أعدائك و قبلة متفجرة في حشد المتكالبين عليك».

و إلى جانب اشتغاله بالإدارة و الصحافة، فقد أنشأ "ححو" في خريف 1949م جمعية المزهر القسنطيني للموسيقى و المسرح و الكتب و اقتبس لها العديد من المسرحيات، كما كانت له ترجمات للأدب الفرنسي، دون أن تغفل جانباً مهماً في نشاطه الفكري و يتمثل في القصص القصيرة حيث يعتبر «أحمد رضا ححو» رائد القصة القصيرة الجزائرية، فله بعض القصص، نذكر منها: «يأفل نجم الأدب»، و «ابن الوادي»، و «الأديب الأخير»، و «غادة أم القرى»، و «مع حمار الحكيم».

و بعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية ظل «ححو» يمارس عمله بمعهد ابن باديس و لكن ذلك لم يمنع شكوك رجال الشرطة الفرنسيين الذين اعتقلوه في أوائل 1956 م و هددوه بالإعدام باعتباره مسؤولاً عن كل حادث يحصل في المدينة، و في 29 مارس 1956م اغتيل محافظ الشرطة بقسنطينة و اعتقل ححو بسجن الكدية، و منه حوّل إلى جبل الوحش المشرف على مدينة قسنطينة و تم إعدامه هناك. و من ثم يعتبر «أحمد رضا ححو» شهيد النضال، شهيد الكلمة و الوطن، حين حمل أمانة الثورة بنوعيتها الاجتماعية و السياسية، و خط لأدب جزائري خاص. و بهذا الصدد يقول الأستاذ عبد الرحمان شيبان: «يمتاز أدب الأستاذ ححو بطابع الخفة و الصدق و الانتقاد، فإنك لا تكاد تقرأ له فصلاً من فصوله أو قصة من قصصه أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك هذا الثالوث الجميل و تبعث من نفسه الحقيقة الصادقة النافذة، فهو خفيف في كلامه، خفيف في حركته و سكونه وهو يعالج من الشؤون بكل صدق».

الأستاذ مبارك الملي:

يقول معاصروه بأن الإمضاء الأول الذي اصطنعه تخفى خلفه في السنوات الأولى و هو يشارك في تحرير مقالات "المنتقد" ثم "الشهاب" كان باسم (البيضاوي)¹.

فقد جاء في العدد 84 أي بعد توليه رئاسة التحرير: "و إن من أهم الخطط وأعم الوسائل لتحقيق الغايات و نشر الدعوات: إنشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيدا الأقوال، و سديد النظريات، و تدخل بها على الطالب في مسكنه، و على المواطن في مسكنه، و على التاجر في متجره، و على الصانع في مصنعه، و على المأ في ناديهم و على المسافرين في مراكزهم، بل لا يجلبها عن الفتيات خفر و لا حرس، و ما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها، و تبشر بها، و تدافع دونها"².

و من جهته خاطب مبارك الملي الأمة الجزائرية قائلاً: "فأيتها الأمة الجزائرية أرجعي إلى دينك ولغتك فلن تسعدي إلا به، و لن تسعدي به إلا بأحكام لغته، و من حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها، فقد عرض وحدتها للانحلال و جسمها للتلاشي، و من عرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه"³.

و هكذا ساهم الشيخ مبارك الملي بقلمه السيل في الحياة الصحفية في الجزائر في عهده، فأظهر نشاطاً بارزاً فيها، وكان أحد أبرز الطاقات التي قامت عليها الصحافة الإصلاحية بصفة خاصة؛ إذ كان من أول المحررين في «المنتقد» و «الشهاب» منذ أيامهما الأولى ثم في «السنة» و«البصائر» التي تولى إدارة تحريرها بعد تخلي الشيخ الطيب العقبي عنها سنة 1935. فقد تولى إدارتها فأحسن الإدارة، و أجال قلمه البليغ في ميادينها فما قصر عن شأن، ولا كبا دون غاية⁴.

كانت كتابات الملي الصحفية تصدر بإمضائه الصريح تارة، و باسم «البيضاوي» تارة أخرى، كما كان يكتب بغير إمضاء أو بأسماء مستعارة تارة أخرى حسب الظروف المحيطة بالحدث أو الموضوع الذي كان يتناوله⁵، و قد نالت مساهماته الصحفية إعجاب الكثيرين من أهل العلم و الاختصاص، حيث وصف بعضهم عمله الصحفي بأنه كان مملوءاً قوةً و حركةً و نشاطاً، و أنّ أسلوبه الكتابي كان قوياً في التعبير و الانسجام مع دلالة أفكاره على كفاية واضحة و تضلّع و وفرة مادة.

و كانت كتاباته تدور في معظمها حول قضية عصره، ألا و هي الإصلاح الديني و الاجتماعي، فكان يصوّب سهامه تجاه قلاع الاستعمار من خلال الهجوم على الخرافات التي

¹ - أحمد ذياب، الأستاذ مبارك الملي والصحافة، مجلة الأصالة، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية، أفريل 1979، العدد، 68-69، ص 98.

² - نفس المرجع، ص 99.

³ - المنتقد، العدد 10، 10 سبتمبر 1925، ص 1.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سبق ذكره، ص 575.

⁵ - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة، دار البعث، 1984، مجلد 2، ص 15.

علقت بأذهان الناس وسلوكياتهم، و بكشف أباطيل اعتقاداتهم في أدياء التدين من شيوخ التصوف الموالين للاحتلال، وكان ما كتبه في "البصائر" تحت عنوان "الشرك ومظاهره" في حلقات عديدة أبرز دليل على ذلك الخط الذي رسمه لنفسه في هذا المجال. وقد تم جمع تلك الحلقات فيما بعد ونشرت في كتاب يطلب من بعض أصدقائه وقرائه سنة 1937 م تحت عنوان "رسالة الشرك ومظاهره".

و بكلمة موجزة يمكن القول أن دستور الأستاذ مبارك في مسؤولية الجريدة إدارةً وتحريراً و تجاوباً مع القراء قد بسط بسطاً عاماً شاملاً في افتتاحية العدد الأول من الذي صدر بعد انتقال الإدارة إليه، وفيه ظهر جلياً مقدرة الرجل الصحفية، و مخططه البارِع، و غايته النبيلة¹.

أحمد سحنون:

هو الأب الروحي للحركة الإسلامية في الجزائر بدون منازع، ولد في مدينة "اليشانة" بالزاب الغربي ولاية بسكرة سنة 1907م حيث تلقى تعليمه الأول على يد والده، فحفظ كتاب الله عز وجل عن ظهر قلب في زاوية "طولقة" المشهورة و عمره لا يتجاوز إثني عشر سنة، و أتقن الكثير من الفنون الدينية، كاللغة، و القوافي، و الحديث و الفقه المالكي، جالس الشيخ محمد بن خير الدين، و تأثر بالعلامة ابن باديس رائد الإصلاح الديني وأخذ عليه الكثير، و اشتهر عن الشيخ إطلاع الواسع و حبه للكتب و اقتنائها، حيث كانت اهتمامات الشيخ في بداية مشواره العلمي والشرعي، بالأدب و الشعر و القصة و النقد، و برز في الشعر إلى مستوى التفوق و الامتياز و استغل هذه الموهبة بتوظيفها في دعوته الإصلاحية إلى الإسلام الحقيقي البعيد عن البدع و الخرافات و التقاليد البالية، وكان من العناصر الفعالة في الحركة الإصلاحية بعد انضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإبان الاستعمار الفرنسي اشتغل مديراً لمدرسة "التهذيب الحرة" بالجزائر العاصمة بحج "بولوغين" سنة 1931م.

كان الشيخ أحمد سحنون من الكتاب البارزين في صحيفة البصائر، يترجم المقالات الفكرية، فالشيخ يتقن اللغة الفرنسية جيداً، و عند اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، التحق الشيخ أحمد سحنون بها دون تردد، بل عرف عنه حماسه الكبير و بغضه الشديد للمحتل الفرنسي، و عمل على تخريض الناس على الجهاد و التمرد على فرنسا، مستغلاً بذلك وظيفته الرئيسية في إمامة الناس و تعليم القرآن و ترشيد الناس، و اعتمداً على مكانته في نفوس

¹ - أحمد ذياب، مرجع سبق ذكره، ص 101.

المواطنين الذين كانوا يترددون على دروسه بمسجد بولوغين، وحبهم له لشجاعته وصلاحه وخلقه و علمه.

وفي 24 ماي من سنة 1956م ألقى عليه القبض، و حكم عليه بالإعدام و قضى مدة ثلاث سنوات بين السجن و المعتقل في انتظار تنفيذ حكم الإعدام، إلا أن قدر الله له الخروج من السجن لأسباب صحية سنة 1959م بعد تسخير الله عز وجل لبعض الأشخاص الذين تمكنوا من تهريبه من العاصمة إلى سطيف حيث مكث فيها برهة من الزمن محتفياً، غير أنه عاد من جديد إلى نشاطه و نضاله إلى غاية انتزاع الجزائر لاستقلالها في الخامس من جويلية 1962م، و لا يفوتنا أن نذكر أن الشيخ أحمد سحنون عندما كان داخل السجن و ظف كل وقته في الكتابة و نظم الشعر، كما كان يتابع بشكل دقيق و منتظم ما كان يصدر من سيد قطب الذي كان مسجوناً هو أيضاً في تلك الفترة بالسجن الحربي في عهد الرئيس جمال عبد الناصر و خاصة تفسيره المتميز "في ظلال القرآن"، و كانت له كلمة مشهورة في هذا الشأن: "كان الظلال يخرج من السجن في مصر و يدخل السجن في الجزائر"¹.

و هناك كتاب آخر بعنوان "دراسات و توجيهات إسلامية" جمع فيه الشيخ أحمد سحنون مقالاته التوجيهية التي كان يكتبها في جريدة "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و يرجع الفضل في كتابة هذه الفصول و جمعها إلى فضيلة العلامة البشير الإبراهيمي و قد كتب الشيخ أحمد سحنون في الإهداء من هذا الكتاب بأن: "من الإنصاف أن أسجل أن صاحب الفضل في كتابة هذه الفصول هو أستاذنا الإمام محمد البشير الإبراهيمي، فهو الذي عهد إلي بأن أطلع بمهمة تحرير القسم الديني من "البصائر"، و نفخ في روح الثقة بالنفس حين أسند إلي هذه الأمانة العظمى و رأي أهلا لهذه المهمة الشاقة التي تهيئها كثير ممن سبقني إلى هذا الميدان، و شجعتني برسائله القيمة التي كان يكتبها إلي من مصر معجبا بهذه الفصول مثنيا عليها، أذكر من هذه العبارة وأنا أحجل: "إن ما تكتبه في البصائر هو حلية البصائر"².

و لم تكن مسيرة العلماء الصحفية و الإصلاحية خالية من الصعوبات و الضغوطات الفرنسية فلم تكد تدخل سنة 1933م حتى بادرت الإدارة الأهلية بإصدار منشورين ضد نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ففي السادس عشر و الثامن عشر من شهر فبراير من السنة المذكورة وقع السيد ميشال المنشورين المذكورين، حيث كان يشغل مهمة الشؤون الأهلية

¹ - يوسف شلي، وفاة الشيخ أحمد سحنون الزعيم الروحي للتيار الإسلامي في الجزائر: الرجل الذي تحلى عنه الجميع، على الرابط

<http://www.Alasr.ws/index.cfm?method=home30> avril 2008

² - أنظر الرابط التالي، <http://www.Alasr.ws/index.cfm?method=home30> avril 2008.

و الكاتب العام لولاية الجزائر العامة، و المنشوران عبارة عن تعليمات إدارية موجهة إلى رجال الأمن و الإدارة الفرنسية في شتى النواحي بمراقبة العلماء و التضييق عليهم و منعهم من أداء مهمتهم الدينية و من تعليم اللغة العربية بدعوى أنهم يثون المبادئ الوهابية و المذهب الشيوعي، و أنهم يقومون بأعمال مضادة للوجود الفرنسي في قفاز الدول الأجنبية¹.

و نص المنشور على أن الإدارة الفرنسية قد علمت أن السكان الجزائريين قد انزعجوا من الدعاية التي يقوم بها أنصار الحركة الوهابية، و من الحجاج الجزائريين الذين يثون أفكار الجامعة الإسلامية، و من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين تربطهم علاقات مع حزب الدستور التونسي، و رغم أن الدعاية المذكورة تهدف في ظاهرها إلى نشر المبادئ الوهابية بين الجزائريين ضد استغلال الطريقة و المرابطين للأهالي، فإنها في الواقع ترمي إلى هدف سياسي و هو الإضرار بالوجود الفرنسي، و وصل المنشور إلى المقصود بالذات فقال السيد ميشال: " أن هذا الوضع يقتضينا اليقظة التامة، لأنه لا يمكن التسامح مع هذا النشاط المعادي الذي يحمل في ظاهره الطابع الثقافي بينما يخفي وجهه السياسي"².

و من أجل محاصرة المذهب الوهابي دعا السيد ميشال كل من يعينهم الأمر إلى ملازمة اليقظة و الانتباه لمراقبة جميع الاجتماعات و المحاضرات التي تنظمها جمعية العلماء تحت زعامة ابن باديس والعقبي، و العمل على إبعاد المدارس القرآنية عن نشاط هذه الجمعية، أن هذه الجمعية تقوم في نظره، بدعاية شبيهة بدعاية الشيوعيين، وكلاهما يهدف إلى التشكيك في الولاء لفرنسا، و هذا يستلزم رقابة دائمة لنشاطهم و لا سيما في المدن الصغيرة والقرى، و يجب عدم التردد في كتابة محضر لكل اجتماع من هذا القبيل و لا سيما ذلك الذي يأخذ طابعا تحريياً مضاداً لفرنسا، و قد طلب ميشال من معاونيه أن يوافوه بكل التفاصيل عما يقومون به.

إضافة إلى ما سلف ذكره، فقد طلب "ميشال" من الجميع منع العلماء من دروس الوعظ في المساجد "الرسمية" و هي التي تشرف عليها الإدارة مباشرة، و منعهم أيضاً من فتح المدارس الحرة و من تعليم اللغة العربية، و مصادرة الصحافة العربية التابعة للجمعية.

و بناء على ذلك قامت السلطات المحلية الفرنسية بحملة واسعة ضد العلماء فأوقفت صحفهم مثل "السنة"، "الشرعية"، و"الصراط"، و أغلقت مدارسهم في العديد من المدن، و عرضت

¹ - النص الكامل للمنشور في "إفريقية الفرنسية"، أبريل 1933، ص 240. نقلا عن أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سبق ذكره، ص

أساتذهم للتغريم وحتى للسجن، و اعتبرت الصحافة العربية في الجزائر صحافة أجنبية* (لا تتمتع بقانون حرية الصحافة المعمول به في فرنسا) و منعت زعماء الحركة من القيام بدروس الوعظ و الإرشاد في المساجد وأصبحت اجتماعاتها مراقبة و أشخاصها عرضة للاضطهاد، و سمعتها مجالا للدعاية السيئة، بالإضافة إلى أن الإدارة قد أطلقت على الجمعية ألسنة أتباعها في المجالس المحلية و الجمعيات الطرقية، و الصحافة المضادة لهم، و حتى السنة خريجي المدارس الفرنسية و دعاة التجنس بالجنسية الفرنسية¹.

المطلب الثالث: وسائل الإعلام عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لقد أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور الصحافة المتميز في نشر مبادئها و أفكارها و الدفاع عنها، حيث أشار الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقاله الافتتاحي الذي كتبه في جريدة المنتقد، بأنها جلبت حولها العلماء قائلًا: "إن عالم الصحافة، عالم عظيم"، و أن دخوله إليه كان شعورًا بالمسؤولية الملقاة على العلماء لهذا سعت جمعية العلماء إلى أن تكون لها دائماً صحيفة ناطقة باسمها.

لذلك استعملت جمعية العلماء المسلمين الصحافة لتكون همزة وصل بين قادة الأمة و جماهير الشعب في المدن و الأرياف الجزائرية فقد كانت الصحافة الوسيلة الأساسية للجمعية في نشر قوانينها و لوائحها الخاصة بشعبها، و معاهدها و التعريف بمبادئها و أهدافها، و وجهة نظر بحيث أصبحت تلك الدوريات سجلاً حافلاً بأعمال جمعية العلماء و كذا مختلف التشكيلات السياسية و المنظمات الوطنية و يأتي في مقدمة هذه الدوريات، صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين². بالإضافة جريدة المنتقد و جريدة الشهاب التي أصدرهما عبد الحميد بن باديس و الجرائد الخاصة بالعلماء و التي كانت تعبر عنهم ، أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عدة جرائد لتكون لسان حالها وهي :

1- جريدة السيرة النبوية:

تعتبر هذه الجريدة أول جريدة تُصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون اللسان الرسمي الناطق باسمها، و ذلك بعد النجاح الساحق الذي حققته في الأوساط الإسلامية الجزائرية ظهر العدد الأول من هذه الجريدة بمدينة قسنطينة حيث كانت تطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية³.

*- تطبيق فعلي للمادة 14 من قانون حرية الصحافة الفرنسي لسنة 1881، التي تعتبر الصحف العربية صحافة أجنبية.

¹- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 23.

²- عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1983.

³- محمد ناصر، مرجع سبق ذكره، ص 130.

و تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع، ظهر أول عدد من هذه الصحيفة بتاريخ واحد ذي الحجة سنة 1351هـ الموافق للأول من شهر مارس من عام 1933، و يتكون شعارها من الآية القرآنية التالية: ﴿و لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾، و من الحديث الشريف: «من رغب عن سنتي فليس مني». إن هذا الشعار القرآني النبوي، يُشير بوضوح إلى الخطة التي اختطتها الجريدة، وإلى الغاية التي أخذت على عاتقها أن تدأب لتحقيقها، وسبيلها إلى ذلك تحري العمل بالكتاب والسنة و الدعوة إليهما، و نبذ ما سواهما مما يخالفهما، و لقد أصدرت الجمعية "صحيفة السنة" تحت إشراف رئيسها الأستاذ ابن باديس و أسندت رئاسته تحريرها إلى أستاذين من أبرز أعضائها في الميدان الصحفي هما¹: **العقيبي والزاهري**، كما هو مثبت في أعلى صفحتها الأولى.

و نحسب أن الدافع الحقيقي لإبراز هذه الجريدة، هو الوقوف أمام النشاط المعادي "للعلماء" الذي بدأت تطبّقه "جمعية علماء السنة" المنشقة عن الجمعية منذ سبتمبر 1932، وليس أدل على نيتها هذه اتخاذها اسماً لها "السنة النبوية" و هو تعريض واضح، لمن أطلقوا على أنفسهم "علماء السنة" و هم يسرون في ركاب المستعمر و هو يدل على الغاية التي من أجلها أسست هذه الحركة الإصلاحية، منذ بروز المنتقد في سنة 1925 و هي نشر الدين الإسلامي صحيحاً من كل الخرافات والأباطيل التي علقت به في أعقاب الطرقية المبتدعة².

و قد كتب الافتتاحية رئيس الجمعية تحت عنوان يتجزأ إلى جزئين:

الأول: كتب بعد البسملة بحروف صغيرة و نصه: من مؤسسي السنة إلى قرائها.

الثاني: كتب بحروف كبيرة على عرض الصفحة، و يتركب من هذه الكلمات: «بواعثنا عملنا، خطتنا، غايتنا...» و استهلها الأستاذ الرئيس بقوله: "رأينا كما يرى كل مُبصر ما نحن عليه -معشر المسلمين- من انحطاط في الخلق، و فساد في العقيدة، و جمود في الفكر، و قعود عن العمل، و انحلال في الوحدة، و تعاكس في الوجهة، و افتراق في السير، حتى خارت النفوس و فُتّرت العزائم المُتقدّة، و ماتت الهِمَم الوثابة، و دُفنت الآمال في صدور الرجال، رأينا هذا كله كما رآه المسلمون كلهم، و ذُقنا منهم الأمرين مثلهم".

و بعد أن يُحلل الشيخ الرئيس شعار "السنة" تحليلاً علمياً دقيقاً، مُؤكداً صحة العزم على أن تكون بواعث العمل، و خطته نحو تحقيق الغاية المنشودة مُستمدتين من هذا الشعار، وهو الاهتداء بمهدي الكتاب و السنة قولاً و عملاً، و الاستنارة بنورهما في السير نحو الأهداف، يُواصل قائلاً: " و في هذا وحده ما يرفع أخلاقنا من وهدة الانحطاط، و يُطهر عقيدتنا من الزيغ و الفساد

¹ - علي مرحوم، نظرة على الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، عدد 44، 1978، ص11.

² - محمد ناصر، مرجع سبق ذكره، ص131.

و يبعثُ عقولنا على النظر والتفكير، ويدفعنا إلى كل عمل صالح ويربط وحدثنا برباط الأخوة واليقين، ويسير بنا في طريق واحد مُوحد مُستقيم ويوجهنا وجهة متحدة في الحق والخير، و يُحيي منا النفوس و الهمم و العزائم و يثير كوامن الآمال، ويرفع عنا الإصر و الأغلال".

و قبل أن يأتي إلى ختام موضوع الافتتاحية، التي ألم فيها الكاتب إماماً منطقيًا، بمنهج الجريدة و أهدافها التي تتوخى بلوغها، يُقدمها إلى الأمة بقوله: " و ها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها، على هذا القصد و على هذه النية"¹.

و في نطاق التصميم البارع الذي صمّمته افتتاحية العدد الأول، باتت هذه الصحيفة منبراً حُرّاً، تعاقب عليه كتاب أحرار، يتمثل في كتاباتهم البيان العربي الأصيل، و الأسلوب الأدبي الرفيع و الفكر الإسلامي الراقي، الداعي إلى فهم الحياة على ضوء التعاليم والآداب الإسلامية، المناوئة لكل جمود و جحود، و هذا ما لا يُرضي بحال سلطات الاستعمار الفرنسي و أذنابه، الذين ما كانوا يريدون أو يتمنون لأبناء الأمة إلا أن يبقوا دوماً في حماة الآفات و الأمراض الاجتماعية و الخلقية التي أتت على تعدادها افتتاحية الجريدة آنفاً.

و لهذا سرعان ما سقطت هذه الصحيفة المأسوف على حياتها، تحت ضربات الاستعمار و عطلت بمقتضى قرار من وزير الداخلية، و لم يبرز منها سوى ثلاثة عشر عدداً، صدر آخرها بتاريخ 10 ربيع الأول 1352هـ الموافق لـ 3 جويلية 1933م².

و لم يفد الطلب الذي قدمه صاحب امتيازها السيد بوشمال إلى "محكمة الدولة" مبيناً فيه أن "السنة" جريدة دينية بعيدة عن السياسة كل البعد بل أنه رفض اعتباراً بأن جريدة "السنة" جريدة عربية، و من هنا فإن لوزير الداخلية الحق في تعطيلها دون مُحَاكَمَة³.

2- جريدة الشريعة:

تصدرها الجمعية تحت إشراف رئيسها الأستاذ عبد الحميد بن باديس، يرأس تحريرها الأستاذان العقبي و الزاهري، و صاحب الامتياز أحمد بوشمال⁴. تلك هي الصحيفة الثانية التي أصدرتها الجمعية بعد تعطيل السنة، و لم يطرأ أي تبديل أو تغيير على هذه دون تلك، لا في الشكل ولا في المضمون، بل أن هذه قد اعتنقت نفس المبدأ و التزمت نفس الخطة و الغاية، ولكن الآية

¹-علي مرحوم، نظرة على الصحافة العربية الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 12.

²- نفس المرجع، ص 13.

³-محمد ناصر، مرجع سبق ذكره، ص 132.

⁴- نفس المرجع، ص 150.

القرآنية قد استبدلت بما يتلاءم مع الاسم الجديد، و صارت كما يلي: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ صدر العدد الأول من الجريدة بتاريخ 24 ربيع الأول 1352هـ الموافق لـ 17 جويلية 1933م أي بعد نحو أسبوعين فقط من تعطيل سابقتها و قام بكتابة افتتاحية أول أعدادها رئيس الجمعية بعنوان تعطيل "السنة" و إصدار "الشريعة"¹، و من الملفت للنظر حقاً، هو ذلك الأسلوب الذي كُتبت به الافتتاحية، و قد أظهر فيها كاتبها نوعاً من التعلق بالجمهورية الفرنسية، و قد يكون في هذا الموقف مناورة سياسية يهدف من ورائها إلى ضرب المتربصين بالجمعية، بعد أن حققوا بعض من مراميهم حين صدور قرار منع "العلماء" من الوعظ والإرشاد في المساجد، و تعطيل جريدتهم و لسان حالهم بموجب قانوني².

و مما جاء في افتتاحية الشريعة مايلي: "و بعد فما ينقم علينا الناقمون؟ أينتمون منا بتأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب و ترقيته و رفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا و مدنيته، و تربيتها للشعوب و تثقيفها، فإذا كان هذا ما ينتقمون منا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا، و قد دلوا على رجعية فيهم، و جهود لا يتناسبان مع المبادئ الجمهورية و لا مع حالة هذا العصر³، و في مستهلها قال: "رُوِعَت الأمة بنبأ تعطيل جريدة السنة بقرار من وزير الداخلية، و تقاطرت على إدارتها رسائل الاستياء و التعجب و لم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة، دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء المسلمين عن عملها الديني التهذيبي، الذي ذقت الأمة حلاوته، و شاهدت جميل أثره".

و بعد أن يُمضي الكاتب في التنديد الشديد بالموظفين الفرنسيين، الذين ما انفكوا يسعون للحيلولة دون حصول الأمة على أقل الحقوق، بعد ما قامت بجميع الواجبات، يخاطبهم بهذه الكلمات الصريحة قائلاً لهم⁴: "انظروا شيئاً إلى ما حولكم من الأمم، و تأملوا في ما تنادي به الشعوب، و ما تعلنه من مطالب، فإنكم إذا أنظرتهم و تأملتم حمدتم لهذه الجزائر الفتية نهضتها الهادئة و قصرها لطلبها على أن تعطي جميع حقوقها، كما قامت الحرب لا أحوالكم تنظرون و تتأملون فإن الأثرة المستولية على النفوس حجابٌ كثيف يحول دون رؤية الحقائق كما هي، و يحول حتى دون رؤية مصلحة فرنسا نفسها، و إني لأفهم من مناهضتكم العجيبة للجمعية -وهي جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة- أنكم لا تريدون من الجزائر إلا أن تبقى جامدة لا تتحرك، و أن لا تتمتع

¹-علي مرحوم، مرجع سبق ذكره، ص13.

²- محمد ناصر، مرجع سبق ذكره، ص150.

³- نفس المرجع، ص 151.

⁴- علي مرحوم، نفس المرجع، ص13.

و يحتم الشيخ مقاله الافتتاحي بقوله المؤكد و الدال على العزم و التصميم: "كونوا كما تشاءون أيها السادة و ضنوا بنا كما تشاءون، فإننا على بصيرة من أمرنا، و يقينا من استقامة خطنا، و نبل غايتنا". و يضيف قائلاً: "و على غايتنا النبيلة هذه، و هي تثقيف الشعب الجزائري، و رفع مستواه العقلي و الخلقى و العلمي، أسست جمعية العلماء المسلمين و أنشأت جريدة السنة المعطلة، و أنشأنا اليوم بدلها جريدة الشريعة المطهرة، و ستقوم بإنشاء الله مقامها، و تحل في القلوب محلها، و الله المستعان و هو حسبنا و نعم الوكيل".

و إذا كانت صحيفة الشريعة لا تعدو صورة طبقة الأصل لسالفتها "السنة" حساً و معنى و محتوى ولا يوجد أي فارق بينها في غير الاسم وحده، فالأقلام الكاتبة، و الروح السائدة و الصرامة الشديدة في تناول الأوضاع الشاذة و الأعراض المرضية في المجتمع الجزائري، فالشريعة لا تختلف عما كانت عليه في السنة، و لذلك فإنه لا مفر من أن يكون مصير الصحيفتين واحداً على يد الاستعمار الغاشم، و هذا أمر معروف بدهاءة، و لهذا فما كاد يبرز العدد السابع من الشريعة حتى صدر ضدها قرار تعطيلها مثل أختها و ذلك بتاريخ سبعة جمادى الأولى سنة 1352هـ الموافق لـ 28 أوت 1933م، و هو تاريخ عددها الأخير،¹ و أحسب أن جريدة "الشريعة" كانت تحمل قرار التعطيل في افتتاحيتها نفسها بعد أن صرحت بأنها لن تكون سوى امتداداً طبيعياً "للسنة" المعطلة.²

3- جريدة الصراط السوي:

و هذه هي الصحيفة الثالثة التي أصدرتها الجمعية بعد تعطيل الأولى و الثانية، و ظهر عددها الأول بتاريخ 21 جمادى الأولى 1352هـ الموافق لـ 11 سبتمبر 1933م، و مع أن شعار هذه لم يتغير من شعار سابقتيها، فقد حملت شعاراً جديداً يفيد معنى التنديد و الوعيد و يتجلى ذلك في الآية القرآنية: ﴿قُلْ كُلُّ مَتْرَبٍ فَنَتْرَبُوهَا، فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مِنْ أِهْتَدَى﴾. كما أننا نلاحظ أن صاحب امتياز هذه الجريدة أصبح هو السيد "أحمد بوشمال" المناضل الشهيد، الذي سبق له أن عمل مع ابن باديس في جريدة المنتقد، كما ارتبط اسم هذا المناضل بصحف ابن باديس و الحركة الإصلاحية منذ بدايتها سنة 1925م "المنتقد، الشهاب و السنة الشريعة، الصراط"³.

¹ - علي مرحوم، نفس المرجع، ص 14

² - محمد ناصر، نفس المرجع، ص 153.

³ - نفس المرجع، ص 181.

و من هنا نعلم أيضا أن الصحف الثلاث كانت تصدر بقسنطينة، و تطبع في دار المطبعة الإسلامية الجزائرية، و قد حمل أول عدد من الصراط السوي تصريحات للوالي العام الفرنسي على الجزائر يومئذ، في شأن موقفه من جمعية العلماء يحاول فيها أن يتملص من مسؤولية العراقييل، التي ما فتئت توضع في طريقها، و تعيق مشاريعها، و بعدها يأتي تعليق الصراط عليها، و نتعرف من خلال الأسلوب أن هذا التعليق الذي وضع النقاط على الحروف إنما هو من كتابة رئيس جمعية العلماء و يقول فيه: "كنا و مازلنا على ثقة من أمرنا و يقين من نبل غايتنا، و استقامة طريقتنا، فيما أسست له جمعية العلماء، من نشر العلم و الفضيلة، و محاربة الجهل و الرذيلة، كما كنا على ثقة تامة بأن في ممثلي فرنسا من لا تخفى عليهم هذه الحقيقة الناصعة التي برهنا عليها - معشر رجال الجمعية- بأقوالنا و أعمالنا، في جميع مواقفنا و بثبوتنا على سلوكنا العلمي الهادئ الرصين، رغم ما لاقيناه في السر و العلن من معاكسات لنا في القيام بواجبنا، و محاولات لصرفنا عن مشروعنا الجليل" و لا يخفى هذا التعليق التناقض الواضح بين تصريحات الوالي العام و بين تعطيل الصحيفتين - السنة و الشريعة - بقرارات إدارية فرنسية حائرة.

و الحقيقة التي يتتبع بإمعان أعداد هذه الصحف الثلاث، التي لم يمتد عمرهن أكثر من عشرة أشهر، سيجد فيها ولا شك الدعائم القوية و الأسس المتينة التي قام عليها بناء صرح النهضة العلمية والأدبية والفكرية، و الاجتماعية و الوطنية للجزائر الفتية، كل ذلك في أسلوب بديع، و لغة بليغة مشرقة و حجج منطقية سليمة¹، لا يتطرق إليها الضعف، و لا يأتيها الوهن أو الخلل من بين يديها أو من خلفها، وقد تجلّى كل ذلك في مقالات كبار الكتاب وقصائد الشعراء الأمر الذي أدى إلى الوعي والإدراك في نفوس المواطنين، وحققت التطور والحيوية في أساليب النشر والشعر بصفة تكاد تكون شاملة، و أخيراً سقطت هذه الصحيفة في المعركة غير المتكافئة بينها وبين الاستعمار و انتهت حياتها بقرار استعماري، مثلما انتهت حياة سالفتيها بعد صدور عددها السابع عشر المؤرخ في 22 رمضان 1352 هـ الموافق لـ 8 جانفي 1934م، و كان لقرار تعطيل "الصراط السوي" صفة استثنائية تمنع الجمعية بموجبها من إصدار أية صحيفة أخرى و بأية صفة كانت و هكذا حرم عليها أن تعبر عن آرائها، و تنشر أفكارها، لأن الاستعمار الفرنسي كان و لا يزال يحشى حرية الفكر و التعبير، و الجهر بكلمة الحق أكثر مما يحشى أي شيء آخر، ذلك لأن كلمة الحق تستطيع أن تخترق الحدود و تكسر القيود و تعمل عملها في الأفكار و العقول النيرة الواعية.

¹ - علي مرحوم، نفس المرجع، ص 15.

وكانت الضربة الاستعمارية هذه المرة أشد قسوة من سابقتها تدل على نوايا السلطة الحاكمة وما تحمله من حقد ضد الجمعية ورجالها، فقد عبرت عن هذه النوايا من خلال ما جاء في قرار تعطيل "الصراط" كمايلي: "إن هذا الإجراء سيُتخذ ضد كل الصحف الحاملة لهذه التزعة، أينما وجدت من التراب الجزائري، مهما يكن صاحب امتيازها، و مهما تكن المطبعة التي تسحب فيها"¹.

و دام تحجير إصدار أي جريدة على الجمعية مدة سنتين، ثم جاء نصر الله و الفتح بعد مساع حثيثة، و صدر الإذن لها بإصدار صحيفتها بعد رحيل "ميرانت"* بلا رجعة عن الولاية العامة، لأن هذا الفرنسي الموغل في العنصرية كان عدواً لدوداً للجمعية، و هو الذي سعى في عرقلة صحفها الثلاث الآنفة الذكر عن أداء رسالتها العلمية الإصلاحية إلى الأمة المتعطشة للعلم و الإصلاح².

حيث عاشت الجمعية عامين بلا صحافة، حتى ظهرت جريدة "البصائر" الأسبوعية وكان يديرها و يشرف على تحريرها "الطيب العقبي" و "السعيد الزاهري"، أمّا صاحب الامتياز فكان الشيخ "محمد خير الدين"، وكان أول أعدادها بتاريخ غرة شوال 1354هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1935م³، و قد استمرت سلسلتها الأولى خمس سنوات، لتبدأ السلسلة الثانية بعد الحرب العالمية الثانية 1947-1956م، و سيتم تناول هذه الصحيفة بالتفصيل في الفصل التطبيقي من الدراسة، كونها موضوع التحليل.

كما يمكننا الحديث كذلك بعض الجرائد القريبة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و التي صدرت دفاعاً عنها :

جريدة الشباب المسلم:

استطاعت الجمعية بفضل الله تعالى و بفضل نشاط أعضائها أن تستخلص في مرحلتها الأولى أغلبية الشعب الجزائري من بين محالب الطرقية البدعية، و أن تنقذ تلك الأغلبية من سيطرة ذلك الفكر الميت، كما يقول المرحوم مالك بن نبي، و كانت فئة قليلة من الجزائريين قد أنالها الاستعمار الفرنسي نصيباً من ثقافته، فوقع في ما هو أدهى و هو الاستلاب، فأنكرت أصلها و تنكرت لنفسها و صارت مذبذبة لا هي فرنسية و لا هي مسلمة عربية فرأت جمعية العلماء في مرحلتها الثانية⁴، أن

¹ - محمد ناصر، نفس المرجع، ص 181.

* - مدير الشؤون الأهلية يومئذ بالولاية العامة.

² - علي مرحوم، مرجع سبق ذكره، ص 16.

³ - محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 297.

⁴ - محمد الهادي الحسني، مجلة الموافقات، الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، ع 4 السنة الرابعة، 1996. ص 580.

تولي تلك الفئة التي أضلها الاستعمار اهتماماً أكبر و رعاية أوفر، وبما أن الاستعمار قد حال بين تلك الفئة و بين لسان قومها، فقد قررت الجمعية أن تنشئ جريدة باللغة الفرنسية، تنقل بواسطتها إلى تلك الفئة الحقائق التي حرمها منها الاستعمار الفرنسي في الدين الحضارة و التاريخ، فتقتل تلك الفئة، فأنشأت جريدة "الشباب المسلم" في 6 جوان 1952م و قد استقطبت تلك الجريدة ثلثة من الأعلام الممتازة، وأصحاب الأفكار القيمة، ومنهم المفكر الكبير، مالك بن نبي، و الدكتور عبد العزيز الخالدي، و المؤرخ شريف ساحلي، و المناضل، عمار أوزقان¹.

يقول أحمد طالب الإبراهيمي: " بدأت في التفكير جدياً في رد الفعل وخلصت إلى نتيجة وهي أن أفضل طريقة للدفاع هي إنشاء جريدة باللغة الفرنسية تكون بالمقابل وسيلة للتأصيل و من ثمة وسيلة للتحرر و عرضت المشروع على الشخصيات الثلاث التي كانت تدير جمعية العلماء في غياب والدي (العربي التبسي و محمد خير الدين و أحمد توفيق المدني) فوافقوا عليه، وهكذا صدر العدد الأول من le Jeune Musulman في 06 جوان 1952م التي انضم إليها فيما بعد شخصيات مثل مالك بن نبي و عبد العزيز خالدي و الهاشمي التيجاني و إسلام مدني"².

جريدة الجحيم: 1933م.

كان من جراء رد الفعل الذي أحدثته جريدة "المعيار"* المهاجمة لجمعية العلماء، و أعضاء إدارتها بطريقة بذئية أن أصدرت جماعة من الشباب الإصلاحية جريدة "الجحيم" لترد على جريدة المعيار بأسلوب مثل أسلوبها، و بطريقة مثل طريقتها، ففي الثلاثين من شهر مارس 1933 برز العدد الأول منها، وكان يطبع بطريقة سرية في مدينة قسنطينة ثم يرسل في أكياس إلى العاصمة حيث يتولى الشباب الإصلاحية توزيعه.

شعارها "العصا لمن عصى" تشرف على تحريرها هيئة من شبان الزبانية، و تتنفس كل يوم الخميس من كل أسبوع، و الواقع أن الذين كانوا يجرون فصولها، و يقومون على إصدارها طائفة من الشباب الإصلاحية المتحمس نذكر من بينهم، محمد السعيد الزاهري و هو أكثرهم تحريراً لفصولها، و عباسة الأخضرية، و محمد الأمين العمودي، و مفدي زكريا و كان صاحب امتيازها جوكلاري محمد الشريف المعروف بترعته الإصلاحية³.

¹ - نفس المرجع السابق، ص 581.

² - <http://www.Elmokhtar.net/modules.php?name=News&file>

* المعيار: 1932-1933، جريدة جمعية علماء السنة، كان محتواها موجه ضد جمعية العلماء المسلمين.

³ - محمد ناصر، مرجع سبق ذكره، ص 133.

أمام الأثر الذي تركته جريدة "الجحيم" و بسعي من أصحاب "المعيار" فيما يبدو سارعت السلطة الاستعمارية التي كانت تساند "المعيار" إلى حجز العدد السابع من الجحيم المعروض للبيع و عطلت صدورها بقرار من وزارة الداخلية³ مارس 1933 م، في حين تركت الحرية لجريدة "المعيار"¹.

لقد لعبت الصحافة الوطنية دوراً هاماً في حركة التحرر الوطني في كل من آسيا وإفريقيا و ترتبط نشأة الصحافة في العالم الثالث بنمو النخبة الوطنية أو الطلائع التي تصدرت لقيادة الحركات الوطنية و التي تبلور نشاطها في شكل تجمعات أو تنظيمات حزبية، و لم يكن صدور الصحف الوطنية في قارتي آسيا وأفريقيا مجرد رد فعل لمواجهة السيطرة الاستعمارية فحسب بل كان أيضاً بمثابة تجسيد لاكتمال الحركات الوطنية من الناحية التنظيمية و قدرتها على مواجهة السلطات الاستعمارية بأجهزتها السياسية و الإعلامية، و لا شك أن القوانين و القيود التي فرضتها السلطات الاستعمارية على الصحافة مضافاً إليها سيطرة الأوربيين على الصحف التي صدرت في معظم دول العالم الثالث قبل الاستقلال أقنعت الزعامات الوطنية بضرورة نشوء صحافة وطنية تعبر عن طموحات و آلام و مشاكل الشعوب في هذه الدول، خصوصاً و أن الصحافة الاستعمارية استخدمت كوسيلة لتكريس الاغتراب النفسي و الفكري لدى النخبة الوطنية، إذ كانت تذكر طوال كالوقت بدورهم الهامشي في بلادهم أو ترسخ في أذهانهم استحالة تحقيق الاستقلال².

و يلاحظ أن الصحافة الوطنية في دول آسيا وأفريقيا لم تنشق من تراث الصحافة الاستعمارية الأم، بل انبثقت من الواقع النضالي للشعوب الأفريقية و لذلك اتخذت طابعاً دعائياً معادياً للاستعمار³. و من أبرز ما تميزت به الصحافة العربية أنها كانت سابقة على نشأة الأحزاب في العالم العربي، و يمكن القول أن الصحف كانت نواة للأحزاب، و مثال ذلك مصر التي شهدت ظهور الأحزاب كتجسيد و بلورة لأفكار و اتجاهات بعض الصحف الوطنية التي كانت قائمة من قبل. فقد ظهر حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية كتعبير عن صحيفة المؤيد، و تزعمه الشيخ علي يوسف الذي كان يرأس تحرير هذه الصحيفة، و الحزب الوطني الذي ظهر لتجسيد أفكار أراء جريدة اللواء التي كان يرأس تحريرها الزعيم المصري مصطفى كامل، كما أن حزب الأمة كان يعبر عن صحيفة "الجريدة" و كان رئيس تحريرها لطفي السيد هو سكرتيره العام⁴.

¹ - نفس المرجع، ص 134.

² - عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية، الكويت، عالم المعرفة، 1984، ص 15.

³ - نفس المرجع، ص 16.

⁴ - نفس المرجع السابق، ص 87.

إن الصحافة التي اشتغل فيها العلماء قبل 1931 أي قبل تأسيس الجمعية كانت منبرا للعلماء لإطلاق هذا الحزب الإصلاحي ، و المخبر الذي التقى فيه مجموعة من خيرة أبناء الجزائري الذين هم العلماء، و الذين مارسوا العمل الصحفي النخبوي فجمعتهم الصحافة و العمل الإعلامي و هنا يبرز دور الإعلام الحقيقي في إعطاء دفع قوي للعمل الإصلاحي ، و إعطائه العلماء فرصة إسماع صوته إلى أكبر قدر ممكن من الناس بعد أن ظل لقرون طويلة، النشاط الدعوي الإصلاحي حبيس جدران المسجد أو القاعة التي يُلقى فيها الدرس، إعلام إصلاحي وتوعية دينية مباشرة و قريبة من أفراد الشعب تتناول همومه اليومية ومشاكله بل و تبحث لها عن حلول، ليجمع كل الشعب الجزائري في مختلف ربوع الوطن، فكان للعلماء تلاميذ يبعثون عنهم مئات الكيلومترات، و أتباعهم في كل مكان، وكانت صفحات هذه الجريدة المكان الذي يلتقي فيه العلماء و يتبادلون فيه الأحاديث و الدروس كان ذلك كفيلا لتحضير الشعب الجزائري لاستقبال المولد الجديد الذي هو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

كما انه ساعد العلماء في الاقتراب من بعضهم البعض، وتبادل الآراء والأطروحات الإصلاحية محاولين إيجاد إطار قانوني ومؤسسي للعمل الدعوي الإصلاحي، لتجمعهم جمعية العلماء بعد أن كانت الصحافة هي جمعيتهم سنين طويلة.

الفصل الثاني

مسطار الجهاد التربوي و السياسي لجمعية العلماء المظلّمين

الجزائريين.

تمهيد:

لقد كان العلماء ثوريون من حيث الأهداف، أما في الوسائل فلا يستخدمون إلا به عقلية الاستعمار. ولهذا انصرفت الجمعية في نشاطها الدعوي إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة مؤمنة بقضيتها الدينية والوطنية، عن طريق الاهتمام بالمدارس والتدريس الديني والعام، مدركةً حاجة السياسة والقتال إلى سبيل مختلف في التعبئة وبناء الكادر لذلك خصت مسألة التربية والتكوين باعتبار مميز وكأن له شديد التعويل عليها في بناء جيل الرسالة الدينية والوطنية.

لقد كانت غاية التربية عند رجال الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، المنضويين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تهدف إلى تكوين جيل قائد في الجزائر، أما كيفية تعليم هذا الجيل القائد فيشرحها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفقرات التالية :

قال: " كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة، في عام 1913م في تربية النشء هي أن لا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا " .

مثلما فعل حزب الله اللبناني، الذي انصرف إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة مؤمنة بقضيتها الدينية والمذهبية والوطنية، ولم يتوسل في ذلك ما توسله آخرون من ضروب التجيش والتعبئة المنبرية، على مثال ما ساد في تجارب أحزاب اليسار وتنظيمات الحركة الإسلامية التي كان لموقعها الفضل ولقواتها الغلبة في عقد السبعينيات والثمانينات، بل سلك مسلكاً مختلفاً إلى ذلك.

لئن حاولت الجمعية الابتعاد عن السياسة ، ولو على مستوى قانونها الأساسي، إلا أن لا يمكن أن تظل - في ظل الاستعمار الغاشم- منكمشة في إطار ديني محض، بعيدة عن الجماهير ومطامحها، لاسيما وأنها التنظيم الوطني المسموح له قانونياً بمزاولة نشاطه في البلاد، ويتوفر لديه جهاز يُمكنه من الاتصال بأوسع قاعدة شعبية.

المبحث الأول: أسبقية التعليم على العمل المسلح.

سُئل الإمام ابن باديس يوما: لم لا تؤلف الكتب العلمية والأدبية والاجتماعية؟ فكان جوابه لهم جواب المؤمن الذي يرى بنور الله، ويستشرف المستقبل من خلال ممارسة الجهاد الأكبر فأجاب: "أنا الآن مشغول بتأليف الرجال"¹.

رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تحقيق أهداف الشعب الجزائري الواقع تحت الاستعمار الفرنسي، و الذي عمل على التخلص منه طيلة توأجده في الجزائر، لا يمكن إلا بتحرير التربية والتعليم و التخلص من سيطرة المستعمر الفرنسي على المساجد، و ذلك لكي يتسنى لها التخلص من الخرافات و البدع التي رأت فيها دائما عوائق في سبيل تحرير طاقات الأمة في تفجير مواهبها و نشر الوعي الديني و الوطني، و أن عملية الإصلاح و التغيير ستكون مستحيلة و غير ممكنة بدون إجراء إصلاحات كبيرة على التربية و التعليم، و محاربة الأمية، إذ أعطته أولويتها الكبرى، و ركزت معظم جهودها عليه و ذلك بشهادة الهيئات السياسية التي شكلت الحركة الوطنية، حيث وضعت فيها الثقة و تركت مجال التربية و التعليم و أمور المساجد و الدين الإسلامي في يد جمعية العلماء بصفة شبه كلية و ظلت الجمعية متمسكة بدورها في التربية و التعليم و في الإصلاح الديني، خلال رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، و سار على نهجه، الرئيس الثاني للجمعية أثناء الحرب العالمية الثانية إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، كذلك مواجهة الطريقة الضالة و التي كانت بحق بمثابة العدو الذي يدعم سياسة فرنسا في إبعاد الناس عن الدين الحقيقي، و تعطيل التعليم العربي، و ذلك خوفا على مصالحها أن تنهار، إذا ما استفاق الشعب من غيبوته الفكرية و الروحية، التي انتشرت بسبب باسم التدين و التصوف المزعوم، و تصويرها للاستعمار بمثابة القدر الذي يجب الاستسلام له، و هذا لا يعني أنها حاربت الزوايا المقامة من أجل العلم و العبادة، و التي لم تتخذ مريدين طرفيين مثل زاوية "الهامل" الشهيرة، و سنرى كيف أسبقت التعليم و التربية و تطهير الدين و تحريره، و من ثم المطالبة بوضع حد لفرنسا الاستعمارية في الجزائر.

المطلب الأول: دعائم الفكر التربوي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس.

¹ - محمد الطاهر فضاء، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس، الجزائر، قسنطينة: دار البعث، ط1، 1968، ص 20.

لقد آمن الشيخ عبد الحميد بن باديس بأن الطريق السليم لإحداث النهضة في الجزائر وإنقاذها من الأخطار إنما يكون بالتربية الإسلامية، فالشعب الجزائري شديد التمسك بالدين و بالتالي فلا مجال لإنقاذه و توعيته إلا عن طريق الدين الطاهر النقي.

و وضع ابن باديس يده على بيت الداء الذي كانت تعاني منه الأجيال العربية، و ذهب في ذلك مذهب الشيخ محمد عبده الذي كان يرى بأن إصلاح النفوس إنما يكون بإصلاح برامج التعليم، و يقول في ذلك في مقاله الشهير "صالح التعليم أساس الإصلاح"¹ : "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، و لن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه و غيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فنصلح التعليم و نعني بالتعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم و يقتدون به فيه" عنوان مقال كتبه ابن باديس يشرح فيه فلسفته فيما يخص التربية و يتبعه بمقال "أساس الإصلاح إصلاح التعليم"².

بدأ نشاط الشيخ ابن باديس الفعلي بعد عودته من البقاع المقدسة سنة 1913 حيث بدأ يعلم الصغار و الكبار كل حسب مستواه، و كان يلقي دروسه في مسجد "سيدي قموش" و في الجامع الكبير بالمدينة لفترة من الزمن، و كان يبدأ دروسه بعد صلاة الفجر و يظل طول نهاره يعلم الأطفال الدين و علوم العربية متدرجاً معهم حسب مستوياتهم المختلفة، ثم إنّه كان لا يقطع عمله إلا لساعة بعد صلاة الظهر يتناول فيها قليلاً من الطعام، ثم يستأنف عمله حتى صلاة العصر، ثم صلاة المغرب والعشاء، غير أنّ عمله ما كان ينتهي عن هذا الحد، إذ كان يستأنف الدروس لكهول قسنطينة و شيوخها من التاسعة مساء حتى منتصف الليل يفسر لهم القرآن في الجامع الأخضر³.

إن المتتبع لجهود ابن باديس و نضاله يلمس المكانة البارزة التي تحتلها التربية ضمن أعماله الفكرية و جهوده الإصلاحية، و هذا يدل دلالة واضحة على الأهمية التي أعطاهها للنشاط التربوي باعتباره الأساس الذي يقوم عليه كل تغيير فالتربية عنده هي حجر الأساس في كل عمل بنائي، لذلك أعطاه كل جهده ووقته، و جند لها رفاقه و تلاميذه من العلماء الذين شدوا أزره، و ساعدوه في تنفيذ المشروع الذي صممه و استنهضوا معه همّة الشعب و نخوته ليقوم بإنشاء

¹ - الشهاب، ج11، م10، 10 أكتوبر 1934. ص478.

² - الشهاب، بتاريخ 9 نوفمبر 1934. ص2.

³ - محمد قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، مصر، دار المعارف، 1968، ص 19.

المدارس تمويل المشاريع التعليمية و ليلتف حول جمعية العلماء، و يسند جهدها في نشر العلم و بث العلم و بث الوعي الوطني و الديني و السياسي¹.

لقد كان منهجه في الإصلاح و التربية يختلف عمّن سبقه من المصلحين لأنه استطاع أن يربط بين الحياة الاجتماعية و الحياة الثقافية، أي ربط بين الإصلاح الديني و الاجتماعي، كما كان إصلاحه تطبيقياً أكثر منه نظرياً وهذا الذي لم يوفق فيه غيره من المصلحين السابقين له، و سبب تخلف الأمة الإسلامية في نظره هو الابتعاد عن الكتاب و السنة، و الإصلاح الديني و الخلقي لا يكون في نظره إلا بالرجوع إلى الكتاب و السنة أيضاً².

و قد ظل ابن باديس يعمل في مجال التدريس، و تكوين جيل جزائري مشبع بالاتجاه العربي الإسلامي حتى يطوق به الاستعمار و أعوانه الذين لم يفظنوا بعد إلى خطورة العمل الذي نواه بن باديس، و كانت هذه الخطوة السديدة التي سار عليها بن باديس، هي الحجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر، و قد كشف عبد الحميد بن باديس خطته عندما سأله سائل عن وسائله في محاربة الاستعمار؟ فقال "أحارب الاستعمار بالعلم و متى انتشر التعليم في أرض أجدبت على الاستعمار و شعر في النهاية بسوء المصير"، و كان يردد دائماً اللغة هي القوة.

كانت التربية في نظر الشيخ ابن باديس هي الوسيلة المثلى لغرس التعاليم الإسلامية التجددية – و معها التزعة العربية و الوطنية- في عقول الناشئة و في قلوبهم، و مقاومة تيار الفرنسية الذي يعمل منذ احتل الجزائر على أن يجردها من هويتها الإسلامية و العربية، و ذلك بفرض الفرنسية لغة و حيدة في التعليم، و إبعاد العربية تماماً عن هذا المجال، فإذا كان التعليم الفرنسي السائد يقصد إلى فرنسا الجزائريين، فإن التعليم الذي قاده من قبل بن باديس، و قاده من بعده الإبراهيمي، يقصد إلى إعادة أسلمة الجزائريين و تعريبهم أو إبقاء الإسلام و العروبة عند من بقيا عنده³.

جمعية التربية و التعليم الإسلامية:

و هي أول جمعية إسلامية تعنى بالتربية و التعليم، يرخّص لها في قسنطينة، حيث كان مكتب التعليم العربي النواة الأولى التي انبثقت عنها هذه الجمعية، التي اختارت الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيساً لها. و عن تأسيس هذه الجمعية يقول ابن باديس: "في سنة 1349هـ – 1930م، رأيت أن أخطو بالمكتب - مكتب التعليم العربي- خطوة جديدة، و أخرجه من مكتب جماعة إلى مدرسة جمعية، فحررت القانون

¹ - عبد القادر فضيل، فلسفة ابن باديس في مجال التربية و التعليم، على الرابط

http://benbadis.Net/Dirasat/lire_abdelkader_fouedel.htm.2008/05/10

² - سعد بوقلافة، ابن باديس نخات و جوانب من جهوده الإصلاحية و التربوية، الجزائر، مجلة بونة لبحوث و الدراسات، العدد 02، نوفمبر 2004، ص48.

³ - يوسف القرضاوي، الفكر الإصلاحية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، <http://www.qaradawi.net/site/topics/article.asp>

الأساسي لجمعية التربية و التعليم الإسلامية، و قدّمته باسم الجماعة المؤسسة إلى الحكومة، فوقع التصديق عليه¹.

لقد تميّزت طبيعة المرحلة التي أنشئت فيها هذه الجمعية بعدة أمور، نذكر منها ما يلي:

- 1- تضاعف نشاط الإرساليات التبشيرية في الجزائر.
 - 2- انحسار التعليم العربي الإسلامي.
 - 3- مرور قرن كامل على الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- و لذلك فقد أخذ القانون الأساس للجمعية تلك المعطيات و غيرها بعين الاعتبار، و ركّز على الجوانب الآتية:

- 1- جعل المقصد الرئيس لهذه الجمعية هو نشر الأخلاق الفاضلة و المعارف العربية و الفرنسية، و عدم الخوض في الأمور السياسية، تفادياً للاصطدام بالسلطات، التي تعيش في غمرة التحضير لاحتفالات مرور قرن على الاحتلال.
- 2- تأسيس مكتب لتعليم أبناء المسلمين الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالمدارس الحكومية، و تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي و الفرنسي.
- 3- تأسيس ملجأ لإيواء اليتامى، الذين تربص بهم البعثات التنصيرية لاحتوائهم و إبعادهم عن دينهم.
- 4- تأسيس معمل للصنائع، بمثابة ورشات يتدرّب فيه الطلبة على مختلف الحرف، حتى إذا ما تخرّجوا سهّل اندماجهم في الحياة العامة.
- 5- إرسال البعثات العلمية إلى بعض جامعات الدول الإسلامية، لإتمام تحصيلهم العلمي، و إعدادهم لغد مشرق، يكونون فيه قادة يسوسون أمّتهم و أمور حياتهم، و يجمعون شتاتها، و يعيدون لها أمجادها و قوتها².

الهدف التربوي كما يراه ابن باديس:

بيّن ابن باديس الهدف التربوي الذي يسعى لتحقيقه بأنه: "الرجوع بالشعب إلى عقائد الإسلام المبنية على العلم، و فضائله المبنية على القوة و الرحمة، و أحكامه المبنية على العدل و الإحسان، و نظمه المبنية على التعاون بين الأفراد و الجماعات، و التآلف و التعامل و التعاون، و أن لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله، و من اتقى الله فهو أنفع الخلق لعباد الله"³، فالتربية عند ابن باديس تهدف إلى:

- تحقيق العبودية الخالصة لله، في الحياة الفردية و الجماعية، و ذلك بتعلم الإسلام من مصادره الأصيلة.

¹ - مصطفى محمد حميداتوا، مرجع سبق ذكره، ص 90.

² - نفس المرجع، ص 92.

³ - عمار طالي، آثار ابن باديس، ج 4، مرجع سبق ذكره، ص 197.

- تكوين المواطن المؤمن المتميز عن المستعمر المغتصب في جميع جوانب حياته، و بالتالي إحداث التميز الاجتماعي للأمة الجزائرية، التي أرادت فرنسا احتواءها و ابتلاعها.

- ربط الأجيال بالتراث و الحضارة العربية الإسلامية، و هو ما يسميه بعض العلماء بوظيفة: " نقل التراث " أو " إحياء التراث"، و يؤكد ابن باديس أن هدفه التربوي هو:

- ترقية المجتمع الجزائري في "جميع نواحي الحياة إلى أقصى ما ترقى إليه الأمم، ليكونوا محترمين من أنفسهم و من غيرهم، يفيدون و يستفيدون، و يعرفون كيف يسوسون و كيف يُسَاسون، فتربح بهم الإنسانية عضواً من خيرٍ من عرَفَتْ من أعضائها¹.

فإذا ما تحقق للشعب الاستعداد الداخلي للتغيير، أو بعبارة أخرى: التخلص من القابلية للاستعمار²، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾³، أمكنه الرقي في جميع جوانب الحياة و ذلك بتزويد المتعلمين بالقدر المناسب من المعلومات و الخبرات المختلفة، فساهموا في بناء صرح الأمة و خدمتها والدفاع عنها و يمكن تلخيص الهدف التربوي عند ابن باديس بأنه:

-إحداث التغيير الداخلي في الفرد الجزائري، بإرجاعه إلى دينه و تعلّمه من مصادره الأصيلة، كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، حالياً من البدع و الشوائب، ليحافظ على شخصيته العربية و الإسلامية.

- تأهيله لتسلق درجات الرقي الاجتماعي الاقتصادي و السياسي، و الوصول إلى مصاف الشعوب الراقية، فيسعد في الدنيا و الآخرة⁴.

لقد أدرك الرجل أن التعليم النافع هو الذي يوظف في العلم فيما ينفع الفرد و المجتمع و هو الذي يسهم بإيجابية و فاعلية في رقي المجتمع، و لم تكن رؤيته للتعليم قاصرة و ترى فيه ظاهرة إنسانية تقف عند مرحلة معينة أو تنتهي عند سن معينة أو مستوى معين، بل غير ذلك تماماً فالتعليم في منظوره يشمل الصغار و الكبار المرأة و الرجل ليتمكن الجميع من التكيف مع التجديدات المعرفية داخل المجتمع و من ثم مواجهة التغييرات الثقافية و الاجتماعية و قد كان ممن تخرج على يديه من أوائل تلاميذه في هذا العهد مبارك الميلي، و السعيد الزاهري.

هذه الفلسفة التربوية الباديسية اتسمت ببعد النظر إذ تعاملت مع الفرد رجلاً كان أو امرأة و المجتمع على أنهما كيانان متغيران ناميان يؤثر كل منهما في الآخر و يتأثر به، و ينعكس ذلك على

¹ - نفس المرجع: ص 196.

² - مالك بن نبي، شروط النهضة، بيروت، دار الفكر، 1969، ص9.

³ - الرعد، الآية 11 .

⁴ - مصطفى محمد حميداتوا، مرجع سبق ذكره، ص186.

طبيعة الحياة فقام بما تهيأ له من معارف عصره بتحليل الواقع الاجتماعي الجزائري يومها، وكذا طبيعة التغيرات التي طرأت عليه منتهياً إلى حصر المشكلات الآتية و المتوقعة فجعلها ضمن مشروعه التربوي حتى يكون لتعليمه معنى ودلالة في صيانة المجتمع و المحافظة على تماسكه و إنماء كيانه. و قد أفضى به تحليله للواقع الاجتماعي الجزائري إلى أن الجهد الفردي مهما تكن قوته و فعاليته فإنه يبقى محدوداً لذلك (فكر رحمه الله في توحيد جهوده مع جهود إخوانه، و قد قال يوماً لصفوة من أنصاره: "إني عقدت العزم على توجيه دعوة إلى أبناء الجزائر المتخرجين من جامع الزيتونة، وكذلك العائدين من المشرق العربي لكي ندرس جميعاً الحالة الراهنة و نتعاون على وضع خطة العمل لإنقاذ هذا الشعب العربي المسلم بالجزائر قبل فوات الأوان" ¹ .

وكان هذا إرهاباً للعمل الإصلاحي التربوي المؤسسي المنظم، ففي سنة 1928 وجه دعوته إلى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة و المشرق العربي الذين رأى فيهم الكفاءة و التزاهة و الالتزام و الاستعداد للعمل التربوي و الإصلاحي فلبى دعوته كل من: الشيخ البشير الإبراهيمي، و الشيخ العربي التبسي و الشيخ الطيب العقبي و الشيخ المبارك الملي و الشيخ السعيد الزاهري و الشيخ محمد خير الدين ² .

و تم وضع خطة عمل لتنفيذها و مما ورد فيها:

- 1 — تكوين لجنة من الحاضرين للتسيير و التنفيذ.
- 2 — الشروع فوراً في إنجاز المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية و التربية الإسلامية.
- 3 — الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة و التجول في أنحاء الوطن لتبليغ الدعوة الإصلاحية لجميع الناس.
- 4 — الكتابة في الصحف و المجالات لتوعية طبقات الشعب.
- 5 — إنشاء النوادي العربية للاجتماعات و إلقاء الخطب و المحاضرات.
- 6 — إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء البلاد.
- 7 — العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية و الحكم الأجنبي.

و المتأمل في هذه البنود السبعة يقف منها على مدى ما أولاه الشيخ عبد الحميد بن باديس — و من خلاله رفاقه في لجنة التسيير و التنفيذ — من عناية بالغة بالإصلاح التربوي و التعليمي،

¹ - محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، مرجع سبق ذكره، ص 83.

² - نفس المرجع، ص 83.

ذلك أنه لم يكن صاحب نظريات وإنما كان رائداً لحركة إصلاحية جذرية تتسم بالواقعية و الفاعلية و الأصالة¹.

المنهج الباديسي في تربية الشباب وتعليمه :

لا يخفى على كل ذي لب ما للشباب من أهمية في بناء المجتمعات فليس من الغريب أن تتوجه جهود ابن باديس إلى هذه الفئة الحيوية الفاعلة من المجتمع بالتربية و التهذيب و التعليم و معه إخوانه في جمعية العلماء كذلك يقاسمونه الجهد فقد أحاطه بالعناية و الرعاية التربوية الرشيدة في الشمال و الجنوب و في الشرق و الغرب معتبراً الشباب ذخراً الجزائر تعدده لليالي الخالكات و هو الذي يقول فيه: يا نشء أنت رجأؤنا ***** وبك الصباح قد اقترب ثم يدعو هذا الشباب إلى الأخذ بأسباب الحياة و الرزق من تحصيل العلم النافع و بناء مجد الأمة الجزائرية فيقول: خذ للحياة سلاحها ***** و خض الخطوب ولا تهب .

لقد كان الشيخ ابن باديس يرى في الشباب الجزائري الطاقة المعطلة بحكم تعرضه لظروف قاسية و أن ما تحتاج إليه هذه الطاقة هو التربية و حسن القيادة و التوجيه، لذلك وجه الإمام ابن باديس جزءاً كبيراً من عنايته للشباب، و قد تجلّى ذلك في تخصيصه دروساً يومية السبت والأحد له و تنظيمه ضمن هياكل شبابية كالجمعيات الرياضية، و الموسيقية و الكشفية، و كان شديد الحرص على العناية بالشباب، و كثيراً ما كان يعلّق عليه الآمال الكبيرة في تحرير البلاد من كل القيود الاستعمارية ، و لعل من أبرز هذه الآمال أنه كان يربط دائماً بين الشباب و الأرض في عملية صنع الثورة².

المنهج الباديسي في تربية المرأة :

وكان موقف الإمام الرئيس مستوحىً من روح الدين الإسلامي، و هو موقف الرجل المصلح الذي اتخذ التربية وسيلة للإصلاح الثقافي و الاجتماعي، و حيث إن التربية قوامها العلم الصحيح النافع فقد عمل الإمام الرئيس كل ما وسعه لتعليم المرأة و الخروج بها من ظلمات الجهل الثقافي و الاجتماعي، فسعى إلى تعليمها دينها و لغتها و قد لاقى في ذلك ما لاقى من إغراض أولياء أمور المرأة عن تعليم بناتهم، يقول أحد معاصريه وهو الأستاذ علي مغربي: " وبنادي الترقى، كنا نتحدث عن تعليم البنات دينها و لغتها و ما يلاقي تعليم البنات من إغراض في وسط الأمة، و عن الأسباب التي يتذرع بها الآباء المسلمون و المسكون لبناتهم عن الالتحاق بالمدرسة العربية الحرة، و كان الأستاذ ابن باديس يرشد إلى الطرق التي تصل إلى الهدف، فقدم أحد الجماعة تعالّات الآباء

¹ - الطيب برغوث، تصور ابن باديس للمجتمع الإسلامي، الجزائر ، مجلة الرسالة، وزارة الشؤون الدينية، 1980، عدد 1 - 2، ص 20.

² - عبد الرزاق قسوم، ابن باديس والشباب، مجلة الرسالة، نفس المرجع، ص 44.

و هي أنهم لا يثقون فيمن يعلّم بناهم، وكيف يعلّم الرجل المرأة؟ و هنا انتفض الأستاذ انتفاضة كبرى وقال بصوت عال: إذا لم تكن الثقة فينا نحن العلماء ففيمن تكون؟ قالها و كررها"¹.

و مما يؤكد حرص ابن باديس و تحمسه إلى تربية المرأة الجزائرية و تعليمها أنه عندما أنشأت جمعية التربية و التعليم الإسلامية مدرسة لتعليم الأطفال و البنات نص صراحة أثناء الإعلان عن هذه المدرسة على أن التعليم فيها مجاني بالنسبة للبنات سواء كن قادرات على دفع المصاريف أم عاجزات عن دفعها، و قد ضمت هذه المدرسة بعد شهور من إنشائها ثمانين فتاة جزائرية² و يعرض الشيخ محمد خير الدين في مذكراته قوائم بأسماء الناجحات والناجحين في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العربية بمدارس جمعية العلماء³. إذا حاول الشيخ ابن باديس مع إخوانه في جمعية العلماء أن يعالج التخلف و الجهل الذي تعانيه المرأة انطلاقاً من أن فساد العقول و انحطاط الأخلاق كانا شاملين للامة؛ ذكورها و إناثها، و أن المرأة مدرسة إذا أعدتها الإعداد الحسن كان نتاجها شعباً طيب الأعراق على حد تعبير الشاعر حافظ إبراهيم، كما أنه كان يعي أن تعليم الفتاة الجزائرية يومها كان يقيها من إتباع التقاليد الأجنبية التي غزت الجزائر لمسوخ شخصيتها لا سيما أن الفرنسيين أخذوا يصدرن باسم المرأة الجزائرية المحلات و الجرائد و يخصصون لها برامج للإذاعة و مختلف وسائل الإعلام، و يحثون الرجال على دعوة النساء إلى الأخذ بأسباب التقاليد الفرنسية حتى يسهل عليهم دمج الجزائر في المجتمع الفرنسي⁴.

و كان يركز في دعوته هذه إلى تعليم المرأة على ناحيتين اثنتين، الناحية الدينية والناحية الاجتماعية. بما يحفظ عليها شخصيتها في إطار طبيعتها الأنثوية و يساعدها على القيام بوظيفتها الاجتماعية الإنسانية، و هي حسن رعاية الأسرة و تربية الأولاد تربية صالحة لتكون منهم رجالاً صالحين، "فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها و تربيتها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف رجل و نصف امرأة، فالتى تلد لنا رجلاً يطير خير من التي تطير بنفسها". و يرى الشيخ أن هذا التعليم الديني للبت بما يقوم عليه من تعليم العربية و الإسلام عظيم الأثر على الأمة، لأن المرأة النابتة في تربة هذا التعليم تنشأ على حب دينها و أمتها، فينتقل منها ذلك إلى الناشئة، فيشب عناصرها على ذلك الحب و ذلك الولاء للدين وللوطن وللأمة، فلا ينكرون أصلهم ولا يتنكرون لقومهم⁵.

¹ - علي مغربي، سر عظمة ابن باديس، مجلة الرسالة، مرجع سبق ذكره، ص 38.

² - آمنة تشيكو، المرأة وحالتها وواجباتها وحقوقها، مجلة الرسالة، مرجع سبق ذكره، ص 41.

³ - محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، نفس المرجع، ص 168.

⁴ - نفس المرجع، ص 41.

⁵ - محمد خير الدين، نفس المرجع، ج 3، ص 469.

و لعله من المفيد هنا أن نختتم الحديث عن تربية المرأة وتعليمها بما كتبه واحدة من البنات الجزائريات اللاتي تربين وتعلمن في مدارس جمعية العلماء وهي الأستاذة الفاضلة والأديبة والوزيرة والمجاهدة زهور ونيسي التي نجحت في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية محتلة الرتبة الأولى وبتقدير حسن¹ ، تقول الأستاذة ونيسي : " إنه ليس أجدى اليوم للعرب وهم يحاولون اللحاق بالركب الحضاري أن نذكرهم بأن ذلك الركب لم يصل إلى حيث وصل إلا من بعد أن تخلى بالتدريج عن فكرة تفوق الرجل وحقه في السلطان المطلق على المرأة"² ، و تقول: " فعلى الأقل من أجل عدم التردد في مصير الإناث من الجيل الصاعد و تمكينه من الثقافة و العلم ليحتل مكانه في ميدان العمل و الإنتاج و المساهمة في البناء الوطني، و لا يبقى مشلولاً سلبياً يشكل أحد أهم أسباب التخلف للمجتمع"³.

المطلب الثاني: جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ميدان التربية و التعليم .

لقد كان " الإبراهيمي " حلقة من حلقات الجهاد الطويل في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وأحد الذين شكلوا وعي و وجدان الأمة العربية و الإسلامية على امتداد أقطارها، حيث كان أحد رواد الحركة الإصلاحية في "الجزائر"، و أحد مؤسسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وكان زميلاً للشيخ "عبد الحميد بن باديس" في قيادة الحركة الإصلاحية، و نائبه في رئاسة جمعية العلماء، و رفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من الخرافات و البدع. و يلخص الهادي الحسني عهدته الإبراهيمي بقوله: " إن الإمام الإبراهيمي في رئاسته للجمعية أكمل الموجود، و أوجد المفقود، و كان خير خلف لخير سلف"⁴.

الفكر التربوي عند الإبراهيمي:

لقد رأى الإمام الإبراهيمي أن الأمية من النقائص التي هي نقص في حيوية الأمم، و قد تنتهي بالأمية إلى الفناء و العدم، فإنها لا تفسحوا في أمة و تشيع بين أفرادها إلا فتكت بها و ألحقتها بأجنس أنواع الحيوانات، و مكنت فيها للجهل و السقوط و الذللة و المهانة و الاستعباد. و الأمية بمعناها هي الجهل بالقراءة و الكتابة، هي مرض فتاك، و رذيلة فاضحة، و شلل و زمانه في جسم الأمة التي تبتلى بها، فإذا كنا نعرف من شؤون الأفراد أن من يصاب منهم بشلل تتعطل منه وظيفة العضو المصاب، كذلك يجب أن نعرف من شؤون الأمم هذه الآثار السيئة التي تنشأ عن الأمية

¹ - محمد خير الدين، مذكرات، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 168.

² - زهور ونيسي، قضية المرأة والتحرر والنهضة الاجتماعية، مجلة الثقافة، عدد 26، ماي 1975، ص 80.

³ - نفس المرجع، ص 77.

⁴ - محمد الهادي الحسني: مجلة الموافقات، مرجع سبق ذكره، ص 603.

وهي تعطيل المواهب و القوى مع العظيم بين تعطيل المواهب والقوى مع الفرق العظيم بين تعطيل وظائف أجزاء الجسم وبين تعطيل أجزاء الأمة¹.

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي أول هيئة علمية منظمة بهذا القطر، وعليها لا على غيرها، يكون التعويل والاعتماد في هذه المسائل الكبيرة، رغم تشعب العمل أمام جمعية العلماء لأنه كما يجب عليها أن تعالج الكبار من داء الأمية، يجب عليها أن تحمي الصغار المعرضين لغوائلها وفتكها، أما الصغار فإن المصل الواقى لهم من هذه العلة هي تلقينهم مبادئ القراءة والكتابة من الصغر².

و من أجل هذا المقصد اقترح على كبار السن طريقتين لكي يتخلصوا من الأمية:
أولاً: أن تتقدم لكل أعضائها العاملين وتأخذ عليهم عهد الله وميثاقه على أن يعلم كل واحد منهم أمياً أو أكثر من أقاربه مبادئ الكتابة والقراءة و العمليات الأربع في الحساب، و يحفظه سوراً من القرآن على صحتها.

ثانياً: تشكيل نواد مُشكلة من أصحاب المهن، وكيفية العمل مع هؤلاء أن تلزمهم بدفع مبلغ معين من المال في كل شهر ثم تلزم طالباً من الطلبة أن يعلمهم مبادئ القراءة و الكتابة و أرقام الحساب و عملياته البسيطة في ساعتين من كل ليلة، في مقابلة ذلك المبلغ الشهري الذي يجمعونه.

فإذا استطعنا أن نعمم هذا الترتيب على عشرة نواد و عشرين مجموعة من أصحاب الحرف فإننا نتوصل في مدة قريبة إلى تعليم نحو من ألفي رجل و إخراجهم من سجن الأمية، و إلى إيجاد سبيل لمعيشة ثلاثين طالباً أو إعانتهم على المعيشة³.

و إذا كان حصر نشاط الإمام الإبراهيمي و استقصاء منجزاته على رأس الجمعية من الصعوبة بما كان، فيمكن الإشارة إلى أهم تلك المنجزات فيما يلي:

أولاً: في ميدان التربية والتعليم:

1- تأسيس معهد الإمام عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة : اهتم الإمام الإبراهيمي بمصير التلاميذ الذين أتموا مرحلة التعليم الابتدائي بمدارس الجمعية ففكر في تأسيس معهد يكون عنوان مرحلة جديدة، يستكمل فيه أولئك التلاميذ دراستهم و سعى لربط المعهد بجامع الزيتونة وكان للإمام من وراء ذلك الربط هدفان⁴:

¹- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 203.

²- نفس المرجع، ص 205.

³- نفس المرجع، ص 206.

⁴- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 19.

إيجاد علاقة ثقافية علمية بين المؤسسات التعليمية العربية و تمكين حاملي شهادة المعهد من الالتحاق بالمؤسسات التعليمية العليا في المشرق العربي، لأنه كان ينوي "توجيه النوابغ لاستكمال معلوماتهم من جهة أخرى غير الزيتونة"¹.

2- **بناء المدارس:** يعتقد الإمام الإبراهيمي أن التعليم نوع من الجهاد، ويرى المدارس ميادين جهاد، و يعتبر المعلمين مجاهدين، مستحقين لأجر الجهاد، لأن "التعليم هو عدو الاستعمار الألد".

إن هدف الجزائر في تلك المرحلة هو التحرر من الاستعمار، وقد كان الإمام مقتنعاً أن ذلك التحرر لن يتم إلا إذا هيئت و أعدت وسيلته، فلا يمكن أن "تسبق غاية وسيلتها"، و ما الوسيلة في -رأيه- إلا العلم بأوسع معانيه " فهذه الجهود الجبارة التي تبذلها جمعية العلماء في سبيل العربية والإسلام والتعليم كلها استعداد للاستقلال، و تقريب أجله"، و يلاحظ في هذه الفترة التوسع في تعليم البنات الجزائرية، في مجتمع كان يعتبر تعليم البنات من إحدى الكبر، و قد جادل جادلاً كبيراً عن حقها في التعليم وصل عدد البنات في مدارس الجمعية إلى 5696 بنت سنة 1951م، ليقفز إلى ثلاثة عشر ألف بنت سنة 1953م².

3- **تكوين لجنة التعليم العليا:** يؤمن الإمام الإبراهيمي أنه "إذا اختلفت الأصول والمناهج في أمة كانت كلها فاسدة، لأن الصالح كالحق لا يتعدد و لا يختلف" و إن توحيد الغايات لا يأتي إلا بتوحيد الوسائل"، و لذلك قرر إنشاء لجنة خاصة بالتعليم، فأنشأت في 13 سبتمبر 1948م "فكانت بمثابة وزارة تربية شعبية"، و عهد إليها بوضع البرامج، و تقرير الكتب الدراسية، و إصدار اللوائح التنظيمية و تعيين المعلمين، و وضع الدرجات لهم، و اختيار المفتشين، و تنظيم ملتقيات تربوية³.

4- **إنشاء الشهادة الابتدائية:** أنشأت الجمعية شهادة تثبت لحاملها متابعة الدراسة الابتدائية، و تسمح له بمتابعة المرحلة التعليمية الموالية، و لا شك أن الجانب المعنوي النفسي لهذه الشهادة أكبر من جانبها المادي.

5- **إرسال البعثات الطلابية إلى الدول العربية:** بدأ تفكير الجمعية في إرسال بعثات طلابية إلى المشرق سنة 1938م، و لكن الحرب العالمية الثانية حالت دون ذلك، فلما وضعت الحرب أوزارها، و استأنفت الجمعية نشاطها، فكرت مرة أخرى في مسألة البعثات، و بدأت بأقرب البلدان إلى الجزائر وهما تونس والمغرب، حيث بلغ عدد الطلاب فيهما سنة 1953م ألفاً و مائتي

¹- نفس المرجع، ص 20.

²- نفس المرجع ص 21.

³- نفس المرجع، ص 23.

طالب ثم تمكنت من إرسال الفوج الأول إلى مصر في السنة الدراسية 1951-1952م، وكان ذلك الفوج يضم خمسة وعشرون طالباً و طالبة واحدة.

ثانياً: في ميدان التنظيم:

1- المركز العام: لم يكن للجمعية قبل 1947م مقرأً خاصاً بها، و بعد معاودة

النشاط قررت أن يكون لها مقر في الجزائر العاصمة، و قد اختير هذا المركز في حي القصبة¹.

2 - التوسع في تأسيس الشعب: و الشعبة هي أصغر مؤسسة في هيكله الجمعية

و مهمتها تأطير الحركة الإصلاحية و الإشراف على تأسيس المدارس و المساجد في المدن و الأحياء و قد كان عدد هذه الشعب قبل الحرب 58 شُعبة، ثم وصل العدد سنة 1953م إلى 300 شعبة مما يدل على الانتشار الواسع الذي حققته الجمعية، و المكانة الكبيرة التي أصبحت تتمتع بها لدى الشعب الجزائري، مما سيؤكد مقولة "إن جمعية العلماء عبارة عن دولة داخل دولة"².

3- توسيع المجلس الإداري و تنقيح القانون الأساسي للجمعية: كان الاجتماع العام

لجمعية العلماء الذي انعقد في 30 سبتمبر و 1 أكتوبر 1951م اجتماعاً مميزاً، حيث جددت فيه المبايعة للإمام الإبراهيمي، و نقح القانون الأساسي الذي وضع سنة 1931م، حيث تقرر أن يكون للرئيس نائبان بدل نائب واحد، و للكاتب العام ثلاثة نواب بدل نائب واحد، و لأمين المال نائبان و رفع عدد المستشارين إلى ستة عشر بدل أحد عشر مستشاراً³.

4- بعث النشاط في فرنسا : بدأ نشاط الجمعية في فرنسا سنة 1936م ، و توقف بسبب

الحرب العالمية الثانية، و بانتهائها عادت الجمعية للنشاط هناك، فاشترت "مركزاً متواضعاً ليكون رمزاً للمشروع و نقطة بدء في تحقيقه"، و أسست شُعباً في أمهات المدن الفرنسية كمرسيليا، و ليون وباريس، و ليل و غيرها، إن جمعية العلماء هي الهيئة الوحيدة التي نقلت جزءاً من نشاطها من الجزائر إلى فرنسا لإنقاذ تلك الجالية من الذوبان و الانسلاخ من دينها و لغتها و وطنها⁴.

5-فتح مكتب القاهرة : أسست جمعية العلماء في أواخر سنة 1950م "مكتباً رسمياً

يتألف من ثلاثة من أبناء الجزائر المقيمين في القاهرة"، و إن أشرف ما قام به السعي في قبول بعثات من أبناء الجزائر في المعاهد العلمية الكبرى على نفقة الحكومة المصرية و بعض الحكومات الشرقية، و قد ازدادت أهمية هذا المكتب و تكثف نشاطه بعد سفر الإمام الإبراهيمي إلى المشرق سنة 1952م.

¹ - نفس المرجع ، ص 24.

² - مازن صلاح مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، 1988، ص 10.

³ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، مرجع سبق ذكره ، ص 25.

⁴ - نفس المرجع، ص 26.

ثالثاً: في ميدان التوجيه الإعلام والتوجيه:

1- إعادة إصدار البصائر: في بداية الحرب قررت الجمعية توقيفها حتى لا تجررها السلطات الفرنسية على قول مالا تريد، و في سنة 1947م أعاد الإمام الإبراهيمي إصدار جريدة البصائر رغم المضاعف المادية الحادة التي كانت تعانيها الجمعية والشعب الجزائري، و قد حمل العلماء رئيسهم مسؤولية إدارة البصائر و رئاسة تحريرها، فحملوه أثقالاً مع أثقاله، و لكنه قام بالمهمة أحسن قيام، و قد كان الإمام الإبراهيمي يعتبر البصائر صوت الجزائر، لا صوت جمعية أو حركة فقط، ولذلك كان حريصاً أشد الحرص على أن يكون هذا الصوت معبراً أصداق تعبير عن حقيقة الجزائر المسلمة الدين، العربية الانتماء، المجاهدة لاسترجاع كيانها السياسي، و العاملة لاستئناف دورها الحضاري، و كان أشد حرصاً على أن تصل إلى خارج الجزائر، فوصلت إلى الشرقيين العربي و الإسلامي، و إلى الأمريكيتين الوسطى والجنوبية¹.

و لقد كانت السلطات الفرنسية تدرك قوة جريدة البصائر في كشف حقيقة سياستها و تعرف قدرة البصائر على إقناع الناس بحق الجزائر في استعادة سيادتها، فكانت تلك السلطات تتدخل مباشرة في فتمنع أحيانا دخول البصائر إلى الأقطار التي تسيطر عليها، و توعز أحيانا إلى إدارة البريد لكي تحجزها فلا تصل إلى من ترسل إليهم في الأقطار الأخرى².

2- وفود الوعظ و الإرشاد: من سنن الجمعية الحسنة أنها كانت توزع أعضائها على مدن الجزائر و قراها في شهري أوت و سبتمبر في شهر رمضان المعظم من كل سنة، و قد وصف "شارل روبر آجيرون" تلك الوفود بالوفود "السياسية-الدينية"، لأنها لم تكن تقتصر في دروسها على القضايا الدينية.معناها المتعارف عليه، و لكنها كانت تتجاوز ذلك إلى القضية الوطنية، فتنبه العقول و توقظ المشاعر، و تهيئ النفوس ليوم لا ريب فيه يحق الحق و يبطل الباطل، فقد كانت السلطات الفرنسية تراقب - بواسطة عملائها - أولئك العلماء، و تسجل أقوالهم و ترصد الأفكار التي ينشروها بين الناس، و من ذلك ما سجلته مصالحها الأمنية من أن الشيخ عباس بن الحسين -عضو المكتب الإداري لجمعية العلماء- ألقى خطاباً يوم 3 سبتمبر 1954م بمدينة ندرومة جاء فيه: "لا تعتقدوا أن الجزائر نائمة، إنها تناضل في سرية، كما ناضلت تونس و المغرب، و خلال شهر أو شهرين - و في جميع الأحوال- ستنهض مثل جميع الدول العربية، و أنه من هذه المساجد سيخرج جنرالها، و قادتها الحرييون"، و لذلك كثيراً ما كانت السلطات الفرنسية تمنع أولئك العلماء من إلقاء الدروس، و تفود بعضهم إلى مخافر الشرطة للاستجواب الذي ينتهي بعضهم إلى السجن.

¹ - نفس المرجع، ص 98.

² - نفس المرجع، ص 27.

رابعاً: المجال الديني:

إن القضية التي صال فيها الإمام الإبراهيمي و جال، وكتب فيها و قال هي قضية تحرير الدين الإسلامي من سيطرة الدولة الفرنسية، التي كانت تعتبر إشرافها على الدين الإسلامي "مسألة جهورية"، خرقت لأجلها دستورها الذي ينص على أن فرنسا دولة لائكية، و قد لبت الدولة الفرنسية بعض مطالب الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، و لكنها أصمت أذنيها وأغمضت عينيها عن مطلبهم في القضية الدينية إلى أن طردت من الجزائر. و لقد أكثر الإمام الإبراهيمي جدال فرنسا في هذه القضية، و ساق لها من الحجج الدينية و القانونية و التاريخية، ما يقنع لكي تنفض يديها من القضية، و تعيد الحق لأصحابه، و لكن القوة المادية جعلتها لا تلقي السمع لأي حجة، و لا تقنع بأي منطق، و لا تخضع لأي دليل.

خامساً: في الميدان السياسي:

إن الحقيقة هي أن جمعية العلماء اهتمت -كما يقول الإبراهيمي- بـ"الباب السياسة" لأن ديننا يعد السياسة جزءاً من العقيدة، و لأن السياسة نوع من الجهاد، و نحن مجاهدون بالطبيعة، فنحن سياسيون بالطبيعة¹. من أجل ذلك أسهمت جمعية العلماء في عهد الشيخ الإبراهيمي في الأنشطة السياسية الجادة، بل كان لها و لرئيسها الدور الريادي و الرئيسي في بعضها.

لقد كانت غاية التربية عند رجال الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تهدف إلى تكوين جيل قائد في الجزائر، أما كيفية تعليم هذا الجيل القائد فتتمثل في: لا بد من تربية النشء على فكرة صحيحة، و لومع علم قليل، و تمت لها هذه التجربة في الجيش الذي أعدته من تلامذتها².

كما عمل الإبراهيمي طول حياته في سبيل بعث الجزائر من سباتها، و جاهد في سبيل نشر العربية و الإسلام، و كان همّه بعد وفاة عبد الحميد بن باديس وإسناد رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إليه، إدارة دفة سفينة الجمعية رغم العواصف، فقضى الإبراهيمي قرابة الثلاثين سنة في وضع أسس بناء صرح المعرفة بهذه البلاد، فترك جيلاً من الجزائريين يتكلم العربية و ينشرها في المدارس بعدما كادت الفرنسية تقضي على البقية الباقية من أثر العربية.

و بذلك استطاعت الجمعية إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مليوني طفل عربي مسلم، كما قامت بتشديد مدارس أخرى مع بداية ثورة نوفمبر 1954م، و أكثر من ذلك سعت مع الحكومات العربية باسم الأمة الجزائرية لإرسال مئات من الطلبة الجزائريين للدراسة على نفقة هذه الدول.

المطلب الثالث: الجمعية في مواجهة الاستعمار و الطُرقين .

¹ - نفس المرجع ، ص29.

² - مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21، القاهرة، سنة 1966، ص 143.

والصوفية أو الطُّرُقِيَّة ، هي نزعة مستحدثة في الإسلام، لا تخلو من بذور فارسية قديمة، بما أنّ نشأة هذه النزعة كانت ببغداد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، و اصطباغ بغداد بالألوان الفارسية في الدين والدنيا معروف، و تدسس بعض المنتطعين من الفرس إلى مكامن العقائد الإسلامية لإفسادها¹.

لقد أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خُطورة إضعاف وحدة الصف الإسلامي الجزائري في مواجهة المستعمر الهمجي الفرنسي ، فكانت أولى مَجْهوداتها مركزة على صيانة الدين الصحيح و تلقينه لكل الجزائريين بما يَمنع و يُحارب التشيُّع و التشتت و ذهاب القوة لدى الشعب الجزائري، و لقد قام الشيخ عبد الحميد ابن باديس و مدرسته، بجهد محمود في هذا الاتجاه، و إن لم يحقق ذلك التحرير تحقّقاً تاماً، لأن طريق سيرهما قد ظلت رهينة من علم الكلام و المغيبات، و ماذا يقصد برهينة علم الكلام؟ هل يقصد أنّها تقول ما لا تفعل؟ أم أنّها رهينة على الكلام فعلاً؟ فجمعية العلماء لم يكن همها الوحيد بمجادلة الطُّرُقِيَّة، و إن كانت محقّة في هجومها، لآثارها المدمرة على الإنسان الجزائري، و لأنّها تعتبرها حجرة عثرة أمام الحركة الوطنية و جهود رجالها و رغم أن هذه الحرب لم ترق للطرفيين، إلا أن الكثيرين رحبوا بها أمثال مالك بني الذي أيد الجمعية في هذا الجانب².

لقد تكونت الطرق الصوفية في المغرب العربي في بعض الرباطات الجهادية التي أقامها العلماء و القادة لحماية الثغور و الممرات الإستراتيجية المؤدية إلى أرض الإسلام، و عرفت هذه الرباطات فيما بعد بالزوايا، و سميت الزاوية باسم مؤسسها الأول أو باسم المنطقة المتواجدة فيها و كانت الزاوية مركز التعليم و الوعظ و الإرشاد، كما كانت مركز الحشد العسكري لأبناء المناطق المجاورة³. بلغ نفوذ و سيطرة الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي بالجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي درجة مذهلة حيث وصل عدد الزوايا التابعة لرجال الطرق الصوفية على اختلافهم 349 زاوية كما وصل عدد أتباعها إلى حوالي 300 ألف تابع، و هذه ليست ظاهرة صحيحة على الإطلاق عن حالة الفكر و الثقافة في الجزائر، وإنما دليل قوي على جمودها و انحطاطها العام الذي رسمه مؤسسي تلك الطرق الأوائل وهو التصوف و الرياضة الروحية و نشر الدعوة الإسلامية الخالصة من البدع و الأضاليل المنافية للدين بين الناس، و التبشير بالإسلام بين غير المسلمين⁴.

¹ - يوسف القرضاوي، على الرابط ، www.qaradawi.net/site/topics/article.asp.

² - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، بيروت: دار الفكر، ط1، 1969، ص 386.

³ - احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 56.

⁴ - تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1981، ص 99.

و يبين الأستاذ "أحمد الخطيب" زيف ادعاءات الطرقيين: "وفي أوائل القرن أصبحت ترى فوق كثير من الرُّبى الجزائرية و ضمن أغلب الدواوير و داخل كل مدينة، قبابا بيضاء للسادة الأولياء الذين كان منهم الصالح و منهم المحبول عقلياً، وكثير من القباب وخاصة في الغرب الوهراني تجده خالية من الأضرحة لأنها مقامات للشيخ عبد القادر الجيلاني الذي لم تطأ قدماه المغرب العربي بتاتاً¹. و من أهم الطرق الصوفية في الجزائر نذكر مايلي :

الرحمانية: التي أسسها محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري، شاركت هذه الطريقة بشكل رئيسي في ثورة المقراني عام 1871م، فتعرضت لانتقام شديد بعد فشل الثورة، ولم يلبث أن احتواها الاستعمار مثل غيرها من الطرق الصوفية، وكان تواجدتها الرئيسي في قسنطينة والجزائر.

التيجانية: أسسها في مدينة فاس في المغرب سنة 1782م أحمد بن محمد مختار التيجاني المولود في بلدة عين ماضي، امتدت إلى السودان و قلب إفريقيا، و قد كانت هذه الطريقة في خدمة الاستعمار الفرنسي .

القادرية: تنسب إلى الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني، المولود في مدينة جيلان (فارس) سنة 1079م و المتوفي في بغداد سنة 1166م، و قد دخلت هذه الطريقة وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر ثم انتقلت المغرب العربي²، و اشتهرت بوطنيتها، حيث حملت السلاح منذ الساعات الأولى للاحتلال و كان الشيخ محي الدين، والد الأمير عبد القادر أحد مشايخ هذه الطريقة.

الشاذلية: مؤسسها أبو الحسن الشاذلي التونسي المتوفي سنة 1258م في مصر، كما انتشرت في مراكش و منها انتقلت إلى الجزائر، و لهذه الطريقة فروع في بلدان المشرق الإسلامي³.

العيسوية: أسسها محمد بن عيسى الإدريسي في مكناس (المغرب)، توفي بتاريخ 1525م، يقدر عدد منخرطيها بحوالي 3500 رجل، أما تواجدتها فيكاد محصوراً في جنوب وهران، تحولت في عهد الاستعمار من طريقة صوفية إلى جماعة العاب بملوانية و شعوذة.

العليوية: أسسها رسمياً في مدينة مستغانم سنة 1910م الشيخ أحمد بن عليوة، و يعتبر العليويون بأن أساس الطريقة هي الشاذلية، و يضعون لها تسلسلاً في الأمة يصل إلى بن علي بن عبد المطلب، و تعتمد هذه الطريقة أسلوباً حديثاً في الدعاية والنشر، كالجرائد و الكتب و المنشورات لها فروع في المغرب و في المشرق العربي خاصة في مصر وسوريا و الأردن، كما أن لها فروعاً في

¹ - أحمد الخطيب، نفس المرجع ، ص86.

² - نفس المرجع، ص57.

³ - نفس المرجع، ص 58.

المغرب و في المشرق العربي خاصة في مصر وسوريا والأردن، كما أن لها فروعاً في أوروبا خاصة فرنسا¹.

و لكن هذا لا ينفي أن لبعض الطرق الصوفية في الجزائر دوراً لا يمكن إنكاره في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية و اللغة العربية خصوصاً، بعد أن طورت هذه الثقافة من مراكزها الأصلية من طرف الاستعمار إلى الزوايا الموجودة في الجبال الوعرة والصحاري القاحلة و لا تزال البعض من هذه الزوايا الصالحة تؤدي دورها في نشر الثقافة حتى اليوم مثل زاوية "الهامل" و "زاوية ابن أبي داود"، كما أن الطرق الصوفية كان لها دور كبير في الجهاد ضد الاستعمار مثل الطريقة الرحمانية و الطريقة القادرية التي كانت التابعة لأسرة الأمير عبد القادر بطل الكفاح الجزائري المعروف، و لكننا نتحدث عن الأغلبية وليس عن الأقلية الشاذة و لكل قاعدة شذوذ كما يقول النحويون².

جُهود جمعية العلماء المسلمين في مُحاربة الطرقية و الطرقيون :

لقد تضافرت السلطتان الاستعمارية و الروحية من أجل تخدير الشعب و تركه يموج في بحر من الخرافات أساسها تقديس الأشخاص، إن اللاشعور الجماعي للمواطنين لم يتخلص بعد من الخرافات المترسبة و لا يزال منجذباً نحو تقديس الأفراد و تحويلهم إلى شخصيات ملهمة و ميتافيزيقية تستوجب طاعتهم و عدم مواجهتهم و تخطيئهم³.

و قد ساعد على الانحدار العام نحو هذا الاتجاه المنحرف الذي انتهت إليه الطرقية في الجزائر كثرة انتشار الجهل و الأمية بين الناس، بعد أن قضت الحروب الكثيرة التي وقعت في الجزائر بعد الاحتلال بين الجزائريين و الفرنسيين، على زهرة العلماء المتنورين، و على معاهد العلم و مراكز الثقافة، و معظم التراث الفكري الإسلامي، يسخرها لخدمة مآربه في الجزائر، و هي تخدير الجزائريين عن الكفاح عن حرية بلادهم، و نشر التواكل و الكسل بينهم، و تثبيط همتهم في الاستعداد للكفاح من أجل الاستقلال و طرد المحتل الغاصب منها بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء و القدر الذي ينبغي التسليم به و الصبر عليه⁴.

لقد أصبح الطرقيون المنتشرون في كل جهات القطر تقريبا يشكلون قوة هائلة تقف حجر عثرة في وجه التطور و التقدم، و صارت كل محاولة إصلاحية أو سياسية تقوم في البلاد لتغيير الأوضاع الشاذة تلقى مقاومة عنيفة منهم، خوفاً على مصالحهم أن تنهار، عندما يستفيق الشعب من

¹ - نفس المرجع، ص 59.

² - تركي رابح، نفس المرجع، ص 101.

³ - زقاوة احمد، قصة الصراع بين التدين الخرافي و الإسلام النقي، على الرابط <http://www.Chihab.net/modules.php>

⁴ - تركي رابح، نفس المرجع، ص 99.

الغيبوبة الفكرية و الروحية، التي نشرها في أوساطه باسم الدين والتصوف المزعوم، و أصبحوا يحضون الشعب على قبول السيطرة الاستعمارية و الخضوع لها بدعوى طاعة ولي الأمر و يفسرون مدلول الآية الكريمة ﴿ و أطيعوا الله و الرسول و أولي الأمر منكم ﴾ على هذا الأساس¹. وكان شعارهم «اعتقد و لا تنتقد»، و قد شوهوا الدين الإسلامي الحنيف بأرائهم التعسفية و الإتكالية، فهم يفسرون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، بقولهم: فما دام الله قادراً على كل شيء فهو الذي أعطى القدرة و القوة لفرنسا على احتلال الجزائر و هو الذي يقدر أن يخرجها من الجزائر متى شاء من دون حرب و هي فكرة، كما نرى استعمارية تحاذية اتكالية و ديننا الإسلامي الحنيف منها براء²، فكانت سبباً في إطالة ليل الاستعمار المظلم في البلاد من جهة، و سبباً في تفرق صفوف الأمة و ضلالها في الدين و الدنيا من جهة أخرى³. و في هذا الباب يقول الشيخ الإبراهيمي: "إن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين، آت من جهتين متعاونتين عليه، أو بعبارة أوضح من استعمارين مشتركين، يمتصان دمه و يفسدان عليه دينه و دنياه، استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي، و استعمار روحي يمثل مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب، و المتغلغلون في جميع أوساطه، و المتاجرون باسم الدين، و المتعاونون مع الاستعمار عن رضا و طواعية، و قد طال أمد هذا الاستعمار الأخير، و ثقلت وطأته على الشعب، حتى أصبح يتألم و لا يبوح بالشكوى خوفاً من الله بزعمه، و الاستعماران متعاضان، يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، و غرضهما معاً تجهيل الأمة، لثلاث تفيق بالعلم و تفكيرها لثلاث تستعين بالمال على الثورة، و إذن فلقد كان من سداد الرأي أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون و هكذا فعلت"⁴.

و بناءً على هذا التحليل و التشخيص، بدأت الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني و ارتأى الإمام ابن باديس و من وافقه في الاتجاه، بداية العمل الإصلاحية الجهادية بمواجهتهم أولاً قبل مواجهة الاستعمار، فقد صرحوا من أول يوم بأنهم سائرون بهذه الجمعية على المبدأ الذي كانوا سائرين عليه من قبلها، و منه محاربة البدع و الخرافات و الأباطيل و الضلالات التي استحدثت في الأمة و ألحقت بالدين على أساس أنها منه، كبدع الطرق و ضلالتهم، فوقفت من كل ذلك الجمعية و قفة المنكر المشتد الذي لا يخشى في الحق لومة لائم، فلا عجب أن نرى القانون الأساسي، ينتهي إلى محاربة الطريقة أكثر الأعوان إخلاصاً للمستعمر، و تنص الجمعية في الأصول التي تتضمنها دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنبئ بوضوح عن أن القضاء على الاستعمار لن يكون إلا ببعث

¹ - نفس المرجع، ص 100.

² - سعد بوقلافة، ابن باديس نحات و جوانب من جهوده الإصلاحية و التربوية، الجزائر، مجلة بونة لبحوث و الدراسات، العدد 02 رمضان 1426 هـ نوفمبر

³ - مصطفى محمد حميداتوا، مرجع سبق ذكره، ص 66.

⁴ - محمود قاسم، مرجع سبق ذكره، ص 25.

الروح الإسلامية العربية عند هؤلاء الذين أوهمهم المبتلون أنهم أصبحوا فرنسيين، و من الواضح أن الأصل الرابع عشر من القانون ينص على أن كل ممارسات الطريقة باسم الإسلام، والتي هي محدثة مضافة إلى الدين، تنكرها الجمعية و تعمل على محاربتها، " اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما شرك و ضلال، و منه اعتقاد الغوث و الديوان"¹.

و أمام الصعاب التي واجهها ابن باديس و رجال الإصلاح خاصة أن الطرق المنحرفة كانت تتلقى الدعم من سلطات الاحتلال، استعان بالصحافة الإصلاحية لكشف حقيقة تلك الطرق المنحرفة متنبياً منهج إصلاح عقائد الناس و أعمالهم، إذ يقول: " قمنا بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح من التمسك بالقرآن الشريف والصحيح من السنة الشريفة و قد عرف القائمون بتلك الدعوة ما يلاقونه من مصاعب في طريقهم من وضع الذين شبوا على ما وجدوا عليه آباءهم من خلق التساهل في الزيادات و الزيول التي ألصقها بالدين المغرضون أو أعداء الإسلام الألداء و الغافلون من أبناء الإسلام"، فاستمر في محاربتهم : فكانت الحملات متوالية منذ أول جريدة أنشأها الإمام، هي المنتقد في 3 جويلية سنة 1925م و كان شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، و كما يدل عليها اسمها فقد كانت ثورة على كل المظاهر المنحرفة في المجتمع الجزائري بهدف تنبيه المجتمع إلى مواطن الخلل و التركيز على نقض الطرق الصوفية المنحرفة التي كانت تمثل الإسلام بصورة مشوهة، بعد قرابة العام من صدور الصحافة الإصلاحية التي تزعمتها صحف الشيخ ابن باديس و صمودها، و اشتداد الحملات على الطريقة خاصة على الطريقة العلوية و أتباعها، تحرك غيظ العلويين فقرروا الفتك بابن باديس، لأن بموته تختفي الصحف و ينطفئ نجم جمعية العلماء المسلمين اللتان كشفتنا أفعالهم المنحرفة، و ينتقمون لشيخهم أحمد بن عليوة الذي فضح أمره، كانت أولى بوادر الخلاف بين "الصحفي" عبد الحميد بن باديس و الزاوية العلوية بمسغانم قد بدأت في عام 1925م عندما شن بن باديس و زملاؤه في صحيفة "الشهاب" حرباً علمية ضد دعاة الباطل و الظلال من الطرفين الذين يدعون العصمة من الخوارق باسم الدين الإسلامي، فعاثوا فساداً في العقول والأموال و حتى في الأعراض، و عندما اشتد هجوم أقلام الشهاب قامت الزاوية العلوية عام 1926م بإصدار جريدة البلاغ الجزائري لتعارض بها الحركات الإصلاحية، حتى أنها حاولت اغتياله في 14 ديسمبر 1926م، و لكنها فشلت بعد تلك الحادثة اقترحت الجمعية مرافقاً دائماً للشيخ².

لقد اتبع العلماء منهجاً حكيماً في محاربة الطريقة، فعند تأسيس الجمعية تم دعوتهم للمشاركة فيها و استعملوا أسلوب المهادنة مع مشايخها خوفاً من بطشهم و نفوذهم حتى يشتد

¹ - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1935. ملحق سجل المؤتمر، ص15.

² - عبد الناصر، أول صحفي في التاريخ يتعرض لمحاولة اغتيال بسبب مقالاته، الجزائر، الشروق اليومي، العدد 1676، بتاريخ 2006/05/03، ص8.

ساعد الجمعية، و بهذا فوّت مؤسسوا الجمعية الفرصة على سلطات الاستعمار لاستغلال الخلافات بين المصلحين و الطرقيين لرفض تأسيس الجمعية، و بهذا نجحت خطوة التأسيس بأن أغشى بصر المحتل بالطرقيين و أصبح ينظر إلى الجمعية نظرة تحكّمها رؤيته لما سبقها من جمعيات تأسست و هي تعمل وتنشط من غير أن تقلقه أو تشكل عليه خطراً، أو تهدد مصالحه و وجوده و ثقافته و هيمنته، و ذهب المستعمر في تخميناته إلى أبعد ذلك، بأن حداه الأمل في أن تكون الجمعية عوناً له في الجزائر مثل غيرها من الجمعيات الدينية الأخرى بتواجد الطرقيين فيها، و بالتالي يستوعبها و يدجنها، و يوظفها كبيدق مهم في لعبة حقيرة، هدفها تبييض سياستها الدنسة، و هو الذي تعود و ألف التعامل مع إسلام الطريقة الذي لا يمتنع عن مرضاته¹.

و لفك الحصار المفروض من سلطات الاستعمار و الطرقيين، رد الإمام بن باديس على هذا الاستعداد بالقول: إنه لا يهم جماعة العلماء المسلمين أن تجهز على هذا الجريح المثخن، و يعترف بأنه حارب الطريقة لما عرف فيها من أنها بلاء على الأمة من الداخل و الخارج، فبذل هو و أصحابه كل الجهد في القضاء عليها بعد أن كشف أهدافها، و هو يؤكّد لمواطنيه في عام 1938م أن جماعة العلماء قد بلغت الغاية، و أنها عازمت على أن تترك أمر فلول الطرق الصوفية للأمة حتى تتولى القضاء عليها بنفسها.

و بفضل جهاد واجتهاد العلماء المنظم المخطط، استطاعة جمعية العلماء المسلمين محاصرة الطريقة و أزاليلها "فخدمت نيران أهل الزردة، و زالت عن البلاد حمى الدراويش و تخلصت منها الجماهير، بعد أن ظلت طوال خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، و تبتلع العقارب و المسامير مع الخرافات والأوهام"².

لقد نجحت خطة الإصلاح التي رسمها عبد الحميد بن باديس و نفذها بصبر و أناة، و هو تخطيط في غاية البراعة، إذ استطاع أن يعزل المتحالفين، فبدأ بالطرق الصوفية التي أراد في أول الأمر أن يستخلص العناصر السليمة فيها، لأن الأخوة في الله فوق أي اعتبار آخر، فلما حاربتته بدأ بعزلها عن الشعب، فلما لجأت إلى المستعمر أظهرها بمظهر الخيانة ففقدت سلطانها على الشعب، و لم تعد ذات نفع للحكومة الفرنسية بالجزائر، بل غدت عبئاً عليها³.

¹ - عبد الملك حداد، الطريقة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على الرابط <http://www.Chihab.net/modules.php?name=News>

² - مالك بن نبي، شروط النهضة، بيروت، دار الفكر، ص، 28.

³ - نفس المرجع، ص83.

و هكذا يظهر لنا مما تقدم مدى الصعوبات التي واجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في رسالتها الإصلاحية، خاصة و أن الطريقة والخرافات و البدع أصبحت راسخة في نفوس فئة كبيرة من الشعب الجزائري، تزيدها حماية و رسوخا سياسة الإدارة الرسمية¹.

و حسب الأستاذ الخطيب فان الجمعية استطاعت أن تشل هذه الطريقة، ثم تهاجمها قي عُقر دارها، في مساجدها و زواياها، و كان سلاحها العلم و الحوار المقنع، فانترعت من بين أيديها المواطن المسكين المستسلم الذي كان شارداً في الغيبات، و فتحت له المدارس العربية الحرة، فحملته سلاح الفكر و النشاط، و جعلته مواطناً صالحاً في المجتمع يتطلع لإنقاذ تراثه القومي والديني².

المبحث الثاني: إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العمل السياسي والثوري.

رغم تركيز جمعية العلماء المسلمين على نشاط التربية و التعليم، و الاهتمام بأمور الدين الإسلامي، إلا أنها لم تكن بعيدة عن النشاط السياسي، باعتبارها جزءاً من الحركة الوطنية، كما أنها شاركت في بعض النشاطات السياسية على غرار مشاركتها في فعاليات المؤتمر الإسلامي في سنة 1936، و التي سنركز عليها لأنها تعتبر تحولاً كبيراً في مسار الحركة الوطنية و جمعية العلماء معها و غيرها من الفعاليات التي كانت تهدف من خلالها إلى تخفيف الضغط على الشعب الجزائري و تحسين حالته الاقتصادية و الاجتماعية، و كذلك رفع الغبن و القيود على التعليم العربي الحر، الذي كان بداية المشروع الثوري عند ابن باديس و جمعية العلماء كما سنرى في دراستنا للفكر الثوري عند ابن باديس، و رغم أنها كانت ترى أن هذه الأحزاب تبحث عن مصالحها الخاصة، و من الممكن أن تعرقل وحدة الشعب و تطوره، و كانت الجمعية كثيراً ما تطالب بتأسيس حركة سياسية جزائرية على أساس شعبي و ليس على أساس حزبي، إلا أن ذلك لم يحل دون وجود اتصالات و مشاركات معها في بعض النشاطات السياسية و النضالية.

المطلب الأول: مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 .

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي انعقد بالعاصمة في السابع جوان سنة 1936م أول تجمع من نوعه في الجزائر، فلم تعرف الجزائر طيلة أكثر من قرن تجمعاً تشترك فيه كل الاتجاهات و تمثل فيه مختلف الطبقات و تبرز خلاله وحدة الصف و الكلمة علة مطالب معينة مثل ما حدث في المؤتمر المذكور³.

¹ - أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص 61.

² - نفس المرجع، ص 196.

³ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سبق ذكره، ص 151.

حيث كانت الردود الفعل على الاحتفال المئوي سنة 1930م متنوعة ولكنها لم تؤد إلى تجمع شعبي واسع النطاق، و ظلت مقصورة على مقالات الصحف و أحاديث المجالس الخاصة و لعل أول تجمع بالصفة التي نقصدها كان تأسيس جمعية العلماء سنة 1931م فقد كان ذلك مناسبة اجتمع فيها عدد كبير من الأشخاص من مختلف التيارات الدينية، و لكن الهدف كما كان لا يمثل جمع التيارات الاجتماعية و السياسية في البلاد، أما المؤتمر الإسلامي فقد كان يختلف عن جميع تلك المحاولات.

و مهما يكن من أمر فإن فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري تنسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، ففي حديث له إلى صحيفة "الدفاع" التي كان يديرها السيد الأمين العمودي بالفرنسية والتي كانت لسان الحركة الإصلاحية، دعا ابن باديس إلى اجتماع جميع الأحزاب الجزائرية في مؤتمر إسلامي " أو جبهة وطنية " لوضع قائمة من المطالب التي يطلبها الجزائريون من فرنسا و كان تاريخ هذه الدعوة هو 3 جانفي 1936م¹.

و قد علق أحد الجزائريين على ذلك بأن لابن باديس آراء بعيدة النظر في السياسة الجزائرية تقوم على أن "المرجع في مسائل الأمة والواسطة لذلك هي المؤتمرات" فإن ابن باديس إذاً هو "أول من فكر في عقد المؤتمر قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر" و يفهم من هذه العبارة الأخيرة أن المؤتمر كان سينعقد حتى و لو لم تتول الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا، كما يفهم منه أن ابن باديس لم يطرح موضوع المؤتمر بدافع من الجو الجديد الذي ساعدت عليه الجبهة، بل أنه فعل ذلك أيام كان قرار "رينيه" ما يزال كالسيف المسلط على الحريات المدنية، غير أن فرحات عباس يذكر أن المؤتمر الإسلامي قد انعقد كعلامة على الفرحة بقيام الجبهة الشعبية في فرنسا، و أن كتلة النواب المنتخبين هي من ولدت هذا المؤتمر و لكن الإبراهيمي صاحب الرأي السابق احتاط للأمر فذكر أنه لولا الجبهة الشعبية ما كان المؤتمر لينجح رغم اقتناعه بصواب رأي ابن باديس.

في حين انطلقت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي من قسنطينة و من ابن باديس باعتباره رئيساً لجمعية العلماء و محمد الصالح بن جلول رئيس كتلة النواب بها، و يصير أنصار هذا الرأي على أن الشعب الجزائري كان قد استجاب لدعوة الرجلين لأنهما تمثلا اتجاهين يشق فيهما "ثقة واسعة الحدود" فجمعية العلماء علمته المطالبة بحقه والاستجابة لدعوة الحق، و كتلة النواب علمته معنى النيابة، و إذا صدقنا هذا الرأي فإن الذين يقولون أن العلماء قد شاركوا بأشخاصهم فقط في المؤتمر هو رأي قابل للنقاش².

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص 259.

² - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 153.

لقد شاركت في المؤتمر إذن كل التيارات السياسية و الاجتماعية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار "النواب و العلماء و الشبان و الشيوعيون و الاشتراكيون و المرابطون" باستثناء النجم الذي كان ما يزال إلى ذلك الحين في فرنسا مقراً و نشاطاً، و قد جمع المؤتمر لذلك كثيراً من المتناقضات لا في التخطيط فقط و لكن في الأهداف الإستراتيجية أيضاً، فالذي كان يهتم النواب و النخبة هو مشروع فيوليت الذي وضع في الحقيقة من أجلهم، و كان العلماء مشاركين بنصف حماس و بطريقة غامضة، و كانت مطالبهم منحصرة في تحرير الدين الإسلامي من سيطرة الدولة الفرنسية و تعميم التعليم العربي الحر بواسطة أبناء الشعب أنفسهم، أما الشيوعيون و الاشتراكيون فكان يهتمهم بالدرجة الأولى جمع قوى الشعب الجزائري وراء الجبهة الشعبية التي كانوا مشتركين فيها و التي جعلت من شعاراتها محاربة الاضطهاد و الظلم في المستعمرات، لذلك كانت صياغة قائمة موحدة من المطالب أمراً عسيراً¹.

و رغم الحماس للمؤتمر و اعتباره من الأحداث البارزة في تاريخ الجزائر فإن قراراته كانت متواضعة، و يمكن تلخيصها فيما يلي: ثقة المؤتمرين في حكومة الجبهة الشعبية، إلغاء جميع القوانين الاستثنائية، منح المسلمين جميع الحقوق التي للفرنسيين مع التمتع الكامل بالميزات الإسلامية و إدخال إصلاحات عليها، منح الجزائريين حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي، انتخاب مشترك بين المسلمين و الفرنسيين (يعني هذا إلغاء النظام الثنائي في الانتخابات) و التأكيد على المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية، تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر.

بالإضافة إلى ذلك قدم الشيخ ابن باديس نقطتين تتضمنان مطالب العلماء، و قد وافق عليهما المؤتمر أيضاً بالإجماع و ضُمتا إلى (ميثاق المؤتمر) وهما:

- اعتبار اللغة العربية كالفرنسية لغة رسمية على أن تكتب بها جميع المناشير الرسمية و تعامل صحافتها كالصحافة الفرنسية مع إعطاء الحرية لتعليمها في المدارس الحرة.

- تسليم المساجد إلى المسلمين و تخصيص ميزانية لها على أن تتولى جمعيات دينية أمرها مؤسسة حسب قانون فصل الدين عن الدولة، و تأسيس كلية لتعليم الدين و لسانه العربي لتخريج موظفي المساجد، و تنظيم القضاء على يد هيئة إسلامية تنتخب بإشراف الجمعيات الدينية المذكورة، و إدخال إصلاحات على مدارس تخريج رجال القضاء².

و قدم ابن باديس النقطتين السابقتين "اللغة و الدين" باسم العلماء ولكنه قدم قائمة أخرى باسمه الشخصي لا تخرج في أساسها عن مطالب النواب و الشبان السابقة أيضاً، منها إلغاء المعاملات الخاصة بالجزائريين "الانديجينات" و المجالس العسكرية، و تسوية نواب الجزائريين بنواب الفرنسيين في

¹ - نفس المرجع، ص 157.

² - الشهاب، مرجع سبق ذكره، ص 211.

جميع المجالس، و توحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين (مجلس الجزائريين ومجلس المعمارين) و المساواة في الحقوق والواجبات¹.

و كان ابن باديس الشخصية الرئيسية في المؤتمر رغم أنه لم يضع نفسه في الصدارة، فهو الذي دعا إليه من البداية، و هو الذي كان موضع ثقة الجميع مهما اختلفت اتجاهاتهم، و هو الذي كان يقترح عليهم الإيماء لمهام معينة فيقبلون عن رضا، و قد طلبوا منه عدة مرات أن يقدم إليهم اقتراحات العلماء بشأن الإصلاح الديني والثقافي فلم يتردد أن قدم إليهم ما اعتبره باسم الجمعية و ما رأى أن يتحمل مسؤوليته بنفسه، و عندما كان في باريس لم يتردد ابن باديس في أن يتصل بزعماء النجم هناك رغم مخالفة زملائه له حتى قيل انه غير رأيه في بعض النقط².

و كان الوعي بهذه الحقيقة قد جعل أعضاء الحركة الباديسية يرون أنه ليس من المنطق الوقوف موقف المتفرج أمام ما تضطرب به الأجواء السياسية من غيوم محملة بالجهول، كما أنه ليس من الطبيعي أن يتم التهاور في شؤون الأمة بين المحتل و بين النخبة و هم أقلية، في غياب أعضاء جمعية العلماء و هم يمثلون الأغلبية، كما كان هؤلاء أي أعضاء الجمعية يشعرون أن ضخامة الواجب و عظمة المسؤولية التاريخية، و حسن التعامل مع الأحداث، إن هذا كله يفرض عليهم الدخول إلى هذا المعترك ذودا عن المصلحة العليا للأمة.

هذه القناعة من أبرز العوامل التي دفعت بالشيوخ ابن باديس إلى المشاركة في هذا المؤتمر تحسيساً للأمة لما يحاك ضد شخصيتها من مكائد، و حرصاً على جمع كلمتها و توحيداً لقواها الفاعلة في الساحة السياسية، بهدف مواجهة مؤامرة الاندماج و المحافظة على الذاتية بموقف و رأي واحد، و سعياً للحوار لا مجرد الحوار و إنما من أجل كسر ما اصطنعه (الأنانيون و الانتفاعيون) بمساعدة حكام الولاية العامة من حواجز للحيلولة بين الجزائري، و بين إيصال صوتها -مطالبة بحقوقها- إلى السلطات العليا في باريس، و قد سبق أن نادى ابن باديس بتكسير هذه الموانع منذ وقت مبكر في تعليقه على خطاب وزير الداخلية الفرنسي سنة 1926م و ها هو ذا يعود ثانية ليؤكد على ذلك بعد عشر سنوات: "إننا لا نزال - رغم القرن - مجهولين عند الأمة الفرنسية مجهولة مقاصدنا الشريفة السلمية المتركرة على روح الحق والإخاء و الإحلاص، فنريد أن نعرفنا و جهاً لوجه و تفهمنا فهماً يقطع لسان كل أفاك أثيم"، و إن ابن باديس بمشاركته في هذا المؤتمر و دخوله بقوة معترك السياسة عبر منبره لم يتخل بذلك عن منهجه الإصلاحية، و إنما رأى أن المصلحة العليا للأمة كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين تقتضي في هذه المرحلة أن يزاوج بين هذا المنهج و بين المنهج السياسي في وقت واحد و كانت مشاركته هذه مساهمة ظرفية، و إضافة

¹ - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 158.

² - نفس المرجع، ص 161.

ضرورة اقتضاها الصالح العام، ولم تكن من شأنها أن تعرقله في عملية مواصلة جهاده في بقية أهداف مشروعه الأخرى الدينية و الاجتماعية و غيرها التي أوقف حياته عليها، و ما استطاع أن يشغله عن النهوض بها غيرها.

يقول الأستاذ الهادي حسني في معرض تقديمه لآثار الإبراهيمي¹: "إن المدرك لروح فلسفة جمعية العلماء، العارف بمنطلقاتها الفكرية، العالم بمقاصدها، المطلع على أدبياتها يستيقن إن إسهام العلماء في هذا المؤتمر لم يكن إلا موقفاً مرحلياً، هدف ومن ورائه - في حال استجابة فرنسا لمطالب المؤتمر - إلى تخفيف الضغط عن الشعب الجزائري و تحسين حالته الاقتصادية المتردية و أوضاعه الاجتماعية المأساوية، و رفع القيود عن التعليم العربي، و نيل نصيب من تثبيت أسس مشروعاتهم الحضارية الذي يعد الشعب الجزائري ليوم الفصل، الذي يحق الحق و يبطل الباطل، فإن لم تستجب فرنسا لتلك المطالب - وهو ما كان العلماء يعلمونه علم اليقين، و يرونه رأي العين - اتخذوا من ذلك الرافض حجة أخرى يقنعون بها الذين يحسنون الظن بفرنسا أنهم لم ينالوا منها شيئاً، و أن وعودها برق خلب، أما الموقف الحقيقي للجمعية فهو ما عبر عنه الإمام الإبراهيمي في ذلك الوقت بقوله: "إن الحقوق التي أخذت اغتصاباً لا تسترجع إلا غالباً"².

كانت فرنسا تعلم أن الذي استطاع جمع الجزائريين على كلمة سواء هي جمعية العلماء، لذلك قررت أن تقضي عليها، و أن تتخلص من رؤوسها المفكرة، و أن تمتد عقولها المدبرة، و ان تسكت ألسنتها المعبرة، فدبرت مؤامرة ضد علماءها، في مدينة الجزائر يوم 2 أوت 1936م حيث اغتيل مفتي الجزائر، و أوحى إلى القاتل أن يصرح بأن الشيخ الطيب العقبي هو الذي حرض على القتل، و لكنه تراجع عن أقواله، فبرأ الله العقبي و الجمعية، في مدينة قسنطينة بعد أسبوع من اغتيال المفتي بمدينة الجزائر، حيث أطلقت رصاصات على الشيخ الحبيباتي لاهام ابن باديس باغتياله، و لكن الله أنجاه فلم يصب بسوء، في تلمسان حيث أراد الفرنسيون بالإمام الإبراهيمي كيداً، لكن شخصاً أعلمه بالمؤامرة، و نصحه بالخروج من تلمسان بضعة أيام³.

المطلب الثاني: موقع الجمعية في الساحة السياسية وعلاقتها بالأحزاب.

رغم أن نظرة الجمعية للأحزاب الوطنية نظرة ضيقة، إلا أنها لم تعارضهم لمجرد أنها أحزاب و إنما لما كان يثار من مصالح حزبية خاصة⁴، و هذا ما دفع بالبعض من رجال الجمعية إلى المطالبة بجل هذه الأحزاب، فهي - حسب رأيهم - تعرقل وحدة الشعب و تطوره، الأمر الذي دفعهم إلى الدعوة لتأسيس حركة سياسية جزائرية على أساس شعبي و ليس على أساس حزبي.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985، ص36.

² - البصائر، العدد 37، بتاريخ 02 أكتوبر 1936، ص1.

³ - محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع، ص36.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع، ص 115.

و السؤال المطروح هنا: ما طابع العلاقة الذي كان يربط الجمعية بالأحزاب السياسية الأخرى؟.

لقد دعت الجمعية و منذ عهد ابن باديس، الأحزاب الوطنية إلى التوحيد، من خلال دعوتها الصريحة في جريدة البصائر: "إن قوتكم في الاتحاد فاتحدوا، يا قادة الأحزاب، أن في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار، تورث العداوة الحزبية بين الأخوة، بحجة المحافظة على المبدأ، فانبذوها بضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف"، ثم أضافوا: "إن الجمعية هي المخلص الوحيد لهذا المأزق الحزبي".

و من خلال تتبعنا لمواقف الجمعية بهذا الخصوص، نجد زعماءها يذهبون إلى أحد من ذلك حيث يقول الإبراهيمي: "وجدنا بعضهم لا يرضى إلا بأن تكون جمعية العلماء جزء من هذا الاتحاد، و جمعية العلماء - كما هي في حقيقتها و كما أعلنت - فوق الأحزاب، و من مصلحة الأحزاب، أن تكون جمعية العلماء فوق الأحزاب"¹، ما مدى حجم الاستجابة التي تركها تصريح البصائر، و دعوة الإبراهيمي لدى الأحزاب السياسية؟، الواقع يؤكد أنهما لم تكن ذات قيمة، حيث أن الخلافات بين الأحزاب، ظلت مستمرة و عدم الاستجابة هذه يؤكدها إسماعيل العربي حين يقول: "الوطنية تتطلب الإخلاص و التضحية، أما السياسة فتحتاج إلى محترفين، يصلون بسرعة أكثر حين يتمسكون بوجهات النظر التي تفرق الأمة زيادة على هذه الأسباب، الجزائريون المشردون لا هم بالمدارس العربية و لا هم بالفرنسية، يحتاجون إلى جمع صفوف القوى للنظر في أمرهم"².

علاقة جمعية العلماء بحزب نجم شمال إفريقيا:

لم يكن للنجم أي ردة فعل واضحة تجاه تأسيس جمعية العلماء، إلا أنها صرحت في قانونها الأساسي بعدم تدخلها في السياسة؟، أو لبعدها الجغرافي، و اهتمامها بالتعليم و اللغة العربية التي تخص أيضا أنصار النجم بعد احتكاكهم بـ "شكيب أرسلان"، الذي رأى أن نشاطها متكاملًا فالعلماء لهم جانب الدين والعربية، و النجم جانب السياسة، و يبدو أن استبعاد الجمعية الخوض في المسائل السياسية هو الذي طمأن النجم و جعله يتقرب إليها و يناصرها، و من مظاهر ذلك، التأييد الذي حظيت به الجمعية من طرف النجم بعد إصدار قرار ميشال 1933م، من خلال ما أبداه النجم من تعاطف للعقبي دون أن يكون بينهما اتصالات³، لكن مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي، و اتجاهها بقوة لخوض النشاط السياسي، غيرت نظرة النجم و دفعته إلى معارضتها لكن دون الخروج عليها⁴، و لرفضه مطالب المؤتمر، خاصة فيما يتعلق بمطلب ربط الجزائر بفرنسا.

¹ - البصائر، العدد 10، بتاريخ 13 أكتوبر 1947، ص 2.

² - البصائر، العدد 13، بتاريخ 10 نوفمبر 1947، ص 2.

³ - عبدالحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 132.

⁴ - عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 186.

إذ يرى النجم في ذلك إدماجاً و ضياعاً للشخصية، في الوقت الذي لا ترى الجمعية في ذلك حرجاً¹، لأن ذلك سيحقق مطلب الاستقلال المعنوي، ورغم ذلك فالنجم لم يطمئن، مما دفع بمصالي إلى الجيء الفوري للجزائر يوم 2 أوت 1936م، ليقبل من مفعول المؤتمر، ويبين وجهة نظره وخطورة مطالب المؤتمر، حين عارض تدخل الجمعية في السياسة. و فعلاً فقد شكل ذلك خطراً على الجمعية و على سير أعمالها، حيث ذكرت البصائر بياناً للمجلس الإداري بينت فيه " أن مقاومون جدد ظهروا للجمعية"، و ردت عليهم بقولها: " أنهما لم تتدخل في السياسة من باب الحزبية، و إنما لتحافظ على المقومات الشخصية"².

جمعية العلماء و حزب الشعب الجزائري:

بعد تأسيس مصالي لحزب الشعب 1937م، ظل الخلاف قائماً رغم المحاولات التي أبدتها الجمعية، بعد كشفها لنوايا فرنسا "الجبهة الشعبية" غير المحدية، حين رد رئيس الحكومة "ديلادي" "Dilady" بقوله: "إن فرنسا تملك المدافع، فعليكم أن ترهبوها"، فرد عليه ابن باديس بالمثل قائلاً: "إن مدافع الله أطول"³، و لم تكن للجمعية فقط جهود المصالحة، بل لحزب الشعب كذلك الذي أراد الاستفادة من شعبية الجمعية، وكذلك لإبعادها عن كتلة النواب⁴، ولكن بعد المؤتمر الإسلامي زادت الخلافات بين الحزب و الجمعية كما يتبين لنا من خلال جريدة "الدفاع": " رغم تحالفنا في الوسائل والعمل والتفكير، فقد كنا دائماً ندافع ونحترم هذا الحزب، ذلك لأنه تجمعنا وإياه قضية واحدة هي الدفاع ضد الضغط، وعن الحرية الشخصية والصحافة، بيد انه عند تأسيس المؤتمر الإسلامي وجدنا الخندق قد اتسع كثيراً بيننا سواء مع النجم بالأمس أو حزب الشعب اليوم"⁵. و مع بداية الحرب العالمية الثانية، اقتربت وجهات النظر أكثر بين الحزبتين، خصوصاً إثر حل فرنسا لحزب الشعب، و تجميد نشاط الجمعية، و سجن أغلب أنصارها، إذ تحولت نظرة ابن باديس إلى المطالبة بالاستقلال لولا وفاته، لتتحول العلاقة إلى نوع من الفتور جراء مجازر 8 ماي 1945م لأن الجمعية حملت حزب الشعب المسؤولية⁶.

جمعية العلماء و حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

جعلت حوادث 8 ماي 1945م عدداً كبيراً من رجال الجمعية، ينفرون من أسلوب حزب الشعب، على عكس بعض المعلمين، وخاصة الشباب اللذين ظلوا متعاطفين معه، لكن بعد

¹ - نفس المرجع، ص 186.

² - محمد الطاهر فظلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، الجزائر، دار البعث قسنطينة، ص 137.

³ - بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة التحريرية الجزائرية، بيروت، دار النفائس، 1982، ص 121.

⁴ - عبد الحميد زوزو، نفس المرجع، ص 135.

⁵ - علي حشلاف، "المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931-1939"، الجزائر، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر

معهد علوم الإعلام والاتصال 1994م، ص 185.

⁶ - Mohamed Harbi : La Guerre Commence en Algérie ; édition Complexe, paris, 1984, p44-

حل الحزب وتأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية فيمكن القول بأن الأمر قد تغير، يكفي أن إبراهيمي قد طلب من فرحات عباس سحب مرشحيه في الانتخابات حتى يتسنى لحركة الانتصار الفوز فيها، رغم ما عرف عنه من الحياد حيال الحزبين، ومع ذلك فقد اهتم مصالي، إبراهيمي بخدمة مصلحة فرحات عباس على حسابه، و هو اهتم أرجع الأمور إلى سابق عهدها، حيث أظهر الخلاف من جديد حول عدة قضايا أهمها التعليم، الوحدة، والزعامة.

و بالنسبة للتعليم، فقد رأت حركة الانتصار أنه مسألة ثانوية خصوصاً أن الأهم في ذلك الوقت هو الاستقلال الوطني، أما فيما يخص الوحدة و الزعامة، فترى الجمعية أنها الأصلح في الزعامة، لأنها ليست حزباً سياسياً، وإنما جمعية دينية ثقافية، إضافة إلى ذلك صفات قادتها، كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت من الجمعية صاحبة الريادة بدون منازع، في وقت لا يخفى أنصار حركة الانتصار تشبههم بالزعامة لمحاولة تحقيق الوحدة، معتبرين ذلك من حقوقهم و من حق زعيمهم مصالي الحاج صاحب المبادئ الاستقلالية السامية، لذلك نادوا إلى اتحاد تحت مظلتهم و بالطبع هذا لا يرضي الجمعية التي لا تؤمن بالحزبية، و ما زاد من حدة الخلافات بينهما أكثر تصرفات الحركة المعتمدة في الدعاية و التي تراها الجمعية منافية للأخلاق، حيث وصف إبراهيمي أتباع مصالي بالطريقة السياسية التي تستحوذ على أموال الشعب بالباطل، و يجدون الزعيم مصالي وكأنه شيخ طريقة¹، رغم كل الخلافات "بان جامين ستورا" "Ben Jamine stora" يرى نقاط تقارب بينهما:

- التركيز على الهوية الوطنية، فحركة مصالي و أنصاره، يقدرون دور الجمعية في هذا المجال، و إن اختلفوا معهم في الطريقة، و في الوقت الذي نجد فيه الجمعية تثني على جهود الحركة في موضوع الهوية مع كثير من التحفظات، و نلمس هذا التقارب في رفض الإدماج و الدستور الجزائري. - مشاركتهم معاً في جبهة الدفاع عن الحرية واحترامه، رغم أن مصالي لم يتحمس للفكرة².

جمعية العلماء وحركة أحباب البيان والحرية :

لقد كان لظروف الحرب العالمية الثانية، ومشاركة فرحات عباس في صفوف الجيش الفرنسي، هي التي ساعدت على تأسيس الحزب، إذ أدرك أن الفرنسيين لا يؤمنون بتحقيق المساواة التي كانوا يدعون إليها، فاقنع بأن فرنسا ليست صاحبة المبادئ كما كان يرى، فاستغل فرصة

¹ - محمد البشير إبراهيمي، ج3، مرجع سبق ذكره، ص117.

² - Ben Jamine stora, **Missali Hadj**, édition L' harmattan, paris 1986, p 235

نزول الحلفاء إلى شمال إفريقيا - الجزائر¹، وحوال الاتصال بمختلف القوى الفاعلة في الجزائر و منها جمعية العلماء لتقديم بيان للحلفاء يضغطون من خلاله على فرنسا بمنح الجزائريين الحق في تقرير المصير، و فعلاً حصل على تأييد رئيس الجمعية الإبراهيمي، رغم تخوفه من سياسة فرحات الفيدرالية، و تمت كتابة البيان الذي عرف ببيان 10 فيفري 1943م، و إثر رفض فرنسا مطالب البيان و تجاهلها له في قرار 7 مارس 1944م، رأى فرحات ضرورة دراسة الوضع المترتب بين الجمعية و حزب الشعب فاجتمع الثلاثة لدراسة مقترحات البيان، و كللت ذلك بميلاد حركة أحباب البيان و الحرية، من هنا تبدأ العلاقات بينهما التي سارت نحو مجرىً جديداً، إذ تحمست الجمعية لمطالب البيان، لكونها حافظت على الشخصية الوطنية من جهة، و استطاعت أن تجمع القوى الفاعلة في الجزائر من جهة أخرى².

جمعية العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

"إننا في الوقت الذي يقف فيه إخواننا العرب في المشرق و المغرب، كتلاً مترابطة للدفاع عن حقوقهم في الحرية و الاستقلال، نقف نحن موقفاً مفعماً بالشك و المرارة، لأن الخصومات الحزبية قد وضعتنا في مركز من العجز، نجد صعوبة حتى في تنظيم إضراب بسيط على سبيل الاحتجاج"³، هكذا عبرت البصائر عن الوضع الذي كان سائداً في تلك الفترة بصورة عامة، لأنه أثناء تأسيس الاتحاد، لم تكن للجمعية جريدة تتكلم باسمها، و قد ذكر من قبل العلاقة التي كانت تربط الإبراهيمي بفرحات عباس، خصوصاً أثناء إقامتهما في السجن، و هذا ما جعل الإبراهيمي يؤيد مشاركة فرحات في انتخابات 2 جوان 1946م، في الوقت الذي عارض مصالي و أنصاره ذلك، و فعلاً فقد فاز فرحات عباس في انتخابات 1946م، محرزاً على 11 مقعداً من أصل 13 مقعداً، رغم أن الكثيرين من أعضاء حزب الشعب قد صوتوا لصالح البيان، و بذلك توج العمل الذي قام به العلماء بالنجاح⁴.

غير أنه عندما دخل مصالي إلى معترك الانتخابات سنة 1947م، فقد حاول الإبراهيمي التوفيق بين الحزبين إلا أنه لم يفلح، لتعنت أنصار مصالي، مما جعله يقدم على إقناع فرحات عباس بسحب ترشحه حفاظاً على تماسك الجزائريين، فسمع للإبراهيمي و انقاد لمشورته⁵.

إن العلاقة بين الجمعية و حزب الاتحاد ظلت قائمة و متينة يدل على عمقها الدعم الصريح للمكتب الإداري للاتحاد في الانتخابات، حتى أن هناك من ترشح للانتخابات في قوائم هذا الحزب.

¹ - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص 115.

² - شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، تر، منجي سليم، تونس، الدار التونسية للنشر، 1976، ص 329.

³ - البصائر، العدد 13، بتاريخ 10 نوفمبر 1947، ص 2.

⁴ - شارل أندري جوليان، نفس المرجع، ص 342.

⁵ - محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع السابق، ص 138.

الجمعية وكتلة النواب:

من الأسباب التي جعلت موقف النجم يتغير اتجاه الجمعية، انحيازها إلى كتلة النواب، من هنا يمكن القول أن للجمعية علاقة بالنواب، رغم التباين الكبير في وجهات النظر، فالعلماء تارة يجدون في النواب أحسن من يمثل السياسة، و تارة أخرى ينظرون إليهم بسخرية ويعتبرونهم أبناء فرنسا و العوبة في يد المعمرين، و ذلك لكونهم متأثرين بالمبادئ الفرنسية، و النواب يجدون في الجمعية مطية للحصول على الشهرة و التأييد و لعل أهم عامل ساعد على هذا التقارب هو إدراكهما لما تمثله الجمعية من ثقل في الأوساط الشعبية و احترام قادتها و إن اختلفا من حيث المبادئ، في المقابل كان العلماء يتهمون النواب بالجهل، و يصفونهم بالجن و عدم قدرتهم على تأسيس حزب سياسي له برنامج خاص به، مثل الأحزاب الفرنسية، فبالرغم من هذه الاختلافات، إلا أننا نلاحظ أن هناك تطوراً ملموساً في العلاقة بين النخبة و العلماء منذ سنة 1933م، حينما طرح مشروع بلوم فيوليت و رحب بمطالبة النواب، و اعتبروه المنقذ للأمة الجزائرية، و عندما دخل ابن جلول الانتخابات سنة 1934م ، و ساعده في ذلك ابن باديس حين قال: " فلما جاءت الحركة السياسية و تقدم رجال أحرار للنياحة عن الأمة، و كان جميع المنتمين للجمعية بطبيعة عملهم و بصرهم لا بوحى جمعيتهم مع النواب الأحرار، و فاز النواب الأحرار في أكثر الدوائر و كنا رجال الجمعية لا يكون موقف عام إلا أيدناه و لا مواطن يقتضي التقدم إلا قدمناه"¹.

ما يبدو على الجمعية أنها لا تعزل نفسها عن القوى السياسية الفاعلة في الجزائر، بل كانت دائماً تحاول مد جسور التواصل سواء مع التي معها أو ضدها، أما في ما يخص كتلة النواب فالأمر الذي أصاب الجمعية جراء قرار ميشال هز كل القوى الجزائرية و جعلها تناصرها.

و في أحداث قسنطينة وقف ابن جلول رفقة ابن باديس لتهدئة الشعب، كما قابلوا معاً الوالي العام، و في هذا الصدد قال ابن باديس: "استطاع الدكتور ابن جلول بعدما بذل جهد الأبطال، أن يسكن نائرة الناس، و هذا أول مواقفه العظيمة في إطفاء نار الفتنة، و هو دليل على مكانته عند الأمة و على حسن استعماله لهذه المكانة في الخير"².

استمرت الجمعية في علاقاتها مع النواب خصوصاً أثناء التحضير للمؤتمر الإسلامي، إذ دعا ابن باديس ابن جلول و طلب منه أن يترأس المؤتمر، و يظم المكتب عشرة أعضاء من النواب، و ثلاثة من العلماء، ناقشوا المطالب و وافقوا عليها، ثم كونوا لجنة تنفيذية مختلطة مهمتها تطبيق القرارات لكن بمجرد عودة الوفد من باريس زالت مسببات الاتحاد، و عادت الأمور إلى سابق عهدها خصوصاً أن ابن جلول و جماعته عادوا إلى تأييد قرار ميشال القاضي بتأديب الجمعية، و حينها

¹ - البصائر، عدد 43، بتاريخ 1947، ص1.

² - عبد الحميد ابن باديس، فاجعة قسنطينة، الجزائر، مجلة بونة، مرجع سبق ذكره، ص130.

ازدادت العلاقات فتوراً، بعد اغتيال المفتي كحول، و اتمام الإدارة الاستعمارية و ابن جلول للعقبي في ذلك، و هذا ما أكده ابن باديس بعد عودة ابن جلول من باريس، عندما ذهب ليقدم مطالب ضد مطالب المؤتمر، فعقدت الجمعية اجتماعاً قررت فيه اعتبار ابن جلول عدواً لها، إلا العقبي أملاً في أن تثمر جهوده للمصالحة ، لكن للأسف، و مع ذلك لم تدم فترة الجفاء طويلاً لتعود العلاقات من جديد سنة 1937م، بمناسبة الاحتفالات الفرنسية باحتلال قسنطينة، و التي حاربها كل من ابن باديس و ابن جلول، رغم تخوف أنصار هذا الأخير من التقارب.

إن حقيقة أمر العلاقة بين الجمعية والنواب أمر معقد جداً فالجمعية تطلب حمايتهم في أوقات الشدة، و النواب يحتاجون إلى تأييدها للفوز بالانتخابات، و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الإبراهيمي كان نقده للنواب أقسى من نقده للأحزاب السياسية الأخرى، إذ أسقط عنهم صفة النيابية و تمثيل الشعب، و اعتبرهم موظفين حكوميين وصلوا نتيجة التزوير، و أن تقربهم للجمعية لم يكن إلا من أجل الانتخابات، لذلك حمل مسؤولية انقسام الأحزاب السياسية إلى النواب، حاثاً إياهم على تفضيل المصلحة العامة على الخاصة، بتكوين جبهة موحدة ضد السلطات الاستعمارية، حيث يقول: "لكن الرجل - ابن جلول- تملكه الغرور، و تكشف عن خلال، كلها غمزة في وطنية السياسي، و كان أقوى الأسباب في سقوطه، اصطدامه بجمعية العلماء، و هي التي كوتته و أذاعت اسمه، و عادت له الطريق إلى النيابات، فأرادت الجمعية أن تستصلحه فلم ينصلح فنبذت إليه على السواء"¹.

جمعية العلماء والحزب الشيوعي:

منطقياً وبالنظر إلى مبادئ كل من القوتين، نرى استحالة أن تكون بين الجمعية و الحزب الشيوعي علاقات، لكن ورغم الخلاف السابق*، نجد محاولة الجمعية للتقرب من الحزب، مع أنه يعتبرها منظمة برجوازية تحارب الشيوعية، و تعمل ضد العمل الثوري المنادي بالاستقلال، و مع ذلك فالعلاقات بينهما تعود إلى صدور قرار "ميشال" الذي ضيق من نشاط الجمعية، حين استنكر أعضاء الحزب الشيوعي هذا القرار في اجتماعهم، بعد الاتصالات التي جرت بينهما²، من هنا يظهر التأييد الشيوعي للمؤتمر الإسلامي، حينما صرحت الصحيفة الناطقة باسم الحزب الكفاح الاجتماعي قائلة: "إن الحزب الشيوعي المنظم إلى الجبهة الشعبية ضد الفاشية يؤيد كل مطالب المؤتمر الإسلامي"، مع أنها تعلم أن ابن باديس هو الداعي لمثل هذا المؤتمر، لهذا اعتبر ابن باديس الشيوعيين حلفاء له، حين عبرت الشهاب على ذلك بقولها: "إن الشيوعيين الفرنسيين يستحقون

¹ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، مرجع سبق ذكره، ص132.

* - يرجع الخلاف إلى المنطلقات الأيديولوجية المختلفة.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سبق ذكره، ص 25.

الشكر و التقدير على ما يبدونه من عطف على ضعفنا ومقاومة الظالمين لنا"، و في حوار صرح به ابن باديس إلى بعض الوطنيين، أن سياسة الجمعية تتلخص في أن عدو العدو صديقنا، و هذا تصريح كاف على فهم أن ابن باديس يستخدم كل الوسائل للوصول إلى مبتغاه، إن الجمعية اعتمدت على الحزب الشيوعي في المؤتمر الإسلامي لكونه طرفاً في الجبهة الشعبية الحاكمة، و أن هدف المؤتمر هو توحيد كل الأطراف الجزائرية دون تمييز¹، رغم ذلك فالعلاقة لم تستمر، وهذا لفشل المؤتمر بعد رفضه من طرف الجبهة الشعبية، ومع أن الحزب الشيوعي طرف فيه، إلا أنه لم يحرك ساكناً وهذا في حد ذاته يعد تحاذلاً، الأمر الذي جعل الجمعية لا تقدم على ربط علاقات من جديد رغم محاولات الحزب الشيوعي المستمرة في هذا الاتجاه منذ سنة 1938.

¹ - نفس المرجع، ص 179.

وانصرفت الجمعية في نشاطها الدعوي إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة مؤمنة بقضيتها الدينية والوطنية، عن طريق الاهتمام بالمدارس و التدريس الديني والعام، مدركةً حاجة السياسة و القتال إلى سبيل مختلف في التعبئة و بناء الكادر لذلك خصت مسألة التربية و التكوين باعتبار مميز، و كان له شديد التعويل عليها في بناء جيل الرسالة الدينية و الوطنية، فالعلماء ثوريون من حيث الأهداف أما في الوسائل فلا يستخدمون إلا ما تسمح به عقلية الاستعمار¹.

كان لقرار تأسيس الجمعية في أساسه هدف، وكان الهدف هو الشباب و التربية لأنهم أدركوا أنّ النهوض بواجب تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي الذي كان قد مضى عليه قرن من الزمان يوم تأسيس الجمعية، و بعدها تطوير المجتمع و النهوض بواجب التنمية في مختلف الميادين لا يكون إلا إذا تحقّق أمر به يكون التحرير، و به يكون التقدّم، إنه تنشئة جيل في الجزائر كلّها يملك من المؤهلات و الطاقات و المواهب ما يمكنه من صناعة المستقبل الأفضل، إنه جيل آمن بالله تعالى و التزم بالكفاح والعمل حتّى النصر و تحقيق التقدّم².

و غالبية المؤرخين متفقين أو على الأقل تلاقى وجهات نظرهم فيما يخص مساهمة المصلحين في تاريخ الثورة، فعلى سبيل المثال محفوظ قداش يرى غموض المصلحين في النشاط السياسي، بينما يظهر ذلك النشاط بشكل جلي في ميدان الثقافة³، في حين يرى عبد القادر جغلول، أن العلماء يعتبرون أنفسهم وبطريقة مختلفة كوطنيين⁴، بينما يرى أبو القاسم سعد الله، أن مشاركة العلماء في الثورة كان فعلاً جداً⁵.

لقد تحدث ابن باديس هنا عن الاستقلال و الجزائر محتلة و لم يذكر الجزائر صراحة إنما كان يناقش احتلال الإنجليز لبعض الدول الإسلامية و يدعوها إلى الجهاد و عدم الاستجداء، فما كان الاستقلال يُمنح ويُوهب.

ويسير ابن باديس في هذا الخط متحدثاً عن الاستقلال و الحرية مطالباً فرنسا بالحقوق كأنما ليوهم فرنسا أنّها صاحبة الأمر ليوصل هو عمله في إيقاظ الأمة، ذلك أن أمة جاهلة بدينها و تاريخها و لغتها و شخصيتها و كيانها لا تقوى على أخذ الاستقلال أو التفكير فيه، وكان مما قاله

¹ - يحيى بوعزيز، مع تاريخ في الملتقيات الوطني والدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 414.

² - أسعد السحمراني، الشباب في فكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، على الرابط <http://benbadis.net/al-ibrihimi/etudes/article5.htm>.

³ - Mahfoud Kaddache : **Histoire du nationalisme Algérien : Question national et politique**

algérienne (1919 – 1951). Alger, ENAL .2em édition. 1993, 2Tomes, p 223

Abdelkader Djeghloul : **La Formation des intellectuels Algériens modernes ,1880-1930** , Revue ⁴

Algérienne des Sciences juridique, économique et politique , 22-4- décembre 1985.p639- 664

⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سبق ذكره، ص 146.

ابن باديس يوقظ به الأمة إلى حقّها في الاستقلال¹ فيقول: "إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا و قد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم و المنعة و الحضارة، و لسنا مع الذين يدعون علم الغيب مع الله و يقولون إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلباً و تصبح الجزائر مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر"².

و في نفس المعنى يقول: "قلّب صفحات التاريخ العالمي، وانظر في ذلك السجلّ الأمين هل تجد أمة غلبت على أمرها أو نُكبت بالاحتلال ورُزئت في الاستقلال ثم نالت حريتها منحة من الغاصب و تنازلاً من المستبد و منةً من المستعبد اللهم كلا! فما عهدنا الحرية تُعطى و إنّما عهدنا الحرية تُؤخذ، و ما عهدنا الاستقلال يُمنح و يوهب إنّما علمنا الاستقلال يُنال بالجهاد و الاستماتة و التضحية، و ما رأينا التاريخ يُسجّل بين دفتي حوادثه خيبةً للمجاهد إنّما رأيناه يُسجّل خيبةً للمستعبد"³.

لم يقف ابن باديس عند مرحلة التفكير و الكتابة في الصحافة داعياً إلى الاستقلال بل تعدّى ذلك إلى مرحلة التفكير العملي. فبعد رجوعه من فرنسا حيث شارك في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 م، استقبل من طرف عشرات الآلاف فخطب فيهم فقال: "أيها الشعب إنك - بعملك العظيم الشريف - برهنت على أنك شعب متعشق للحرية و هائم بها، تلك الحرية التي ما فرقنا قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها، و سنعرف في المستقبل كيف نعمل لها و كيف نحيا و نموت من أجلها". و في هذا الجمع تابع كلامه في عشرات الألوف قائلاً: "أيها الشعب لقد عملت و أنت في أول عملك هذا فأعمل و داوم على العمل، و حافظ على النظام و أعلم بأن عملك هذا - على جلالته - ما هو إلا خطوة و وثبة، و راءه خطوات و وثبات و بعدها إما الحياة و إما الممات"⁴.

و يضرب مثالا آخر في التضحية بمناسبة افتتاح دار الحديث بتلمسان في خريف 1937 م رافق ابن باديس الوفد إلى مكان تواجد أطلال مسجد المنصورة، أين حرر نداء يدعو فيه الأمة الجزائرية للصيام و ملازمة المساجد على خلفية ذكرى مرور مائة سنة على احتلال قسنطينة، و لما قرأه على الوفد، جعل أحد تلاميذه يثبط عزمته، و يحذره مغبة نشره، فغضب الإمام و قال: "يا

¹-مازن مطبقاتي، عبد الحميد بن باديس العالم الرياني والزعيم السياسي، دمشق، دار القلم، 1989، ص 58.

²- الشهاب: ج 3، م 12، جوان 1936 م، ص 145.

³- نفس المرجع، ص 168.

⁴- الشهاب، ج 6، م 12، سبتمبر 1936 م، ص: 272.

أبنائي ! إنكم تعلمون أني لم أطلب أي شيء لنفسي، و لكني اليوم أطلب لنفسي شيئاً واحداً، هو أن تسمحوا لي أن أكون أول ضحية في سبيل الجزائر، عندما يجين الوقت للتضحية في سبيلها"¹.

ويعني نفسه بالحرية فيقول: "آه ، آه أيتها الحرية المحبوبة ، وأشوقاه إليك بل وأشوقاه إليهم ، الحيا محياهم، و الممات مماتهم ، أنقذ اللهم بهم عبادك و أحي بلادك، و ألقنا - اللهم بهم- غير مبدلين ولا مغيرين آمين"² ، فكانت كلماته نداء صريحاً للحرية، و دعوة لتحقيق الاستقلال ولو اقتضت الظروف بالاحتكام للسلاح.

و كثيرة هي الدلائل على هذا التفكير ومنها أحاديثه لتلاميذه حيث يروي الشيخ محمد الصالح رمضان أن بعض شبّان الحركة الوطنية جاؤوا للشيخ ابن باديس و قالوا له أنت شخصية كبيرة، لماذا لا تدعو للاستقلال و أنت مسموع الكلمة؟ فقال لهم: "يا أبنائي من أراد أن يبني منزلاً هل يبدأ بالسقف؟ قالوا: لا، قال: فيماذا إذن؟ قالوا: بالأساس و الجدران. فقال: هذا ما أفعله، الآن نبي الأساس و الجدران ثم نبي السقف"³.

وقد رُوي عن الشيخ أكثر من حديث أبدى فيه عزمه على إعلان الجهاد، ومنها ما ذكره الشيخ حمزة بوكوشة قائلاً: " كنا جلوساً مع الشيخ و كان مريضاً جداً و كان من ضمن الحضور محمد جلول عبد الرحمن بن ببي فقال لنا الشيخ: تعاهدوني، فقلت له الشيخ حمزة: نعاهدك على أمر تكون فيه، قال: وهل يمكن أن أطلب أمراً لا أكون معكم؟ قلت: إذاً على ماذا نعاهدك؟ قال: الوقت الذي تعلن فيه إيطاليا الحرب على فرنسا فإننا نعلن الحرب عليها. ومات قبل ذلك.

و يروي الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الأعلى الإسلامي بالجزائر أنه في إحدى أمسيات خريف عام 1939م في مجلس بمدرسة التربية و التعليم بقسنطينة و كان الحديث حول الأوضاع السياسية في العالم و إعلان الحرب العالمية الثانية و قبول بعض رجال الأحزاب السياسية التجنيد في جيش فرنسا طوعاً أو كرهاً قال ابن باديس رحمه الله ما معناه: لو أنهم استشاروني أو استمعوا إليّ و عملوا بقولي لأشرت عليهم بصعودنا جميعاً إلى جبال أوراس و إعلان الثورة"⁴.

و إن كان ابن باديس قد فكّر في الثورة فقد أعدّها لها عدتها فكرياً و نفسياً و عسكرياً فقد أكد أحد تلاميذ ابن باديس الأقدمين و هو محمد الحاج بجة من دائرة أقبو أن الشيخ كان يسأل تلاميذه الكبار عن أدائهم للخدمة العسكرية فمن أداها ميّزه عن غيره و قال لهم: "إننا سنحتاجكم

¹ - محمد خير الدين : مذكرات ، ج1، مرجع سبق ذكره ، ص 407.

² - البصائر، ع 175، 21 جويلية 1939 م.ص 1.

³ - محمد الصالح رمضان ، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس (من آرائه ومواقفه)،الجزائر، دار البعث، 1983 م، ص: 49

⁴ - أحمد حماني، ابن باديس والثورة، الجزائر، مجلة بونة، العدد 2، الصادرة في نوفمبر 2004، ص 99.

يوماً ما"، وكان يوصيهم بالمحافظة على معرفتهم للرمي وكما ذكرنا من قبل أنه كان يقرباً إليه الفضيل الورثياني لأنه أدّى الخدمة العسكرية، وكان يعهد إليه بتربية صغار التلاميذ على الثورة.

لقد عاش الشيخ عبد الحميد بن باديس للفكرة والمبدأ ومات وهو يهتف "فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر و العرب" لم يجد عن فكرته و مبدئه قيد أمثلة حتى آخر رمق من حياته، ولم يبال بصحته الضعيفة التي تدهورت كثيراً في السنتين الأخيرة من حياته، فقد كانت آخر محاولة للإدارة الاستعمارية هي زيارة والي عمالة قسنطينة للإمام في مرضه الذي توفي فيه، وكان في منزل والده، في هذه الزيارة عرض - الوالي - عليه أن يصرح بأنه نادم على زج جمعية العلماء في السياسة، وأنه لا يحمل حقدا لفرنسا !

هنا حاول الإمام القيام من فراش المرض، وقال في غضب : "أخرجوني من هنا، أو أخرجوه ! فقام الوالي و خرج يتعثر في أذيال الخيبة والهزيمة.

لقد كان هذا الموقف المشرف آخر موقف للإمام عبد الحميد الذي ختم به حياته المليئة بالأعمال الصالحة. ولفظ الإمام أنفاسه في ذلك اليوم، فمات رحمه الله ولم تنل الإدارة الاستعمارية أدنى تنازل منه.

موقف البشير الإبراهيمي من الاستعمار :

للشيخ البشير الإبراهيمي عدة آراء حول الاستعمار تصب كلها في تكريس معاداته و العمل على التخلص منه ، " إنَّ الإسلامَ والاستعمار ضِدَّان لا يلتقيان في مبدأ و لا في غاية فالإسلام دينُ الحرية والتحرير، و الاستعمار دين العبودية و الاستعباد ، نستتج من كل ذلك أن الاستعمارَ عدوٌّ لدوِّد للإسلام و أهله، فوجب في حكم الإسلام اعتبارُ الاستعمار أعدى أعدائه و وجب على المسلمين أن يطبَّقوا هذا الحكم وهو معاداةُ الاستعمار لا موالاته"¹.

ليس غريباً على أي استعمار أن يسلب الإنسانية حريتها و يطوقها و لكن الغريب أن الاستعمار يستعمل ألفاظ الرحمة أو بعض اشتقاقاتها في سلب هذه الحرية، هذه السطوة الفظيعة والقبضة الوضيعة كانتا دائماً من صنيع الاستعمار الذي يقول عنه الشيخ : "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت و أسباب الموت" و الاستعمار سلٌّ يجارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح" و كلامنا موجه إلى فرنسا الاستعمارية و إلى آلات الاستعمار من عقول و أفكار و رجال و هيئات، فلا تتجاوز الظنون بنا هذه الدائرة"².

و هكذا يأخذ البعد السياسي في كتابة الإبراهيمي تركيزاً مباشراً لا يميل إلى التلميح أو الترميز، لأن الموقف يستوجب الخيار بين أمرين:

¹ - محمد لإبراهيمي البشير، الآثار ج5، مرجع يبق ذكره. ص68.

² - البصائر، عدد 115، 1950. ص 1.

- إما الخضوع للسلطة الاستعمارية و الحصول على الامتيازات.

- أو التوجه إلى الشعب مما يؤدي إلى غضب السلطة.

فاختار الإبراهيمي الخيار الثاني، مما دفعه إلى تبصير الشعب بحقيقة الخطر و إلى تعبئة الغافلين و قهر دعاة الاستعمار و أنصاره . قائلًا: "يا هؤلاء! إن الاستعمار شيطان وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا وإن الاستعمار شر و محال أن يأتي الشر بالخير، و محال أن يجني من الشوك العنب"¹.

إن الطابع العام للفكر السياسي عند الإبراهيمي يرسم حقيقة الوعي الإنساني، على الرغم من أن السمة الأساسية التي تميز نوعية التفكير عند الإبراهيمي هي السمة الإصلاحية وهي سمة غالباً ما تأخذ قيمتها الشعورية عن طريق الوازع الديني.

إن التحرير من الاستعمار في فكر الشيخ الإبراهيمي قسمه إلى قسمين:

أحدهما: استعمار روحاني داخلي: يقوم به جماعة من إخواننا الذين يُصلّون لقبلتنا باسم الدين، و غايتهم استغلال الأمة، و وسيلتهم صدّ الأمة عن العلم، حتى يستمر لهم استغلالها و هؤلاء مشايخ الطرق الصوفية التي شوهدت محاسن الإسلام.

والثاني: استعمار مادي: تقوم به حكومة الجزائر باسم فرنسا، و غايتها استغلال الأمة و وسيلته سد أبواب العلم في وجه الأمة حتى يتم لها استغلالها، و الاستعماران يتقارضان التأييد و يتبادلان المعونة، كل ذلك على حساب الأمة الجزائرية المسكينة، أولئك يضلّونها، و هؤلاء يذلّونها، و جميعهم يستغلّونها، و كنا نتفق على هذا، و لكننا نحمل الرأي في أي الاستعماريين، يجب أن نبدأ بالهجوم عليه، و لم يكن من الصعب علينا الاتفاق على الهدف الأول للهجوم، فاتفقنا على أن نبدأ بالهجوم على الاستعمار الأول وهو الطرق الصوفية، لأنها هي مطايا الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا و وسطها و غربها، و لولاها لم يتم له تمام.

و لطالما دعا البشير الإبراهيمي بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية، و لكنها كانت دعوة غير مباشرة لفصل الجزائر عن فرنسا.

و نقول هنا أن ثمار تلك الجهود التي قامت بها جمعية العلماء، في تربية النشء و تعليمه قد ظهرت مع ثورة نوفمبر 1954م حيث أن مناهج التعليم التي كانت تقرن بين تعليم اللغة العربية و تعاليم الدين الإسلامي هي التي خلقت ذلك التلاحم الفكري العقائدي أثناء الثورة، و لما كانت الدعوة إليها وفق تلك التعاليم التي انتشرت في ربوع الجزائر فقد كان من السهل على الشعب أن يتبنى العمل الثوري و يدخل فيه دون تردد، على العكس من ذلك لو كانت الدعوة للثورة من أطراف أخرى، إذ و بعد قيام ثورة نوفمبر 1954م، أصبح همّ أغلبية الجزائريين كيفية التخلص

¹ - البصائر، عدد 4، بتاريخ 29 أوت 1947، ص 1.

من الاستعمار بصفة نهائية واسترجاع السيادة الوطنية، فانقلبت الأوضاع وأعلن الجهاد باسم الإسلام و القرآن و قام الشعب الجزائري كرجل واحد لمكافحة العدو¹.
و بذلك يمكن القول أن أهداف كانت علماء الجمعية كانت ثورية تحريرية، و ان بدت سلمية في وسائلها.

المبحث الثالث: جمعية العلماء المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية.

شهدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تطورات هامة بعد الحرب العالمية الثانية، رغم مراهنات البعض على تراجع دورها على الساحة الوطنية بعد وفاة مؤسسها الشيخ ابن باديس ولكنها زادت قوة وانتشارا بعد تولي الشيخ البشير الإبراهيمي رئاستها، مواصلا على درب الإصلاح و التغيير، متبعا إستراتيجيته الخاصة و ذلك بتطوير التعليم العربي الحر، و الاهتمام بأمور المساجد و محاولة تحريرها من قبضة الإدارة الفرنسية التي كانت تدعي دوما عدم تدخلها في أمور الدين باعتبارها دولة علمانية، كما عمل مواجهة الدعاية الاستعمارية الفرنسية من خلال جريدة البصائر، و ذلك بكشف أكاذيبها و ادعاءاتها، و تذكيرها دائما بحقوق الشعب الجزائري في العيش الحر الكريم.

كما شهدت جمعية العلماء فترة الخمسينيات بعد خروج البشير الإبراهيمي القاهرة لتدبر أمور البعثات التعليمية، عدة تطورات مست علاقتهما بمختلف التيارات السياسية، وكذلك بين أعضائها كما سنراها في مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: العمل الإصلاحي أثناء الحرب العلمية الثانية.

رغم ما أحدثته وفاة ابن باديس من يأس عميق في نفوس المصلحين، فإن خطة الجمعية و الأفكار التي كانت موجودة لم تتغير بفضل قادتها، خاصة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خلف بن باديس في قيادة الجمعية، رغم أنه كان تحت المراقبة منذ أفريل 1940م بآفلو²، و ذلك بسبب مقال أثار حفيظة فرنسا كان قد نشره في جريدة الإصلاح التي أصدرها الطيب العقبي في أواخر ديسمبر 1939م³، و يرى "بو الصفصاف" أن هذه الخلافة في الواقع كانت اعتبارية و لم تكن إدارة فعلية وذلك على أساس أنه النائب الأول في المجلس الإداري و الشخصية الثانية في الجمعية

¹ - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، مرجع سبق ذكره، ص 322.

² - بو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، دار البعث، 1981، ص 304.

³ - أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص 153.

و أنه كان محل الثقة و الموافقة من زملائه العلماء¹. و يرى البعض أن وفاة ابن باديس قد فوتت على الإدارة الاستعمارية المنال من الحركة الإصلاحية، لان وفاته كانت حياة لأفكاره، وذلك أن موت هذا الزعيم قد حرر نهائيا الفكرة الإصلاحية التي كانت تشبهه "فكرة متجسدة" فأصبحت بموت صاحبها فكرة مجردة لا يجد الاستعمار لها سبيلا².

هذا و ظل علماء الجزائر بعد وفاة زعيمهم يحاولون تجميع شمل الحركة و ملء الفراغ الذي تركه ابن باديس، و الواقع أن البعض يصف الفترة الممتدة ما بين 1940-1945م بأنها فترة ضعف و جمود في نشاط العلماء، نظرا لأحداث الحرب و قوانينها الخاصة، و بسبب وفاة الشيخ ابن باديس، لكن هذا الحكم يبدو في مضمونه ضعيفا بعض الشيء، فنشاط العلماء قد تضاعف خلال الحرب على جميع المستويات المحلية، لكن جهود و نشاطات العلماء المختلفة أثناء هذه الفترة لم تكن بارزة أمام أعين الجماهير، بسبب توقف صحف الجمعية عن الصدور، بالإضافة إلى تضائل تنقلاتهم بسبب قوانين السفر المشددة على المسلمين الجزائريين³.

ففي ميدان التنظيم فقد اجتمع خمسة أعضاء بارزين من المجلس الإداري لجمعية العلماء بقسنطينة يوم 7 نوفمبر 1940م، و اتفقوا على ضرورة إيجاد حل نهائي لمشكل خلافة ابن باديس و تقرر إسناد منبر الجامع الأخضر للشيخ الإبراهيمي بعد إطلاق سراحه، و بالنسبة لطلاب الجمعية في قسنطينة فقد اتخذ في شأنهم قرار مبدئي نص على نقلهم إلى تبسة ليتولى الشيخ العربي التبسي تدريسيهم، و الإشراف على شؤونهم⁴.

و بالرغم من اختيار الشيخ البشير الإبراهيمي رئيسا للجمعية فان الحركة الإصلاحية بقيت بلا زعيم حتى سنة 1943م، نظرا لكون الرئيس الجديد لم يباشر قيادة الجمعية بسبب وجوده تحت الإقامة الجبرية.

و من أبرز النشاطات التي قام بها أعضاء مجلس إدارة الجمعية إرسال عريضة للجنرال "ويقان" و ذلك في شهر أوت 1941م، حددوا فيها من جديد مفهوم الإصلاح، و طالبوا بحل هذه المسألة في نطاق ديني عقلائي و عادل، و وجهوا لومهم الشديد له بسبب أعماله العدوانية اتجاه جمعية العلماء، حيث تركزت مطالب عريضة جمعية العلماء في هذه الظروف العصبية بما يلي:

- إطلاق سراح الشيخ البشير الإبراهيمي الرئيس الجديد للجمعية.

- إطلاق أعضاء الجمعية المعتقلين منذ 21 ماي 1941م.

¹ - بو الصفصاف عبد الكريم ، نفس المرجع، ص 305.

² - نفس المرجع، ص 308.

³ - نفس المرجع ، ص 311.

⁴ - نفس المرجع ص 310.

- اعتبار جمعية العلماء كسائر الجمعيات الدينية المسيحية.
- اعتبار أعضاء جمعية العلماء كسائر أعضاء الجمعيات المسيحية في: حرية التنقل، وحرية الوعظ و الإرشاد، و تعليم الدين والآداب الإسلامية.
- اعتبار القرآن و اللغة العربية كباقي الكتب و اللغات الأخرى.
- حرية تعليم الدين في المساجد و حرية تعليم اللغة العربية تحت إشراف الأكاديمية.
- إلغاء مرسوم 8 مارس 1938*م الذي كان يستعمل من طرف أعداء الجمعية كسلاح لتحطيم مؤسستها¹.

كما كرر العلماء مطالبهم في رسالة وجهوها للحاكم العام، في 19 سبتمبر 1941م وهي لا تختلف كثيرا عن المطالب السابقة. وهكذا واصلت جمعية العلماء حركتها رغم قوانين الحرب المشددة على الجزائريين دون توقف، الأمر الذي جعل الإدارة الاستعمارية تؤكد على خطورتها، وتدعو جميع السلطات لاتخاذ الحذر الشديد من العلماء².

و يعد عهد البشير الإبراهيمي بمثابة المرحلة الثانية من نشاط جمعية العلماء، و بعد أن كان تأثير ابن باديس مهيمناً على المرحلة الأولى و بوفاته دخلت الجمعية مرحلة ثانية من عملها السياسي و لعل الظروف التي كانت تمر بها الجمعية في المرحلة الأولى، و توزيع المهام على أعضائها الذين كانوا مشغولين في العمالات على توطيد دعائم الدعوة الاصطلاحية و تركيز المؤسسات التربوية، جعلت ابن باديس في مركز الصدارة، فهو رئيس الجمعية و الناطق باسمها، و مخطط سياستها الدولة فهابه و خصومه يحترمونه، و رجال السياسة يتقنون في صراحته و إخلاصه لوطنيته و النخبة تثق بإيمانه بالتقدم و العلمية و بنظرته المتفائلة بالمستقبل³. أما المرحلة الثانية فقد تميزت بحكم الجماعة أكثر ما تميزت بتأثير الفرد، و في النطاق السياسي، يبدو أن عبارات التورية و المسألة قد ابتعدت بعض الشيء عن قاموس الجمعية لتحل محلها عبارات الصراحة في الوطنية و الجرأة في المطالبة، و ما من شك بأن هذا التغيير حدث نتيجة التطور السياسي و العسكري الذي رافق الحرب العالمية الثانية، فقد كانت عبارات الحرية والاستقلال و تقرير مصير الشعوب، و المساواة في الحقوق و الواجبات، و استنكار الفاشية و الاضطهاد و الظلم، حديث الحلفاء و محط وعودهم، كذلك أخذت مبادئ ميثاق الأطلسي التي أصبحت فيما بعد أساس ميثاق الأمم المتحدة، تتردد في كل

* - وهو المرسوم المتعلق بمنع حرية تعليم القرآن.

¹ - بوالصفاص عبد الكريم، نفس المرجع ص 313.

² - نفس المرجع ، ص 316.

³ - أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص 251.

مكان، ولم يعد بمقدور الشعوب المضطهدة التي دغدغت هذه المبادئ آمالها أن تبقى متوقعة في الظلام، بل أصبحت تحس بالحاجة إلى أن تنطلق لتأخذ مكاناً لها تحت الشمس.

و هكذا كان على الحركة الوطنية أن تنشط في هذه المرحلة وان تتقدم بمطالب أكثر جرأة من السابق، و قد سارت جمعية العلماء في كثير من الأشواط مع الحركة الوطنية.

الفترة الاستشارية: لم تلعب جمعية العلماء في بداية الحرب العالمية الثانية دوراً ذا أهمية في قيادة الحركة الوطنية أو حتى في صفوفها، ذلك أن الضعف كان قد انتابها منذ وفاة رئيسها القومي ابن باديس و اعتقال قادتها الكبار ونفيهم وإرهابهم، وكل ما يذكره بعض الكتاب عن نشاط الجمعية السياسي خلال هذه الفترة، أنها انتقلت إلى النشاط السري مثلها في ذلك مثل حزب الشعب المحظور، و أنها كانت تشارك، في الحركة السياسية التي كان يديرها خلال هذه الفترة فرحات عباس وزملاءه النواب الجزائريين، و يبدو أن فرحات عباس في إطار هذه المشاركة استشار فيمن استشاره عضوي جمعية العلماء: الشيخ خير الدين والشيخ العربي التبسي قبل تقديم مذكرة 22 ديسمبر 1942م إلى الخلفاء باسم "ممثلي الجزائريين المسلمين" و التي جاء فيها الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري يتولى وضع دستور سياسي و اقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين و ذلك قبل دعوة الجزائريين للمشاركة في الحرب و لكن الفرنسيين رفضوا المذكرة بحجة أنها تجرأت على تجاوزهم و اعتبرت الأمريكيين و الانجليز شركاء لهم في حكم الجزائر.

واستبشرت جمعية العلماء ثانية عندما أصدر فرحات عباس و بعض النواب بيان 10 فبري 1943م الذي قدم إلى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر بتاريخ 31 مارس 1943، و تبدو في مقررات البيان التالية روح التغيير التي هبت على الفكر السياسي في الجزائر¹:

1- استنكار الاستعمار و إزالته.

2- المطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب.

3- المطالبة بمنح الجزائر دستورا خاصا يضمن حرية و مساواة جميع السكان بغض النظر عن العرق و الدين، و إنهاء الملكيات الإقطاعية و استبدالها بإصلاحات زراعية، و مراعات حقوق البروليتاريا الفلاحية، و الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية مثل الفرنسية، و المطالبة أيضا بحرية الصحافة و بحق تكوين الجمعيات و بحرية و مجانية التعليم لجميع الأطفال إناثاً و ذكوراً، و بحرية العقيدة لجميع السكان، و بتطبيق مبدأ فصل الشؤون الدينية عن الدولة.

4- المشاركة القوية و الفعالة للجزائريين في حكومة بلادهم أسوة بما فعلته بريطانيا و ما فعله الجنرال كاترو في سوريا، و بما فعله بيتان و الألمان في تونس.

¹ - نفس المرجع، ص 252.

5- تحرير جميع المحكومين والمساجين السياسيين من جميع الأحزاب.

و يبدو أن الإدارة الفرنسية التي صعقت لمطالب النواب الجزائريين الاستقلالية ما لبثت أن اعتقلت عباس ورفاقه، و لكن ضغوط الحلفاء من جهة و رغبة الجنرال ديغول في تهدئة الوضع في الجزائر في وقت كانت فيه فرنسا تحتاز مرحلة عصيبة، حمل الإدارة على إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين تقريبا خلال شهر ديسمبر 1943م، باستثناء معتقلي حزب الشعب الجزائري. وكان من بين اللذين أفرج عنهم، أعضاء جمعية العلماء، وسرى انه منذ الآن ستشارك جمعية العلماء بشكل سافر في تكوين مستقبل السياسة الجزائرية.

المشاركة الفعالة: في 12 ديسمبر 1943م أعلن ديغول في خطاب له بمدينة قسنطينة عن إصلاحات تنوي "الهيئة الفرنسية للتحرر الوطني" تطبيقها في الجزائر و تشمل "إسناد حقوق المواطن كاملة فورا إلى بضع عشرات من آلاف المسلمين الفرنسيين بالجزائر، و لا يقبل أي منع أو تحديد لممارسة هذه الحقوق باعتراضات أساسها قانون الأحوال الشخصية، و سترفع في نفس الوقت نسبة المسلمين الفرنسيين في مختلف المجالس التي تناول المصالح المحلية، و يرتبط بذلك فتح عدد كبير من الوظائف الإدارية في وجه اللذين لهم القدرة على الاضطلاع بها، و سرعان ما شكلت الإدارة لجنة لوضع توصيات بهذا الشأن تقدمها إلى "الهيئة الفرنسية للتحرر الوطني"، وأدلت الأحزاب الوطنية و جمعية العلماء برأيها أمام اللجنة، و قدمت لها مطالبها، و أعلن البشير الإبراهيمي خلال مقابلته للجنة في 3 جانفي 1944م رفضه للمقترحات المعروضة و التي تقضي على الشخصية العربية، و تعدل في الأحوال الشخصية الإسلامية، و مما قاله بأنه لا يريد أن يتجرد من أحواله، كذلك فان الجزائريين لا يرغبون تصنيفهم إلى فئات عديدة و أنهم يفضلون أن يظلوا عرباً و مسلمين، كذلك فإنهم لا يلتمسون الشرف في رفعهم إلى مرتبة المواطنة الفرنسية لأنهم يعتبرون أن صفتهم الإسلامية قد رفعتهم كثيراً. فاعتبر الإبراهيمي أن مشروع ديغول ليس سوى إحياء لمشروع فيوليت القديم و تقدم الإبراهيمي إلى اللجنة بمقترحات سياسية أهمها¹:

- تكوين المواطنة الجزائرية التي تتمتع فيها العناصر الشعبية المختلفة في هذا البلد بكافة الحقوق و الواجبات دون تمييز في العرق أو في الدين.

- استبدال النظام الكولونيالي بالنظام الحكومي، و تكون "الحكومة الجزائرية" مسؤولة أمام البرلمان الجزائري.

- تسهيل مشاركة جميع الجزائريين في الوظائف العامة دون أي اعتبار سوى الكفاءة المهنية.

¹ - أحمد الخطيب، نفس المرجع، ص 254.

و يبدو أن "الهيئة الفرنسية لم تأخذ بمقترحات الأحزاب والجمعيات الوطنية لأنها عندما أصدرت أمر 7 مارس 1944م لم يرد فيه شيء جديد سوى ما يرضي دعاة الإدماج والفرنسة فقد نص هذا الأمر على تمتع الجزائريين بنفس الحقوق و الواجبات الممنوحة للفرنسيين، وأن الجزائريين و الفرنسيين متساوون أما القانون، و أن القوانين الاستثنائية قد ألغيت، و أن المسلمين سيخضعون لأحكام الشريعة الإسلامية في أحوالهم الشخصية¹.

و يمنح هذا الأمر فئات معينة من الجزائريين، لا يتجاوز عددهم سبعين ألف نسمة، حق التمتع بالجنسية الفرنسية مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية².

و كان رد الفعل الوطني على هذا الأمر تشكيل جبههم موحدة في 14 مارس 1944م تضم بعض النواب، و حزب الشعب، و جمعية العلماء، أطلق عليها اسم "أحباب البيان والحريّة".

و كما يبدو من اسمها فقد قامت جبهة أحباب البيان و الحريّة من أجل الدفاع أمام الرأي العام الجزائري و الفرنسي، عن بيان الشعب الجزائري الصادر في 10 فيفري 1943م، و المطالبة بحرية القول والتعبير لكافة الجزائريين، و حسب مادته الرابعة: أن الهدف الرئيسي لتكوين الجبهة هو "تقريب فكرة الأمة الجزائرية و الترغيب في إنشاء جمهورية مستقلة بالجزائر يجمعها نظام فدرالي مع جمهورية فرنسية متجدد مناهضة للاستعمار والامبريالية"³.

كما أسهم الإمام مساهمة كبيرة في لم تشمل السياسيين الجزائريين، لتكوين هيئة سياسية تجادل عن حقوق الشعب الجزائري، حيث تم بسعيه - و سعي إخوانه العلماء - في وقت لا يقل حرجاً وضيقتاً عن وقتنا هذا جميع الأحزاب في هيئة أحباب البيان"، التي ضمت جميع القوى الوطنية في الجزائر باستثناء الشيوعيين. إذا كانت مؤامرة فرنسا لإفشال المؤتمر الإسلامي سنة 1936م قد استهدفت أفراداً، فإن مؤامرتها لإفشال تجمع أحباب البيان قد استهدفت الشعب الجزائري، فكانت حوادث 8 ماي 1945 م، و "هي حوادث محكمة التدبير، مبيتة مجمع عليها من جامعة المعمرين بإملاء رجال الحكومة".

لقد قتل في هذه الحوادث - في بضعة أيام أكثر من خمسة وأربعين ألف جزائري، "ودمرت الطائرات (بأمر من وزير الطيران شارل تيون الشيوعي) 44 قرية، و اعتقل آلاف الجزائريين، وكان الإبراهيمي على رأس القائمة، الذي سيق إلى السجن العسكري بمدينة الجزائر، حيث وضع في الزنزانة الانفرادية تحت الأرض لمدة سبعين يوماً، لا يخرج منها إلا ربع ساعة كل يوم، ثم نقل إلى قسنطينة طيلة احد عشر شهراً مما أدى إلى تدهور صحته⁴.

¹ - أحمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص 254.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، مرجع سبق ذكره، ص 234.

³ - أحمد الخطيب، نفس المرجع، ص 255.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 18.

المطلب الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد جاءت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعدة تطورات، و ذلك على الصعيد السياسي و الاجتماعي و الثقافي، كان لزاما على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التعامل و التأثير بها و محاولة التأثير فيه، و ذلك باعتبارها جزءا من الحركة الوطنية و نضالها ضد المستعمر الفرنسي و بما أن الجمعية كانت تحت رئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي، سنرى كيف تعامل مع أهم متطلبات المرحلة، و كيف سعى لإبداء رأي الجمعية في تلك الأحداث و التطورات.

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترى من واجبها السياسي أن تتصدى للاندماج في جميع مظاهره و تحارب العنصرية التي يغذيها الاستعمار و يستعملها سلاحاً حاداً لقطع أوصال الشعب الجزائري الواحد، و تقف ضد أمرية السابع مارس 1944 م، لما تنطوي عليه من دسائس و لأنها وسيلة إلى الاندماج و بالإضافة إلى ذلك فإن الجمعية تعمل ضمن برنامجها السياسي على تحرير المساجد والأوقاف و رجال الدين و القضاء الإسلامي و الحج والصيام، و هي لذلك مستعدة للجهاد بكل ما في وسعها من إمكانيات. و بمجرد أن تم انتخاب الجمعية الجزائرية و استقبلت في رحابها ستين نائباً جزائرياً مسلماً إلى جانب الستين من الفرنسيين، و جهت جمعية العلماء نداءً إلى المسلمين ليطلبوا من الحكومة الفرنسية أحد أمرين: إما أن تدخل الدين المسيحي بكنائسه و أمواله و رجاله، و الدين اليهودي ببيعه و أحباره و أوقافه تحت سلطتها بحيث لا يجري شيء إلا بأمره و إما أن تعامل الإسلام كما تعامل الدينين المذكورين خاصة و أن المسلمين ومعابدهم أكثر عدداً، و من الواجب أن يكونوا هم القاعدة في المعاملة والأصل في وضع الأحكام"¹.

و للتصدي إلى هذا المسعى، و خوفاً من أن يجد السند اللازم لدى كل المنتخبين المسلمين جندت الإدارة الاستعمارية عدداً ممن يسمون برجال الدين و في مقدمتهم المفتي الحنفي فأعدوا تقريراً موجهاً إلى الجمعية الجزائرية يلتمسون فيه عدم الاهتمام بمطالب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و يزعمون أن تسعة ملايين من المسلمين لا يستطيعون المشاركة في انتخاب الجمعيات الدينية التي قد تتولى بدورها انتخاب المجلس الإسلامي الأعلى طبقاً للاقتراح الوارد في مذكرة الجمعية المؤرخة في الرابع من شهر أغسطس سنة 1944 و التي عاجلناها بإسهاب في حديثنا عن فترة الحرب.

و يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي نشر مقتطفات من التقرير المذكور: "إن هذا الأخير من وضع أساطين الإدارة الاستعمارية و هو عبارة عن قطعة فنية من التزوير لأنه يحمل تاريخ 21 مارس 1948م و هو موجه إلى أعضاء الجمعية الجزائرية المنتخبة يوم 4 أبريل 1948".

¹-البصائر، العدد 57، بتاريخ 1948م، ص1.

ويضيف: "أما عن كون انتخاب الجمعيات الدينية والمجلس الإسلامي الأعلى عملية من شأنها أن تخر السياسة إلى المسجد، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ردت عليها قائلة: "أن تسلط الإدارة الفرنسية على مساجدنا وأوقافنا - وهي لائكية- هو عين السياسة، وإسناد الوظائف الدينية إلى من تختاره و ترتضيه هو رأس السياسة" و وضع هذا التقرير باسم العصامي هو ذنب السياسة، و لولا السياسة ما كان للمفتي الحنفي وجود"¹.

وفي سنة 1949م، وجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كتاباً مفتوحاً إلى رئيس الجمهورية الفرنسية جاء فيه على الخصوص:

1- أن الجزائر وطن تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من كل حق، وعشره العاشر سادة مفروضة لهم التمتع بكل حق، وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول ولم يصل إلى الثاني وهو الذي ترونه.

2- إن الدين الإسلامي مملوك للإدارة، تحتكر التصرف في مساجده و رجاله وأوقافه و قضائه.

3- التعليم في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد، و مئات الآلاف من شباب المسلمين تشوق إليه، و التعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تعزيم و تغريب و سجن، و مدارسه تعاني من التضيق و التعطيل ألواناً متجددة، و رجاله عرضة في كل حين للمحاكمات في المحاكم التي تتسم بوسمتمكم.

4- إن الشعب الجزائري قد أصبح - من طول ما جرب ومارس- لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة: ذاتيته الجزائرية، و جنسيته و لغته العربية، و دينه الإسلامي، لا يستترل عنها برقي الخطب و المواعيد، و لا يبغى عنها حولاً، و لا يرضى لها بديلاً.

5- إن الشعب الجزائري مريض يتطلع للشفاء و جاهل متوثب إلى العلم و بائس متشوق للنعيم، و منهوك من الظلم مستشرف إلى العدالة، و مستعبد ينشد الحرية، و مهضوم الحق يطلب حقه في الحياة و ديمقراطي الفطرة و الدين يمن إلى الديمقراطية الطبيعية و لكنه ليس كما يقال عنه: جائع يطلب الخبز فإن وجدته سكت.

6- لا يسيغ منطق و لا عقل كيف تكون الوحدة بين سيد و بين مسود، و كيف تتصور بين حاكم مزهو بعصبية جنسية تظاهرها عصبية دينية و بين محكوم؟ و كيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان و قوانينه صنفان؟ و كيف تتم في بلد كنيسته حرة و بيعته حرة و مسجده مستعبد؟².

¹ - البصائر العدد 58 ، بتاريخ 1948.ص1.

² - البصائر، العدد 81 ، بتاريخ 30 ماي 1949،ص1.

وخصص الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة 1950م كلها لتعميم إيديولوجية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي يمكن تلخيص منطلقاتها في العمل على تحرير المجتمع الجزائري من آثار الغزو الاستعماري الذي جند أربع وسائل لتقويض أركان الدولة الجزائرية التي كانت قائمة قبل اتفاقية الخامس من يوليو سنة 1830م.

تتمثل الوسيلة الأولى التي عمد إليها الاستعمار لإلغاء الدولة الجزائرية وحذفها من رقعة الخلافة الإسلامية في الجندي الذي يعبر عن القوة العسكرية التي تعتبر "أخف الأسلحة فتكاً" وأقصرها مدى"، أما الوسيلة الثانية فهي الطيب الاستعماري الذي جيء به إلى الجزائر "ليداوي علة بعلل ويقتل جرثومة يخلق جراثيم و يجرب معلوماته في أبناء الجزائر كما يجربها في الأرناب" و يمثل المعلم الاستعماري الوسيلة الثالثة التي اعتمدها فرنسا "لتفسد على أبناء المسلمين عقولهم و تسترلهم عن لغتهم و آدابهم و تشوه لهم تاريخهم و تقلل سلفهم في أعينهم و ترهدهم في دينهم" ثم تأتي الوسيلة الرابعة ممثلة في الراهب "يفتن المسلمين عن عقائدهم و شككهم بثليلته في توحيدهم".

و لكي تتصدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للنتائج المتوخاة من استعمال كل هذه الوسائل، فإنها جندت جميع إمكانياتها المادية والبشرية لتمنع الاستعمار الفرنسي من تكوين الإنسان الجزائري الذي يكون مقطوع الأسباب من جميع المسلمين و من تكوين سلك للرهابنة يمتنون لتوظيف الدين من أجل تأييد الاستعمار، و في هذا الصدد كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في افتتاحية البصائر الصادرة في عددها الخامس بعد المائة: " و اضيغته!... و واذلاه!...أفي الوقت الذي تشوق فيه الأمم المتحدة كلها إلى نيل حقوقها السياسية، و حريتها و حقها في الحكم الذاتي و التصرف المطلق، و في الوقت الذي يتفق فيه مجلس الأمم المتحدة على تحرير سبعين مليوناً من جزر الهند الشرقية من الاستعمار الهولندي، و على تحرير القطر الليبي في هذه الظروف التي أصبح فيها طعم الاستعمار المادي الحلو اللذيذ مرّاً كريهاً حتى في حلوق غلاة الاستعمار، يبقى الدين الإسلامي بمعبده و أوقافه و رجاله مستعمراً مستعبداً في الجزائر وحدها".

و هكذا، أصبح نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ملموساً في مجلسين السياسة و الإصلاح بشقيه التربوي و الديني، و لقد جندت، لذلك، كل ما لديها من إمكانيات بدءاً بأعمدة الصحافة و انتهاءً بالمسجد و النادي و المدرسة مروراً بالمناسبات الاجتماعية و الأعياد الدينية و الوطنية.

و على الرغم من كل ذلك، فإنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها المنشودة لأن الإدارة الاستعمارية قد تفتنت لما يمثله دور العلماء في توعية الأمة و إعدادها للمعركة الفاصلة، فراحت

تسعى بشتى الوسائل لسد كل المنافذ في وجه المرين و الدعاة.

الجبهة الجزائرية للدفاع واحترام الحريات :

في نهاية جويلية 1951 م نشرت جريدة المنار بلاغاً صادراً عن "العلماء و الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و الحزب الشيوعي الجزائري و الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، مفاده أن التشكيلات المذكورة قد أنشأت لجنة تحضيرية لتكوين جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها و ذلك بهدف الوصول إلى النتائج التالية¹:

- إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951م و التي تولت الإدارة الاستعمارية خلالها تعيين أشخاص لا يمثلون جماهير الشعب الجزائري.
- احترام حرية التصويت في المجموعة الانتخابية الثانية.
- احترام حرية الضمير، حرية الفكر، حرية الصحافة و حرية الاجتماع.
- محاربة القمع بجميع أنواعه و العمل على تحرير المعتقلين السياسيين و إلغاء الإجراءات التعسفية المتخذة ضد الحاج مصالي.
- إنهاء تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي².

لقد تأسست الجبهة، رسمياً، يوم 05 أوت 1951م تم الإعلان عن ذلك في قاعة سينما "دنيازاد" بالعاصمة، بتلك المناسبة ألقى رئيسها الشيخ العربي التبسي خطاباً جاء فيه على الخصوص : "هذه جبهة لا تسأل أحداً إن كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً، إنما تسأله هل هو مناضل في سبيل الحق، مكافح في سبيل الحرية و لو كانت لنا حكومة إسلامية بقطر الجزائر لما وجدت بيننا فروق و لما وقع التباين بين أحمد وموريس و لا بين فاطمة وماري"³، و بديهي أن الدارس يستشف من خلال هذه الجمل السبب الرئيسي الذي جعل ظهور الجبهة يبدو للرأي العام وكأنه مفاجئ. فالمؤسسون للجبهة كلهم معنيون بالأهداف الخمسة المذكورة أعلاه، و بالتالي فإن استجابتهم لنداء التأسيس لم تتطلب أي جهد و لم تفرض على أحد التنازل عن أي شيء، بل إن الجميع قد وقع بدرجات متفاوتة، ضحية استبداد الإدارة الاستعمارية و تزييف الانتخابات على جميع المستويات. و بعد أسبوعين من تاريخ التأسيس، دعت رئاسة الجبهة إلى مهرجان شعبي انعقد في الملعب

¹ - المنار، العدد 6، الصادر بتاريخ 30 جويلية 1951. أما الموقعون على البلاغ فهم: الشيخ العربي التبسي و الشيخ محمد خير الدين عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الدكتور أحمد فرانسيس و الأستاذ قدور ساطور عن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أحمد مرزونة و مصطفى فروحي عن الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، أحمد محمودي و بول كابليرو عن الحزب الشيوعي الجزائري.

² - أحمد توفيق الدين، حياة كفاح، ج2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1977، ص 403.

³ - جريدة المنار، العدد 7 الصادر بتاريخ 15 أوت 1951. ص1

البلدي بحسين داي يوم 19 أوت 1951م و حضره آلاف الجزائريين¹، و بتلك المناسبة ركز الشيخ العربي التبسي و هو يخاطب الجماهير الشعبية، على ضرورة فصل الدين عن الحكومة و استنكر على الإدارة الاستعمارية معاملتها الشاذة للإسلام و المسلمين. و مما جاء في خطابه: "أيها الملائم الكريم! مضى قرن و بعض قرن و الحكومة معتدية على الديمقراطية في شخص الديانة الإسلامية ساخرة بأصولها، عابثة بمقدساتها، مستخفة بأصولها و فروعها"².

و في إطار نشاط الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها، ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعبئة جماهير الشعب حول مطلب تقرير المصير، و شاركت في كثير من المهام التي لها علاقة مباشرة بحماية حقوق المواطنين و مصالحهم، و يأتي في مقدمة تلك المهام العمل الجماعي الذي أنجزه و فد الجبهة الذي انتقل إلى ناحية أريس من أجل التحقيق في أعمال العنف و الإرهاب التي تعرض لها سكان القرى المكونة للناحية بسبب معارضتهم لمحاولات التزييف التي قامت بها الإدارة الاستعمارية. بمناسبة انتخابات 17 جوان 1951م، إلا أن هذه الجبهة فشلت بسبب رفض الحزب الشيوعي مبدأ المشاركة في الانتخابات لأن قيادته قررت أن تشارك في الحملة الانتخابية، لكي تروج لأفكار و مواقف الحزب، مما أدى إلى انسحاب حزب البيان، و بعدها ألقت السلطات الفرنسية على ممثل الحزب الشيوعي في الجبهة بتهمة التآمر على أمن الدولة³. و في يوم 30 سبتمبر 1951م عقدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مؤتمرها الثاني بعد انتهاء الحرب الامبريالية الثانية، و قد كان التقرير الأدبي الذي قدمه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مشتملاً على ثلاثة محاور هي: المشروعات و المواقف و النضاح، أما البيان الختامي فقد ألقاه الشيخ العربي التبسي و جاء فيه على الخصوص: "إن جمعية العلماء لجميع الجزائريين المسلمين الذين تجمعهم لغة واحدة و عقائد واحدة، و هي تتمتع بعطف جميع الديمقراطيين لأنها تعترف بالديمقراطية و حقوق الإنسان، إذ الإسلام يقر العدالة الاجتماعية، إننا مستعدون للمشاركة في السياسية، لأن السياسة تدخلت في الدين و لأننا نشاهد أن موقف فرنسا مع الإسلام في الجزائر موقف شاذ".

لم تغير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين موقفها الأساسي، بل ظلت متمسكة بدورها في التربية و التعليم و في الإصلاح الديني، و استطاعت بعد الحرب الامبريالية الثانية، أن توسع نشاطها إلى التراب الفرنسي نفسه حيث يعيش ما يقرب من ربع مليون جزائري، و حيث حوالي عشرين ألف طفل في أمس الحاجة إلى الارتباط بدينهم و لغتهم، و كما أنها جندت جماهير الشعب لبناء المدارس الحرة و لبعث معهد الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس و فتح العديد من النوادي في

¹ - المنار، العدد 8، بتاريخ 31 أوت 1951، ص.1.

² - نفس المرجع، ص.2.

³ - عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص.270.

مختلف أنحاء الوطن، فإنها استطاعت أن تنشر نفس الفكرة في أوساط المغتربين الجزائريين في فرنسا لكن الإدارة الاستعمارية كانت لها بالمرصاد و منعتها من تجسيد برنامجها على أرض الواقع خاصة فيما يتعلق بتمكينها، قانونياً، من شراء المحلات أو كرائها للتدريس أو للوعظ و الإرشاد.

و في المجال السياسي، انتقل الشيخ البشير الإبراهيمي إلى باريس في مستهل شهر ديسمبر 1951م للمشاركة مع قادة التشكيلات الوطنية في الاتصال بالوفود العربية و الإسلامية التي تحضر أعمال هيئة الأمم المتحدة*، و لقد كان لوجود رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تأثير بالغ الأهمية في تحسيس كثير من الشخصيات العربية و الإسلامية كما أنه اغتنم فرصة تواجده بالعاصمة الفرنسية ليكتف الاتصالات مع أبناء الجالية الجزائرية، و كان لوفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاط حثيث في المساعي الرامية إلى إقامة حفلة كبيرة احتفاء بالوفود العربية و الإسلامية في يوم 08 ديسمبر 1951 م، و لقد كان في الحسبان أن يحضر هذه الحفلة ما يربو على خمسين ألف جزائري"، لكن الحكومة الفرنسية قررت منع الحفل وأمرت بإلقاء القبض على ما يزيد عن ستة آلاف من الجزائريين، و هو الأمر الذي جعل الشيخ العربي التبسي - بصفته رئيساً للجنة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها - يرسل برقية استنكار إلى "رئيس الوزارة الفرنسية" جاء فيها: "إن الجبهة تستنكر بشدة منع الحكومة الفرنسية للحفلة، و تحتج ضد القرار الجائر الذي يمس من كرامة الدبلوماسيين العرب والمسلمين و تبدي عواطفها نحو هذه الوفود التي أثبتت تضامنها مع الشعب الجزائري"¹.

عودة إلى فصل الدين عن الحكومة :

تناول الإبراهيمي قضية فصل الدين عن الحكومة، و برهن في مقالاته أنه لا حق لفرنسا في الإشراف على الدين الإسلامي لأنها دولة نصرانية في الجوهر، لائكية في المظهر، و في كلتا الحالتين لا يحق لها الإشراف على الدين الإسلامي²، حيث نشر في هذا الموضوع عدة مقالات بعنوان " فصل الدين عن الحكومة" و " قضية فصل الدين"³.

أحيلت مسألة فصل الدين عن الحكومة أمام الجمعية الجزائرية في تشكيلتها الجديدة التي أسفرت عنها انتخابات 1951/06/01م، و لقد توجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى أعضاء الجمعية الجزائرية تحذرهم من أن يكونوا وسيلة في يد الحاكمة العامة التي تريد أن يكون

* - البلدان العربية والإسلامية المشاركة في تلك الدورة هي: المملكة العربية السعودية - العراق - مصر - اليمن - سوريا - لبنان - إيران - تركيا - باكستان و

اندونيسيا.

¹ - جريدة المنار، العدد 15 الصادر بتاريخ 21 ديسمبر 1951.ص1.

² - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج3، مرجع سبق ذكره، ص 26.

³ - أنظر جريدة البصائر السلسلة الثانية ، وكذلك الجزء الثالث من آثار البشير الإبراهيمي.

رفض الفصل صادراً عن المنتخبين المسلمين أنفسهم، و على الرغم من أن الشيخ البشير الإبراهيمي لم يكن يعترف لأولئك المنتخبين بحقهم في تمثيل الشعب الجزائري بسبب ما كانت تمتاز به الانتخابات من تزيف و تزوير، فإن النداء الموجه إليهم قد كان صريحاً و واضحاً، جاء في ختامه " إن أقواماً قبلكم وصلوا إلى ما وصلتكم إليه، و ارتقوا على أكتاف الأمة إلى كراسي النيابة و لكنهم خانوا العهد و أضاعوا الحقوق، فسجل عليهم التاريخ خزي الأبد فحذار، حذار أن تكونوا مثلهم"¹.

و لتذكيرهم بالطريقة التي وصلوا بها إلى ما وصلوا إليه، جاء في النداء: "إن من المناظر التي تثير العبر و تسيل العبرات في هذه الانتخابات أنكم كنتم ترون كما يرى الناس صندوقين للانتخاب في قرية واحدة أو شارع واحد يدخل الأوربي إلى أحدهما منشرح الصدر، باسم الثغر، حرّ التصرف مطلق الإدارة و الاختيار، فيعطي ورقته لمن يشاء، معتقداً أنه أدّى شهادة خالصة للحق لم يراع فيها إلا مصلحة جنسه و رضا ضميره، و يدخل العربي إلى الآخر خائفاً و جلاً متزعجاً، مسلوب الإرادة و الحرية، لا يرى حوله إلا إرهاباً و سلاحاً و ألسنة تتوعد، و أيدياً تتهدد و أعيناً ترمي بالشرر فيعطي ورقته لمن يراه منه لا لمن يريد، إن من يرى هذا المنظر لا يعجب إذا رأى بعد ذلك أن الفائزين في الصندوق الأول نواب و إن اختلفوا في المبادئ، و أن الفائزين في الصندوق الثاني نواب و إن سموا أنفسهم مستقلين"².

المطلب الثالث : أوضاع الجمعية قبيل الثورة التحريرية.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع ، ص 188.

² - نفس المرجع ، ص 186.

قبل التطرق إلى موقف الجمعية من الثورة التحريرية لا بد من تشخيص الأحوال السائدة آنذاك والظروف المحيطة بالجمعية والأجواء داخلها قبيل اندلاع الثورة.

أحوال الجمعية بداية الخمسينيات:

حسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله، أنه وخلال أوائل الخمسينيات كانت الجمعية تقريباً هي الهيئة الوحيدة الفاعلة في المجتمع الجزائري عندئذ، ولعلمهم سيجدون أن أنصارها قد تكاثروا نتيجة الأزمة التي مر بها حزب الشعب منذ 1949م، وخصوصاً منذ 1953، لأن الشعب قد تزعزعت ثقته في الأحزاب السياسية عموماً¹.

بمجرد سفر الإبراهيمي رئيس الجمعية إلى المشرق، تولى العربي التبسي الرئاسة بالنيابة، بتفويض من قانون الجمعية، ورغم تدينه وإخلاصه لفكرة الجمعية، إلا أنه لم يكن محل تقدير من أعضائها، لشدة غيرته على اختصاصه، واعتزازه المتزايد بنفسه هذا ما فتح الباب واسعاً بين التبسي، وبين أعضاء المكتب الإداري الذين لم يعجبهم وجوده على رأس الجمعية².

وفي هذه الأثناء سافر التبسي لأداء فريضة الحج ولقاء الإبراهيمي، فخلال الجو لنائب الرئيس الثاني محمد خير الدين لقيادة الجمعية، لم يصرح بأن الجمعية سيصلها الانقسام والفشل، إذا لم يتداركها رجاله المخلصون، بإجراء تعديلات وإصلاحات في نظمها وهيكلها، وهذا ما لاقى استحساناً، وفي نفس الوقت تساؤلاً من قبل شبان الجمعية عن مصيرها في غياب رؤسائها، فقام خير الدين بما أسموه انقلاباً داخل الجمعية، إذ قام بعدة جولات كالعادة، يباشر الوعظ والخطب و يمدن المؤسسات، والغريب في الأمر هو دعوته لعقد مجلس إداري مفاجئ أواخر سبتمبر في غياب الرئيس ونائبه الأول³.

ومن خلا الشهادات التي صرح بها بعض معاصري الجمعية أمثال توفيق المدني، وعمار بن عودة فهذا يؤكّدان على أن الخلاف كان مع رئيس الجمعية⁴، أما سعد الله، ومحمد الميللي، فيعتبران أن الخلاف بين خير الدين والتبسي شب بعد رحيل الإبراهيمي إلى المشرق.

من دون شك أن الجمعية قد دخلها التيار العصري من بعض أعضائها الشباب، الذين حاولوا إحداث بعض التغييرات في التنظيم، خصوصاً أنهم كانوا لا يجذون طريقة التبسي في الرئاسة، ومن الأمثلة على ذلك، أنه في الوقت الذي كان فيه معهد ابن باديس بحاجة إلى الأموال لتسديد أجور الأساتذة، قرر التبسي رفع منح طلبة الجمعية في الشرق، مما أثار حفيظة خير الدين

¹ - نفس المرجع، ص 147.

² - محمد الميللي، الملتقى الثاني لتاريخ الثورة، طبع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، 1984، ج2، ص2، ص18.

³ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة الجزائرية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ج3، ص20.

⁴ - نفس المرجع، ص20.

وعبد اللطيف سلطاني باعتبار أن حالة الجمعية لا تسمح وهذا من خلال ما صرح به أحد أعضائها الشبان أمثال محمد المليحي حين قال: "إن جمعية العلماء - المقصود قيادتها - أصبحوا ضحية نجاحهم على الطريقة، وعرضوا أنفسهم للانتقاد من قبل تلامذتهم"¹.

وضع الجمعية قبيل اندلاع الثورة:

بعد خروج رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي من الجزائر و سفره إلى المشرق في مارس 1952م ليسعى لدى السلطات الحكومية هناك لقبول طلبه الجمعية في جامعاتها مع التكفل بنفقاتهم، وللمراقبة والسهر على البعثات الأولى التي تم قبولها، وكذا للتعريف بالجزائر و وضعيتها الحرجة و طلب المساعدة الثقافية والسياسية²، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصبحت في وضعية داخلية مُحرجة، فبِخروج الإبراهيمي تكون قد فقدت عُصراً أساسياً في توازن قيادتها و توازنها، لا لأنه رئيس الجمعية و رفيق ابن باديس، و من الشخصيات التي ساهمت مباشرة في تكوين الجمعية و إدارتها فحسب بل إنه كان أيضاً يَهيمُن بِمَكَانته العلمية و فصاحته على مجموع رجال الجمعية من الشيوخ والشبان في القمة والقاعدة، كما أنه طبعه التفاوضي والمرح و خبرته بخفايا يعظ نفوس زملائه جعلته قادراً على امتصاص و إخفاء و تأجيل الخلاف³، الذي كان بين الشيخ العربي التبسي و بعض الشيوخ الآخرين: كالشيخ خير الدين، كما أن موقفه الموسوم بالحياد اتجاه الأحزاب قد بدأ يتغير، إذ يظهر أن بعض المتعاطفين مع حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري حاولوا جر الجمعية لخدمة هذا الحزب، كما أن التبسي وجد الجو مناسباً لتحقيق مطلبه و هو تأسيس جبهة واحدة لجميع الجزائريين تتولى الجمعية الإشراف عليها وإلغاء جميع الأحزاب الأخرى و هو ما فتح باب الخلاف واسعاً بين التبسي و بعض أعضاء المكتب الإداري الذين لم يُعجبهم وجود التبسي على رأس الجمعية إذ لم يكن التبسي يتمتع بحنكة الإبراهيمي و لباقتة و تجربته و قدرته على التوفيق بين المتخالفين، في حين كان له حظٌ وافر من الشدة والصلابة و الاعتزاز بالنفس مما جعل مُخالفيه يرمونه بالذكتاتورية و لم يكن فارق السن و العلم كبيراً بينه و بينهم و لهذا لم يتحرجوا من معارضته و منافسته⁴.

و لكن خروج الإبراهيمي كان له من جهة أخرى أثر إيجابي على الجمعية خاصة في علاقتها مع حركة الانتصار، حيث خفت الحرب الكلامية و الدعائية بينهما و لم يُعد الإبراهيمي يكتب مقالاته الجارحة، و وجدت حركة الانتصار في خروجه فائدة كبيرة لها بِخُلُوصِ الساحة من شخصية

¹ - محمد المليحي، جريدة الشروق، العدد 1475، الصادرة بتاريخ 05 سبتمبر 2005، ص 10.

² - محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، نفس المرجع، ص 22.

³ - أبو القاسم يعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، مرجع سبق ذكره، ص 66.

⁴ - نفس المرجع، ص 67.

كبيرة تحضى بثقة الجزائريين في أغلبهم، و استفادت جمعية العلماء بالخصوص من التطورات التي طرأت على هذا الحزب، حيث أصبحت اللجنة المركزية تُحاول التقرب من الجمعية و حزب فرحات عباس من خلال الدعوة إلى إيجاد اتحاد قوي بين الهيئات الثلاث، و انشغلت الأطراف المتنازعة بأمورها الداخلية عن مواجهة دعاية و توسع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

و تذكر التقارير الفرنسية أن العلماء الذين احتفلوا بتدشين دار الطلبة بقسنطينة عام 1953م قد اطمئنوا إلى مستقبل مدارسهم و معهدهم، و أصبحوا في مركز قوة بعد أن شاهدوا عظمة ذلك الاجتماع و تكاتف الأمة و اجتماعها حول الجمعية، و لذلك ركنوا إلى مسالمة و تلطيف العلاقات مع حركة الانتصار التي بدأت في الانحصار الإعلامي على الأقل بفعل الأزمة التي ضربتها.

و لئن كانت المشاكل الداخلية للجمعية لم تظهر للعيان بعد خروج الإبراهيمي مباشرة حيث كان للرباط الخلقي بين الشيوخ دوراً كبيراً في ذلك، فإن هناك أمور قد تخطت هذا الحاجز منها مثلاً ما كان بين الإبراهيمي رئيس الجمعية و بعض أفراد بعثة الجمعية، فالإبراهيمي أحاط هؤلاء برعاية خاصة تحت إشرافه المباشر و إعانة الفضيل الورثلاي، و حتى يضمن بقاء هؤلاء على مبادئ الجمعية و حتى لا يتأثروا بالأفكار و المذاهب الفكرية التي سادت المشرق العربي خلال الخمسينيات أدخل هؤلاء الطلبة في جمعية دينية معروفة في المشرق تتفق مع الجمعية في أهدافها و وسائلها،¹ و لكن بعض الطلبة رفضوا ذلك و خرجوا من سلطان الجمعية كلياً و وجدوا من بعض السلطات هناك إعانة على ذلك، كأن هذه تُعاقب جمعية العلماء على خطئها في تعاملها مع جمعيات غير متفقة مع حكومتها²، أمام هذا الموقف الحرج للإبراهيمي الذي وصل إلى درجة طرد بعض الطلبة و التبرؤ منهم ، نجد التبسي اغتتم الفرصة و سافر إلى المشرق بنية الحج و زيارة الرئيس، و كذلك بنية التكفل بأمر الطلبة هناك، و هو ما رفضه بعض زملاءه في المكتب الإداري و اعتبروه تجاوزاً لمكانة رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي³، و اغتتموا فرصة غيابه ليتقدموا على أمر سيكون له أثر كبير على الجمعية و سيرها لو لم تفاجئهم الثورة بعد أقل من شهرين من ذلك التاريخ، ذلك هو التغيير الذي حاولوا إجراؤه على الجمعية في الاجتماع العادي لمكتب الجمعية في سبتمبر 1954 م و قد خرج هذا الاجتماع بعدة قرارات مهمة منها:

¹ - البصائر، العدد 281، بتاريخ 1954/07/30، ص1.

² - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع ، ص 83.

³ - أحمد توفيق الدين، نفس المرجع، ص20.

- مُطالبة الرئيس إبراهيمي و الورتلاني بالعودة إلى أرض الوطن و المشاركة في إصدار قانون أساسي جديد لجمعية العلماء المسلمين¹، رغم أن القانون الأساسي الأخير لها لم تمر عليه إلا مدة ثلاث أعوام، حيث عدل عام 1951م في الاجتماع العام.

و تجدر الإشارة إلى أن التبسي لا يوجد ضمن الأشخاص المقترحين لصياغة هذا القانون بالإضافة إلى إبراهيمي و الورتلاني نجد كل من خير الدين و توفيق المدني ضمن القائمة²، و لئن كان وجود إبراهيمي و خير الدين من الأمور البديهية، فالأول كرئيس للجمعية و مشارك في تأسيسها منذ البداية وحتى في إصدار قانونها الأول عام 1931م، و الثاني بمكانته كنائب ثانٍ و أمين مال سابق، و لحنكته و دبلوماسيته و قدرته التنظيمية على الخصوص زيادة إلى كونه كان وراء هذا التغيير، فإن وجود الورتلاني ضمن المقترحين يطرح أكثر من تساؤل، فهل هو استدراج له حتى يعود إلى الجزائر التي غاب عنها من سنة 1936 و الاستفادة من خدماته و حنكته و شجاعته؟ أم لإبعاده عن الجمعيات و الهيئات التي تورط معها في الشرق؟ أم لإرضاء الجناح الشاب في الجمعية؟

يظهر أن كل هذه الأمور كان لها حظ من الاعتبار كما سنبين فيما بعد، أما توفيق المدني فيبدو أن نشاطه و تجربته الصحافية و السياسية و كذا تقربه من خط محمد خير الدين و سهولة استخدامه له هو الذي رشحه لهذه المهمة، كما أنه كان يتمتع ببعض الثقة في صفوف الجمعية على الأقل سنة 1951م. إذ تحصل على المرتبة الرابعة قبل محمد خير الدين نفسه³، مع أنه لم يدخل الجمعية رسمياً إلا بعد ذلك.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار أن جمعية العلماء بدأت تغير من أسلوب مُطالبتها، كمسألة حرية و استقلال الدين الإسلامي و التي أصبحت تنظر إليها على أنها جزء لا يتجزأ من القضية الوطنية أو بالأحرى أنه لا يمكن أن تضمن استقلال الدين الإسلامي و معالمه إلا باستقلال الجزائر نفسها⁴، فإنه يمكننا القول بأن جمعية العلماء كانت على أهبة الاستعداد لتغيير جذري، رُبما يمس حتى مسألة تعاطيها للسياسة، و هو ما يفسر اشتراك كل من الورتلاني و المدني ضمن القائمة المقترحة لتحديد طبيعة الجمعية الذي يفصح عنها القانون الأساسي، إذ لا يخفى نشاطها السياسي في الجزائر و خارجها، فهل هي محاولة لجعل جمعية العلماء حزباً سياسياً مع الاحتفاظ بمهمتها الأولى و استغلال وضع حركة الانتصار لنجاح هذه الخطة؟ يظهر أن هذا بعيداً نسبياً طالما أن التبسي صاحب الفكرة

¹ - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 84.

² - نفس المرجع، ص 84.

³ - البصائر، العدد 172، بتاريخ 15/10/1951، ص 8.

⁴ - البصائر، العدد 286، بتاريخ 02/10/1954، ص 1.

كان غائباً بل مقصوداً بهذا التغيير، مما يجعلنا نقول بأن العناصر المتعاطفة أو المنظمة إلى حزب البيان رُبما كان بواسطة هذا التغيير أن تجعل من الجمعية حليفاً دائماً و سنداً سياسياً مباشراً لهذا الحزب.

و مهما يكن من أمر فإن محمد خير الدين و جناحه قد رتب أموره جيداً قبل أن يعود التبسي من حججه في أكتوبر 1954م، و لاشك أن هذه القرارات كانت ستزيد من حدة هذه الخلافات بين الجناحين¹، و لكن يظهر أن الكفة كانت لصالح خير الدين و جناحه المعتدل و تكمن أهمية توضيحنا لهذه الوضعية للجمعية في أن موقفها في الداخل من الثورة سيكون متأثراً بهذه الوضعية.

زيادة إلى هذه الأزمة التي مست قيادة الجمعية فإنها تعرضت إلى أزمة ولكنها أقل خطراً كانت من نتائج زلزال الأصنام 1954 م حيث اهتم الجيلالي الفارسي الأصنامي ممثل الجمعية بالأصنام و عضو المكتب الإداري، اهتم مجلس إدارة الجمعية بالتهاون و التفريط في حق المسلمين و إعانتهم في نكبتهم، و احتج على ذلك بعدم حضوره الجلسة العادية للمكتب الإداري، مما اعتبرته قيادة الجمعية سعيًا ضدها و عملاً لا يغتفر لأن الجمعية قامت بدورها كما يجب و أن التقصير كان من جهته كممثل للجمعية بتلك الجهة، فقرروا لذلك إيقافه عن العمل في الجمعية و إحالته على المحاكمة أمام لجنة التأديب بجمعية العلماء في فرصة مناسبة²، و أبقيت هذه القرارات سرية حتى لا تؤثر سلباً على الجمعية و أتباعها، و لم تدم هذه الأزمة كثيراً إذ عاد الفارسي إلى عمله ضمن الجمعية و تصالح معهم³، و لعله من المفيد أن نتساءل عن هذا الخلاف: هل هناك بين التبسي و خير الدين؟ أم أنه مع رئيس الجمعية نفسه؟ من خلال شهادات بعض المعاصرين كتوفيق المدني و عمار بن عودة يرون أن الخلاف كان مع رئيس الجمعية بينما يذكر محمد المليي و سعد الله أن الأمر ظهر بعد رحيل الإبراهيمي، و أنه كان بين خير الدين و التبسي بالخصوص⁴.

حيث كان بعض قادة الجمعية كانوا يتحفظون من سلوك التبسي و تصريحاته التي تتسم بالارتجال و التسرع و التعصب للرأي، و عدم التحرز مما كان يوقع الجمعية فيه، خاصة وأن الجمعية كانت قد دخلت في طورها الثالث "طور التنظيم و الحزم و احترام التخصصات" بداية من عام 1951م حسب قول الإبراهيمي⁵، مما يوحي بأن هناك تياراً عاماً كان يدعو إلى ضرورة عصرنة الجمعية أكثر في تنظيمها و إنشاء لجان مختصة، و يتشكل هذا التيار خصوصاً من خريجي مدارس الجمعية و ممن تأثروا بالجمعيات الأوروبية، و بعبارة أحد هؤلاء الشبان "محمد المليي": "أن جمعية

¹ - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص72.

² - نفس المرجع، ص82.

³ - نفس المرجع، ص83.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 62.

⁵ - البصائر، العدد 172، 1951/10/15، ص3.

العلماء و المقصود قيادتها أصبحوا ضحية نجاحهم على الطريقة و عرضوا أنفسهم للانتقاد من طرف تلامذتهم".

ليس هناك أي اختلاف مبدئي واضح بين التبسي ومجموعة خير الدين إلا ما كان من دعوة التبسي إلى تجاوز الأحزاب و تأسيس تجمع شعبي للجزائريين تحت وصاية العلماء و توجيههم وحتى موقفهم من حركة الانتصار لم يكن يختلف كثيراً عن موقف التيار الآخر، و هذا يجعلنا نرجح أن الخلاف كان حول قضية القيادة و أسلوبها فقط، و عدم مقدرة التبسي على قيادة الجمعية، و كذا خلافه مع معظم أعضاء المكتب الإداري، و نذكر مثلاً: أنه في الوقت الذي لم تجد فيه الجمعية الأموال الكافية لتسديد أجور أساتذة معهد ابن باديس بقسنطينة، قرر التبسي بوصفه رئيساً فعلياً للجمعية منح طلبة الجمعية في الشرق منحاً كبيرة مما أثار حفيظة محمد خير الدين و عبد اللطيف سلطاني وغيرهما، لأن الحالة المادية للجمعية لا تسمح بذلك مطلقاً.

و من هنا نجد أن الذين يرجعون سبب الخلاف إلى مسائل منهجية و جوهرية ينقصهم كثيراً من الأدلة و الوقائع¹، و أنهم إنما اغتروا ببعض المظاهر التي لا تدل دائماً على الحقيقة، حيث رأوا أن شدة التبسي و جرأته و صراحته و تصريحاته المعادية للاستعمار، و العمل على إخراجهم بكل الوسائل تدل على أنه يتفق مع حركة الانتصار في أسلوب العمل، و لكن الأمر يتعدى طبعاً نفسياً و تربية راسخة فيه "التبسي".

إن هذه المسألة تقودنا إلى الحديث عن طبيعة العلاقة بين شيوخ الجمعية وشبابها، حيث يرى بعض الباحثين أن هذا الخلاف الذي مس الجمعية كان في بعض وجوهه صراعاً بين جيلين (جيل الشيوخ و جيل الشباب ممن تتلمذوا و تخرجوا على أيديهم) فجيل الشباب بحماسة و اندفاعه و رغبته في النشاط مع قلة التجربة أو بالأحرى أنهم لم يعايشوا مأساة حوادث 08 ماي 1945م عكس الشيوخ "لم يمارسوا المسؤوليات باعتبارهم لم يكونوا من مؤسسي الجمعية الذين لم يكن لهم شرف إدارة نشاطات الجمعية" و يكمن اختلاف الباحثين في تحديد تيار الشباب و من كان يمثلهم فمحمد المليبي ابن مبارك المليبي الذي كان من الشباب الأوفياء في الجمعية، يرى أن تيار الشباب يتكون من بعض معلمي الجمعية اللذين تخرجوا حديثاً و اللذين كانوا يميلون سياسياً إلى طروحات حزب الشعب، و يعبر عنهم في طبقة الشيوخ كل من التبسي و الياجوري و حوحو، مع تلميحه بأنه ليس كل شباب الجمعية و معلمها الجدد كانوا مع هذه الفئة، و يؤيده في هذه النظرة كثير من الباحثين²، و يرون أن مجموعة من الشيوخ يعبر عنها محمد خير الدين و جماعته، بينما نجد سعد الله و هو من الشباب المتعاطف مع الجمعية و أحد طلاب بعثتها إلى المشرق و ممن كانت لهم صلات

¹ - محمد العربي الزبيري، الفترة في عامها الأول، قسنطينة، مطبعة البعث، 1984، ص 184.

² - نفس المرجع، ص 184.

مع الإبراهيمي رئيس الجمعية بالقاهرة خلال فترة الثورة الجزائرية يرى رأياً مغايراً تماماً، فيجعل محمد خير الدين ومجموعته كالعباس بن الشيخ الحسين وغيرهما ممن يمثلون تيار الشباب في الجمعية لأنهم كانوا يعبرون عن روح جديدة في الجمعية و يدعون إلى حسن تنظيمها و عصرتها وكانوا يعتبرون تصرفات التبسي بالخصوص تصرفات شيوخ تربوا على طريقة تقليدية أثرت على سلوكهم فهي لا تخلوا من عفوية و أبوية واستتثار الشيوخ¹.

و يمكن أن نؤكد بهذا على أن الخلاف لم يصل إلى درجة يتشكل هناك تياران واضحان و منفصلان في المنهج أو الوسائل أو حتى في الطبقة أو الجيل و يمكننا أن نوفق بين النظرتين لنصل إلى القول بأن بعض شباب الجمعية قادمهم حماسهم واندفاعهم إلى مناصرة حركة الانتصار ووجدوا أن الشيخ التبسي بأفكاره وسلوكه خير رمز يستعينون به، بينما وجد بعض شباب الجمعية من جهة أخرى في محمد خير الدين وفريقه أحسن منظم وأقدر شخصية على ترقية الجمعية وعصرتها، تلائم روح العصر الذي تشبع به هؤلاء .

بالإضافة إلى عدم التجانس الذي ظهر على جمعية العلماء المسلمين في قيادتها بالخصوص فإن هناك مشاغل واهتمامات كثير كانت قد شغلتها قبيل فاتح نوفمبر خلال شهري أكتوبر و سبتمبر، فزيادة إلى ذلك الاجتماع العادي للمجلس الإداري الذي اهتمت به بعض العناصر غاية الاهتمام قبل وبعد عقده والذي قد أتى و لا شك على قسط كبير من اهتمامهم و تفكيرهم و أوقاتهم، و زيادة أيضاً إلى كارثة زلزال الأصنام و ما نتج عنه من انشغال الجمعية بأمر الإعانات فإن اتساع حركة التعليم التابع للجمعية، و ما يتبعه من توفير المعلمين و توزيعهم و توفير الموارد المالية الكافية للتسيير، كان قد شغل قيادة الجمعية أيماً شغل خاصة و أنه في تلك الأيام كانت الجمعية تستعد للدخول المدرسي الجديد، و قد شهدت عدة مدن جزائرية تدشينات لمدارس جديدة. و تنظيم حركة التعليم به أكثر و أصبح قبول الأساتذة فيه يتم بعد اجتياز مناظرة، و لعل ذلك كان قاطعاً لدابر الشك الذي بدأ يتسرب إلى بعض العناصر من أنه كان للقرابة و الوساطات دور في عملية التوظيف، و نفس الشيء بالنسبة مع مدارس الجمعية، فالمعلمون لا يقبلون إلا بعد اجتياز مناظرة و إن الترقيات لا تكون إلا بها و بشروط مضبوطة².

أوضاع الجمعية على مستوى النشاط الثقافي:

على غرار ما حصل للجمعية بديلة الخمسينيات من تداعيات، و التي تمثلت في الاجتماع العادي للمجلس الإداري، و كارثة زلزال الأصنام و ما نتج عنه من انشغال الجمعية به، واصلت الجمعية جهودها التعليمية المعتادة فيما يخص توفير المعلمين، و الموارد المالية الكافية لتسييرها، خاصة أن تلك الفترة ستشهد

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سبق ذكره، ص 66.

² - نفس المرجع ص 73.

الدخول المدرسي الجديد بتدشين عدة مدارس جديدة في مدن جزائرية، بحضور عدة شخصيات كبيرة من المجلس الإداري و من ذلك تدشين أحمد توفيق المدني لمدرسة بباتنة في أكتوبر 1954م¹. و في جلسة الجمعية الأخيرة تم تنظيم حركة التعليم بمعهد ابن باديس ، و فيها تم قبول الأساتذة بحسب قدراتهم بعد اجتياز مناظرة من خلالها يتم اختيار الكفاء.

على مستوى النشاط السياسي:

يظهر جلياً أن الجمعية لم تعصف بما الأزمة السابقة، كما عصفت بحركة الانتصار، و هذا ما عزز مكانتها أكثر، فقد حاولت أن تفرض نفسها، على أساس أنها تعبر عن آمال الشعب و طموحاته، في تحقيق المطالب الرئيسية المتمثلة في الاستقلال الوطني، و هذه دعوة صريحة لخوض الجمعية مجال السياسة، فقد جاء في مقررات مجلس الجمعية: " إن الأمة الجزائرية يجب عليها في الساعة الحاضرة و في مستقبل الأيام، أن تتجه بكليتها لمحاولة حل قضيتها العامة حلاً عادلاً يتناسب مع التطور العالمي الحديث، و مع هذا فإنه من الصعب القول، أن جمعية العلماء تلقت أزمة منافستها حركة الانتصار بابتهاج و فرح لأننا وجدناها قد تأملت لذلك ورأته إضاعة للجهد و المال و للعمل الوطني و هو زيادة على ذلك عرقلة جديدة لمسعى الوحدة الذي كانت تباركه جمعية العلماء بين مختلف الأحزاب، فكيف به عل مستوى الحزب الواحد ، و من الصعوبة القول بأنها كانت تنتظر انهيار الحزب لتستولي على قاعدته"².

لقد عانت الجمعية من وصول النضال السياسي إلى مرحلة متقدمة من النضج أدى إلى تعارض جيل الشباب المتعطش للعمل الثوري و جيل الشيوخ المتحفظ و المتخوف من العمل الثوري المسلح، و أصبحت جمعية العلماء تعيش أزمة حقيقية على رأس قيادتها، إذ غاب عنها رئيسها و المعارضة التي لقيها نائبه العربي التبسي من تلاميذ الجمعية و بعض روادها، لتلتحق بالتيارات السياسية التي عانت من أزمة ما قبل الثورة مثل حركة الانتصار، و إن لم تصل هذه الخلافات إلى القاعدة ، في خضم هذا كله فاجأ أول نوفمبر الجميع، و يفرض العمل الثوري المسلح على الجميع تحت غطاء حزب جديد تحت اسم جبهة التحرير الوطني، و يمكن القول أن الثورة أنقذت الجميع فالخلافات بين تيارات الحركة الوطنية وصلت إلى وضع متردي بل انتقلت عدوى الخلاف داخل هذه الحركات و كما سبق أن الجمعية لم تسلم من الأمر، حسب أبو القاسم سعد الله حيث يقول: "وإنصافاً للتاريخ أيضا نقول أنه لولا أولئك الفتية الذين آمنوا برهم و وطنهم، و كونوا أنفسهم في الخفاء، و اجتمعوا و تجاوبوا و قرروا الثورة، لكانت الجزائر، بدون جمعية العلماء كريشة في مهب الريح سنة 1954م، و هي الريح التي أخذت تمب أيضا حتى على جمعية العلماء"³.

¹ - نفس المرجع ، ص19.

² - البصائر، العدد 286، الصادرة في أكتوبر 1954، ص1.

³ - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق ، ص 147.

الفصل الثالث

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة

التحريرية

لقد عانت الجمعية من وصول النضال السياسي إلى مرحلة متقدمة من النضج أدى إلى تعارض جيل الشباب المتعطش للعمل الثوري وجيل الشيوخ المتحفظ والمتخوف من العمل الثوري المسلح، وأصبحت جمعية العلماء تعيش أزمة حقيقية على رأس قيادتها، إذ غاب عنها رئيسها والمعارضة التي لقيها نائبه العربي التبسي من تلاميذ الجمعية وبعض روادها، لتلتحق بالتيارات السياسية التي عانت من أزمة ما قبل الثورة مثل حركة الانتصار، وإن لم تصل هذه الخلافات إلى القاعدة، في خضم هذا كله فاجأ أول نوفمبر الجميع، ويفرض العمل الثوري المسلح على الجميع تحت غطاء حزب جديد تحت اسم جبهة التحرير الوطني، ويمكن القول أن الثورة أنقذت الجميع فبالخلافات بين تيارات الحركة الوطنية وصلت إلى وضع متردي بل انتقلت عدوى الخلاف داخل

هذه الحركات وكما سبق أن الجمعية لم تسلم من الأمر، حسب أبو القاسم سعد الله حيث يقول: "وإنصافا للتاريخ أيضا نقول أنه لولا أولئك الفتية الذين آمنوا برهم ووطنهم، وكونوا أنفسهم في الخفاء، واجتمعوا وتجاوبوا وقرروا الثورة، لكانت الجزائر، بدون جمعية العلماء كريشة في مهب الريح سنة 1954م، و هي الريح التي أخذت تمب أيضا حتى على جمعية العلماء¹.

تمهيد:

لم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على علم بتوقيت اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م كغيرها من التيارات السياسية في الجزائر، كما أنها لم تعلم من كان يقف وراءها، ولكي نتعرف على موقفها من اندلاعها وكذا مساندة تطور هذا الموقف بعد تطور الأحداث وتوسعا عبر كامل التراب الجزائري : و لأن الثورة جاءت في فترة زمنية حرجة في تاريخ الجزائر و الذي عرف أزمة داخلية في الحركة الوطنية بسبب اختلاف الرؤى فيما بينها حول أولوية العمل المسلح و في ظل جو مشحون ميز العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و بداية ما يُعرف بالحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفياتي حول من يقود العالم و كسب ولاء الدول. لذلك فإنه من الصعب فهم المواقف المتضاربة تُجاه الثورة الجزائرية إلا بعد الاطلاع على خلفية الأحداث و توجهات صنّاع الحدث من مختلف التيارات و طبيعة العلاقة التي كانت تربطهم .

و من المهم جدا ضمن هذا السياق التاريخي الوطني و الدولي التطرق إلى أهم الأحداث التي رافقت مسيرة الثورة الجزائرية بداية منذ انطلاقته شرارتها الأولى إلى غاية أحداث 20 أوت 1955م و التي شكلت المنعرج الحاسم في نجاح الثورة ، و تجنيد مختلف التيارات الوطنية للالتحاق بركب الثورة ، بالإضافة إلى الاطلاع على المشهد الإعلامي و السياسي إبان الثورة مع إبراز الإستراتيجية الإعلامية لجهة التحرير الوطني ، حتى نستطيع التطرق إلى موقف جريدة البصائر من الثورة الجزائرية من خلال عرض و إبراز دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و نشاطهم الداعمة للثورة

¹ - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق ، ص 147.

و هي إشارة لأهمية الكفاح السياسي و الثقافي و الفكري بواسطة الأعلام الصحفية و توظيف فن الخطابة التعبوية و كذا العمل الدبلوماسي لتدويل القضية الجزائرية و حشد التأييد لها لدى مختلف دول العالم من أجل تحقيق هدف الشعب الجزائري في نيل الحرية و الاستقلال.

المبحث الأول: اندلاع الثورة التحريرية و المواقف المختلفة تجاهها.

لقد اندلعت الثورة الجزائرية في وقت وصل فيه النضال السياسي السلمي مرحلة اليأس من أمل حصول الجزائريين على حقوقهم المشروعة من المستعمر الفرنسي بالعيش الكريم و التمتع بالمواطنة الكاملة بعيدا عن عقلية الأهالي و عن التزوير الانتخابي، إذ يُعتبر عام 1954م منعطف جديد في مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية على صعيد العمل السياسي و في أسلوب الكفاح الوطني. فقد انتقلت حركة التحرر بشكل عام منذ هذه الفترة من "التعددية" الحزبية، إلى نظام "الحزب القائد" الذي تجمعت من خلاله مختلف القوى الوطنية سواء على صعيد "الفكر" و "الأسلوب" في الكفاح الوطني الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تحت قيادة "جبهة التحرير الوطني" التي سارت وفق نظرية سياسية و عسكرية واضحة قائمة على "الاستقلال الوطني التام" و اعتماد أسلوب "الكفاح المسلح"، فكيف تم هذا التجمع الذي توحدت في عقده كُـل التشكيلات السياسية؟.

المطلب الأول: البدايات الأولى للثورة التحريرية الجزائرية.

لم يكن أسلوب العمل المسلح ضد الاحتلال الفرنسي فكرة طرحت في سنة 1954م، بل يرجع إلى تبني هذه الفكرة إلى سنة 1947م هذا بعد التجربة المريرة التي خاضها "حزب الشعب" بخصوص الانتخابات التشريعية ، فتوجب على الحزب أن يعقد اجتماعا تقييما للتجربة التي خاضها و تسطير خطة عمل للمدى القريب ، فتم بعدها عقد اجتماع سري تحت التسمية الجديدة " حركة انتصار الحريات الديمقراطية " يومي 15-16 فيفري 1947م¹، حيث تقرر فيه إنشاء منظمة شبه عسكرية تحت إشراف الحزب توجيهها و تمويلها²، و تطبيقا لقرار المؤتمر

¹ - عمار هلال، " الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري " 1947-1945"، مجلة الذاكرة، العدد 3، 1995م، ص 364 .

² - محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954 م ، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد. ص 234 .

الأول لحزب تم إنشاء المنظمة الخاصة تحت اسم *organisation sucrette para militaire* و قد مُنحت هذه المنظمة طابع شبه عسكري ذات هياكل خاصة بالكفاح المسلح الذي يعتبر أساسيا¹، و فرضت على هذه المنظمة بأن لا تعرض للخطر بأي حال من الأحوال الجهاز القانوني لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، و كلف بتسيير هذه المنظمة محمد بلوزداد لغاية 1949 م، و قد عين لها أركان عامة و بناها على قاعدتين :

1- اختيار رجالها من المناضلين الذين يثق فيهم .

2- السرية المطلقة²

و بدأت المنظمة التحضيرات للعمل المسلح بصورة جديدة، استعدادا للعمل الميداني، و لكن نظرا للأزمات التي مرت بها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على مستوى القيادة و التي كان من أبرزها نجد : الأزمة " البربرية " التي حدثت مباشرة بعد تولي " حسين آيت أحمد" رئاسة المنظمة الخاصة³. و كرد فعل على ذلك قام قادة الحزب بـ : حل فيدرالية الحزب بفرنسا . و عزل علي رشيد يحي من رئاسة تحرير جريدة " النجم الجزائري " التي كان يستعملها كمنبر للتكبر للجزائر العربية المسلمة، كما قررت عزل قادة الحركة البربرية و إبعادهم عن اللجنة المركزية للحزب . و لم يسلم من التطهير إلا السيد آيت أحمد الذي دافع عنه مصالي الحاج، لكن تقرر إبعاده من رئاسة المنظمة الخاصة و حل أحمد بن بلة محله و ذلك في ديسمبر 1949م⁴ .

و كانت المنظمة الخاصة تشكل تنظيما مغلقا ذات عدد محدود يتراوح بين 1000-1500 مناضل مع الاستقرار حول الألف في نهاية فترة التأسيس، و في أواخر سنة 1949م كانت المنظمة الخاصة قد انتهت تكوينها⁵ .

فقد كان الحزب يعلق آمالا عريضة على المنظمة الخاصة العسكرية خاصة بعد أن تطور نظامها و تدعمت قيادتها بقاعدة نضالية ثورية واسعة لكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، ففي 18 مارس 1950م في مدينة تبسة حدث ما أدى إلى كشف سرها للإدارة الفرنسية⁶ فقد نشرت جريدة " الزهور التونسية " خبر فصل الدكتور الأمين دباغين* فهرع المسؤول المحلي إلى الكشك بعد أن تلقى النبأ لشراء الكمية المخزنة و المتبقية من هذه الجريدة بغية إحراقها غير أن النبأ المنتشر أثار دهشة و غضب سكان تبسة لأن فصل دباغين عن الحزب ظل مجهولا مدة طويلة، و لأن

¹ - محمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، المنظمة الخاصة تر" محمد الشريف بن دالي حسين، الجزائر، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، ص 91.

² - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي السياسي ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 19 .

³ - 171 Ben youcef. Ben khaedda ; les origines du 1^{er} Novembre 1954. ed dahlal- Alger 1989.

⁴ - عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 319.

⁵ - عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص 34 .

⁶ - يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1930-1954)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1995، ص 51 .

*- فصل الأمين دباغين الذي سكت عند مناقشة قضية أنصار البربرية في اللجنة المركزية للحزب، فقد تم فصله وإبعاده من الحزب يوم 2 ديسمبر 1949م

المناضلين لم يكونوا موافقين على ذلك¹، و لم يتحمل عبد الرحمان خيارى المدعو رحيم هذا الخبر المؤلم و انتقده بشدة و رفض المبررات الخاصة فحذره المناضلون و طلبوا منه الكف عن تصرفاته و تهجماته، فرفض و عندئذ قرر محمد بوضياف و ديدوش مراد التخلص منه جسديا و اتجه ديدوش مراد إلى تبسة و تعاون معه الحاج مدهيني لكنه نجح بالفرار إلى مقر محافظة الشرطة و سلم نفسه إليها و أفشى لهم القضية بتفاصيلها²، و بعد انكشاف أمر المنظمة الخاصة و تعرف الشرطة الفرنسية على عدد هام من مناضليها كما شنت حملة اعتقالات واسعة لمناضلي الحزب من القياديين ابتداء من ليلة 18-19 مارس و دامت الحملة 3 أشهر .

بعد انكشاف أمر المنظمة الخاصة و تعرف الشرطة الفرنسية على عدد هام من مناضليها و منهم من ألقى عليه القبض و منهم من نجا و فر إما إلى الجبال و إما إلى الحياة السرية و التنكر بالبطاقات المزيفة³ و لما كانت أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم على الأقل على المستوى الدعائي و القانوني نفت قيادة الحزب نفيًا قاطعًا وجود المنظمة الخاصة و اعتبرته من نسيج الخيال و نددت بوجود مؤامرة كولونيالية⁴.

و أمام التطورات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية خلال الفترة 1950-1954م ظهرت قيادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية عاجزة عن تطوير فكرها في مواجهة الأزمات التابعة أساسًا من هيمنة السيد مصالي الحاج على أمور الحركة ففي أوائل مارس 1950م و خلال اجتماع اللجنة المركزية للحزب طلب مصالي الحاج منحه الرئاسة الدائمة للحزب مدى الحياة و حق النقض و حق الاعتراض (الفيتو)⁵، و هنا بدأت الأزمة بين مصالي الحاج و اللجنة المركزية المركزية عندما رفضت هذه الأخيرة صيغة الرئاسة الدائمة مدى الحياة لمصالي الحاج .

ففي سبتمبر 1950م حدث سوء تفاهم بشأن مبالغ مالية وُضعت تحت تصرف الرئيس مصالي الحاج مما أدى إلى نشوب أول حادثة بين مصالي و حسين لحول⁶ و في اجتماع اللجنة المركزية للحزب خلال ديسمبر 1950م تم طرح اقتراحين للدراسة و التفكير :

- 1- العودة إلى العمل السري .
- 2- العمل الشرعي القانوني .

¹ - محمد يوسفى ، نفس المرجع ، ص 117 .

² - يحيى بو عزيز ، نفس المرجع ، ص 51 .

³ - محمد الطيب العلوي ، نفس المرجع السابق ، ص 244 .

⁴ - حسين آيت أحمد ، روح الاستقلال ، مذكرات مكافح (1942 م-1952 م) ، تر: سعيد جعفر ، منشورات البرزخ 2002، ص 215.

⁵ - يحيى بو عزيز ، نفس المرجع ، ص 57 .

⁶ - الجيلالي صاري و محفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الإصلاحى ، و الطريق الثورى ، الجزائر ، تر: عبد القادر بن حراث ،

المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1987م ص 110 .

و تقرر العمل بهما معا وفق مقررات المؤتمر الأول للحزب عام 1947م و لكن مصالي الحاج لم يرتح لهذا القرار و الاتجاه و أخذ يعارض أعضاء اللجنة المركزية و خاصة أمينها العام لحول حسين¹ الذي قدم استقالته كأمين عام تلك ، و بعد شهرين من ذلك خرج من الحزب شوقي مصطفى الذي تشاجر مع مصالي الحاج² .

و تطورت الخلافات بتبادل التهم حول احتكار المناصب الحزبية العليا و الابتعاد عن الأهداف الحقيقية للحزب، الأمر الذي دفع بالكتلتين " المصاليين و المركزيين " إلى عقد مؤتمرين أحدهما في بلجيكا ودعا إليه مصالي في "أورني" من 13 إلى 15 جويلية 1954م و انتهى المؤتمر بإدانة السياسية العامة للمركزيين التي بدأت تظهر سنة 1953م و منح الثقة المطلقة لمصالي³ ، وتم إعادة هيكلة الحزب بطرد بعض المسيرين و تثبيت آخرين فرد عليه المركزيون في مؤتمهم الذي انعقد في الجزائر من 13 إلى 16 أوت 1954م بإلغاء منصب رئيس الحزب⁴ .

لقد كان انقسام الحزب في هذه الظروف ضربة قاسية للحركة الوطنية الثورية بحيث كادت مسألة الانشقاق أن تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه لولا الفريق الحيادي المتكون من قدماء المناضلين في المنظمة الخاصة الذين سعوا إلى التوفيق بينهما على أساس العمل و الثورة في إطار "اللجنة الثورية للوحدة و العمل" "CRUA" ، و ذلك في 23 مارس 1954، و تشكلت هذه اللجنة من محمد بوضياف، و لحول حسين و سيد علي عبد الحميد و مصطفى بن بولعيد و من المركزيين بشير دخلي، و رمضان بوشبوبة⁵ .

و قبيل أن تنتقل اللجنة الثورية إلى مرحلة التحضير و الإعداد للثورة دعت الطرفين المتصارعين إلى التفاهم للدخول موحدين إلى المرحلة الجديدة و كانت استجابة كل طرف كالتالي:

1. **موقف اللجنة المركزية :** إن هذا الطرف اشترط للقيام بالثورة بوجود مساندة من الخارج، وعن استجابة اللجنة المركزية لمطالب اللجنة الثورية قال عبد الحميد مهري « كانت اللجنة المركزية على اتصال مع لجنة الوحدة و العمل بدليل أن بعض المركزيين مثل بن خدة بن يوسف و السيد علي عبد الحميد و المتحدث كانوا أعضاء في هذه اللجنة و مؤيدين لها ، و قد دفعت اللجنة المركزية بالفعل شيئا من المال و السلاح لتحضير الفصائل المسلحة و لكن موافقة اللجنة

¹ - يحي بوغزيز ، نفس المرجع ، ص 58.

² - الجيلالي صاري ، محفوظ قداش ، نفس المرجع ، ص 110 .

* - تشاجر مع مصالي الحاج بشأن مشروع لتصريح مشترك حول الاتحاد المقترح مع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري .

³ - أزغيد محمد لحسن، مؤتمر الصومام و تطور العمل الثوري التحريري، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989، ص 50.

⁴ - عمار هلال، نفس المرجع ، ص 93.

⁵ - عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 335

المركزية على إعلان الثورة كان مشروطا بوجود المساندة الخارجية و هذا ما جعل الحزب يبعث حسين لحول و محمد يزيد إلى القاهرة»¹.

وكذلك وقع في سويسرا لقاء بين بوضياف و بن بلة و محمد خيضر من جهة و بين حسين لحول و محمد يزيد حيث وقع الاتفاق على أنه تكون اللجنة المركزية مستعدة لتمثيل الثورة سياسيا و تحضير ملف القضية الجزائرية لكنها اشترطت على أن لا ينطلق الكفاح المسلح في جو من التناقضات التي يشهدها حزب حركة الانتصار بل الواجب أولا توضيح مواقف في مؤتمر استثنائي و هذا ما ترفضه اللجنة الثورية للوحدة و العمل و كان هذا سببا في انسحاب دخلي بشير و رمضان بوشبوبة و قطع الاتصال مع أعضاء اللجنة الثورية و انضمامهم إلى رأي اللجنة المركزية².

2. موقف المصاليين: اعتبر هذا الطرف إعلان الثورة من قبل تلك اللجنة خروجاً عن الطاعة و تمرد على قانون الحزب و عصياناً، فيوضح بوضياف محمد: " بأن المصاليين كانوا غير راضين على ممارسات اللجنة الثورية مما كان السبب في الهجوم الذي تعرض له أنا و بييطاط هذا الهجوم الذي يعبر عن أساليب المصاليين" غير أن الحوادث و المناورات المكشوفة لأعضاء اللجنة المركزية اتجهت اللجنة الثورية دفعت بهذه الأخيرة إلى إعلان القطيعة مع الطرفين المتصارعين و الانتقال إلى الكفاح المسلح دون تردد.

التحضير السياسي للثورة:

اجتماع مجموعة 22: و انعقد الاجتماع ما بين 25 جوان و 5 جويلية 1954م بدار إلياس دريش بالمدينة³ و اشتمل جدول الاجتماع على ثلاثة نقاط :

1. اتخاذ القرار بإعلان الثورة.

2. كيفية إعلان الثورة.

3. أهداف الثورة و من بينها استرجاع الاستقلال الوطني.

و لقد حضر هذا الاجتماع 22 شخصية ممثلين من كل ناحية من البلاد برئاسة مصطفى بن بولعيد حيث يقول محمد بوضياف " كانت الجلسة برئاسة مصطفى بن بولعيد أما أنا فكنت أقدم التقرير الذي تم في الاجتماعات التمهيديّة من طرف المجموعة كلها. و اشتمل التقرير على النقاط التالية :

1. تاريخ المنظمة الخاصة من نشأتها إلى ذوبانها.

¹ - أحسن بومالي ، " التحضيرات المادية والبشرية لاندلاع الثورة المسلحة" ، مجلة الذاكرة، العدد 3، 1989م ، المتحف الوطني للمجاهد ، ص 104.

² - أحسن بومالي، نفس المرجع ، ص 104.

³ - نفس المرجع السابق، ص 109.

2. تقرير حول فضح الهيئة المخربة لإدارة الحزب.
 3. العمل المنجز من طرف قدماء المنظمة ما بين 1950 - 1954م.
 4. أزمة الحزب و أسبابها العميقة و شرح موقف اللجنة الثورية تجاه الأزمة و المركزيين و إزاء حالة قيام الحرب التحريرية في تونس و المغرب و ماذا ينبغي عمله .
- و قدم الحاضرون تقارير عن أوضاع مناطقهم فبن بولعيد أكد على ضرورة التعجيل بالانتفاضة لأن التحضيرات بالأوراس كانت متقدمة جدا أما ديدوش مراد فقد ألح على أن الثورة متخمرة في أذهان الشعب الجزائري قائلا " إن الشعب أشبه بغصن يابس لا ينتظر سوى النار ليشتعل يجب إلقاء عود الثقاب أيها الإخوة"¹. و انتهى الاجتماع بالاتفاق على ما يلي :
1. البقاء على الحياد أي عدم الدخول في الصراع ما بين المركزيين و المصاليين.
 2. العمل على توحيد جناحي الحزب.
 3. تدعيم موقف اللجنة الثورية في أهدافها الثلاثة: الثورة - الوحدة - العمل.
 4. تفجير الثورة في تاريخ تحدده لجنة مصغرة.
 5. انتخاب مسؤول يتولى تكوين لجنة مصغرة.

تشكيل اللجنة الحماسية: قبل نهاية الاجتماع اُتُخب محمد بوضياف كمسؤول و تُعين قيادة جماعية تسهر على تطبيق القرارات المصادق عليها و تشكلت اللجنة من محمد بوضياف رئيسا و مصطفى بن بولعيد و ديدوش مراد و العربي بن المهدي، و رابح بيطاط كأعضاء و قد وجدت هذه اللجنة التي انبثقت عن اجتماع مجموعة 22 نفسها أمام مهمات عديدة و مستعجلة و منها :

1. إقناع ممثلي القبائل الكبرى بالموافقة على قرارات اجتماع 22 و انضمامهم إلى مجلس القيادة الجماعية.
2. مواصلة بذل الجهود لإزالة العقبات التي تقف حجرة عثرة في طريق وحدة صفوف المناضلين بعد أن تقرر الانتقال إلى مرحلة الكفاح المسلح.
3. استكمال التحضيرات المادية و البشرية لانطلاق الثورة المسلحة.
4. ربط الاتصالات مع ثوار الأشقاء في تونس و المغرب.
5. تحديد تاريخ و ساعة الصفر لاندلاع الثورة المسلحة.
6. إعداد منشور يعلن به عن الثورة و يوضح أهدافها للرأي العام الداخلي و الدولي².

و انظم إلى اللجنة الحماسية فيما بعد في أوت 1954م كريم بلقاسم و أطلق عليها اسم لجنة الستة و في نفس الشهر أصبحت لجنة الستة تسمى بلجنة التسعة على إثر لقاء "لوزان" بسويسرا الذي جمع لجنة الستة و أعضاء الوفد الخارجي أحمد بن بلة، محمد خيضر و حسين آيت

¹ - أرغيد محمد لحسن، نفس المرجع ، ص 56.

² - أحسن بومالي، نفس المرجع ، ص 116.

أحمد ، و تم تقسيم المهام داخل لجنة التسعة بشكل يجعلها أول قيادة سياسية و عسكرية للشورة قبيل انطلاقتها حيث عين خمسة منهم على رأس المناطق الخمسة التي تقسم الجزائر من خلالها و هي : المنطقة الأولى: الأوراس : بقيادة مصطفى بن بولعيد و نوابه شيجاني بشير و طاهر نويشي و لغرور عباس. المنطقة الثانية: شمال قسنطينة: بقيادة مراد ديدوش و نوابه يوسف زيغود و الأخضر بن طوبال. المنطقة الثالثة: القبائل : بقيادة كريم بلقاسم و نوابه عمر أوعمران و زعموم. المنطقة الرابعة: الجزائر العاصمة : بقيادة رابح بيطاط و نوابه سويداني، بوجمعة، و بوعجاج. المنطقة الخامسة: وهران : بقيادة العربي بن مهيدي و نوابه عبد الملك رمضان، و بوصوف و الحاج بن علا. و منسق وطني هو محمد بوضياف و مجموعة الدعم الخارجي هم أحمد بن بلة، و محمد خيضر و حسين آيت أحمد¹.

اجتماع 10 أكتوبر 1954م: و كان هذا الاجتماع بحضور كريم بلقاسم و رابح بيطاط

في منزل بوقشورة مراد في ريس حميدوا و اتفقوا على :

1. إعلان الثورة باسم جبهة التحرير الوطني.
 2. إعداد مشروع بيان نوفمبر.
 3. تحديد يوم 22 أكتوبر 1954 م موعدا لاجتماع القادة الستة لمراجعة البيان و إقراره.
 4. تحديد منتصف ليلة الاثنين 1 نوفمبر 1954م موعد لانطلاق الثورة.
- اجتماع 23 أكتوبر 1954م:** و التقت فيه لجنة الستة بمثل بوقشودة و فيه اتفقوا على :

1. مضمون نص بيان نوفمبر بعد مراجعته.
 2. التأكيد بصفة نهائية على الساعة الصفر من ليلة يوم الاثنين 01 نوفمبر 1954 م كموعدا لانطلاق الثورة مع الالتزام بالسرية التامة لهذا القرار.
- و تمت عملية التحضير لتفجير الثورة بالعمل الشاق و المتواصل، الذي ميزته السرية التامة و الإيمان بحتمية النصر، إذ خططوا و عملوا بكل دقة على أن يكون تفجير الثورة بالداخل و في الوقت نفسه يتم الإعلان عنها في الخارج².

التحضير العسكري و المادي للثورة:

لقد تأخر الإعداد العسكري و المادي للثورة مقارنة مع التحضير السياسي و من أجل دراسة ما تحتاجه الثورة المسلحة من عتاد، قررت اللجنة الثورية للوحدة و العمل القيام بعدة نشاطات، ففي صيف 1954م أعطيت الأوامر باستخراج السلاح من المخابئ في قمار و واد سوف و ذلك لفرزه و تنظيفه و إعداده للتوزيع و لكن للأسف كان معظمه قد فسد، و جمع

¹ - أرغيد محمد لحسن، نفس المرجع ، ص 69.

² - نفس المرجع السابق ، ص 62.

الأسلحة من عند المواطنين (بنادق الصيد) مع الشروع في صنع القنابل اليدوية ، كما قام أعضاء اللجنة الثورية بعدة ترتيبات منها:

1. إحصاء عدد الأسلحة التي يمتلكها المناضلون مهما كانت نوعيتها سواء حربية أو للصيد.
 2. إحصاء عدد المناضلين و تقسيمهم لأفواج.
 3. وضع خريطة و قائمة لإحصاء أماكن المياه و المخابئ و الجبال و مراكز العدو.
 4. جمع التبرعات و الزكاة و الامتناع عن دفعها للمصاليين أو المركزيين و شراء الأسلحة والألبسة العسكرية.
 5. مضاعفة جهودها لصنع المتفجرات التقليدية و رفع شعار الثورة " سلاحنا نفتكه من عدونا".
- و في إطار هذا التوجه ، دعت جبهة التحرير الوطني كافة التشكيلات السياسية إلى الإعلان عن حل نفسها رسمياً، و دفع مناضليها و مريديها إلى الالتحاق، فرادى، بالصفوف، وأكدت من خلال النداء الأول وفي مناسبات عديدة، أن التفاوض لا يكون إلا معها بصفتها قائداً للكفاح المسلح وممثلاً وحيداً للشعب الجزائري¹.
- لقد كانت المهام المسطرة في نداء أول نوفمبر صعبة المنال إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأوضاع السائدة يومها، و المكانة التي احتلتها فرنسا سواء في منظمة الأمم المتحدة أو في إطار تسير السياسة العالمية.

و لقد كان نداء أول نوفمبر يحدد ثلاثة أهداف و هي:

- (1)- تدويل القضية الجزائرية.
 - (2)- تجسيد وحدة المغرب العربي في إطاره الإسلامي.
 - (3)- تأكيد الصداقة للبلدان التي تدعم حركتنا التحريرية.
- و هذه الأهداف لا يمكن تحقيقها إلا إذا وجدت قوة تقف وراء جبهة التحرير الوطني و في ذلك الحين كان كل الأمل معلقاً على الكتلة الأفروآسيوية.

و في هذا الإطار كان الشهيد العربي بن مهيدي قبل اندلاع الثورة، يردد، و ينادي: "ساعدوني على إنزال الثورة إلى الشارع و أنا أضمن لها نجاح ذلك"، حيث أنه كان يعرف أن جزءاً كبيراً من الجماهير سيتبناها، الأمر الذي يجعلنا اليوم نجزم بأنه كان أقرب إلى الجماهير و أكثر ثقة فيها و في مقدرتها من أي مسؤول سياسي آخر.

فعندما اجتمع ديدوش مراد بجنوده الأوائل، سأله أحدهم عن المدة التي يمكن أن تستغرقها الثورة لتحقيق الانتصار فقال: أن على الثوار الأوائل أن يقضوا أربع سنوات لنشر مبادئ الثورة

¹ - محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)، ج2، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص 10.

و تعميم فكرة الاستقلال و جعلها مألوفة لدى المواطنين، بعد ذلك نخوض كفاحاً حقيقياً مدة أربع سنوات أخرى ثم نبدأ في انتظار الاستقلال¹.

و قد تميزت ليلة الفاتح من نوفمبر سنة 1954م بتنظيم محكم يدل دلالة واضحة على وجود مخطط مدروس يتسم بالجدية و العزم، فعند الساعة الواحدة من صبيحة أول نوفمبر أو ما اصطُح على تسميته بساعة الصفر، نُفِذَت عمليات عسكرية عبر كامل التراب الوطني، كما وُزِع في نفس الوقت منشور بيان نوفمبر باللغتين العربية و الفرنسية إيداناً ببدء الكفاح المسلح الذي طالما انتظرتة جماهير العمال و الفلاحين للخلاص من أبشع استعمار عرفه العالم الحديث².

شملت العمليات الأولى كامل التراب الوطني باستثناء الصحراء، بشهادة البيان الذي أصدره الحاكم العام: " في الليلة المنصرمة، وفي نقاط مختلفة من التراب الجزائري وبصفة خاصة شرقي محافظة قسنطينة وفي منطقة الأوراس، قامت مجموعات صغيرة بارتكاب ثلاثين عملية تخريبية متفاوتة الخطورة". عدد المجاهدين الذين لم يكن يتجاوز الأربعمئة ليلة أول نوفمبر قد ارتفع عشية انتفاضة العشرين أوت سنة 1955 إلى حوالي أربعة آلاف، بالإضافة إلى التنظيم المدني السري الذي عم أغلبية أنحاء المناطق الأولى والثانية والثالثة.

و لم يكن تزايد عدد المقاتلين، رغم أهميته كفاياً، لأن الأسلحة لم تكن متوفرة لا نوعاً ولا كماً، ناهيك عن الذخيرة وسائر معدات الحرب. فرجال جيش التحرير الوطني، استطاعوا، في هذه الأشهر الأولى، أن يجمعوا حوالي ألف قطعة سلاح ما بين بنادق الصيد و المسدسات العادية والبنادق الحربية الموروثة عن الحرب الامبريالية الثانية و لم يكن هذا هو المتوقع عندما تفرقت القيادة العليا عشية أول نوفمبر، بل أن آملاً كبيرة كانت معلقة على نشاطات المندوبية في الخارج و مجهودات السيد محمد بوضياف الذي كلف بتعبئة الجزائريين في فرنسا حيث سهولة الاتصال بباعة الأسلحة و مهربيها³.

كانت الثورة قد حققت كثيراً من التقدم، وأحرزت على العديد من الانتصارات في المجالين السياسي والعسكري، فإن مشاكل التسليح ستظل مطروحة بجدة إلى نهاية عام 1955م. وإن هذا النقص في التسليح هو الذي سيسمح للسلطات الاستعمارية بأن تجمع قواها وتوظف إمكانات حربية هائلة لقمع المناطق الثائرة⁴.

كانت جبهة التحرير الوطني قد استفادت في مجال العدد من كل هذه التصرفات الاستعمارية، فإن جيش التحرير الوطني في الواقع لم يستفد كثيراً بسبب نقص الأسلحة و الذخيرة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، لأجل ذلك، فإن العمليات العسكرية و عمليات التمشيط المكثفة و استعمال العتاد الحربي و آلاف الأجناد المحلوبة من

¹ - نفس المرجع السابق ، ص 122.

² - نفسه، ص 89.

³ - محمد العربي الزبيري ، نفس المرجع السابق ، ص 15.

⁴ - نفس المرجع، ص 16 .

فرنسا كلها قد شكلت مضايقة رهيبية، و خناقاً على الوحدات الأولى المكونة لجيش التحرير الوطني في الشرق الجزائري، و على وجه الخصوص في المنطقة الأولى و جنوب المنطقة الثانية. وكان المسؤولون في المنطقتين يدركون جيداً ذلك الوضع القاسي، و يقدرّون كل الصعوبات المتمثلة في تفوق العدو، عدداً و عُدة، و في عدم توفر الأسلحة و الذخيرة لدى جيش التحرير الوطني، كما أنهم كانوا يعرفون أن الاستمرار على تلك الحالة يسيء إلى الثورة. و عليه صار لابد من إيجاد طريقة تمكن من فك الحصار المضروب على قمم الجبال و الأرياف، و من جعل القرى و المدن تشعر بأنها طرف أساسي في المعركة التي ينبغي أن تنتشر بسرعة و تتسع ليضطرب العدو، فتتمزق وحدته و تشتت قوته الضاربة، و فكر الشهيد يوسف زيغود و مساعدوه المقربون طويلاً للوصول إلى حل ناجح¹.

إن تركيز فرنسا على المنطقتين الأولى والثانية لم يكن يعني أن الثورة قد حبت نيرانها في المناطق الأخرى من البلاد. لكن المنطقة الأولى كان لها وضع خاص يتمثل فيما يلي:

1- لقد كانت، قبل نوفمبر سنة 1954م، مأوى لمناضلي و مسؤولي المنظمة الخاصة الملاحقين من طرف السلطات الاستعمارية و بالتالي ميداناً للتدريبات العسكرية و مخزناً للأسلحة و الذخائر التي تحصلت عليها مختلف أجهزة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من جميع الجهات و بجميع الوسائل.

2- إن مسؤولها الأول، الشهيد مصطفى بن بولعيد كان معروفاً كمسؤول في الأوساط السياسية، إذ كان عشية الثورة، عضواً في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، و من ثم فإنه كان يحظى بثقة معظم المناضلين. بما في ذلك أعضاء المنظمة الخاصة للمتواجدين هناك.

هذان السببان قد ساعدا على انطلاق الأعمال الثورية بسرعة فائقة، و مكن المسؤولين عن جبهة و جيش التحرير الوطني من العمل بحرية في أوساط الأهالي من سكان المدن والأرياف.

و إذا كانت المنطقة الثانية لم تعطِ قائداً له نفس وضع إمكانيات الشهيد ابن بولعيد، فإنها كانت تشتمل على عدد كبير من أعضاء المنظمة الخاصة و من مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية المحنكين والمؤيدين للإسراع بالدخول في مرحلة الكفاح المسلح، لأجل ذلك فإن عملية الهيكلية و تنصيب الخلايا وتجنيد المجاهدين الأوائل لم تعترضها صعوبات كثيرة، الأمر الذي ساعد على إنجاز نسبة كبيرة من البرنامج الذي وضعته القيادة العليا بالنسبة للأشهر الأولى من الثورة².

فهذه الأوضاع الخاصة التي كانت للمنطقتين هي التي جعلت الثورة تكون فيهما قوية ومنتشرة، و في نفس الوقت جعلت السلطات الاستعمارية تخصص معظم إمكانياتها المادية و العسكرية و السياسية لمحاربة جبهة التحرير الوطني هناك.

أما في المناطق الأخرى، فقد اهتمت القيادة، في الأشهر الأولى بتنظيم حملة شرح واسعة في أوساط

¹ - نفس المرجع، ص 32.

² - نفس المرجع، ص 33.

مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذين كانوا، في معظمهم، موالين للسيد مصالي في خلافه مع اللجنة المركزية؛ و في نفس الأثناء كانت هيكله جبهة التحرير الوطني تجري على جميع المستويات في حين كان التجنيد يتم ببطء نتيجة عدم وجود الأسلحة الكافية.

و لم تبدأ العمليات العسكرية في تلك المنطقة إلا ربيع عام 1955م، و كانت في شكل كمائن تنصب أساساً للحصول على الأسلحة، بالإضافة إلى ذلك كانت نشاطات جيش التحرير الوطني توجه لإعدام أعوان الشرطة و حراس الغابات و "القياد" و غيرهم من دعائم السلطات الاستعمارية، و كلما اعدم خائن استفاد مجاهد من سلاحه.

إلى جانب هذه العمليات العسكرية البسيطة، كان على جيش التحرير الوطني في المنطقة الثالثة، أن يجابه المجموعات المسلحة التابعة للحركة الوطنية الجزائرية المعروفة بحركة بلونيس.

أما المنطقة الرابعة، فإنها كانت أسوأ حظاً، لأن السلطات الاستعمارية التي كانت تتابع تحركات مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، قد تمكنت في خلال الشهر الأول من إلقاء القبض على أغلبية العناصر الثائرة و رابح بيطاط نفسه سيقع أسيراً في منتصف فيفري من عام 1955 م¹.

أحداث 20 أوت 1955، الأهداف والنتائج :

" اليوم أصبحت القضية قضية حياة أو موت ، ففي نوفمبر كانت مسؤوليتنا تنحصر في تحرير الوطن وتنفيذ الأوامر ، واليوم وجب علينا أن نختار إحدى الطريقتين : إما أن نشن غارات عامة يحدث من جرائها الانفجار الشامل وبالتالي نحث كل الجهات على المستويين الداخلي والخارجي وإما أن يكون هذا بمثابة برهان بأننا عاجزون على أن نقود هذا الشعب إلى الاستقلال ، وبهذا نكون قد قاتلنا إلى آخر مرة وتكون في النهاية عملية انتحارية " زيغود يوسف".

إن المسؤولين الذين عاشوا تلك الفترة يُجمعون على أن زيغود يوسف هو صاحب فكرة انتفاضة 20 أوت 1955، و عندما احترمت في ذهنه نقلها إلى مساعديه الأقربين و في مقدمتهم لخصر بن طوبال، و لقد كان زيغود يوسف في المنظمة الخاصة، و من المناضلين البارزين في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، لأجل ذلك، و على عكس من يزعم بأنه لم يكن يعرف ما يمكن أن تنتهي إليه الانتفاضة من عواقب وخيمة فإننا نستطيع التأكيد بأنه كان مقدرًا لكل الاحتمالات فالمشرفون على المنظمة الخاصة كانوا يركزون على نظرية حرب العصابات، و على كل المناهج التي من شأنها تعبئة الجماهير وجعلها تتحمل مسؤولياتها كاملة، و في هذا الإطار، كان زيغود يقول دائماً أن: "القمع الأعمى يولد القمع الأعمى، و العنف يدعو إلى العنف" و على هذا الأساس، فإذا

¹ - نفس المرجع ، ص 132.

تمكنت جبهة التحرير الوطني من إقناع السكان العزل بضرورة الانضمام إلى أفراد جيش التحرير الوطني في عملية هجومية ضد الاستعمار وقواته بجميع أنواعها، فإنها ستتسبب في رد فعل عنيف يقطع خط الرجعة على المترددين، ويوقظ الحس الوطني لدى عامة المواطنين¹.

عقد الاجتماع الأول في أواخر جوان 1955 في نواحي سكيكدة بقيادة زيغود يوسف حيث وضع مخطط الهجوم و يشمل التوقيت، أماكن الهجوم، تنظيم عمل سياسي يهدف إلى إشراك الجماهير الشعبية في الهجوم، وقد اختير يوم السبت الذي كان نهاية الأسبوع و بداية العطلة لعساكر جيش الاحتلال في الصيف، كما أن يوم السبت يوم سوق، حيث يسهل على أفراد جيش التحرير التستر و الدخول مع الوافدين إلى الأسواق، كما أن اختيار الثانية عشر ظهراً يسمح للمجاهدين بالمفاجأة، حيث يذهب الأوروبيون إلى تناول الغداء كما يتبادل الجنود الحراسة، كما أن منتصف النهار وقت الصلاة حيث يكون الناس في المساجد. وقد تمّ تحديد 39 هدفاً في أماكن تتوفر على أهداف عسكرية واقتصادية وتسمح بالانسحاب بعد العمليات².

و من بين أهداف الهجمات ما يلي:

- إعدام من لم يستجيب لنداء الثورة و تحالف مع العدو.
- تسليم مشعل الثورة إلى الجماهير فهي الكفيلة بالعمل الثوري، و تطبيق مقولة الشهيد البطل محمد العربي بن مهيدي: " ارموا بالثورة إلى الشارع فسوف يلتقطها الشعب"³.
- فك الحصار المضروب على المنطقة الأولى " الأوراس"، فلقد نقل الاستعمار الفرنسي معظم قواته كما سبق إلى منطقة الأوراس، في محاولة منه تطويق الثورة و القضاء عليها نهائياً⁴.
- ربط الاتصالات بين المنطقة الثانية و بقية المناطق والهيئات الخارجية للثورة شبه منعدمة فالاتصال الوحيد للمنطقة الثانية كان عن طريق الجرائد الفرنسية الاستعمارية من خلال نشرها بلاغات مقتضبة عن العمليات العسكرية و الفدائية التي ينفذها جيش التحرير الوطني في مختلف أنحاء الوطن .

و مما لا شك فيه أن الهجوم الذي ستقوم به المنطقة الثانية عبر كامل ترابها سيجعل الجرائد الفرنسية على الخصوص تتحدث عنه، و بذلك تتأكد بقية المناطق أن المنطقة الثانية لم تمت وأن الثورة ما تزال مستمرة بها، و تبادر نتيجة لذلك إلى مؤازرتها من أجل فك الحصار المضروب عليها إلى جانب منطقة الأوراس و هذا عن طريق تعميم العمليات العسكرية على مختلف مناطق الثورة.

¹ - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول ، نفس المرجع، ص 142.

² - عبد الرحمن رزاق، الذكرى المزدوجة ليوم المجاهد، رسالة المسجد، العدد 1، أوت 2003، ص 68.

³ - مذكرات الرئيس علي كافي، من المناهل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، الجزائر، دار القصبة للنشر، 1999، ص 84.

⁴ - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر والتوزيع. ص 211

من خلال هذا الهدف الأخير للهجمات أي البعد الاتصالي، يجعلنا ندرك أزمة الاتصال التي عانت منها الثورة في مرحلتها الأولى، و ذلك قبل أن تمتلك الجبهة وسائلها الإعلامية الخاصة بها، إلى درجة أنها اعتمدت على جرائد فرنسية للاطلاع على أخبار مختلف مناطق الثورة والتطورات الميدانية التي يحرزها مجاهدي جيش التحرير الوطني.

من بين نتائج الهجومات نذكر مايلي:

- قطع الطريق على السياسيين المحترفين، فقد تحطمت أحلام الذين كانوا يتصورون حتى عشية 19 أوت 1955 أنه في الإمكان إيجاد حركة تجمع فيما بين الجزائريين والأوروبيين في إطار أخوة جديدة ترفض العنف أياً كان مصدره، كما رفع القناع على وجه المترددين و المشككين، وأدخل الرعب في نفوس الحائنين وحرك مضاجع الجامدين الذين كانوا يصفون الثورة بالمغامرة والجنون ويدعون للتعقل والتروي مدعين رأيهم بضعف الشعب الجزائري من حيث التكوين ومن حيث الإمكانيات المادية¹.

و هكذا وضع هجوم 20 أوت حداً نهائياً للذين ترددوا في الانضمام و الالتحاق بصفوف الثورة و خاصة منهم الشخصيات السياسية التقليدية الجزائرية، بحيث التحق الكثير من القيادات التقليدية بصفة فردية بركب الثورة، من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و من حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و من الضباط و الجنود الجزائريين المتواجدين في صفوف الجيش الفرنسي، بعد أن تبين لكل مدى تمس الجماهير الشعبية و انقيادها لأوامر جبهة التحرير الوطني و تبلورت نتيجة ذلك الوحدة الوطنية في العمل بعد أن كانت مجرد طموح و تصور، أي انتقال الفكرة من حيز التجريد إلى دائرة الفعل بعد هجوم 20 أوت 1955، الذي عزز هذه الوحدة على الصعيد الفكري، و في نفس الوقت فتح المجال لكي تتجسد في التطبيق.

و من هنا كان انهيار الحركات التقليدية التي لم يكن أمامها سوى الإقبال على نهايتها، وهي أن تحل نفسها بمحض إرادتها نزولاً عند طلب جبهة التحرير الوطني و تدعو مناضليها للالتحاق بصفوف الثورة التحريرية كأفراد، و هذا ما حدث بالفعل ماعدا التنظيمين المعروفين بعدائهما للجبهة ألا و هما الشيوعيون و المصاليين.

و بذلك قطعت جبهة التحرير الوطني الطريق على المترددين و المشككين و خنقت أصوات المحترفين السياسيين، و لم يعد هناك من يتكلم باسم الشعب الجزائري ما عدا جبهة التحرير الوطني².

المطلب الثاني: ردود الفعل الفرنسي على العمل المسلح للثورة الجزائرية.

¹ - نفس المرجع ، ص 249.

² - نفس المرجع السابق، ص 250.

يقول الدكتور العربي الزبيري: لمن أراد التطرق لهذا الموضوع، فانه يجد نفسه مضطراً للتمييز بأصناف أهمها:

1- الطبقة الحاكمة على مختلف المستويات، وهي بالطبيعة مكونة من كبار الإقطاعيين الذين يتقاسمون السلطة، و لا يدينون بالولاء للوطن الأم، إلا عندما تُملي عليهم ذلك مصالحهم الخاصة كمجموعة ألفت العيش على حساب الآخرين حتى ولو كانوا من أبناء جنسهم، مع العلم أن هذا الصنف من المعمرين ليس له جنسية واحدة على الرغم من انتماء أفرادها رسمياً إلى فرنسا، إن هذا الصنف وبحكم وضعه الاجتماعي، كان يتتبع الأحداث السياسية، بل أن ممثليه سواء بالمجلس الوطني الفرنسي أو ما يسمى بالهيئات الجزائرية، كانوا ممن يمكن وصفهم بصانعي الأحداث التي توجه مصير "الجزائر الفرنسية" لأجل ذلك، فانه كان مدركاً للحقيقة، و بأن ما وقع ليلة الفاتح من نوفمبر ليس إرهاباً ولا عصياناً ولا خروجاً على القانون، ولكنه عمل سياسي مبني على أسس واضحة، ويرمي إلى أهداف وطنية أهمها وأكثرها استعجالاً: تحرير البلاد بكامل أجزائها¹.

2- الموظفون التنفيذيون في أجهزة القمع المستعملة في كافة أنحاء البلاد، وهؤلاء يختارون عادة من ذوي المواهب المحدودة من مختلف الأجناس و من ذوي السوابق العدلية الهارين من سلطان القانون، لأجل ذلك، نجد هذا الصنف لا يتدخل في شؤون التسيير، و لا يحاول ممارسة السياسة إلا في إطار تطبيق تدابير التزييف بدون مناقشة.

3- المثقفون و الذين ينقسمون إلى نوعين:

أ- اليمينيون الذين يضعون إمكانياتهم في خدمة الاستعمار، و يبذلون كل ما في وسعهم لتضليل الرأي العام في الداخل و في الخارج، و ذلك بتغطية الحقائق بعد تشويهها قصد الحفاظ على الجزائر المسلمة كجزء لا يتجزأ من جمهورية فرنسا المسيحية، و قد تمثلت جهود تلك الطائفة من حملة الأقلام في نشر العديد من المقالات والكتب والوثائق .

ب- اليساريون الذين ينددون بالاستغلال و الاضطهاد كأعمال لا إنسانية و لكنهم يعارضون كل ما من شأنه أن يؤدي إلى فصل الجزائر عن فرنسا، و بالنسبة لهذا الصنف من المعمرين، فان الفاتح من نوفمبر محاولة أخرى من عشرات المحاولات التي قام بها أبناء الشعب الجزائري قصد الخلاص من السيطرة الأجنبية، على الرغم من إدراكهم لذلك، فإنهم سيظلون مترددين في موقفهم إزاء الثورة.

كل هذه المعطيات جعلت سلطات الاستعمار تشدد الخناق على حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ظناً منها أن العنف الذي ظهر في مختلف أنحاء البلاد هو من خاصيات الحركة، و بما أن

¹ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص 87.

الحركة الوطنية ما تزال في نظر تلك السلطات مجسدة في القيادة السياسية رغم انقسامها و تعدد النزاعات في داخلها، فإن الأضواء كلها سلطت على المسؤولين و المناضلين المعروفين. بما لهم من سوابق مع الاستعمار، تاركة في الأمن المحركين الحقيقيين الذين لم يكن أغلبهم من القادة المعروفين على مستوى الوطن¹.

و هكذا صدر مرسوم بتاريخ الخامس من شهر نوفمبر 1954م، و نشر على أعمدة الجريدة الرسمية التي تحمل تاريخ السابع من نفس الشهر، يقضي بحل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و كل المنظمات و الهيآت التابعة لها و تحريم نشاطها في كافة أنحاء تراب الجمهورية الفرنسية بما في ذلك ما يسمى بعمالات الجزائر، و أعطيت الأوامر لمصالح الأمن في مختلف أنحاء البلاد، فألقت القبض خلال الأسبوع الأول على أكثر من خمسمائة رجل من مناضلي و مسؤولي الحركة الوطنية و زجت بهم في السجون لتستنطقهم بحثاً عن الحقيقة و من أجل التوصل إلى القيادة العاملة في كل منطقة. و أمام تلك الأعداد الضخمة من الإيقافات و بعد قبلة جبال الأوراس بقنابل النابالم الذي أتلّف الأخضر و اليابس في جزء كبير منها، عنونت الجرائد الاستعمارية في صفحاتها الأولى "بأن المنظمة الإرهابية قد قضى عليها نهائياً في الشرق الجزائري".

و مما لا شك فيه أن تصرفات السلطات الاستعمارية، أثناء هذا الأسبوع الأول من الثورة قد ساهمت مساهمة فعالة، و بطريقة عفوية في تزويد جبهة التحرير الوطني بالكثير من المنخرطين الجدد، كما أنها ساعدت على نشر الرعب في نفوس الأوروبيين و التشكيك في كل ما يمكن أن يصدر عن الهيآت الرسمية².

و بالفعل، فإن حملة الإيقافات العشوائية قد دفعت الكثير من المترددين إلى تغيير مواقفهم و الالتحاق بالجبال، هروباً من السجون و مراكز الاستنطاق، و من الجانب الآخر، فإن المعمرين لم تعد لهم أدنى ثقة فيما تصدره صحافتهم من بيانات رسمية، خاصة و أن تلك البيات كانت قد ذكرت في البداية بأن عدد المترددين لا يتجاوز ثلاثمائة أو أربعمائة شخص يوجد جلهم في منطقة الأوراس، و بعد نهاية الأسبوع الأول من نوفمبر أفادت بأنه أُلقي القبض على حوالي ألف من الإرهابيين، و بأن العمليات العسكرية الحقيقية سوف تدخل مرحلتها الحاسمة في الأيام المقبلة.

و مع حلول السنة الجديدة، تغيرت الأوضاع كلياً، حيث أدركت السلطات الاستعمارية ألا فائدة من مواصلة الكذب و المخادعة العاريين، فراحت تعمل على إرساء قواعد سياسية أكثر وضوحاً، و مقبولة بالنسبة للمعمرين على الأقل.

¹ - نفس المرجع، ص 96.

² - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص 97.

و من جهته، فإن السيد "ميسكاتلي" ممثل ولاية الجزائر العاصمة في مجلس الشيوخ الفرنسي، قد صرح بأن الأحداث التي تمز المستعمرة منذ ثلاثة أيام ما هي إلا دلالة واضحة على التضامن الوطيد بين مختلف الحركات الوطنية التي تشمل منطقة شمال إفريقيا بأسرها، بل أن ما يتم في واحد من أقطار المغرب، إنما هو باتفاق الجميع ومن تخطيط كل القيادات المتمردة على السيادة الفرنسية. وعلى العكس من الوالي العام، فإن السيد "مارسيل آدموند نايجلن"، لم يندهش لما وقع بل ذكر أنه كان دائماً يقول: "إن الجزائر لا يمكن أن تبقى غريبة عما يجري في المغرب الأقصى و تونس"¹، ثم حدد خطة للعمل تهدف إلى خنق الثورة في مهدها، وحصرها في نقطتين: تتمثل الأولى في الشروع في تطبيق قانون الجزائر الذي سبقت الإشارة إليه، و تتعلق الثانية بتنمية الخدمات الاجتماعية، و خاصة محاربة البطالة في أوساط الأهالي لصددهم عن الانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني.

و خارج الجزائر، فإن "بريد المغرب" قد علق على أحداث الفاتح من نوفمبر بمائلي: "إن الوطنيين يعتقدون أنهم سيسيطرون على عمليات الإرهاب، و لكنهم مخطئون، لأن ذلك سوف يتعدهم لفائدة الشيوعيين".

و كانت الجملة الأخيرة بمثابة الإيحاء، لأن الشيوعية سوف تصبح من خلال وسائل الإعلام هي المتهم الثاني الذي ستركز سلطات الاستعمار جهودها لتلقي عليه مسؤولية اندلاع الثورة. و ليس معنى الاتهام أن المخابرات الفرنسية لم تكن تعرف الحقيقة، و لكن كان لابد من إيجاد العوامل التي تنفر الجماهير من الحركة الجديدة، و تمنعها من الالتحاق بصفوف المكافحين ذلك أن الشعب الجزائري مسلم، و إذا كانت الثورة مدعومة حقاً من قبل الشيوعية، فإنها تكون بلا شك مناهضة للإسلام، خاصة و أن هناك سوابق في التاريخ المعاصر حيث أن شعوباً إسلامية سيطرت عليها الشيوعية، فأخرجتها من الإيمان و رمت بها في أحضان الكفر و الإلحاد بحجة مسايرة العلم و التقدم².

المطلب الثالث: مواقف الأحزاب السياسية من الثورة التحريرية.

إن اندلاع الثورة المسلحة في أول نوفمبر 1954م، لم يكن نتيجة لمخطط معين من طرف أي حزب سياسي تقليدي، و إنما اندلعت بفضل تنظيم سياسي ثوري قامت بالتخطيط له مجموعة من المواطنين المقتنعين بضرورة الاعتماد على البندقية لتحرير الوطن من براثن الاستعمار الفرنسي فالأحزاب السياسية التقليدية كانت تعمل بجذر، و تناضل من أجل تحسين الوضع السياسي و الاقتصادي و الثقافي و الاجتماعي للجزائريين و هذا الخروج عن النطاق الشرعية أو نطاق

¹ - محمد العربي الزبير، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962، مرجع سبق ذكره، ص 18.

² - نفس المرجع، ص 19.

المؤسسات الفرنسية الموجودة بالبلاد. إذ أن الدعوة للمقاومة المسلحة من طرف الأحزاب كانت تعتبر بمثابة مغامرة أو شبه عملية انتحارية لأنه لا طاقة لهم على مواجهة القوات الفرنسية المدججة بالسلاح.

و بناء على ذلك واجهت جبهة التحرير الوطني في بداية انطلاقها الثورية موقفاً متحفظاً و شبه عدائي من طرف الأحزاب و الهيئات السياسية الجزائرية لأن هذه الأخيرة قد شعرت بخاطر اكتساحها و إحلال جبهة التحرير الوطني محلها كمثل شرعي و حيد للشعب الجزائري في نضاله من أجل استعادة حريته و استقلاله¹، و في البداية أظهرت الأحزاب السياسية معارضتها للجبهة على أساس أنه لم تساهم في التخطيط لعملية الثورة و أن القادة المناضلين الجدد قد أخذوا مشعل النضال من الأحزاب و الهيئات السياسية التي تطمح لحمله و تجنيد الجماهير الشعبية خلفها، لهذا قامت الأحزاب و الهيئات السياسية بضغوط على السلطات الفرنسية لكي تعيد المياه إلى مجاريها عن طريق إحداث إصلاحات في جميع الميادين السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية.

موقف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:

لقد طالبت جبهة التحرير الوطني عند إعلانها الثورة المسلحة الأحزاب و الهيئات السياسية الجزائرية، و في مقدمتها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بأن تحل نفسها و يلتحق مناضلوها بصفوف الجبهة كأفراد، مؤكدة في نفس الوقت تخليها عن فكرة توحيد الكتلتين المتنازعتين للحزب و انطلق عبان رمضان من هذا المبدأ، ليقوم بسلسلة من المفاوضات مع كل من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المركزيين، الحزب الشيوعي الجزائري، الحركة الوطنية الجزائرية "المصاليون".

و لم تجد جبهة التحرير الوطني أية صعوبة في إزالة "شرعية" هذا الحزب من الوجود، فقد كان أول إجراء اتخذته السلطات الاستعمارية لخنق الثورة في المهد، إصدارها في الأسبوع الأول من نوفمبر 1954م قراراً بحل الحزب، و شرعت في اعتقال مناضليه، و الزج بهم في غياهب السجون ظناً منها أن حوادث أول نوفمبر من تدبير هذا الحزب، و بهذا الصدد أدى السيد "بيير منديس فراس" رئيس الحكومة الفرنسية سنة 1954م بتصريح قال فيه: "لقد حللنا حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، و شنت الشرطة حملة واسعة من الاعتقالات لأعضاء هذه الحركة و قادتها في الجزائر و فرنسا نفسها، لأننا متأكدون الآن من أنها إذا لم تكن لها المسؤولية المباشرة في التمرد فهي على الأقل صاحبة القيادة الإيديولوجية فيه، إذ هي التي زودته بالعناصر الأكثر تعصباً".

¹ - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص 272.

و لكن على الرغم من إقدام فرنسا على حل جميع التنظيمات الحزبية الموالية للثورة في نظرها و ملاحقة أعضائها، و إصدار الأحكام القاسية ضدهم، فقد واصل المراكزيون المرموقين إرسال البرقيات إلى باريس يحتجون بواسطتها و يقترحون و يؤكدون أن المشكل سياسي و أن الأحداث نابعة من الجزائر، فلا دخل فيها للاتحاد السوفيتي و لأمريكا و لا لبريطانيا و لا مصر.¹

و إذا كان حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية قد اختفى من الوجود في مطلع الثورة، و التحق أعضاء هيئة المراكزيين بصفوف جبهة التحرير الوطني بعد فترة قصيرة من الانطلاقة فإن أعضاء هيئة المصاليين التي صارت تعرف باسم "الحركة القومية الجزائرية" قد ناصبوا جبهة التحرير الوطني العداء الشديد إلى درجة أن استغل المصاليون فرصة انشغال الجبهة بإنشاء قواعد لها داخل القرى والمدن الجزائرية، و قاموا ببعض العمليات التي كانوا يهدفون من ورائها إلى بث البلبلة في صفوف الجماهير للتشكيك في أهداف الثورة من جهة، وإظهارهم بمظهر المتبين لها من جهة ثانية.²

و على الرغم من استمرارية الحركة الوطنية الجزائرية في استفزازها لجبهة التحرير الوطني فإن مذهب المصالية قد فقد قيمته كتيار سياسي، و أصبح شيئاً فشيئاً حالة نفسية تذوب و تضعف بتوالي الأيام إلى أن صار معدوماً، و هذا بفضل السياسة الحكيمة التي سلكتها جبهة التحرير الوطني مع المصاليين، حيث اتبعت في البداية معهم سياسة المرونة فاتصلت بهم كمحاولة منها لإقناعهم بضرورة توحيد الصفوف، و تضافر الجهود من أجل مواجهة العدو المشترك، غير أنهم رفضوا اليد الممدودة إليهم في عطف و تسامح، فتصلبوا أكثر و قدموا حلاً تعجيزية تمثلت في أن تعلن الجبهة أن مصالي الحاج هو القائد السياسي والعسكري للثورة التحريرية.

و رغم هذا التعتن من المصاليين فقد منحتهم الجبهة مهلة لعلهم يعودون إلى رشدهم و نظراً إلى أنهم لم يتخلوا عن عدائهم الشديد للجبهة، بالإضافة إلى قيامهم بعمليات تسيء إلى سمعته فقد قررت الجبهة مواجهتهم بالعنف بدلاً من اللين حيث حصرت قوائم من الذين يشكلون خطراً على الثورة لتصفيتهم جسدياً، و قد التحق نتيجة هذا الإجراء الثوري العديد من المصاليين بصفوف الجبهة، و لم يبق خارج صفوفها سوى مصالي الحاج والأقلية المتعنتة من أنصاره.³

موقف حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

كان حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري يتمتع على الساحة السياسية الجزائرية بوزن كبير، بسبب احتوائه على عدد كبير من المثقفين المتعمقين في الثقافة الفرنسية داخل صفوفه، و لكن

¹ - نفس المرجع السابق ، ص 274 .

² - نفس المرجع، ص 274 .

³ - نفس المرجع ، ص 278.

على الرغم من السمعة الكبيرة التي يتمتع بها الاتحاد الديمقراطي داخل الأوساط الرسمية الشعبية إلى حد ما، فإنه لم يتخذ موقفاً ثورياً غداة اندلاع الثورة المسلحة، و حمل السلاح من أجل تحرير الوطن من الهيمنة الاستعمارية، وذلك لأنه لم يكن يؤمن بالعنف الثوري، والاتجاه السائد في صفوف هذا الحزب هو الاندماج، وإقامة جمهورية جزائرية في إطار الاتحاد الفرنسي، وإذا كان حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بقي يتمتع "بالشرعية" الشكلية رغم قرار حل الأحزاب الجزائرية، لأن هذه "الشرعية" قد زالت عنه عملياً كبقية الأحزاب الأخرى بسبب نكبات الحرب فإن الإدارة الاستعمارية كانت ترمي من وراء سماحها لهذا الحزب القومي المعتدل بممارسة نشاطاته الهامشية إلى تحقيق أغراض معينة¹.

فقد كانت فرنسا تعتبر السياسة المعتدلة مفيدة لها و الفائدة عندها لا تكمن في الحوار، أو في إصلاح الأوضاع الفاسدة، و لكن تكمن في إقناع الرأي العام الفرنسي والدولي بوجودها إلى جانب "المتطرفين المناهضين لكل حل سلمي" مجموعة أخرى راقية قوية من الفرنسيين، و ذات أفكار سياسية غريبة شبيهة بفكرهم السياسي، و متجردة من التعصب، كما أن فرنسا كانت تدرك جيداً أن فرحات عباس وأنصاره على اتصال مستمر بالثوار سرّياً، و مع ذلك لم تلق القبض عليه و ذلك لكي توهم الرأي العام بأنها رغم إعلانها الأحكام العرفية متسامحة و لا تمنع في وجود معارضة سياسية، غير أن هناك أحداث بارزة شهدتها الساحة الجزائرية عجلت بانضمام معظم أعضاء الاتحاد الديمقراطي وفي مقدمتهم رئيسه فرحات عباس إلى صفوف جبهة التحرير الوطني و من بين هذه الأحداث ما يلي:

- 1- انتفاضة 20 أوت 1955، التي وضعت حداً للمترددين و المتشككين في نجاح الثورة.
- 2- الشروع في تطبيق سياسة المقاطعة، التي شرعت الجبهة في تنفيذها ابتداء من شهر ديسمبر 1955، بحيث دفعت هذه السياسة بالسيد فرحات عباس أن يعمل كل ما في وسعه لإقناع المنتخبين التابعين لحزبه بضرورة تقديم استقالاتهم، و قد أسفرت الجهود التي بذلها السيد فرحات عباس عن نتائج إيجابية داخل صفوف النواب التابعين لحزبه، حيث بدأت الاستقالات الفردية و الجماعية تصل منهم تباعاً إلى الإدارة الاستعمارية في مطلع سنة 1956م²، تلى كل ذلك انضمام رئيس الاتحاد الديمقراطي إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، حيث عقد فرحات عباس بتاريخ: 25 أبريل 1955م بالقاهرة ندوة صحفية حضرها الصحف العربية و وكالات الأنباء العالمية، أعلن أثناءها عن انضمامه رسمياً لصفوف جبهة التحرير الوطني، مؤكداً في نفس الوقت موقف الأمة

¹ - نفس المرجع، ص 279.

² - البصائر، العدد 349، بتاريخ 13 جانفي 1956، ص 6.

الجزائرية المتحدة المكافحة ضد الاستعمار الفرنسي، و الذي لخصه في كلمتين: "الاستقلال أو الفناء"¹.

و يعتبر حزب الاتحاد الديمقراطي ممثلاً في شخصية رئيسه السيد فرحات عباس الهيئة السياسية الثالثة في الجزائر بعد حركة الانتصار - المركزيين - وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي انضمت لصفوف الجبهة، و بذلك أصبحت عناصر الأمة كلها ذائبة في الثورة باستثناء الشواذ من عنصري المصاليين والشيوعيين².

يلقى علي كافي على مواقف فرحات عباس الذي تفاجأ بالأحداث، و علي الرغم من المبررات المستقبلية، فقد اتخذ فرحات عباس موقفاً واضحاً منذ البداية حيث كتب في صحيفة الجمهورية العدد 46 بتاريخ 12 "نوفمبر" 1954م: إن موقفنا واضح و من دون أي التباس، إننا سنبقى مقتنعين بأن العنف لا يساوي شيئاً، لقد استمر على موقفه و مبادئ حزبه و هو التعلق بالشرعية و إدانة العنف و المناورة للحصول على تنازلات من فرنسا و كان مستعداً لقبول قانون 1947م، و بقي في هذا الحلم إلى أن فشلت كل محاولاته فركب القطار في 1956م، بعد أن حل الحزب و التحق رئيسه و كثير من إداراته بجبهة التحرير الوطني و بقيت قيادة البيان تلعب علي حبلين بأمل أن تجهض الانطلاقة فتبدو أمام الطرف الفرنسي بأنها الجناح الأسلم و الأجدر بالمفاوض الكفء لغاية سنة 1956م، حيث التحقت بجبهة التحرير الوطني، مع العلم أن كثيراً من مناضلي البيان التحقوا بصفوف الثورة قبل ذلك التاريخ³.

موقف الحزب الشيوعي الجزائري:

لقد كان الحزب الشيوعي الجزائري منذ الوهلة الأولى يعرف أن أحداث ليلة الفاتح من نوفمبر هي بداية الثورة، و لكنه كان من الصعب عليه الاعتراف بذلك علناً ثم الانضمام تحت لواء الجهاد، و ذلك لأسباب متعددة أهمها ما يلي:

1- أن الحزب الشيوعي الجزائري مكون من أغلبية أروبية، ترفض الاتجاه الوطني العامل من أجل تحقيق الاستقلال الكامل و الانفصال عن فرنسا، و الذي تتبع المراحل التي قطعتها الحركة الشيوعية في الجزائر لا تدهشه هذه الحقيقة، لأن استقلالية الشيوعيين الجزائريين عن الحزب الشيوعي الفرنسي لم تكن، في الواقع سوى صورية و لم يكن الحزب الشيوعي الفرنسي في يوم من الأيام، يؤمن بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال⁴.

¹ - أحسن يومالي، إستراتيجية الثورة في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص281.

² - الفضيل الورتاني، الجزائر الثائرة، الجزائر، 1963، ص،444.

³ www.azzaman.com/azz/articles/2002/01/01-22/a88866.htm

⁴ - محمد العربي زبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص165.

2- إن الشيوعيين يرون أن الثورة لا يمكن أن تقع إلا نتيجة الصراع الطبقي، و لكن ثورة أول نوفمبر لم تكن كذلك، بل هي ثورة فلاحين ومثقفين محرومين تدفعهم الروح الوطنية و تغذيتهم المبادئ الإسلامية.

3- إن قيادة الحزب الشيوعي الجزائري كانت تعتقد أنها تمثل شريحة هامة من المجتمع، ومن ثمة، فإن انضمامها إلى جبهة التحرير الوطني طبقاً لما جاء في بيان أول نوفمبر معناه الاعتراف بالزعامة للحركة الوطنية التي انبثقت عنها كل النخبة التي تحملت مسؤولية إشعال نار الثورة، وأن مثل هذا الاعتراف يؤدي بالضرورة إلى التخلي عن صفة التنظيم السياسي وهو ما لا يقبله الشيوعيون الأوروبيون خاصة، أما الشيوعيون المسلمون، إن صح التعبير، فإن عدداً منهم سوف يعود إلى الواقع مع مر الأيام ويلتحق بصفوف الثورة في مختلف الميادين.¹

و اعترض الحزب الشيوعي الجزائري على ادعاء جبهة التحرير الوطني التحدث باسم الأمة جمعاء، وذلك باسم تمثيلة الطبقة العاملة، وأسس في مارس 1956م منظمة عسكرية خاصة به سميت مقاتلو التحرير لكنها فشلت، لأن الجماهير الشعبية لم تحضنهم، إذ وقعوا في قبضة جيش التحرير الوطني ثم فتم دمج في جيش التحرير الوطني في جويلية 1956م ، كأفراد وليس كحزب.²

موقف المركزيين :

عشية اندلاع الثورة التحريرية اعتبر المركزيون أن العمل المسلح الذي أقدمت عليه جبهة التحرير الوطني مغامرة تجهل نتائجها، و لذا تحفظوا كثيراً من اتخاذ موقف في بداية الأمر، خاصة بعد إقدام السلطات الفرنسية في الأسبوع الأول من شهر نوفمبر على حل حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية و اعتقال العديد من مناضلي الحزب، منهم بن يوسف بن خدة و عبد الرحمان كيوان و أحمد بودة و كان لاتصلهم بعبان رمضان بعد إطلاق سراحهم في مارس 1955م، دور كبير في التعجيل بالتحاقهم بالثورة التحريرية، و كان ذلك بمثابة الإعلان الرسمي عن نهاية التيار المركزي و الاعتراف بجبهة التحرير الوطني إطاراً وحيداً للعمل الثوري.³

و هكذا اعتبر المركزيون في بداية الأمر أن العمليات المسلحة في أول نوفمبر تعتبر مغامرة و تنبؤوا بانتكاسة للحركة الوطنية، لكن سرعان ما غيروا مواقفهم و انضموا إلى الجبهة و وصلوا إلى مواقع قيادية فيها، مثل بن يوسف بن خدة، سعد دحلب، تمام، عيسات إيدر.⁴

المبحث الثاني: موقف جمعية العلماء المسلمين تجاه الثورة من خلال رجالها.

¹ - نفس المرجع، ص 167.

² - نفس المرجع السابق، ص 176.

³ - <http://www.cnerh-nov54.dz/dossier%20%201nov/reaction2.htm>

⁴ www.azzaman.com/azz/articles/2002/01/01-22/a88866.htm.

و في الحقيقة لقد أثير الكثير من الجدل حول موقف الجمعية من الثورة، فالأستاذ أحمد توفيق المدني¹، مثلاً أورد أنه قبل اندلاع الثورة بقليل تم عقد اجتماع للمجلس الإداري للجمعية في غياب نائب الرئيس الشيخ العربي التبسي و برئاسة محمد خير الدين، تمت فيه مناقشة قضايا عادية تخص جمعية العلماء إضافة إلى موقفها من الثورة، و يضيف المدني أنه و بعد نقاش طويل تم الاتفاق على تأييد الثورة و ضرورة الانضمام إليها بسرعة، وأنه سارع شخصياً إلى مراسلة الإبراهيمي في القاهرة يعلمه فيها بالثورة وأهدافها و يطلب منه أن يبارك الثورة ويمجدها، و قد التزم بذلك فأصدر بيان 02 نوفمبر 1954م الذي سبق الحديث عنه.

و قد ذكر الأستاذ عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون في مذكراته، أن الانضمام الرسمي لجمعية العلماء إلى صف الثورة التحريرية كان لا شك في أواخر سنة 1955م، و هذا كان كأفراد شأنها في ذلك شأن بقية الأحزاب الوطنية، و هو الشرط الذي اشترطته جبهة التحرير الوطنية، ثم أضاف أن رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي قد أيد في البداية مصالي الحاج ضنا منه أنه هو من فجر الثورة حسب ما تطرق إلى ذهنه بسبب برقية وردت إليه منه، لكنه أصلح من خطأه و أيد جبهة التحرير الوطني بإعلانه الانضمام إليها²، كما أورد أيضا في نفس الإطار _ بن العقون_ أنه سأل الشيخ محمد خير الدين عن حقيقة موقف جمعية العلماء من الثورة ، فأخبره بأن ما ذكره توفيق المدني في مذكراته عن علم الجمعية عن الثورة هو كلام كاذب، و أن الحقيقة هي أنه كُلف شخصيا في أواخر سنة 1955م من قبل السيد عبان رمضان ويوسف بن خدة ليختار ثلاثة أعضاء من جمعية العلماء قصد إيفادهم إلى القاهرة، لينظموا إلى أعضاء جبهة التحرير الوطني هناك، و كما كُلف أيضا بالاتصال بالسيد فرحات عباس ليقوم هذا الأخير بدوره بتعيين ثلاث أعضاء من حزب البيان لإرسالهم إلى القاهرة أيضا، فأختار الشيخ خير الدين كل من : الشيخ عباس بن الحسين والأستاذ توفيق المدني للالتحاق بالإبراهيمي في القاهرة³.

ويرى الدكتور العربي الزبيري⁴ أن الجمعية هي الأخرى على غرار بقية الأحزاب الوطنية وحتى المواطنين قد تفاجأ باندلاع الثورة، بسبب السرية التامة التي حرص عليها القادة الذين أعدوا للثورة، حيث أصيب الجميع بالحيرة و تمكن الشك من نفوس الكثيرين.

ثم يضيف الزبيري أن أول خطأ ارتكبه جمعية العلماء هو معارضتها لبيان أول نوفمبر 54 بصفة عفوية و لا شعورية، ثم يضيف أن أعضائها لم يمتثلوا للإنذار الذي وجهته لهم جبهة التحرير الوطني للانضمام الجماعي للثورة، حيث قابلوه باللامبالاة رغم المفاوضات التي جرت بين الطرفين

¹ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مرجع سبق ذكره، ص23.

² - عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1947-1954)، ج3، مرجع سبق ذكره، ص511.

³ - نفس المرجع، ص 512.

⁴ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص181.

و التي لم تؤد إلى نتائج ايجابية، ولم يتراجع العلماء حسب الزبيري دائما عن معارضتهم للثورة أو من أعضاء حركة أحباب البيان و الحرية، و قد نُفذت بعض الأحكام فعلا و تحت تأثير ذلك أصدر المجلس الإداري للجمعية بيان 07 جانفي 1956م الذي يعتبر بداية لانضمامها بصفة رسمية إلى الثورة، ويخلص الزبيري إلى أن العلماء أيدوا الثورة إلى غاية نهاية سنة 1955م بصفة فردية وبعده محدود على رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العربي التبسي الذي اغتيل لموقفه الايجابي من الثورة¹.

المطلب الأول: موقف الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية من العمل الثوري.

إن الإمام محمد البشير الإبراهيمي، يعد ثاني اثنين على صعيد القيادة الفكرية و الروحية للثورة الجزائرية المباركة، التي طهر الله بها أرض الجزائر من بغي الاستعمار، ولئن قضى الله بأن يرحل عن هذه الدنيا بجسمه، فإن مبدأه الذي كان يسير وتسير الجزائر عليه غير قابل للرحيل، إذ لم يكن فكرا ابتدعه من عنده، وإنما هو شرعة الله و حكمه استلهمهما من كتاب الله و هدي نبيه و ما كان عليه سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم، و شرعة الله باقية ما بقي الزمان².

و خاطب الأمة قائلا: "أيها الإخوة الجزائريون الأبطال: لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارونها لأجله، و لم تبق لكم خيطاً من الأمل تتعلقون به، أتخافون على أعراضكم و قد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمة و قد استباحتها! لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض و خيراتها و قد أصبحتم فيها غرباء حفاة و جوعاء، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا يباع معها ويشترى، و حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين و الحسرة في النفس؟ أم تخافون على القصور، و تسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين؟ و يا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله و يا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقاته وهدمت مساحده وأذلت رجاله.."³.

و تشكل الثورة التحريرية في فكر الشيخ الإبراهيمي محور متميز، فلا تكاد تكون له كتابات في هذه الفترة (1954-1962م) إلا عن الثورة وفلسفتها والدعوة إليها و سبل إنجاحها.

و لكن من سلبيات الكتابة عن الثورة وفلسفتها اعتبار الثوريين هم اللذين حملوا السلاح فقط كما يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله، لأنه هناك من كان ثورياً و لم يحمل السلاح، و لكنه كان اللسان الناطق لمن حملوه، و لولاهم لبقى الثوار في حصار مادي ومعنوي قاتل⁴.

¹ - احمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، مرجع سبق ذكره، ص179.

² - <http://www.binbadis.net/al-ibrihimi/etudes/article1>

³ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، مرجع سبق ذكره، ص17.

⁴ - نفس المرجع، ص6.

لقد كان الشيخ الإبراهيمي بعيداً عن معركة السلاح لكنه كان في معامع المعركة بفكره و قلمه، فكان أحد الذين تحدثوا باسم الثورة وأيدوها و دافعوا عنها و نادوا إلى نصرتها في الداخل و الخارج، و حثوا على الحفاظ على منجزاتها إيماناً منه أن الوسيلة التي يفهمها الاستعمار، و قد عمل جاهداً قبل الثورة على أن يعي الجزائريون هذه الحقيقة¹.

و هذا مما يدل على إيمانه وإيمان جمعية العلماء بضرورة الثورة منذ الأيام و السنوات الأولى من تأسيسها لكن الشيخ الإبراهيمي كان يرى ضرورة توعية الجزائريين بضرورة الثورة قبل الشروع فيها و أن تحرير الأرواح والعقول هو أساس تحرير الأبدان و الأوطان، فكان قلماً ثورياً لامعاً، إلى أن اعتبر من أوائل الزعماء اللذين احتضنوا الثورة حينما اندلعت و حثوا الشعب على الالتفاف حولها وهو لم يعرف بعد الهيئة المشرفة على الثورة " جبهة التحرير الوطني"، و هذا لا يعود إلى عدم متابعة الشيخ الإبراهيمي للأحداث التي أفرزت هذه الهيئة، بل لان المتتبع لتطور الأحداث خلال خريف و شتاء 1954م، حسب الدكتور أبو القاسم سعد الله يدرك أن اللجنة التي كونت جبهة التحرير و أعلنت الثورة لم تكن معروفة، حتى لزعماء الحزب الذي خرجت منه، فما بالك بقيادة التنظيمات الأخرى خاصة من كان منهم خارج الوطن مثل الشيخ الإبراهيمي².

و لقد تحول الشيخ الإبراهيمي مع خريف 1954م إلى العمل لصالح الثورة التحريرية، إذ بمجرد وصول خبر اندلاعها إلى مسمعه حتى سارع إلى تأييدها، عبر سلسلة من البيانات باسم مكتب جمعية العلماء بالقاهرة، فأصدر بيان في 02 نوفمبر 1954م أي بعد يوم واحد من الحدث و وصف فيه وقع الحدث على الجزائريين المقيمين في مصر بقوله: " حين سمعنا الخبر روائح الدم الزكية، فشارك الشم الذي نشق السمع الذي سمع و البصر الذي قرأ، فيتألف من ذلك إحساس مشبوب يصيرنا ونحن بالقاهرة وكأننا في مواقع النار من "خنشلة" و "باتنة"، و نفهم من كلام الإبراهيمي هذا أن خبر اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954م، قد اهتزت له نفوس الجزائريين المغتربين. بمصر و خفقت له قلوبهم، بعد انقطاع طويل للشعب الجزائري عن العمل المسلح واستبداله بالنضال السياسي السلمي الذي لم يغير من أوضاع الجزائريين شيئاً بسبب العناد التي كانت تطبع العقلية الاستعمارية الفرنسية.

و قد اعتبر الإبراهيمي من خلال ذلك البيان أن هذه الثورة هي بداية لانفجار سيطول ضد فرنسا، و أنها نتيجة حتمية لسياساتها الظالمة التي عاملت بها الشعب الجزائري وشعوب المغرب العربي معاملة الحيوان، و لم تتعظ أبداً من أخطائها و جرائمها وحتى عند سقوطها في يد الاحتلال الألماني.

¹ - مرزوق العمري، الوطنية في فكر الشيخ الإبراهيمي، مجلة المعيار، الجزائر، قسنطينة، كلية علوم أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 6، جوان 2003، ص 183.

² - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، مرجع سبق ذكره، ص 17.

ثم عزز هذا البيان بيان ثاني أصدره في 03 نوفمبر 1954م، بعنوان " إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر و المغرب العربي اليوم حياة أو موت: بقاء أو فناء " حيّ فيه الثائرين الأبطال الذين سفهوا إدعاءات و افتراءات فرنسا و شدوا عضد إخوانهم في تونس و المغرب، و قضوا على التردد و الفتور الذي ميز المرحلة الأخيرة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، فأعادوا بذلك للوجوه بياضها و للأنفس سرورها.

و بعد أسبوع من ذلك أصدر البيان الثالث في 11 نوفمبر 1954م الذي وزع على وسائل الإعلام المصرية و وكالة الإعلام المصرية و وكالات الأنباء العالمية بعنوان " أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر، ضمنه خلاصة لأهم الأحداث التي وقعت ليلة الاثنين أول نوفمبر 1954م بكامل القطر الجزائري، نقلا عن العدد 292 من جريدة البصائر الموافق لـ: 05 نوفمبر 1954م، الذي وصله إلى مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة¹.

ثم دعم البيانات الثلاثة ببيان 16 نوفمبر 1954 تحت عنوان " نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد: نعيذكم بالله أن تتراجعوا "، حذر فيه الشعب الجزائري عن التراجع عن الثورة التي أشعلوها على فرنسا و لو قيد أملة، " لأن فرنسا لن تبقي لهم شيئا يخافون عليه، لا أمل و لا عرض و لا حرمة و لا ثروة و لا دين، فجزء يسير من مصائب المستعمر الفرنسي كان يفرض على الجزائريين الثورة منذ مدة طويلة، و هذه الفرصة الأخيرة و التراجع عنها يعني العبودية الأزلية للشعب الجزائري"²، إن هذه البيانات المتتالية التي أصدرها الإبراهيمي تباعاً من القاهرة، تؤكد دون شك أن الإبراهيمي كان من أوائل الشخصيات الوطنية التي سارعت إلى تأييد الثورة التحريرية منذ بدايتها هذا من جهة، و من جهة أخرى هي حجة دامغة ضد الآراء التي تفصل بين موقف الإبراهيمي و موقف جمعية العلماء من الثورة التحريرية لأن هذه البيانات كانت تصدر باسم جمعية العلماء و من إمضاء رئيسها.

و لم يكتف الإبراهيمي ببيانات و الشرح لمبادئ الثورة، بل نذر نفسه من الأيام الأولى سفيرا لها لا يترك وسيلة يعتقد أنها تخدم القضية الجزائرية إلا و اتاها، و من ذلك طلبه الجريء الذي تقدم به لشيخ الجامع الأزهر الشريف في يوم 12 نوفمبر 1954 بأن يدعو المسلمين إلى الجهاد ضد فرنسا، و هو ما دفع الضابط الفرنسي "سيرفي" -Servy- إلى اتهام الجمعية مباشرة بتدبير حوادث الثورة³.

¹ - نفس المرجع السابق ، ص40.

² - نفس المرجع، ص 33.

³ - مولود نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجا على غرة نوفمبر، الجزائر، دار البعث، 1987، ص 67.

نشاط الإبراهيمي لصالح الثورة:

راح الشيخ الإبراهيمي يتنقل بين مختلف الأقطار العربية والإسلامية انطلاقاً من مصر يستنهض الهمم ويدعوا إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي للثورة، مستخدماً ذكاءه الوقاد وقدراته الكبيرة على الإقناع، رغم العلل والأمراض الجسدية التي كانت لا تبارحه إضافة إلى كبر سنه، ففي شتاء 1954 زار المملكة العربية السعودية وبعاصمتها الرياض التقى بالملك سعود بن عبد العزيز وظل يجادته لمدة ساعتين عن الجزائر وماضيها وعروبته وإسلامها وحاضرها المزري بسبب الاستعمار الفرنسي الذي يريد ابتلاعها، طالبا من الملك والدولة السعودية النصر المادية والمعنوية.

و قد كان كل ما قدمه الشيخ البشير الإبراهيمي عن الوضع في الجزائر يعتبر جديداً بالنسبة للملك السعودي، إذ كانت المعلومات التي يعرفها عن الجزائر والأخبار التي سمعها عنها قليلة جداً وقد خرج الإبراهيمي راضياً عن تلك المقابلة نظراً للاستجابة الكبيرة التي وجدها لدى الملك، وقد كانت حالته الصحية في غاية التدهور حيث أنه ما انتهت المقابلة حتى ارتقى في إحدى الغرف طالباً من أحد مرافقيه الجزائريين إحضار الطبيب لمعالجته من أمراضه الكثيرة، وقد ظل لأيام عديدة في حالة غيبوبة وإذا ما عاد إلى وعيه تتم قائلًا: "ما هي أخبار الجزائر وما استجد في موقف الحكومة السعودية من جبهة التحرير"، وما هي إلا مدة قصيرة حتى سخرت السلطات السعودية مصنع السلاح في بلدة "الخرج" الذي كان يعمل ليل نهار لتمويل الجزائر بالسلاح الذي يقوم بتصنيعه حتى أواخر أيام الثورة، كما قدمت مبالغ مالية ضخمة لشراء أنواع أخرى من الأسلحة من مختلف أنحاء العالم، وقامت بقطع علاقاتها مع فرنسا تدريجياً¹.

و في بعض الأحيان كان الإبراهيمي وبسبب حماسه الشديد لكسب الدعم المادي والمعنوي للثورة مهما كانت الظروف، يخرج عن حدود اللباقة إلى حد ما ومن ذلك تلك البرقية التي أرسلها إلى الملك السعودي في يوم 09 جانفي 1955م، يطلب منه أن يكلف أحمد بك الشقيري والأستاذ عبد الرحمن باشا أو أحدهما لمتابعة القضية الجزائرية والدفاع عنها باسم جلاله الملك في واشنطن رفقة السفارة السعودية هناك، وقد وقع اختياره على الأستاذين بالذات لكونهما يلمان إماماً كبيراً بشؤون الجزائر من كل النواحي².

و في مصر كانت أحاديث الإبراهيمي عبر أمواج إذاعة صوت العرب تصل إلى المسامع بلهجة مؤثرة وبصورة منتظمة، أما مقالاته فكانت تتوارد على كبريات المجالات الفكرية آنذاك كمجلة "الرسالة" للأستاذ الزيات، ومجلة "المسلمون" التي كان الكاتب الإسلامي سعيد رمضان

¹ - عمر الحكيم، رجل فقدناه: الشيخ البشير الإبراهيمي عالم من أعلام العرب في القرن العشرين، السعودية: مجلة حضارة الإسلام، العدد 2، السنة السابعة، جويلية 1966، ص 155.

² - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مرجع سبق ذكره ص 56.

رئيس تحريرها وغيرها، و قد أحرزت تلك الأحاديث و المقالات نجاحاً كبيراً، تمثلت في كون القضية الجزائرية قد أصبحت من اهتمامات وسائل الإعلام العربية و الإسلامية المختلفة، و قد ساعده على هذا النجاح علمه الواسع و قلمه البليغ و حجته القوية و لسانه الفصيح و حديثه اللبق مع مستمعيه مهما كانت مستوياتهم الثقافية و الاجتماعية فأصبح يلقب بإمام المغرب العربي تارة و بعلامة المغرب العربي تارة أخرى¹. و كان عندما يجد نفسه عاجزاً عن التنقل بسبب سوء صحته حيث يقوم بتزويد مبعوثي الثورة إلى بعض البلدان العربية و الإسلامية برسائل يوجهها إلى كبارها و علمائها من اللذين لهم تأثير معنوي و كلمة مسموعة لدى السلطات ليكونوا الواسطة فيما بينهم، فيؤدون مهماتهم بكل سهولة².

و من أجل توحيد جهود المسلمين الجزائريين المقيمين في القاهرة، بادر الإبراهيمي رفقة بعضهم إلى تأسيس جبهة تحرير الجزائر في شهر فيفري 1955، و منهم أحمد بن بلة، و حسين آيت أحمد، و أحمد مزغنة، و محمد يزيد، لتقدم المساندة لجيش التحرير الوطني و لإنجاح الثورة الجزائرية، و قد نص ميثاق جبهة تحرير الجزائر على محاربة الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل الممكنة، و طلب المساعدة من الأشقاء العرب و المسلمين و كل الأحرار في العالم مناصرة الجزائر في كفاحها من أجل تحريرها و استقلالها³، أما وسائلها فكانت البيانات و المؤتمرات الصحفية التي تشرح فيها الوضع في الجزائر و فضح السياسة الاستعمارية الفرنسية.

و هكذا كان الشيخ الإبراهيمي لا يترك وسيلة إلا و استغلها و لا باباً إلا و طرقه، في سبيل إنجاح الثورة الجزائرية الكبرى في الداخل و الخارج و كسب التأييد المعنوي و المادي لها و نشرت مجلة العرفان اللبنانية كلمة للشيخ الإبراهيمي في الذكرى الأولى لاندلاع الثورة التحريرية و وصف فيها الثورة الجزائرية بالمولود الذي سيفضي بلوغه و نضجه إلى تحرير الجزائر و المغرب العربي كاملاً من طغيان الاستعمار ، كما وجه من خلالها نداءً للعرب لتمجيد الثورة المقدسة التي يقودها أبطال تجمعهم الكلمة الواحدة و الهدف الواحد⁴.

و في الفترة الواقعة بين مارس 1956م و شهر أوت 1957م كرر الإبراهيمي زيارته للمملكة العربية السعودية و سوريا، لكن هذه المرة بصفته سفيراً للثورة التحريرية و في مهمة لصالحها على رأس وفد هام من جبهة التحرير الوطني، فبالنسبة لزيارة السعودية فقد وثقت الصلة بينها و بين جمعية العلماء المسلمين⁵، و بعدها زار باكستان و قام رفقة الوفد الذي رافقه بجولة شملت الكثير

¹ - راجح تركي ، الشيخ البشير الإبراهيمي في المشرق العربي، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ص228.

² - محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع، ص25.

³ - نفس المرجع، ص 53

⁴ - نفس المرجع، ص171.

⁵ - نفس المرجع، ص177.

من مدنها وألقى خلال تواجده بها عشرات المحاضرات والخطب في المعاهد والجامعات والتجمعات الشعبية ، و في أثناء تنقلاته تلك أصيب بكسر خطير في ظهره و بالضبط في عموده الفقري¹ .
و عندما تماثل للشفاء شد الرحال إلى العراق، حيث حضر في العراق أسبوع الجزائر حيث ألقى كلمة نيابة عن جبهة التحرير الوطني، و قد حضر الاحتفال ملك العراق الذي ألقى كلمة بالمناسبة و أمر بفتح اكتتاب من أجل جمع الأموال لفائدة الثورة التحريرية الجزائرية.
يقول عز الدين إبراهيم* وفي معرض حديثه عن الدعم الديني الذي قدمته الجمعية للثورة من خلال إصدار الفتاوى.

الفتوى الأولى: صدرت بتاريخ 15 نوفمبر 1954م، أي في الأيام الأولى لبدء العمليات العسكرية. فالثورة بدأت في أول نوفمبر، و هذا البيان صدر في القاهرة في 15 نوفمبر، و وقعه الإبراهيمي و الفضيل الورتلاني، و مما جاء فيه : « أيها المسلمون الجزائريون، حياكم الله وأحياكم و أحيا بكم الجزائر، و جعل منكم نورا يمشي من بين يديها و من خلفها. هذا هو الصوت (يقصد صوت البندقية) الذي يُسمع الأذان الصُّمِّ، و هذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، و هذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة فهلموا إلى الكفاح ».

و لكي يكون النداء فتوى، قال بعد ذلك : « و اذكروا قبل ذلك كله قول الله: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ و قول الله : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين﴾ .

الفتوى الثانية: و هي تحريم الفرار و التراجع عن القتال، و قد ضُمَّت في البيان السابق نفسه بعبارة " نعيذكم بالله أن تتراجعوا "، و فيها قول الإبراهيمي و رفيقه، مخاطبا الجزائريين : "وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي، فنعيذكم بالله و بالإسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم. إن التراجع معناه الفناء الأبدي و الذل السرمدى». و في هذا القول ما فيه من تأكيد الحكم الشرعي الوارد في سورة الأنفال: « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تؤكؤهم الأدبار»، كما أنه يذكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد: «ما كان لني إذا لبس لأمتي للقتال أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبينهم».

الفتوى الثالثة: و هي لا تقل أهمية، نظرا لأن المناورات و المحاورات السياسية و نظريات الإدماج و الفرنسة إلخ، كانت موجودة، و لهذا فالفتوى الثالثة كانت مطلوبة، لأن الجهاد بدأ.
قبل ذلك كان كل واحد يحاور و يجتهد، و هو معذور، و لكن بعد بدء الجهاد و رفع السلاح كان لا بد من فتوى بتحريم موالاته العدو الكافر، و قد جاءت هذه الفتوى في كلمة

¹ - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، مرجع سبق ذكره، ص202.

* - المستشار الثقافي بديوان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

أذيعت من إذاعة «صوت العرب» في القاهرة، في سنة 1955م، بعنوان: "موالاة المستعمر خروج عن الإسلام"، وفي ذلك البيان من كلام الإبراهيمي قوله: «لا توالوا الاستعمار فإن موالاته عداوة لله، وخروج عن دينه و لا تعاهدوه فإنه لا عهد له، و لا تأمنوه فإنه لا أمان له و لا إيمان و لا تحالفوه فإن من طبعه الحيواني أن يأكل حليفه قبل عدوه"¹.

المطلب الثاني: دور الشيخ العربي التبسي نائب رئيس الجمعية في العمل الثوري.

منذ أن عاد الشيخ العربي التبسي إلى الجزائر كانت نيته الأساسية بعد الرجوع مقارعة الاستعمار الفرنسي، وتوعية الشعب الجزائري الجاهل، الذي ران عليه ليل الاستعمار المظلم. و المتتبع لنشاطات الشيخ منذ أن وطئت أقدامه ارض الجزائر سنة 1927م، إلى تاريخ استشهاده سنة 1957م، يتبين هذه النية دونما صعوبة، و يعد الشيخ العربي التبسي من أول الدعاة إلى الثورة التحريرية المسلحة من رجال جمعية العلماء بعد ابن باديس، و هذه مقتطفات من كتاباته التي دعت صراحة إلى الثورة و العمل المسلح ضد العدو المستعمر.

"أيها المسلمون: إننا ندعوكم رجالاً و نساءً، كباراً و صغاراً، موظفين و غي موظفين، في بواديكم و حواضركم، ندعو كل من يُدفن منكم في مقابر المسلمين يوم يموت أن يستعد للمشاركة في الحداد و الحزن على الإسلام، الذي قتلته فرنسا الاستعمارية في الجزائر في يوم معين يعينه بالضبط المكتب الدائم للجمعية، و سيرشدك إلى الأعمال، و المواقف التي تُظهر بها حُزنك، و حدادك على اعتداء فرنسا على دينك، و سيعين لك أماكن الاجتماعات في جميع و أغلب مدن الوطن، و أين يخطب خطبائك في هذه المناحات؟ و أين تذرف دموع شعب مغلوب على أمره في دينه و دنياه عجز عن الدفاع عن نفسه. هذا الشعب المظلوم الذي أسلمته هذه الديمقراطية المادية إلى استعمار لا يعف إذا غلب، و لا يرحم إذا بطش، و لا ينصف إذا ظلم، و لا يتوب إذا جار.

أيها المسلمون: "إننا في يوم حدادنا على ديننا لن نَظلم القانون فعلى شعبنا أن يستعد للمشاركة في يوم الحداد، و إن هذا اليوم سيبقى يوم حداد كل سنة حتى يتحرر الدين الإسلامي من هذا الظلم الذي خصته به فرنسا ﴿و إن تتولوا يستبدل قوماً غيركم لا يَكونوا أمثالكم﴾². فإلى اللقاء أيها الشعب في يوم الحداد ورد الظلم عن الإسلام، و الله يحب العدل، و يجب المقسطين الأمرين بالحق، الدافعين للظلم و الباطل."³.

و يضيف العربي التبسي قائلاً: "سياسة الاستعمار بالجزائر وضعت قاعدة هي آية الآيات في قلب الحقائق و الوضعيات و معجزة المعجزات في إنكار حقوق الأمم هذه الآية أو "الجزائر ثلاث

<http://benbadis.net/al-ibrihimi/etudes/article17.htm>.

¹ - عز الدين إبراهيم، رؤية مشرقية لبعض إجازات الإبراهيمي وإبداعاته، على الرابط

² - سورة محمد، الآية 83.

³ - البصائر، السلسلة الثانية، العدد 236، ص2.

مقاطعات من فرنسا، و لا يكون في هذه المقاطعات إلا ما يرضي الاستعمار الأسود متزل هذه الآية، و القادر على اختراع الأغلوطات، و ان غصبت الأديان و سخطت العدالة، و احتجت الجغرافيا، و أنكر ذلك كل مبدأ من مبادئ الحقوق و العدالة. و يفضح التبسي أساليب الاستعمار في قلب الحقائق بقوله: "و الاستعمار كما هو معلوم جريء في إنكار الحقائق كفور بحقوق الضعفاء و الأمة الجزائرية و إن خضعت لهذه المظالم بظاهرها، و صبرت على كره لإعطاء النقيصة في دينها و دنياها تحت سلطة استعمارية ضيقة الصدر بحقوق الإسلام و العروبة، فإنها لم تودع بروحها عروبتها، و دينها و ثقافتها، و أخلاقها الإسلامية، و بقيت تنتظر يوم الفرج، و تتحين الفرص المواثية، و الأوقات المناسبة للعودة إلى ما يطالبها به الإسلام، و العروبة من. ثقافة، و علم، و من مؤسسات شعبية لتهديب الأمة، و لإحياء لغتها إلى أن من الله على الأمة الجزائرية العربية الإسلامية بنشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و بدأت عملها العلمي المبارك، و وضعت خطتها الميمونة."¹.

و كان التبسي من اللذين استشفوا ثورة الشعب الجزائري، ضد الاستعمار الفرنسي، ففي كلمة له بعد عودته من المشرق يوم 05 أكتوبر 1954م قال: "عما قريب ستمخض الأيام عن مولود جديد"، و مما أضافه قائلاً لمحدثيه: "إن القوم يرون و جوب الخيار بين اثنين، إما الثورة و الكفاح المسلح، و إما الإعلان مع الاستعمار بأن الجزائر غريبة ليست عربية و لا إسلامية ثم إن العروبة يأبى لها شتمها الخنوع، و يستنكف بنوها من الخضوع و الحياة تقول "النار ولا العار" و لأن الإسلام تنص آياته الكريمة بالبلاغة الصارخة في سورة النساء ﴿و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾، و عليه فالثورة هي الحل الوحيد الذي لا اختيار للجزائر في غيرها ".

و في ربيع 1954 أكد الشيخ على ضرورة حق الشعب الجزائري في الحرية و الاستقلال و تقرير المصير: " إن مطالب جمعية العلماء حول حرية التعليم العربي، و حرية المساجد بما لها من أوقاف، و حول حرية القول و حرية الصحافة و حول القضاء الإسلامي و ما ينبغي أن يكون عليه من علم و صلاح و منفعة و توثيق و تعديل و إصلاح قانون، و ماله صلة بالشخصية الجزائرية لم تعد مطالب جمعية العلماء، و إنما أصبحت جزءاً من قضية الأمة الجزائرية، و لم يعد للجمعية أي حق في التفاهم مع فرنسا، أو ممثلها في الجزائر، إلا بالقدر الذي تتكلم فيه مع من يتكلم باسم الجزائر فيما لا بد لها من حق في الاستقلال و الحرية و تقرير المصير ".

¹ - البصائر، السلسلة الثانية، العدد 44، ص 6.

و هو الذي أفتى المجاهد شريط لزهرة صراحة ليباشر عملياته الجهادية المسلحة ضد قائد وحدة الدرك و دورياته بضواحي الشريعة، التي أدت إلى قتله مع ستة من دركبيته يوم 17 أكتوبر 1954م¹.

و عند اندلاع ثورة التحرير الجزائرية المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954، كان الشيخ العربي التبسي أحد أبرز العلماء الذين أيدها وناصروها، كما شجّع أبناء جمعية العلماء على الانضمام إلى صفوفها².

و كان يقوم بدعمها مادياً و معنوياً من خلال خطبه التي أزعجت كثيراً سلطات الاحتلال، بالإضافة إلى كل ذلك، فقد كانت للشيخ - كرئيس لجمعية العلماء داخل الجزائر - علاقات تنسيق و عمل وثيقة مع بعض قيادات الثورة آنذاك من أمثال زيغود يوسف، عبان رمضان شيحاني بشير و غيرهم³.

و كان يتولى رئاسة الجمعية عندما نشبت الثورة نظراً لأن رئيس الجمعية و هو الشيخ البشير الإبراهيمي كان مقيماً في القاهرة في ذلك التاريخ، ابتداءً من عام 1952م إلى عام 1962م و بالتالي كانت كل مواقف الجمعية و بياناتها الرسمية المنشورة في جريدة الجمعية " البصائر" اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حول الثورة و مقالات جريدة البصائر التي تنشرها تأييداً و مساندة للثورة التحريرية المباركة و دعوة الشعب الجزائري إلى الالتحاق بالثورة كانت جميعها تصدر تحت مسؤوليته المباشرة بالإضافة إلى رئيس تحرير الجريدة، الأستاذ أحمد توفيق المدني الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁴.

و يوم اندلعت الثورة التحريرية المباركة كانت للشيخ أشكال تأييده متعددة لها، ابتداءً من بحث أعضاء جمعية العلماء بالالتحاق بصفوف الثورة التحريرية، بالإضافة إلى اتخاذ قرار سري داخلي فرض بمقتضاه اقتطاع نسبة عشرة بالمائة من رواتب معلمي مدارس الجمعية لتنفق على أسر المجاهدين و الشهداء و المعتقلين⁵. و قد أرسل إلى الولاية الثالثة - حسب شهادة الشيخ أحمد حماني الذي كان الواسطة بينه و بين العقيد عميروش - آلات الطباعة و الكتابة و السحب و الأموال و المحافظين السياسيين و المعلمين⁶.

1 - أحمد عيساوي، الشيخ العربي بلقاسم التبسي مصلحاً، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر: كلية أصول الدين، 2001، ص 423.

2 - محمد عباس، رواد الوطنية، الجزائر، دار هومة، 2004، ص 376.

3 - نفس المرجع، ص 377.

4 - تركي رايح، جمعية العلماء المسلمين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 1، 2004، ص 245.

5 - محمد الميلي، مرجع سبق ذكره، ص 10.

6 - أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، مرجع سبق ذكره، ص 299.

و لما أرسل القائد عميروش رسولاً إلى الشيخ العربي يستوصيه لم يستطع الشيخ أن يكتب له أي رسالة نظراً لحالة التضيق و القمع و الوحشية، التي تمارسها السلطات الاستعمارية ضد الجزائريين مما اضطر الشيخ إلى أن يرسل مصحفاً صغيراً و قال للرسول: "بلغه سلامي و دعواتي و ابتهاجي العظيم بجهدكم و انتصارهم و قل له: هذا المصحف الشريف هو وصيتي له". و من بين أشكال التأييد للثورة و الثوار فتواه الشرعية التي أرسلها المجاهدون يستفتونه في جواز الإفطار في شهر رمضان للمجاهدين، فأجازها للمجاهدين المسافرين فقط، و توقف عند المجاهدين المقيمين، معتبراً أن علة الإفطار في شهر رمضان السفر، و قال أن استقلال الجزائر على الأبواب فلنقابله بالطهارة، و الإيمان، و من بين أشكال تأييده لثورة نوفمبر، أنه لما اتصله بعض الأخبار و المعلومات عن تحرك الجيش الفرنسي لملاحقة الثوار و ضربهم، كان يرسل إليهم بسرعة من يعلمهم بما لديه من أخبار¹.

يقول الدكتور أحمد عيساوي: "أخبرني العديد من مجاهدي المنطقة الخامسة و السادسة (تبسه) في الولاية التاريخية الأولى، أن الشيخ العربي كان يرسل المساعدات المختلفة و على رأسها المال إلى عائلات الشهداء و المبعدين و الفارين و المسجونين المجاهدين تحت كثير من الحجج و الأسباب، كأن يقول لمن يرسله بأن الشيخ استدان من أبيكم أو من أحيكم هذا المال قبيل استشهاده"².

هنا يتبين لنا موقف الشيخ العربي التبسي المشرف من الثورة التحريرية، كعالم فذ، و ليس كعضو في جمعية العلماء. و حسبما يذكر الحسين مبعوث عبان رمضان إلى التبسي أنه: "حينما فاتحه (ويقصد العربي التبسي) في الموضوع الذي جئت من أجله، قال لي بأنه مستعد لتنفيذ كل ما تأمر به الجبهة، و أنه مؤمن بأن الكفاح المسلح هو أسلم و أقصر طريق للتخلص من الاستعمار"³. و عليه فإن الثورة هي الحل الوحيد، و لذلك و بمجرد علمه بإنذاعها، أعلن تأييده لها و الدعوة إليها في مجالسه الخاصة، بالجهاد في سبيلها بالنفس و المال، و في هذا قال: أنقلوا عني و بلغوا كل من لقيتم ممن تعرفون، أن كل هجرة من الوطن إلى خارجه، تعتبر مروقا من الدين و خيانة للوطن، ما لم تكن في مهمة كلفت بها جبهة التحرير الوطني"⁴.

و يروي أحد من عاصروا التبسي و هو "سالمي الثغراوي" أحد رجال الجمعية قائلا: "أرسلت السلطات الفرنسية إلي مبعوثاً يقترح على الجمعية، أن فرنسا تريد إقرار مبدأ فصل الدين الإسلامي

1 - أحمد عيساوي، نفس المرجع، ص 424.

2 - نفس المرجع، ص 375.

3 - محمد العربي زبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص 190.

4 - أحمد بن ذياب، العربي التبسي النهضة العلمية بالجزائر، أشغال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر بمناسبة ذكرى استشهاد العلامة العربي التبسي، الجزائر: دار الهدى، ص 51.

عن السلطات الفرنسية، و تتولى أمره جمعية العلماء المسلمين"، فرد عليه التبسي قائلاً: "إن جمعية العلماء لم ترد فصل الدين الإسلامي عن السلطات الفرنسية، وإنما تريد فصل الجزائر عن فرنسا" فرد عليه سالمي قائلاً: "فقلت له: يا أستاذ إن هذه الكلمة لا شك إنها لقاتلتك.. فأخرج من الجزائر"، فرد عليه التبسي: "إن خرجت أنا من فمن يبقى في الجزائر"¹.

و في رده على جريدة (Le Monde) أن رد التبسي حول سؤال طرحوه عليه، بخصوص موقف الجمعية من الثورة: "متى انضمتم إلى الموقف الوطني المتشدد؟" فرد عليهم: "أما كشخص فقد كان هذا موقفي دائماً، و أما كجمعية فعزنا هذا و أعلننا عنه منذ بداية يناير الأخير"².

موقفه من المفاوضات:

طلب المقيم العام في الجزائر " ROBERT LA COSTE " روبر لاكوست من الشيخ العربي التبسي أن يتدخل ليهدي من غضب الشعب الجزائري بحكم شعبيته، و مكاتته، و مرجعيته و تأثيره على الشعب، فما كان من الشيخ العربي إلا أن رفض دعوى لاكوست قائلاً له: "إنني صادق منذ نعومة أظفاري، و أنا الآن شيخ كاهن و تريدون مني أن أكذب على الشعب الجزائري كلا لن أتحدث"³.

و قد حاولت الإدارة الاستعمارية الاتصال به العديد من المرات، و لكنه رفض أسلوب الحوار و التفاوض معهم، و دفع بهم للتفاوض مع الثوار، و قد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية الناصعة الأستاذ علي مرحوم في ندائه الذي نشره بعد اختطاف الشيخ العربي، حيث جاء فيه: " و قد حاولت الإدارة الاستعمارية المتمثلة في شخص الولاية العامة الاتصال بالشيخ لعلهم يجدون منه رجل لين يساعدهم على تحجيم الثورة و كبح جماحها و لعله يكون المفاوض الصالح المؤثر على الشعب و على رجال جيش و جبهة التحرير الوطني، و لهذه المهمة أرسلت له الولاية العامة و جنرالات الحرب (ماسو) و(بيجار) في شهر نوفمبر 1956م مفاوضهم (مسيو كومان) كاتب الحزب الاشتراكي فلم يستطع أن ينال من الشيخ شيئاً، و ما زاد الشيخ إلا أن اخبره قائلاً: "إنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً، و أن المفاوضات الذي يستطيع فعل كل شيء هو جيش جبهة التحرير الوطني أو من تعينونه لكم"⁴. و بعد اعتقال الزعماء الخمسة، طالب "لاكوست" أيضاً من الشيخ العربي بالتفاوض معه كمفوض عن الثوار من قبل حكومة الرئيس "غني مولي" لإيجاد حل للقضية الجزائرية فما كان من الشيخ إلا أن زاد قائلاً "مفتاح الحل بأيديكم؟" مما أدى إلى وضعه تحت الإقامة

1 - حسن عربي، الشهيد العربي التبسي ذكرى وعبرة، أشغال المنتدى الوطني للفكر الإصلاحي، نفس المرجع، ص71.

2 - مولود قاسم نايت بلقاسم، نفس المرجع، ص76.

3 - نبيل أحمد البلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص158.

4 - أحمد عيسوي، نفس المرجع، ص428.

الجزيرية. يمتزله بحي بلكور بالجزائر العاصمة، و هو يفيتي يقول "من عاش فليعيش بعداوة فرنسا، ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر"¹.

و في هذا الصدد يروي "أحمد توفيق المدني" في مذكراته "حياة كفاح" حادثة اتصال الأستاذ "ريمون هارون" اليهودي مدير وصاحب مؤسسة جريدة "لوموند الفرنسية" به كي يكون واسطة صلح وسلم بين الثوار والحكومة الفرنسية، فلم يستطع البت إلا بالرجوع هاتفياً إلى الشيخ العربي التبسي، الذي رد على مكالمة السيد "ريمون" متفهماً موضعه و مردفاً حسن النية لدى الطرف الفرنسي الذي يعرض التفاوض معه باسم الثوار، مقابل أن يضع الجانبان رهائن للتوثيق بينهما، فما كان إلا أن رد عليه الشيخ العربي التبسي بقوله "أما الرهائن، فهذه سخافة لا يمكن الخوض فيها إطلاقاً، و أما المفاهمة بين الجانبين فنحن نحبذها على أن ترضى الجبهة بذلك، و أنت أدرى بالطرق التي تسلك من اجل الوصول إلى قادة الجبهة"²، والحق أن الشيخ العربي التبسي كما تُجمع كل الشهادات و الوثائق و الحقائق التاريخية، كان رافضاً لكل أساليب التفاوض منذ اندلاع الثورة و قبلها، لإيمانه المطلع بقيمة الكفاح المسلح كوسيلة ناجعة لطرد الاستعمار الفرنسي واسترجاع العزة والكرامة المفقودة و التعجيل بالحرية و تحقيق الاستقلال.

بعد رفض الشيخ جر الجمعية إلى مفاوضات وهمية مع الإدارة الاستعمارية العديد من المرات أن على مستوى الولاية العامة بالجزائر، أو على أعلى المستويات، و لا سيما بعد زيارة رئيس مجلس الوزراء الفرنسي السيد "غي مولي"، حيث وصفته جريدة البصائر³ بالفارس الأبله، الذي ركب حصاناً هزلياً، بدت كلاه من نخوله وإفلاسه، وهو الحصان المتبقي من (جمعية شيخ المدن) بالعمالة الجزائرية، بحيث انطلق وفي يمينه رمح مكسور يهاجم به (طاحونة الريح) التي تتمسك بأسطورة الجزائر فرنسية، و أكدت العملية التي يقدم كون مآلها الفشل الذريع، وسوف تنال هذه العصاية جزاءها على يد الثوار، الذين سيقومون الدولة الجزائرية الشعبية المستقلة⁴، و من هنا جن جنون "لاغيارد" الذي قرر تصفية الشيخ العربي التبسي بالقتل، لما تحين الفرصة المناسبة بعد أخذ موافقة الحاكم العام "روبير لاکوست" و جنرالات الحرب "بيجار و ماسو" الذين وافقوا على تصفيته منذ أن رفض الدخول معهم في المفاوضات الوهمية باسم الثوار، و أضاع أملهم في الاحتفاظ بالجزائر. ولما يئست سلطة الاحتلال من جرّه إلى معسكرها في هذه القضية الخطيرة، و رأت عزمه وصلابته وصموده أمام أساليب الترغيب والترهيب، و أدركت خطورة وجود و بقاء مثل تلك الشخصية العلمية البارزة إلى جانب الثورة، قررت تصفيته و التخلص منه. ففي الساعة الحادية عشر

¹ - نبيل أحمد البلاسي، نفس المرجع، ص 158.

² - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ج 3، مرجع سبق ذكره، ص 45.

³ - البصائر، عدد 347، بتاريخ 30 ديسمبر 1955، ص 1.

⁴ - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص 300.

ليلاً من اليوم الرابع من رمضان الموافق لليوم الرابع من شهر ابريل 1957م، اقتحمت مجموعة إرهابية من الفرنسيين التابعين لفرق المظلات و يقال على يد شرذمة من المجموعات الإرهابية "اليد الحمراء" مسكن الشيخ العربي التبسي ببلكور بعاصمة الجزائر، و اقتادته إلى مصير مجهول. مستغلين رفضه العديد من المرات قبول الخروج مع الثوار هرباً من الجزائر¹.

المطلب الثالث: تفاعل أعضاء الجمعية مع الثورة التحريرية.

كان لطلاب و تلاميذ مدارس جمعية العلماء، و الزوايا، و الزيتونة، و القرويين، و الأزهر و الجامعات المشرقية، و حفظة القرآن الكريم، شرف انضمامهم للثورة منذ انطلاقتها الأولى، إذ أسسوا النواة الأولى لجيش التحرير الوطني: ففي سنة 1952 أوفدت الجمعية عدد من الطلبة إلى المشرق و المغرب ليلتحقوا بالمدارس المدنية و العسكرية.

و قد جاء في تقرير إحدى دورات اللجنة المركزية لدراسة مسألة الشباب الذي أعد للثورة "أن من أعد للثورة هم حزب الشعب، و الكشافة الإسلامية و على صعيد آخر جمعية"، فرد عليهم عثمان سعدي بقوله: "أحب أن أوضح للإخوة، أنني كنت من الناحية السياسية، مناضلاً في حزب الشعب الجزائري، تعلمت في جمعية العلماء، و انتمى لها ثقافياً و تربوياً، و لهذا أرى تعديل فقررة في التقرير المقدم لنا أراها لا تنصف في جمعية العلماء كما يلي:" و قد أعد للثورة حزب الشعب الجزائري و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و على صعيد آخر الكشافة الإسلامية، مع العلم أنني كنت من الكشافة الإسلامية و لم أكن من "البوي سكوت"، و هذا يعني أن حزب الشعب كان بمثابة هراوة الحركة الوطنية، و جمعية العلماء بمثابة ضميرها، و فعلاً فقد عدلت الفقررة، لكن رغم ذلك، فقد اعترض خير الدين على كلامه، بحجة أنه من حزب الشعب و ليس ابن الجمعية، للعلم أنه رُشح من طرف التبسي الذي رد عليه بقوله: "إن عثمان ابن جمعية العلماء علمياً و ثقافياً و تربوياً و ابن حزب الشعب سياسياً"².

إن الثورة قامت على ثلاث ركائز: الاستقلال من حزب الشعب الجزائري، العمل الوطني من البيان، الجهاد و الاستشهاد و العلم من الجمعية. و منه قول العقيد محمدي السعيد رحمه الله، يوم الجمعة، 1 نوفمبر 1991م، بقاعة ابن باديس بقسنطينة حيث أن الأستاذ محمد الطيب العلوي، قائلاً إن زيغود يوسف الذي تسلم قيادة المنطقة الثانية في جانفي 1955م أعطى تعليماته إلى مساعديه قائلاً: "إذا جاءكم بياني نسبة لحزب البيان" يريد الانضمام إلى الثورة فتبينوا، و إذا جاءكم مصالي، فتثبتوا و إذا جاءكم مركزي فافعلوا الشيء نفسه و إذا جاءكم شيوعي فتحرروا في أمره، و إذا جاءكم عضو من العلماء فتقبلوه بدون تردد"³.

¹ - أحمد عيسوي ، نفس المرجع، ص 430..

² - عثمان سعدي، جمعية العلماء وثورة أول نوفمبر، أشغال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 130.

³ - محمد الهادي الحسني، مجلة الموافقات، مرجع سبق ذكره، ص 619.

و من بين رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين التحقوا بركب الثورة و ساهموا فيها نذكر:
إبراهيم مزهودي:

أول ما بادر به إبراهيم مزهودي، بعد التحاقه بالولاية الثانية الشمال القسنطيني في 10 مارس 1956م، تأسيسه للخلية الأم بعاصمة الولاية "مدينة قسنطينة"، وذلك للقيام بالاتصالات و الإعلام و التوعية و مساعدة الثورة بكل الوسائل المادية و المعنوية، و اشتملت هذه الخلية- التي يرأسها بنفسه- مصطفى بوعافية، محمد إبراهيم الميلي، و السعدي الطاهر المعروف بالطاهر حراث، بعدها اتسعت الدائرة لغيرهم، كما أنشأ قبل التحاقه بالولاية الثانية مع زملائه، عدة خلايا ببعض مدن الولاية منها على سبيل المثال لا الحصر: طلبة مدرسة برج بوعرييج و التي كان من أعضائها، العربي سعدوني.

أحمد توفيق المدني:

ظل احمد توفيق المدني و لفترة طويلة من الزمن، في جهاد فكري، و قلمي، و لساني، إلى أن انتخب أميناً عاماً للجمعية، و أشرف على نظامها، و تنسيق التعليم العربي والإسلامي في مدارسها، و معاهدها، بين سنتين 1951-1956م، و توليه رئاسة تحرير "البصائر" لسان حال الجمعية، فكان ينشر مقالاته الأسبوعية تحت اسم "أبو محمد".

منذ اندلاع الثورة إلى غاية مغادرة المدني الجزائر- بأمر من الجبهة - شغل المدني سنة 1956م عدة مهام، منها ربط الاتصال بين مركز القيادة بالعاصمة، وبقية جهات المعركة و القيادات الفرعية، فكان يستعمل في مهمته العديد من المجاهدين أمثال حمزة بوكوشة، أحمد سحنون، الجيلالي الفارسي، مصباح الحويذق و غيرهم من رجالات الجمعية، بالإضافة إلى ساطور الخياط، الذي كان يزودهم بالوسائل السرية ضمن بدلات و ألبسة مختلفة.

و إثر إعلان بيان الجمعية الخاص بالثورة، كان للصحافة المحلية و الدولية ردة فعل قوية، خاصة حول المدني فهو المضي أسفله إضافة إلى رئيس الجمعية العربي التبسي، لكن المدني صرح للصحافة العالمية: "أنني من الجبهة ككل جزائري لكنني لست أنا الجبهة و لست ممثلاً عنها فإن أردتم الاتصال بأداة الجبهة فابحثوا عن الطريق الذي يوصلكم إليهم"¹.

بعد الحرب العالمية الثانية، برز المدني كقلم جارح على صفحات البصائر، يقوم من خلالها بنشر الوعي الوطني، و عندما قامت الثورة - و باتفاق مع العلماء- أوكلت له مهمة التصرف في البصائر و تحرير افتتاحيتها، و هذا ما يمكنه من أن يشغلها لأغراض الثورة، بشرط مراعاة ثلاثة أطراف في كتابته:

¹ - أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص 43.

- الشعب يتولى المرافعة عن في الحرية والاستقلال، وفضح أساليب الاستعمار.
- توحي الحذر وتجنب ما يمكن أن تتخذ منه الحكومة ذريعة للإيقاع بالبصائر، كمنبر إعلامي، و بالجمعية كإطار لها.
- يعرض كل مقال افتتاحي بصفة سرية على المكلف عن قيادة الثورة، بالإشراف على العمل حتى تتوافق مع خط الثورة العام¹.

الفضيل الورثياني:

عندما اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية المباركة - في أول نوفمبر 1954م - لم يتكلم أي حزب أو هيئة أو جمعية أو أي شخصية ينتسب إلى أي منظمة جزائرية أبداً، بل الكل سكت و بقي يراقب الأحداث، ولم يعلن أي احد في هذا الظرف تأييده للثورة، ما عدا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي بادرت في الحين بتأييد الثورة و مساندتها و مطالبة الشعب الجزائري بنصرتها ودعمها و الانضمام إليها. وكان أول من بارك الثورة و أيدها باسم جمعية من القاهرة الشيخ الفضيل الورثياني²، و ذلك في اليوم الثالث من نوفمبر 1954م، إذ أصدر بياناً في الجرائد المصرية و غيرها، بعنوان إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر حياة أو موت بقاء أو فناء، و حتى تستكمل جمعية العلماء سياستها كحركة دينية و سياسية، استمرت في إجراء اتصالاتها بالقوى الإسلامية و انتدبت لهذه المهمة أهم أعضائها، و أكثرهم حيوية و نشاطا الفضيل الورثياني الذي انتهز فرصة زيارته و وجوده في دول العالم العربي و الإسلامي، و راح يعرفه بالقضية الجزائرية، فحصل على اعتراف دول المشرق العربي، مما جعلهم يوجهون له الدعوة لحضور مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بباكستان في 27 مارس 1953م كمندوب عن الجزائر، و نظراً للقدرات و المؤهلات التي يتمتع بها، عين منتدباً عن المؤتمر أمام كافة الهيئات و الجماعات الإسلامية في العالم، و قد مكنه هذا المنصب من توثيق صلاته بالعديد من الزعامات الإسلامية و السياسية كحركة الإخوان المسلمين إلى حد التدخل في سياسة بعض الدول كإيران و اليمن، لا لشيء سوى لحرص الرجل و رغبته في وحدة صفوف الأمة الإسلامية، سنة و شيعة، حتى تتمكن من مواجهة الاستعمار³.

الربيع بوشامة:

بدأ الربيع بوشامة اتصالاته في مطلع الثورة التحريرية بقيادة المنطقة الثالثة (القبائل) وكانت الاتصالات تتم بينه و بين قيادة المنطقة بواسطة الرسائل، وكان أول اتصال له بعد أن أرسل إليه

¹ - تركي رايح ، مجلة بونة للدراسات، مرجع سبق ذكره، ص48.

² - سليمان الصيد، رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين من ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، دار هومة للنشر و التوزيع ، 1995، ص 45.

³ - نبيل أحمد بلاسي، نفس المرجع، ص84.

رسالة مع مبعوثه الخاصة إلى منزله، و في 13 ماي 1956م توجه إلى قرية قلعة بني عباس في جبال البيان أين اجتمع بالعقيد عميروش ، و قد دار الحديث بينهما حول مختلف قضايا الثورة.

و في مطلع 1957م غادر الربيع بوشامة العاصمة للاتصال بقيادة الثورة للقيام بمهمة خاصة لصالح الثورة، و دام غيابه شهراً كاملاً ثم عاد إلى منزله، و بعد مدة قام برحلة إلى سطيف و بعض مدن الشرق الجزائري مستخدماً بطاقته المهنية كمفتش لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هذا حتى يتسنى له تأدية المهام التي كلفته بها الثورة في وقتها المعين قبل أن يعود إلى العاصمة، ليواصل عمله النضالي على مستوى مدينة الجزائر في إطار خلايا جبهة التحرير الوطني¹.

و قد أعد له عميروش ليذهب إلى الخارج، و لكنه لم يكن يرغب في الخروج و قال لزوجته، إذا فعلت ذلك وذهبت إلى الخارج فمن يبقى هناك لخدمة جيش التحرير الوطني و الثورة و استمر الربيع بوشامة في عمله لصالح الثورة، و اتصاه بقيادة جيش التحرير طوال عامي 1957م و 1958م ، و كانت آخر رسالة تلقاها من العقيد عميروش في مطلع عام 1959م.

و في صبيحة يوم 16 جانفي 1959م تم إلقاء القبض على الربيع بوشامة في مدرسة الثبات بالحراش بتهمة تمزيق العلم الفرنسي الذي كان منتصباً وسط ساحة المدرسة، و اقتيد إلى مقر قيادة الدرك بحج بلفور في الحراش²، و ظل حتى شهر ماي 1959م، تحت التعذيب إلى أن أعلن رجال الدرك عن استشهاده³.

و في الحقيقة أن جمعية العلماء كانت تحظى بشعبية كبيرة في أوساط الشعب الجزائري سواء في الأرياف أو في المدن، و كانت في نظر الشعب الجزائري... المرجع الأساسي في المسائل الدينية، بعد أن فقد الثقة في الطرق الصوفية بفعل مواقف بعضهم و دعاية العلماء ضدهم، و على هذا فإن تأييد العلماء للثورة و انضمامهم إليها يعتبر فتوى شرعية لصالح الثورة أضفت عليها طابع الجهاد الإسلامي، و لا يخفى تأثير ذلك على الشعب الجزائري و خاصة على الأوساط الريفية و لعل هذا التأييد دفع أطراف عديدة من عامة الشعب إلى الانخراط في الثورة و العمل لها ، و ذلك عقب إعلان كل من حزب البيان و جمعية العلماء عن تأييدهما لجبهة التحرير. فهذه التركيبة الدينية و السياسية أعطت للثورة شعبية كبيرة كانت مفتقرة إليها قبل ذلك و أصبح أفراد جيش التحرير و جبهة التحرير يجدون كل التسهيلات و الإعانات و الخدمات من قبل الشعب كما أشار إلى ذلك أحد الصحفيين الفرنسيين⁴، و لعل أثن خدمة قدمتها جمعية العلماء هي التحاق عدد من شبانها

¹ - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، ج1 ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص 225.

² - نفس المرجع، ص 226.

³ - نفس المرجع ، ص، 227 .

⁴ - البصائر ، عدد 357، بتاريخ 9 مارس 1956، ص1.

بصفوف الثورة للعمل ضمن صفوف جيش التحرير الوطني أو جبهة التحرير خاصة أنهم عنصر مثقف ومُكون أخلاقيا و محصن وطنيا ، حيث كلف أغلبهم للعمل كمستشارين سياسيين وقضاة و مفتين و ككتاب في إدارتها ورجال إعلام و دعاية و اتصال ¹.

المبحث الثالث: موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية.

شكلت جريدة البصائر لسان حال جمعية المسلمين الجزائريين، جزء كبير من المشهد الإعلامي، في فترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الثورة التحريرية 1947-1956م حيث لعبت دورا مهما في إبراز و تشكيل مواقف الجمعية من القضايا السياسية و الوطنية المطروحة في ساحة الأحداث، مُحاولة الدفاع عن شرعية مطالب الشعب الجزائري، كما كانت تذكر فرنسا بالوعود التي تقطعها، و تطالبها بتطبيق القوانين و الإصلاحات، التي كانت ترى فيها بعضا من الحرية للجزائريين، إلى أن اندلعت ثورة التحرير فاستغلت الفرصة، و طالبت فرنسا بالتطبيق الجدي لوعودها، خاصة و أنها كانت ترى في أحداث الثورة عملا ينم عن اليأس من فرنسا الاستعمارية و هو عمل شعبي منظم و ليس أعمالا فردية كما ادعت الإدارة و الإعلام الفرنسي.

و جريدة البصائر لم تكن تعمل وحدها في الميدان، حيث وجدت العديد من الصحف والتي شكلت المشهد الإعلامي، متمثلة في صحف التيارات الوطنية كما سنشير لها.

ولزيد من الفهم والإيضاح، نشير إلى الإستراتيجية الإعلامية لجبهة التحرير الوطني في المرحلة الأولى من الثورة، والتي كانت بداياتها بسيطة ومحدودة، ولكنها تطورت مع تصاعد الأحداث، هذه البداية المتذبذبة تركت المجال أمام الدعاية الاستعمارية لممارسة التضليل الإعلامي، ومحاولة تحجيم الثورة و اعتباره أعمال تخريبية من فئة قليلة، و أنها لا ترقى لأن تكون ثورة وطنية شاملة، هذا ما أدى بجريدة البصائر لأخذ زمام المبادرة ومواجهة الأكاذيب الفرنسية و فضح سياستها، كما أنها تتبعت كذلك أخبار وحوادث الثورة العسكرية منها والسياسية.

المطلب الأول: المشهد الإعلامي ما بين 1952-1954م.

كان مصير سائر الجرائد التي كشفت السياسة الاستعمارية في الجزائر، و آثارها السيئة على أوضاع الجزائريين إيقافها عن الصدور، ولم يكن ينج من هذا التوقيف والمصادرة سوى الصحف التي تسائر الاستعمار أو الصحف التي كانت تدعو إلى الاندماج مع فرنسا في المجال الثقافي و السياسي و لأن المشرفين عليها يحملون عاطفة الولاء للغة الفرنسية، في الوقت الذي كانت تتعرض له الصحافة الوطنية للمتاعب و المضايقات الإدارية ².

¹ - نجد كل من محمد الصالح بجاوي وعمار ملاح مستشارين سياسيين بالأوراس، وهاشمي هجرس كاتباً مع بن عودة بعناية، وقد كلف بوغابة وأحمد بوشمال وغيرهما بالأمور التنظيمية والمالية بقسنطينة، كما أصبح عبد الرحمن شيبان ومحمد الميلي من محرري جريدة المقاومة ثم المجاهد بتونس.

² - محمد حمدان و آخرون، الموسوعة الصحفية العربية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، إدارة الثقافة، ج4، 1994، ص72.

أما الفترة الممتدة من بعد الحرب العالمية الثانية إلى قيام الثورة التحريرية و هي فترة قصيرة و لكنها أرقى الفترات و أسماها قيمة، إذ تمثل أوج الرقي الصحفي في الجزائر. و هذه الأخيرة عرفت صُحفاً كثيرةً مُختلفة التزعّات متباعدة الأهواء، متباينة المشارب، متناقضة الغايات التي كانت تستشرفها و تشرئب إليها.

بدأ الرأي العام الجزائري بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، يواجه بعض المشاكل المترتبة على هذه الحرب، وخاصة أنها أفرزت الكثير من التغيرات الرئيسية في شمال إفريقيا وغيرها، فقد شهدت البلاد هزيمة فرنسا سنة 1940م أمام الغازي الألماني، و الصراع بين قوات الحلفاء في شمال إفريقيا ثم انتهاء الصراع بتزول الحلفاء في شمال إفريقيا، كما أدت الحرب العالمية الثانية إلى تفكك النظام الاستعماري و بدء ظهور الحركات الوطنية في المستعمرات أما في الجزائر فقد تميزت هذه الفترة بالنضال السياسي و اتساع نشاط الأحزاب السياسية و قيام أحزاب جديدة مثل حزب أنصار البيان الجزائري، و قد استقرت هذه الأحزاب جميعها على المطالبة بالاستقلال مع بعض الاختلافات، و التي كانت تتراوح ما بين المطالبة بالاستقلال الذاتي¹، و الاتحاد مع فرنسا فيدرالياً، و كان يمثل هذا الاتجاه فرحات عباس، و أنصار البيان و بين المطالبة بالاستقلال الكامل، و كان يتزعم هذا الاتجاه مصالي الحاج و حزب انتصار الحريات الديمقراطية.

و قد انعكست هذه الأحداث السالفة الذكر على الرأي العام الجزائري الذي أصبح أكثر وعياً و إدراكاً للظروف السياسية التي تمر بها البلاد كما ازداد عدد المثقفين الجزائريين و خاصة ممن يتقنون اللغة العربية حيث استطاعت مدارس جمعية العلماء في تلك الفترة من تخريج أعداد كبيرة من الجزائريين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية في صفوف الجيش الفرنسي، و نقلوا للمجتمع الجزائري خلاصة ما كسبوه من الحرب و من خبرات و انطباعات.

و قد تأثرت الصحافة الجزائرية بالتطورات التي تمخضت عن أحداث الحرب العالمية الثانية بحيث تركت هذه الظروف أثراً واضحاً على الصحافة الجزائرية نستطيع أن نحددها فيما يلي:

1- أصبحت الصحافة الجزائرية تعبر عن اتجاهات سياسية واضحة و محددة كما أصبحت تستند إلى فلسفات سياسية واجتماعية متبلورة.

2- أصبحت تمثل مستوى متطوراً من الناحية الصحفية (الطباعة، الإخراج، الأسلوب و ثقافة المحررين)، و قد استفادت في ذلك من التطورات العالمية التي حدثت في مجال الفن الصحفي.

3- تتميز بقلّة عددها و إن كان تأثيرها أعمق و أبعد أثراً من الصحف التي كانت تصدر بكثرة في فترة ما بين الحربين و لا تترك أثراً عميقاً في الحياة الفكرية أو السياسية في الجزائر.

¹ - عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة في الجزائر 54-62، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 42.

4- كذلك تتميز بانتظام الصدور و يرجع ذلك إلى أنها لم تكن مشروعات فردية مثل الصحف التي كانت تصدر في الفترات السابقة، و لكنها استندت إلى منظمات سياسية لها إمكانياتها الكبيرة نسبياً، مما كفل لها الاستقرار و ساعدها على الإجدادة و تطوير فنونها الصحفية. و يمكننا أن نحدد أهم الصحف الجزائرية التي صدرت في تلك الفترة من خلال تحديدها لأهم الأحزاب السياسية الجزائرية في ذلك الوقت و هي¹:

1- حركة أحباب البيان:

وكان يتزعمها فرحات عباس، و قد بدأت نشاطها بإصدار مجلة المساواة في مارس 1944م، التي تعبر عن اتجاه الحركة الذي يتلخص في العمل على تحقيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين، و قد تم مصادرتها عندما صدرت الأوامر باعتقال عباس فرحات مع باقي الوطنيين الجزائريين عقب مجازر 8 ماي 1945م.

و عندما صدر العفو عن المعتقلين السياسيين في أكتوبر 1945م و كان من بينهم فرحات عباس، أسس بعد خروجه من المعتقل حزباً جديداً أسماه حزب الاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان الجزائري، و هو يقوم على نفس البرنامج الأصلي الذي تبناه أنصار البيان و قد أصدر صحيفة "الجمهورية الجزائرية" في مارس 1946 م، و التي شرعت تبرز مطالب الحزب بجلاء و توضيح التطور الذي طرأ على أفكار عباس فرحات السياسية.

2- حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

عندما خرج مصالي الحاج من المعتقل في أكتوبر سنة 1946م شرع على الفور في إعادة تشكيل حزب الشعب الملقى تحت أسم حزب انتصار الحريات الديمقراطية و أصدر هذا الحزب عدة صحف، أهمها:

1- الأمة الجزائرية: وهي صحيفة شهرية تصدر باللغة الفرنسية و كانت تدعو إلى الاستقلال الكامل للجزائر و قد استمرت تصدر من جويلية 1946 إلى أكتوبر 1948م.

2- المغرب العربي: وهي صحيفة أسبوعية كانت تصدر باللغة العربية عدا بعض الأعداد الخاصة التي صدرت باللغة الفرنسية، و قد استمرت تصدر من جوان 1947 إلى نهاية 1949م.²

3- المنار: و هي صحيفة نصف شهرية كانت مستقلة في الظاهر و لكنها تابعة للحزب و قد استمرت تصدر من مارس 1951 إلى نوفمبر 1953م، ثم استقلت عن الحزب و توقفت.

4- الجزائر الحرة: و هي صحيفة بدأت نصف شهرية ثم أصبحت أسبوعية و كانت تصدر باللغة الفرنسية و قد استمرت تصدر من أوت 1949 إلى نوفمبر 1954م، و عندما حدث

¹ - نفس المرجع، ص 43.

² - عواطف عبد الرحمن، نفس المرجع، ص 44.

الانشقاق في حركة انتصار الحريات الديمقراطية في أوت 1954م أصبح للمصاليين صحيفتهم وهي الجزائر الحرة، أما المركزيون فقد استأثروا بصحيفة الأمة الجزائرية.

3- الحزب الشيوعي الجزائري:

كان يصدر صحيفة ألبيري ريببليكان *Algérie Républicaine* وكانت في البداية صحيفة أسبوعية، ثم أصبحت يومية و قد صادرتها سلطات الاحتلال سنة 1957م، بعد انضمام بعض أعضاء الحزب الشيوعي إلى الثورة¹.

حيث أصبحت كل الأحزاب تؤمن بفكرة الاستقلال و تطالب بالسيادة الوطنية كمطلب عام ، وكان لكل حزب جريدة تنطق باسمه و تشرح موقفها من الاستقلال، فقويت بهذا الصحافة الوطنية و أصبحت متنوعة و ازداد عدد سحبها بصفة ملحوظة يقرب من مليون نسخة و استمر هذا النشاط هذه الفترة يقوي الوعي السياسي و يغذي القراء بجميع أنواع المعلومات التي تنمي فيهم الروح الوطنية و ضرورة التضحية في سبيل الاستقلال و لكن في سنة 1953 م و 1954م بدأت تظهر بعض الخلافات في صفوف الوطنيين آلت إلى الانقسام و أفقدت مصداقيته الأحزاب السياسية و صحافتهم و عجلت بقيام الثورة².

الصحافة الجزائرية أثناء الثورة المسلحة:

كانت الثورة في حاجة لإعلام ثوري يتماشى مع ما تنتجه المعطيات الراهنة و التطورات و النتائج التي تتحصل عليها الثورة و من ثمة فقد بدأت الثورة بالمنشور السياسي في الإعلام المسموع و المكتوب، و ذلك من خلال الحصص الإذاعية لصوت الجزائر، في البلدان الشقيقة و الصديقة، و من خلال الصحف و المجلات التي كانت تناصر الثورة الجزائرية و يمكن القول أن صحافة الاستعمار قد ساهمت كذلك في الدعاية للثورة³.

و نشير أنه عندما اندلعت الثورة المسلحة في الفاتح نوفمبر 1954م، كان الوضع الإعلامي في الجزائر تسوده سيطرة كاملة للصحافة الاستعمارية الفرنسية اليومية، وكانت الصحافة الوطنية عبارة عن بعض الصحف الأسبوعية التابعة للأحزاب السياسية الموجودة آنذاك أو الجمعيات الدينية أما جبهة التحرير الوطني التي كانت لها المبادرة والإشراف على القيام بالثورة و تنظيمها وتسييرها فإنها لم تكن لها صحيفة مكتوبة تنطق باسمها نظراً للظروف السرية التي كانت تعمل فيها وكانت

¹ - نفس المرجع السابق، ص 45.

² - عزى عبد الرحمن وآخرون، *عالم الاتصال*، الجزائر، الديوان الوطني للطبوعات الجامعية، 1991، ص 117.

³ - احمد حمدي، *مؤتمر الصومام ومهام الإعلام الثوري، الإعلام ومهامه أثناء الثورة*، الجزائر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، 1998، ص 84.

جبهة التحرير الوطني في الأشهر الأولى من الثورة تستعمل المنشورات للتعريف بموقفها أو التعامل مع الرأي العام، و أول منشور وزع هو منشور الفاتح نوفمبر الذي ظهر مع إطلاق أول الرصاص الأولى في ليلة أول نوفمبر، وكان القارئ يجد في الصحافة الاستعمارية اليومية رغم ما تنشره من الأكاذيب والأخبار المزيفة والدعاية المغرضة، و أخبار مقتضبة عما تشهده الجزائر من مواجهات دامية بين جيش التحرير الوطني و القوات الاستعمارية.

وبما أن السلطات الاستعمارية الفرنسية لم تكن تعرف بالضبط من كان وراء الثورة فإنها وجهت شكوكها في البداية إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية بقسميها المصالي والمركزي، فمنعت صحافتها الجزائر الحرة والوطن، اللتين كانتا تصدران باللغة العربية واللغة الفرنسية، وكان هذا المنع يساعد أهداف الجبهة التي تسعى إلى توحيد جميع الأحزاب وغياب هذه الصحافة يسهل نوعاً ما من مهمتها، وأخذت تبذل جهودها لتقنع الصحافة الوطنية الأخرى لتأييد موقفها أو للتوقف نهائياً، ليخلو الجو الإعلامي من منافس وطني لجبهة التحرير وقد تحقق هذا الهدف في مطلع سنة 1956 حيث توقفت عن الصدور جميع الصحف الأسبوعية التابعة للأحزاب السياسية بما فيها الحزب الشيوعي الذي رفض الانضمام إلى الجبهة، وكان هذا الحزب يشرف على جريدة يومية باللغة الفرنسية وهي جريدة "الجيري ريبليكان" (الجزائر الجمهورية)، التي كانت تمتنع خلافاً لليوميات الأخرى من التهجم على الثورة الجزائرية، ولهذا السبب منعت السلطات الاستعمارية من الظهور سنة 1955. و بعد هذا التطور الذي يساعد أهداف الثورة التحريرية وجه المسئولون في الجبهة غايتهم لإصدار صحف تنطق باسم جبهة التحرير الوطني و باسم الجزائر كلها، لأن الصحافة الجزائرية الأخرى التي كانت تصدر لم يكن لها صدىً كبيراً¹.

المطلب الثاني: الإستراتيجية الإعلامية لجبهة وجيش التحرير الوطني.

لقد كانت حاجة الثورة إلى إعلام ثوري إعلام جديد يتماشى وما نتجته المعطيات الراهنة و التطورات والنتائج التي تتحصل عليها الثورة، و من ثمة فقد بدأت الثورة بالمنشور السياسي باعتباره وسيلة إعلامية، و أشهره وأهمه على الإطلاق هو بيان أول نوفمبر و جاء بعد المنشور السياسي دور الإعلام المسموع و المكتوب و ذلك من خلال الحصص الإذاعية لصوت الجزائر في البلدان الشقيقة والصديقة و من خلال الصحف و المجالات التي تناصر الثورة الجزائرية و يمكن القول: بأن صحافة الاستعمار قد ساهمت من حيث لا تدري بنشر فكرة الثورة وذلك من خلال تهجمها الصارخ و تحريفاتها المكشوفة و تزييفها للوقائع و الأحداث².

¹ - محمد حمدان و آخرون، الموسوعة الصحفية العربية، مرجع سبق ذكره، ص88.

² - سلسلة المنتقيات، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الجزائر، نفس المرجع، ص84.

اندلعت الثورة الجزائرية بكل ما لديها من وسائل بشرية وإعلامية متواضعة مصووبة لإبلاغ رسالة الثورة إلى الشعب الجزائري أولاً، ثم إلى الشعب الفرنسي ثانياً، و إلى الرأي العام الدولي أخيراً، و قد جندت السلطات الاستعمارية الترسانة الإعلامية ووظفت الإمكانيات المادية الضخمة للتقليل من أهمية أحداث أول نوفمبر، و بذلك عملت وسائل الإعلام الفرنسية، لا سيما المكتوبة و المسموعة، بمختلف مشاربها و اتجاهاتها أن تزرع الشك في نفوس الجزائريين¹.

فكما هو معلوم أن الثورة بدأت في عدة أماكن من الوطن بعملية عسكرية بسيطة من جهة و بنشر و توزيع منشور أعلنت من خلاله جبهة التحرير الوطني عن ميلادها وعن بداية الثورة، و قد بدأ انطلاقاً مما سلف ذكره العمل الدعائي بواسطة الاتصال الشخصي الشفهي الذي كان يقوم به المناضلون عبر أنحاء التراب الوطني. و في الحقيقة فإن جبهة التحرير الوطني، استطاعت أن تتغلب على هذا الضعف بقدرتها التنظيمية في الأشهر الأولى من تأسيس خلايا في جميع القرى و المدن و في جميع الأحياء و في جميع الجهات من الوطن و تمكن من جهة أخرى جيش التحرير الوطني أن يكثُر من العمليات و أن يبرهن على قدرته و صموده و إرادته الفعالة، و كان هذا الوجود و هذا النشاط برهاناً على قوة جبهة التحرير الوطني و على قدرتها في التأثير على الرأي العام و هذه القدرة هي التي عوضت ضعف الوسائل وأصبحت أفكار و مواقف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية هي السائدة².

بحيث كانت جبهة التحرير الوطني مقتنعة منذ انطلاقة الرصاص الأولى للثورة أن الأسلوب العسكري لا يكفي وحده لإخضاع المستعمر لمطالبها المحددة في بيان أول نوفمبر من جهة، و تعبئة الجماهير و تنوير الرأي العام الدولي بالقضية الجزائرية من جهة ثانية، كما كانت الجبهة تدرك أهمية الإعلام و دوره في المعركة التحريرية، و أن نجاح الثورة يتوقف إلى حد كبير على الكفاح المسلح أولاً ثم على التنظيم السياسي ثانياً.

و هو ما أدى بجبهة التحرير الوطني بأن تدخل ميدان الإعلام بإمكاناتها الضعيفة للدفاع عن مبادئ الثورة و أهدافها، و تحطيم حصون الدعاية الاستعمارية المضللة للرأي العام الوطني و الدولي، و كان من بين الوسائل التي استعملتها جبهة التحرير الوطني في مجال الإعلام ما يلي:

أولاً: الإعلام الشفهي أو الإعلام المباشر:

كان الإعلام الشفهي أو الإعلام المباشر الأكثر انتشاراً و الأسرع تأثيراً في الرأي العام الوطني، و غالباً ما كان يوجه إلى المواطنين أثناء الاجتماعات التي يعقدها المرشدون السياسيون في

¹ - محمد خناوي، إعلام الثورة الجزائرية.. الحرب الأخرى لحركة التحرير الخالدة، جريدة العرب الأسبوعي الصادرة بتاريخ 11/ 11/ 2008، ص 10.

² - زهير الحداد، دعاية جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الجزائر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، 1998، ص 36.

المداشر والقرى قصد إطلاعهم على انتصارات جبهة التحرير الوطني على الصعيدين السياسي والعسكري، و تزويدهم بالتعليمات الصادرة من الجبهة، و بخصوص مقاطعة الإدارة الاستعمارية بالإضافة إلى جمعهم معلومات عن تحركات العدو و عملائه و خططه و نقلها إلى قادة الثورة في قالب نظامي محكم لإبطال مفعولها و الرد عليها في الوقت المناسب والوسائل الملائمة¹.

ثانياً: الرسائل.

لقد كانت الرسائل المكتوبة تسير جنباً إلى جنب مع الرسائل الشفهية أو الإعلام الشفوي حيث كانت الجبهة توجه رسائل شخصية متعددة، من بينها رسائل موجهة للفئات التالية:

- المتعاونون مع العدو: تحذرهم بواسطتها من خطورة ذلك على الشعب وعلى حياتهم معاً، وأحيانا تطلعهم على الحكم الصادر ضدهم ، و وقت تنفيذه.
- الجنود المنضمون في صفوف الجيش الاستعماري: تحث من خلالها المرتزقة على الخصوص من الجنود الأجانب على مغادرة صفوف الجيش الفرنسي و الرجوع إلى أوطانهم.
- المعمرون: تطالبهم فيها بالإعانات المالية و عدم التعرض لمناضلي الثورة، و إذا لم يمثلوا لتعليماتها فإنها ستعاملهم معاملة الخونة و ستنفذ فيهم الحكم الذي تصدره عليهم محاكم الثورة².

ثالثاً: المنشور.

المنشور هو الورقة التي تحتوي على موضوع من المواضيع و توزع على الناس مجاناً من أجل إطلاعهم بشيء أو إطلاعهم على حدث من الأحداث و هذه الورقة التي نسميها (منشوراً) تكون من ورق عادي حجم (27/21 أو 31/21) وتكتب على وجه واحد أو على الوجهين حسب قصر الموضوع أو طوله و في العادة لا يتعدى الورقة الواحدة إلا أنه إذا تعداها إلى ورقتين أو أكثر فإنه يصبح نشرة و ليس بمنشور. كذلك فإن المنشور ينقسم إلى نوعين (المنشور السياسي و المنشور التجاري)، و هذا النوع الأخير لا يهمنا كثيراً³.

رابعا : الإعلام الموجه من خارج الجزائر.

لقد كان الإعلام على الصعيد الخارجي يتم بواسطة التصريحات التي يدلي بها ممثلو الجبهة، وكذلك من خلال الندوات الصحفية التي كانوا يعقدونها في مختلف العواصم الأجنبية فكان ما يدلي به هؤلاء ينشر في الصحافة الدولية كلياً أو جزئياً أو يعلق عليه.

هكذا استغل ممثلو جبهة التحرير الوطني في الخارج وسائل الإعلام في البلدان الشقيقة و الصديقة لإبراز الانطلاقة و التعريف بالثورة التحريرية و أبعادها الحقيقية، حيث واجه ممثل جبهة

¹ - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى 1954-1956 ، نفس المرجع. ص130.

² - نفس المرجع ، ص131.

³ - أحسن بومالي، نفس المرجع، ص132.

التحرير الوطني الذي كان يشرف على الإعلام الموجه من (إذاعة صوت العرب) بالقاهرة الدعاية الفرنسية الكاذبة، التي حاولت أن تقلل من الصدمة التي أحدثتها انفجار الثورة بعنف في أوساط الرأي العام الفرنسي بصفة خاصة. فما إن حل مساء أول نوفمبر 1954 حتى كانت (إذاعة صوت العرب) تعلن بقوة عن اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية و تسمع العالم نشيد الأحرار الجزائريين. **من جبالنا طلع صوت ***** الأحرار ينادينا للاستقلال**

و قد قام ممثل الجبهة بالقاهرة بأول تعليق له من (إذاعة صوت العرب) بعنوان " الثورة تنفجر في الجزائر" يقول فيه: "إن حركة المقاومة في المغرب العربي قد دخلت اليوم مرحلة حاسمة و فعلا فإن حركة الفرق الجزائرية المسلحة قد التحقت لتدعيم الجبهة التي تكافح الامبريالية الفرنسية في جميع الشمال الإفريقي، و قد اختارت هذه الفرق اليوم الأول من نوفمبر للانطلاق بمرتكبها الجديدة و أهما عقدت العزم على مواصلة الكفاح المسلح حتى يتم تحطيم الاستعمار تحطيماً شاملاً و القضاء على طغاة الاستعمار الذين فرضوا على بلادهم منذ 124 سنة¹. و هكذا فقد لعب الإعلام غير المباشر الذي احتضنته في مطلع الثورة إذاعات محدودة من الدول الشقيقة و الصديقة لعب دوراً كبيراً في إبلاغ صوت الثورة الجزائرية إلى الرأي العام الوطني و الدولي².

إذا كان الإعلام يشغل حيزاً أساسياً في العمل السياسي، فإن الحاجة إليه تزداد إذا كانت الحركة السياسية التي تبنت العمل السياسي تخوض معتركاً كبيراً ومصيرياً مثل حرب التحرير الوطنية فإلى جانب البرنامج السياسي و المنحى الفكري الذي تستند إليهما الثورة، فإن الأمر يتطلب إعلاماً خاصاً ليكون المعبر عن أهداف الحركة و آرائها، و ليضطلع بمهمة إقناع و تعبئة الجماهير و مواجهة الدعاية المضادة، فقد اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954م في وقت كان فيه إعلام الاستعمار الفرنسي يمارس دعايته المضللة ضد المجاهدين و ثورتهم، و لذلك كان لابد من إعلام ثوري يؤدي المهام السياسية الآتية:

1- يكون حلقة وصل بين الثورة والشعب و يعلم المواطنين حقيقة ما يجري من صراع مسلح مع الاستعمار الفرنسي.

2- تعبئة الجماهير الشعبية لكي تساند الثورة مادياً و معنوياً.

3- تحصين المواطنين الجزائريين من الإعلام الفرنسي و حربه الإيديولوجية.

4- نقل صورة الثورة إلى العالم الخارجي³، و الذي يمكن تقسيمه إلى جهتين:

5- جبهة خارجية في فرنسا من أجل كسب الرأي العام الفرنسي.

¹ - نفس المرجع السابق، ص 136.

² - نفس المرجع، ص 137

³ - أحمد حمدي، الثورة الجزائرية والإعلام، دراسة في الإعلام الثوري، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 39.

6 - جبهة عالمية لكسب الرأي العام الدولي¹.

و لقد شهد إعلام جيش و جبهة التحرير الوطني مرحلتين مهمتين :

مرحلة 1954-1956 م :

لم يكن في هذه المرحلة صحافة خاصة بالثورة حيث بدأت جبهة التحرير الوطني نشاطها الإعلامي بواسطة المنشور، و هي ورقة مطبوعة على "الرونيو"، و يوزعها المناضلون حسب مجهودهم الخاص نظرا لان الصحافة تخضع لشروط أساسية كالمطبعة و الورق و شبكة التوزيع و كان ذلك صعبا في مطلع الثورة التي تتطلب نوعاً من السرية، و نظراً لأن جبهة التحرير كانت تدرك الأهمية الخاصة التي يكتسيها الإعلام، خاصة في ذلك الظرف، فإنها أعطت الفرصة لمختلف المناطق كي تصدر نشراتها و بذلك ظهرت النشريات التالية عبر المناطق الخمسة للثورة وهي كما يلي:

المنطقة الأولى : نشرة "الوطن".

المنطقة الثانية: نشرة "الجبل".

المنطقة الثالثة: نشرة "النهضة".

المنطقة الرابعة: نشرة "حرب العصابات".

المنطقة الخامسة: نشرة "صدى التطيري".

كان لهذا النشريات أثرها البالغ في إذاعة الأنباء عن الثورة و المعارك و إعلام الجماهير عما تشهده الساحة الوطنية من مواجهات بين جيش التحرير الوطني و الجيش الاستعماري بواسطة المرشدين السياسيين. و نشرة الوطن التي أصدرتها قيادة الأوراس حين كانت المعارك في ذروتها سنة 1955م، ساهمت بحظ وافر في تغطية أنباء النضال و المعارك، و كان لها الفضل في عرض آراء أفكار بعض الثوار في مجمل القضايا المحلية كما دعت المواطنين إلى الثورة بأسلوب تعبوي مشحون بالحماس و الآمال العريضة، و قد تحدثت مجلة "الجهاد" فيما بعد عن وقع النشرة على نفوس الحاضرين الذين تلقوها فنقول: " تخطفها الأيدي الست الحاضرة ثم وقع الاتفاق على قراءتها جماعيا و لم ينته اليوم حتى كانت النسخ القليلة التي حملها الرسول قد جابت أنحاء المدينة، تتكون حولها في هذا المنزل أول ذاك حلقات خشوع"². و بذلك تكون قيادة الثورة بالعاصمة قد أدركت ذلك

¹ - أحمد حمدي، مبادئ الإعلام والدعاية لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقاتها في صحيفة الجهاد من سنة 1956 إلى 1962، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 1985، ص159.

² - أحمد حمدي، مبادئ الإعلام والدعاية لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقاتها في صحيفة الجهاد من سنة 1956-1962، مرجع سبق ذكره، ص 163.

الإلحاح من الجماهير العريضة، على المزيد من النشرات، و الطلب على معرفة أنباء الثورة وأخبار المارك¹، و هو ما كان بداية المرحلة الثانية من مراحل الصحافة الثورية.

مرحلة من 1955 إلى سنة 1962م: قررت جبهة التحرير الوطني ابتداء من سنة 1955م، إصدار صحف ناطقة باسم الثورة، فأصدرت إحداها في فرنسا و الثانية في تطوان بالمغرب و الثالثة بتونس، و سميت هذه الصحف الثلاث باسم واحد هو "المقاومة الجزائرية" وكانت تطبع باللغة العربية و الفرنسية، و تظهر في شكل صحيفة عصرية حجمها 61 X 41سم ثم أصدرت صحيفة رابعة في مدينة الجزائر في جوان 1956م باللغة العربية و الفرنسية تحمل اسم "المجاهد"، وكانت تطبع على الرونيو و لها شكل كراس، غير أن ظهورها لم يكن منتظماً نظراً للظروف السرية و الوضع الثوري الموجود في الجزائر، و في سنة 1957م بعد الإضراب الأسبوعي و خروج أعضاء قيادة الثورة من الجزائر، قررت هذه الأخيرة توحيد الصحافة الثورية و إعطائها نفساً قوياً²، فجمعت جهودها الصحفية داخل صحيفة واحدة و قررت وقف إصدار "المقاومة الجزائرية" بجميع طبعاتها في فرنسا و تطوان، و استئناف إصدار جريدة "المجاهد" في شكل صحيفة أسبوعية تتضمن ما بين 8 و 16 صفحة، صدرت السلسلة الأولى منها بتطوان و منذ شهر أكتوبر 1957م انتقل صدورها إلى تونس و استمر إلى غاية الاستقلال³.

و قد جاء في افتتاحية العدد الأول لجريدة المجاهد ما يلي: "ستكون المجاهد بالإضافة إلى جريدة المقاومة الجزائرية اللسان الناطق المأذون له أن يتكلم باسم جبهة التحرير الوطني كما سيكون المرأة التي تنعكس فيها نشاطات جيش التحرير الوطني وستتبوأ المجاهد مكانتها لتكون سمع الرأي العام و بصره و صوته و لتزود الشعب بالأخبار الحقيقية فتكون صلة الوصل بينه و بين مجاهدي جيش التحرير الوطني"⁴

و يرى بعض المحللين السياسيين أن التنظيم العسكري و السياسي الحقيقي، و الإعلامي خاصة، و حتى الدبلوماسية بدأ بعد انعقاد مؤتمر "الصومام" في 20 أوت 1956م، إذا أن المؤتمر إحداث تغييرات جذرية سواء في الميدان السياسي و العسكري و حتى المخبراتي والاتصالي، الذي كان في بدايته، و من هذا المنطلق، صارت الثورة الجزائرية و على رأسها الإعلام تلعب دوراً حساساً و رئيسياً يتمثل في التصريحات الرسمية التي كان يدلي بها ممثلو الجبهة آنذاك، وكذلك الندوات الصحفية التي يعقدونها في مختلف العواصم الأجنبية.

1- أحمد حمدي، الثورة الجزائرية والإعلام، مرجع سبق ذكره، ص66.

2- زهير الحداد، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص45.

3- محمد حمدان و آخرون، موسوعة الصحافة العربية، مرجع سبق ذكره، ص89.

4- محمد ختاي، نفس المرجع، ص89.

4- نفس المرجع، ص10.

كما استغل ممثلو الثورة في الخارج وسائل الإعلام في البلدان الشقيقة و الصديقة للتعريف بالثورة الجزائرية و بأهدافها و أبعادها الحقيقية، فقد نظمت الجبهة برامج إذاعية بعنوان "صوت الجزائر" باللغة العربية من الرباط و تطوان و طنجة بالمغرب الأقصى، و أيضاً في القاهرة، علماً أن إذاعتي القاهرة و تونس، كانتا أولى الإذاعات العربية التي خصصت برامج محددة في فترات ثابتة لاذعة أخبار الثورة الجزائرية.

و هكذا تمكنت المقاومة الجزائرية بفضل حربها الإعلامية والدعائية و توجيهها من قبل القادة السياسيين و الدبلوماسيين المحنكين في الداخل و الخارج ، في ظرف قصير، أن تحقق رواجاً و انتشاراً كبيراً عبر العالم بفضل كل الوسائل الإعلامية المتاحة لها لإبلاغ الرأي العام الداخلي و الخارجي بما يجري في الجزائر من حقيقة الأحداث، و في المقابل كانت الإدارة الاستعمارية و من خلال وسائل إعلامها المتعددة وتصريحات قادتها في الداخل و الخارج تحاول أن تبرهن للعالم أن الثورة الجزائرية ليست كما يظن البعض ثورة قومية مستندة على حوار وطني و إنما هي عصيان مدني و تمرد عصابة أشرار مدفوعة من الخارج.

إلا أن هذه المغالطات بدأت مع مرور الزمن والحرب الإعلامية للمقاومة الجزائرية ينكشف أمرها عندما اعترفت بعض الصحف مثل جريدة "لوموند" الفرنسية التي صرحت أن الإدارة الفرنسية كانت مضطرة إلى التمسك بهذه الذريعة أي المؤامرة الخارجية، و ذلك من أجل الدفاع عن ملفها أمام هيئة الأمم المتحدة بكل ما لديها من وسائل، و من حملتها بالطبع اتهام الثورة الجزائرية بالشيوعية و الخطر الدائم على الليبرالية و الديمقراطية، و هو اتهام يدعّم موقفها أمام حلفائها و الدول الأخرى المناهضة للشيوعية، كالولايات المتحدة الأمريكية و الدول الغربية التي تنظر إلى نفس المنظور و تسير في فلكها¹.

كانت للثورة الجزائرية إستراتيجية إعلامية منذ البداية، فرغم أن الاستعمار الفرنسي كان يمتلك إعلاماً بمقاييس عالمية إلا أن الثورة استطاعت أن تحقق نصراً إعلامياً تلو الآخر رغم أن الوسائل التي كنا نستعملها أقرب إلى البدائية، فالمسألة في النهاية ليست تقنية فقط، بل الإستراتيجية الإعلامية ينبغي أن تبني في إطار عمل سياسي شامل، خاصة إذا كانت القضية التي يدافع عنها عادلة و هو ما جعلنا بتلك الوسائل نتغلب على الاستعمار بترسانته المعروفة، مرة قال الرئيس الراحل هواري بومدين بشأن الإعلام الجزائري الذي كان يمثل "صوت الجزائر"، في إذاعة "صوت العرب" من القاهرة، إنه لعب دوراً يمثل 50 بالمائة من الثورة نفسها، و لو أن ذلك التصريح كان من باب الدبلوماسية إلا أنه كان يعبر عن التأثير الإعلامي الكبير في مسيرة الثورة، أن تأثيرها كان كبيراً،

¹ - نفس المرجع، ص10.

فقد أبرزت الطابع الإنساني للثورة الجزائرية، و بالمقابل استطاعت أن تبين الوجه البشع للاستعمار الوحشي، رغم أنها لم تكن تتوفر على طاقات صحفية كبيرة إلا أنها لم تكن تواجه صعوبات من ناحية الأقلام التي كانت تكتب، فالصدق ونبيل القضية هو الأهم في هذا الشأن¹.

المطلب الثالث: جريدة البصائر محور موازي للثورة التحريرية.

إذ كانت جمعية العلماء المسلمين تسعى إلى تحقيق الشعار الذي تعهدت بتحقيقه على أرض الواقع بالفعل " فجمعية العلماء جاءت لتحرير العقول وعندما حررت العقول كان من السهل فيما بعد أن تحرر الجزائر. " حيث أنه قبل العشرين أوت 1955م كان بعض عناصر الجمعية يخفون نشاطهم السياسي مع قادة الثورة، و المتمثل في النشاط الدعائي، خاصة في الأوساط الإصلاحية البعيدة عن التحرش الفرنسي، و ازداد هذا النشاط بعد إعلان الجمعية موقفها الرسمي المؤيد للثورة و نذكر بالخصوص العربي التبسي الذي رفض فكرة الخروج من الجزائر، و طلب من أعضاء الجمعية أن يساندوا الثورة و يقوموا بواجباتهم تجاهها، إما بالانضمام إلى جيش التحرير، أو بخدمة الجبهة مع الاستمرار في مهنة التعليم. ففي المجال الدعائي، استغلت الجمعية مساجدها و مدارسها و نواديها لهذا الغرض، حتى لا يكون مشكوك فيها، و إن كان تلميحاً بطريقة غير مباشرة²، فلا يعني أن نعمم الحكم على كل المدرسين والأئمة، فهناك من بقي بعيداً عن الثورة دون التحريض ضدها³.

و من أهم وسائل الجمعية التي استعملتها في دعايتها جريدة البصائر، التي كتب عنها الإبراهيمي مقال بعنوان "المطبعة والمدفع"، حلل فيه دور الإعلام و أهميته، و دعا فيه الأمة إلى مساعدة البصائر مادياً ومعنوياً، حين قال: "إن المطبعة تفوق في أثرها على الأمة وعلى الاستعمار من المدفع"، كما ذكر أن البصائر رسالتها و واجبها "تبليغ الأمة بأحوالها والدسائس التي تحاك ضدها و عدت ذلك جهادا مقدسا يجب عليها أن تصبر و تتحمل مشاقه حتى تقوم بواجبها على أكمل وجه". و إذا كانت صحافة الجمعية وخاصة البصائر، قد أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن حقوق الجزائريين، و فضح أساليب الاستعمار، فإنها وجدت بعد ذلك في حوادث الثورة، ما يساعدها أكثر على أداء واجبها في الدعاية لصالح الجزائريين و ثورتهم، رغم الظروف الصعبة حين قالت: "و هذا القلم الذي شحذ في سبيل الوطن، لن يسكت إلى أن يسقط شهيدا في ميدان الحق أو يخر صريعا في ميدان التحرير"⁴.

¹ - أحمد مهساس على الرابط: <http://www.Ahmadmahsas.nom.dz/djazairnews>

² - أحمد بن ذياب، مجلة الأصالة، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية، العدد8، ماي- جوان 1972، ص 271.

³ - عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1995، ص 195.

⁴ - البصائر ، العدد 316 ، بتاريخ 29 أبريل 1955، ص 1.

و رغم أن البصائر لم تنشر قبل 20 أوت من عام 1955م ما يدعوا إلى مساندة الثورة و الجبهة بصورة واضحة فإنها في نفس الوقت كانت تتعاطف مع الثورة: فعن طريق البصائر أصبح للثورة دعاية صحفية، في وقت ظلت فيه الثورة ولغاية 1956م بدون دعاية خاصة بها لا على نطاق ضيق، و في هذا الصدد يقول أحد كتاب البصائر: "يجب أن أصارح أمي وقومي بحقيقة مرة لا ريب فيها وهي أن لسان دعايتنا المضادة مفقودة بالمرة، فحقائقنا الساطعة تطمس في سائر البلاد الأوروبية والأمريكية، فلا يراها ولا يسمعها أحد، و نضالاتنا وصفحات بطولاتنا النادرة، تشوه و تسود بأيد مفروضة غير شريفة"¹.

مقاومة الدعاية الفرنسية:

و نظرا لاستغلال فرنسا سرية الثورة وجهلها من قبل معظم الشعب الجزائري، راحت تدس الأكاذيب في مصداقيتها، إذ نفت عنها صفة الوطنية، بعد أن استغلت صوت العرب و بعض المذيعين التونسيين، و اهتمت الثورة بأنها أفكار من وحي خارجي، و بأن الشعب الجزائري لم يكن يفكر في الثورة²، كما وصفت رجال الثورة بأنهم خارجون عن القانون، و مجرد قطاع طرق، ليس لهم أي علاقة بالفعل التحرري، حين صرح الوالي العام سوستيل قائلاً: "يزعم الخارجون عن القانون، أنهم جيش تحرير وطني، لكن تحريرهم عبارة عن سفك دماء بني جلدتهم المسلمين واعتدائهم على الآمنين"³.

هذا الأمر لم يرق البصائر التي ردت و بحزم عل هذه الادعاءات، معتبرة أن هذه الأحداث لم تمل من الخارج بل كانت نتيجة تضافر جهود الجزائريين، الذين لم تعجبهم تصرفات فرنسا الحضارية، و لا سياستها الاستعمارية، و لا تصرفات المعمرين على الأخص، و إن هدفها ليس إصلاح أحوال الشعب الاجتماعية، بقدر ما هي ثورة تحرير و تقرير المصير، كما حملت البصائر على كاهلها رفع معنويات الشعب، مفندة إدعاءات فرنسا بأنها قضت على الثورة، و أنها في طريق الزوال، مؤكدة أن الثورة باقية مادامت فرنسا لم تحقق ما قانت لأجله، و مؤكدة أن الفرق العسكرية في الأوراس، و بلاد القبائل لها من القوة ما يجعلها قادرة على الاستمرار، مستدلة في ذلك بالحوادث التي قامت في الأوراس، و أحداث 20 أوت 1955م بالشمال القسنطيني كما نفت البصائر كل فعل شنيع ينسب إلى الثوار حين قالت: "و نستنكر ما نسب إلى الثائرين من قتل النساء و الأطفال، و التمثيل بالبحث، فذلك أمر مخالف لمصلحة الوطن، و خارج عن تعاليم الإسلام"⁴.

¹- البصائر، العدد 360، بتاريخ 28 مارس 1956، ص1.

²- البصائر العدد 292، بتاريخ 05 نوفمبر 1954، ص1.

³- البصائر العدد 320، بتاريخ 27 جوان 1955، ص7.

⁴- البصائر، العدد330، بتاريخ 26 أوت 1955، ص1.

و عندما عمدت الدعاية الفرنسية إلى شن حرب نفسية على الشعب الجزائري وعلى القائمين بالثورة بتأكيداتها المتواصلة على أن الثورة في طريقها إلى الزوال و أن الجيش الفرنسي سيقضي على آخر المعقل المتبقية في الأوراس نجد البصائر قد تصدت إلى هذه الدعاية محاولة رفع معنويات الشعب والثوار معا، مذكرة أولا بأن سياسة استعمال القوة لإخماد الثورة هي سياسة خرقاء لا تحل المشكل الجزائري، لأنها حتى في حالة القضاء على الثوار و هو أمر مستبعد حسب البصائر فيما يظهر فإن حوادث الثورة و العصيان ستظهر من جديد ما دامت أسبابها ما زالت موجودة و أولها النظام الاستعماري¹، و مؤكدة بعد ذلك أن الفرق الثائرة بالأوراس وبلاد القبائل لها من القوة والحنكة السياسية ما يجعلها قادرة على الاستمرار وإلحاق خسائر معتبرة للسلطات الفرنسية مستدلة على ذلك باستمرار الحوادث رغم العمليات التي قام بها الجيش الفرنسي في الأوراس، و بفرض حالة الطوارئ في بعض المناطق إذ لولا قوة الثوار و شعبيتهم لما كان هناك مبرر لذلك².

و قد حاولت الدعاية الفرنسية تشويه بيان العلماء الصادر يوم 7 جانفي 1956م لتجعلهم إلى صالحها، حيث أهملت كل فقراته التي تدعو إلى مساندة الثورة و الاعتراف بجمهية التحرير كمثل و حيد للشعب الجزائري، و اهتمت فقط بفقرته الأخيرة التي فسرتها تفسيراً مغلوطيناً زعمت فيه أن جمعية العلماء تدعو إلى السلم و الصبر و إطاعة القوانين الفرنسية و نبذ العنف و أصحابه فردت عليها البصائر رداً جريئاً و صريحاً مذكرة أنها متفقة مع جمهية التحرير و مؤيدة للثورة و فندت دعاية أخرى للسلطة الفرنسية القائلة بان الجمعية قد استقبلت رئيس الحكومة "إدغار فور" ردت البصائر: "إن جمعية العلماء لم تفعل ذلك مطلقاً، و أن الذين نظموا مراسيم الاستقبال لم يدعوا جمعية العلماء، نظراً لوضوح موقفها، بل العكس لم تتحمس لإصلاحات إدغار فور، ولا الوالي العام سوستيل، رغم أن الإصلاحات التي اقترحتها هذه الحكومة، قد دعت إليها الجمعية في وقت مضى، كفصل الدين عن الدولة، و جعل اللغة العربية لغة رسمية ثانية، و إلزامية فتح المجال أمام الجزائريين لتقلد المناصب العليا في الوظائف العمومية".

و الملاحظ أنه حتى في الحالات التي تعرضت فيها بعض الشخصيات السياسية الجزائرية من النواب أو من مناضلي حزب البيان و جمعية العلماء و غيرهم لعمليات اغتيال أو محاولات الاغتيال من قبل رجال الثورة، و التي استغلتها الدعاية الفرنسية لتشويه صورة الثوار و وصفهم بسفاكي الدماء، فإن البصائر بقيت تدافع عنهم و ترد الدعاية الفرنسية كما حدث ذلك في هجوم عشرين أوت إذ برأت ساحة الثوار من مسؤولية الاغتيالات أو محاولات الاغتيال بقولها: "و نستنكر ما

¹ - البصائر، العدد 293، بتاريخ 12 نوفمبر 1954، ص 1.

² - البصائر العدد 315، بتاريخ 22 أبريل 1955، ص 1.

نسب للثائرين من قتل النساء والأطفال و التمثيل بالجثث، فذلك أمر مخالف لمصلحة الوطن و خارج عن تعاليم الإسلام"¹، و ذكرت أن ذلك من فعل الذين يجبون أن ينسبوا للشوار كل نقيصة أو من فعل بعض المندسين في الثورة من رجال الحكومة²، و لكن هذا لا ينفي أن تكون جمعية العلماء و قياداتها بالخصوص قد صدقت ما نشرته الصحف الفرنسية و لكنها تعمدت إخفاء الحقيقة و قوفاً عند المصلحة العامة للوطن، أو أن قيادة الثورة بالعاصمة وخاصة رمضان عبان قد أفهمهم أن ذلك من فعل العناصر المصالية المندسة في صفوف الثورة، وهو ما شاع فيما بعد.

فضح السياسة الفرنسية لحل المشكل الجزائري:

لقد اعتبرت البصائر تعريف الجزائريين بدسائس الاستعمار و مكائده ضدهم من أهم واجباتها و مبررات وجودها، و لذلك اهتمت به غاية الاهتمام خاصة بعد اندلاع حوادث الثورة حيث أوضحت سياسة السلطة الفرنسية للقضاء على الثورة و حل المشكل الجزائري و التي تركز على أساسين: القضاء على الحوادث عن طريق الدعاية و الحصار السياسي و الدبلوماسي و العسكري، ثم تقديم إصلاحات اجتماعية و اقتصادية³.

لقد فضحت البصائر و بينت فساد هذه السياسة التي اتبعتها الحكومة الفرنسية لحل المشكل الجزائري، لأنها بنيت على رؤى مغلوطة للمشكل الجزائري بتجاهلها لطبيعته السياسية و التحريرية، و تماديتها في اعتباره مجرد مشاكل اقتصادية و اجتماعية ستجد طريقها إلى الحل⁴، و بينت للحكومة الفرنسية و لرجال السياسة فيها وللرأي العام الفرنسي أن أي حل يتجاهل الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره و حرية بلاده فانه لا ينجح، كما أوضحت أن أسلوب القوة و فكرة التغلب العسكري، مع ضعف احتمال قدرته في القضاء على الثائرين فإنه زيادة إلى ذلك لا يحل المشكل بل يعقده أكثر و يدفع بالشعب كله إلى الثورة من جديد، و استدللت على ذلك ببعض آراء المفكرين و الصحفيين الفرنسيين⁵.

أما فيما يخص قانون الطوارئ و المسؤولية المشتركة فعارضته و أشادت بمواقف النواب الذين وقفوا ضده، كما قامت بحملة دعائية واسعة للتبديد بعمليات الإيقاف و السجن و الاعتقالات، و جمع الجزائريين في المحتشدات، و ذكرت الشعب الفرنسي بالخسائر الفادحة التي ستنتج عن هذه العمليات و عن السياسة الفرنسية ككل على المستوى السياسي و الاقتصادي⁶، و كانت البصائر

¹ - البصائر، العدد ، 330 ، بتاريخ 26 أوت 1955، ص1.

² - البصائر، العدد 331 ، بتاريخ 02 سبتمبر 1955، ص1.

³ - البصائر، العدد 320، بتاريخ 27 ماي 1955، ص1.

⁴ - البصائر، العدد 297، بتاريخ 17 ديسمبر 1954، ص3.

⁵ - البصائر، العدد 321، بتاريخ 03 جوان 1955، ص8 و العدد 303 ، 28جانفي، ص1.

⁶ - البصائر، العدد 345، بتاريخ 16 ديسمبر 1955. ص1.

تري أن المعمرين هم من يُعرق حل الأزمة الجزائرية، لذلك حاولت توجيه الرأي العام الفرنسي للضغط على حكومته بإعلامه أن تقوم به السلطة هو لصالح المعمرين فقط مع أنه يتم باسم الشعب الفرنسي كله¹، و لعله ضمن هذه الغاية تندرج قضية دخول عناصر من الجمعية في مفاوضات مع جاك سوستيل و هي محاولة لتقوية موقفه أمام المعمرين.

و لكن رفض الثورة الواضح لسياسة هذا الأخير والذي عبرت عنه هجومات 20 أوت 1955 و ما تبعها و ظهور عجز الحكومة الفرنسية أمام المعمرين وخاصة الولاية العامة جعلت جمعية العلماء و جريدتها البصائر تقلع عن أي مساندة للسياسة الفرنسية و أصبحت تعارضها و صرحت أن الحل الحقيقي هو الاعتراف بالذاتية الجزائرية و التفاوض بعد ذلك مع ممثلي الثورة حول مستقبل العلاقات بين البلدين²، و جاء في برقية لها إلى المجلس الفرنسي أن "جمعية العلماء ترى من واجبها لفت نظركم قبل تصويت المجلس الوطني الفرنسي عن القضية الجزائرية، أن سياسة الإصلاحات غير اللائقة قد تعدتها الحوادث بصفة عظيمة، أما سياسة الامتزاج التي تقاومها الجزائر في شبه إجماع فهي مخالفة لتعاليم الدين، فالسياسة الواقعية الواجبة الإلتباع هي سياسة الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري و إرضاء رغباته بالمفاهمة الصادقة مع ممثليه الحقيقيين"³.

والحق أن معارضة البصائر وجمعية العلماء لسياسة الإصلاحات و لمشروع الامتزاج طرح جديد- أي بالمحافظة على الصبغة الدينية و الثقافية للجزائريين- لم تأت بعد حوادث أوت 55 بل قبل ذلك، حيث لم تتحمس لإصلاحات "إدغار فور" و الوالي العام "سوستيل" رغم أنها أقرت بفصل الدين عن الدولة و جعلت اللغة العربية لغة رسمية و إلزامية في كل المدارس الحكومية و فتحت المجال أمام الجزائريين لتقلد المناصب العليا في الوظائف العمومية و هو ما كانت تدعوا إليه الجمعية من قبل⁴، و لعل أهم ما وُفقت البصائر إليه في دعايتها، أنها ساهمت في إقناع الرأي العام الجزائري و الفرنسي بأن سياسة الحكومة الفرنسية المتبعة هي لصالح المعمرين فقط، و استبدلت على ذلك بإسقاطهم لحكومة "إدغار فور"، و معارضتهم لرئيس الحكومة الجديدة "قي مولي"، خاصة بعد استقباله بالمظاهرات الصحابة⁵، كما استبدلت بفرار الشبان الفرنسيين من الجندية بفرنسا لأهم لأنهم يعتبرون العمل مع الجيش الفرنسي بالجزائر هو خدمة لمجموعة المعمرين فقط و ليس لفرنسا

1 - البصائر، العدد 309، بتاريخ 11 مارس 1955، ص 1.

2 - البصائر، العدد 338، بتاريخ 12 أكتوبر 1955، ص 1.

3 - نفس المرجع، ص 1.

4 - البصائر، العدد 325، بتاريخ 21 جوان 1955، ص 6.

5 - البصائر، العدد 355، بتاريخ 24 فيفري 1956، ص 1.

و للشعب الفرنسي¹، كما استدللت بالانتخابات التشريعية بفرنسا التي جرت في 06 جانفي 1956 و التي أظهرت فوز الاشتراكيين المعارضين للكولون².

و كانت البصائر قد عملت في وقت مبكر على مناقشة الرأي العام الفرنسي و ضميره الحي الذي تمثله شخصيات شهيرة في عالم الأدب و الفكر و السياسة لكي يقف ضد الجرائم الوحشية و الأعمال الفظيعة التي ترتكب باسمه في الجزائر كتلك المحتشديات و قانون المسؤولية الجماعية و حرق قرى بأكملها، و من ذلك البيان الذي أرسله معلموا المدارس العربية الحرة إلى الرأي العام الفرنسي و مما جاء فيه: "إننا نعتقد الجزائريين أن الضمير الفرنسي لا يمكن أن يبقى جاهلا هذه الولايات و هذه الجرائم المنكرة التي تُقترف باسمه، و يرتكبها نظام استعماري فظيع و ما ذلك إلا ليخلد سلطانه على هذا الشعب الذي لا يصبوا إلا لحياة كريمة حرة شريفة، إننا لا نستطيع أن نُصدق بأن هذه الجرائم و هذه المنكرات قد علمها الشعب الفرنسي فصادق عليها و أقرها"، ثم يدعوا في الأخير الشعب الفرنسي للوقوف الموقف المشرف الذي يوجب عليه ماضيه و ذلك بتهيئة الظروف التي تسمح بإجراء مذكرات مع ممثلي الشعب الحقيقيين³.

تتبع أخبار الحوادث و عمليات الثائرين:

إن المتتبع لجريدة البصائر في أعدادها الصادرة طيلة عام و نصف من عمر الثورة يجد أنها قد وفت بعهدتها الذي قطعته مع قرائها في عددها الأول بعد اندلاع الثورة من أنها ستوليها اهتماماً كبيراً⁴، و تبلغ الأمة عن طريق قراء البصائر كل ما يجد من أخبار هذه الثورة مع تحري الدقة و الأمانة في النقل⁵، إذ خصصت البصائر عدة صفحات يغطيها ركن "يوميات الأزمة الجزائرية" لتعالج فيه أخبار الثورة و مستجداتها على المستوى السياسي والعسكري داخلياً و خارجياً و كان ذلك بداية من يوم 27 ديسمبر 1954م مع العدد 298، كما جعلت افتتاحيتها أيضاً مجالاً لتعرض فيه رأيها عن المستجدات المتعلقة بالحوادث، و كانت تجمع هذه الأخبار من الصحف و الإذاعات الفرنسية و العالمية، و هو ما عابه عليها الدكتور العربي الزبيري - أنه كان بمقدورها أو في تناولها طرق أخرى- بقوله: "لم تكن تأتي بأكثر مما تأتي به الصحف الفرنسية دون أدنى تعليق"⁶، و الحق أنها زيادة إلى تشكيكها الدائم في بعض ما تتناقله الصحف الفرنسية فإنها كانت على البعض الآخر صراحة و ترد على الدعاية الفرنسية المغرضة كما سبق، و إن فائدة ما تجمعها

¹ - البصائر، العدد 348، 1956/01/6، ص1.

² - نفس المرجع، ص1..

³ - البصائر، العدد 25، 307، 25 فيفري 1955، ص8.

⁴ - البصائر، العدد 292، بتاريخ 05 نوفمبر 1954، ص1.

⁵ - البصائر، العدد 25، 298، ديسمبر 1954، ص8.

⁶ - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سبق ذكره، ص187.

البصائر من الصحف الأخرى ليس في إتيانها بالجديد وإنما في حشدها وجمعها للحوادث وأخبارها أسبوعيا في عدة صفحات من جريدتها مبنية حسب طبيعتها السياسية والعسكرية و حسب العملات مما يؤكد أن الجزائر في حالة ثورة وحرب حقيقية عامة و شعبية و أن هذه الحوادث مؤثرة داخليا وخارجيا على السلطة الفرنسية، التي بقيت تكابر وتنفي صبغة الحرب على الثورة الجزائرية إلى حتى بعد الاستقلال.

وبعد أن بسطت الجريدة الحديث عن حوادث أول نوفمبر وأسبابها وآثارها وآثارها ركزت فيما تلى من أعدادها على تتبع الحوادث العسكرية للثورة في كل من الأوراس و تبسة و منطقة القبائل والشمال القسنطيني ملمحة إلى المعارك الكبرى و خسائر الفرنسيين فيها، فتذكر أنه في جانفي 1955م وقعت معركة على الحدود التونسية وأخرى بقم الطوب بالأوراس قتل فيها أربع جنود و ليوتنان و حرق عربة نقل عسكرية¹، في كمين للثوار الذين قضوا عليها كلية وتذكر البصائر أن المعارك لم تنقطع طيلة شهر فيفري، رغم أن السلطات الفرنسية قد شرعت منذ جانفي 1955م في شن هجوم عسكري و عملية تمشيط واسعة بالأوراس²، و استمرت خلال الشهر التالية، ففي شهر أفريل مثلاً و قعت معارك كبيرة في خنشلة و مكسيانة و جبال الأوراس و النمامشة، قضى الثوار في إحدى هذه المعارك على قافلة عسكرية من ثلاث عربات كانت تحت حماية التيرايور الجزائري، مشيرة إلى أن مقاومة التيرايور الجزائري كانت ضعيفة، و هو ما جعل الأوربيون يهتمون بها كثيرا خاصة وأن أخ أحد الثوار كان ضمن حرس القافلة، مما يقوى احتمال تنسيقه مع الثوار³، أما في شهر ماي فقد اشتهرت منطقة تبسة بعدة معارك منها معركة قنطيس و معركة الجرف⁴.

أما في منطقة الشمال القسنطيني، فتشير الجريدة إلى وقوع عدة معارك خلال شهر أفريل في كل من السمندو - بلدية زيغود يوسف حاليا- و القرام و ميللة و الميليلة⁵. و قد تصدرت حوادث 20 أوت 1955 أخبارها ومارست دعايتها ضد فرنسا مشنعة ما قامت به السلطات من رد فعل و تجاوز للحدود و قتل الأبرياء و مبينة التفاف الشعب حول الثوار الذين أظهروا كفاءتهم و تصميمهم على تحقيق مطالبهم⁶.

¹ - البصائر، العدد 301، بتاريخ 07 جانفي 1955، ص8.

² - البصائر، العدد 307، بتاريخ 25 فيفري 1955، ص 8.

³ - البصائر، العدد 315، بتاريخ 22 أفريل 1955، ص8.

⁴ - البصائر، العدد 321، بتاريخ 03 جوان 1955، ص8.

⁵ - البصائر، العدد 316، بتاريخ 29 أفريل 1955، ص8.

⁶ - البصائر، العدد 330، بتاريخ 26 أوت 1955، ص 8.

أما ببلاد القبائل فحدثت عدة هجومات عسكرية على ثكنات الجندرمة و حراس الغابات و بيوت القياد والقومية - عملاء الاستعمار من الجزائريين - بغرض التصفية وأخذ السلاح¹ و أشارت البصائر إلى عودة العمليات العسكرية إلى منطقة وهران².

كما ركزت على العمليات التخريبية: فمنذ بدء معركة التحرير الوطني اتخذ جيش التحرير الوطني إستراتيجية حرب العصابات، القائمة على الهجومات الخاطفة و العمليات التخريبية، إدراكاً منه أن التغلب العسكري على الجيش الفرنسي أمر بعيد المنال، فعمد إلى فكرة تخريب و تحطيم هياكل الاقتصاد الفرنسي لزعزعة الاستقرار السياسي عند الفرنسيين، فلم تخل منطقة من هذه العمليات حتى التي لم تكن حركة الثورة نشيطة فيها عسكرياً كمنطقة وهران، و قد اشتهرت منطقة القبائل بعمليات التخريب و قد كانت تستهدف بالخصوص مزارع المعمرين، و الهياكل الحساسة كتحطيم مولدات الكهرباء و حرق خزانات البترين و قطع أسلاك الكهرباء و الهاتف و تحطيم الجسور و خطوط السكك الحديدية.

النشاط السياسي:

رصدت البصائر مختلف النشاطات السياسية و الدبلوماسية لمثلي الثوار و جبهة التحرير الوطني بالخارج و خاصة في مصر و ما أحرزته القضية الجزائرية من انتصارات دبلوماسية في المحافل الدولية و منظمة الأمم المتحدة، حيث ذكرت خبر إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي التي كانت تضم كل من حزب الدستور التونسي و حزب الاستقلال المغربي و حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري³، كما رصدت أيضاً نشاطات آيت أحمد و محمد يزيد، حيث قام الأول بزيارة إلى باكستان و أندونيسيا لطلب مساندة هاتين الدولتين لقضية الجزائر في المؤتمر الأفروآسيوي⁴ الذي انعقد بعد ذلك بقليل في باندونج و الذي مثلت فيه الجزائر بوفد شبه رسمي، و أحرزت فيه القضية الجزائرية على انتصار دبلوماسي و سياسي كبير، تمثل في قرار المؤتمرين الذي يخدم القضية المغاربية كلها و كان مما جاء فيه: " نظراً للحالة غير المستقرة في بلاد الشمال الإفريقي يعلن تأييد شعوب الجزائر و المغرب و تونس للإحراز على حقهم لتقرير مصيرهم و التمتع بالاستقلال، و المؤتمر يلح على الحكومة الفرنسية لكي تجدد بكل سرعة حلاً سلمياً لهذا المشكل⁵.

كما رصدت أيضاً مسألة عرض القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة و جهود الدول العربية في ذلك حيث ذكرت أن السعودية استغلت حدوث القلاقل و الحوادث العسكرية بالجزائر

¹ - البصائر، العدد 306، بتاريخ 18 فيفري 1955، ص8.

² - البصائر، العدد 336 بتاريخ 6/10/1955، ص8.

³ - البصائر، العدد 314، بتاريخ 15 أبريل 1955، ص1 و العدد 321 بتاريخ 03 جوان 1955، ص7..

⁴ - البصائر، العدد 301، بتاريخ 07 جانفي 1955، ص7.

⁵ - البصائر، العدد 317، بتاريخ 05 ماي 1955، ص8.

لتقدم طلبها إلى إدراج قضية الجزائر في جدول أعمال الهيئة الدولية و تشاورت في هذا الشأن مع وزير الخارجية العراقي باعتباره ممثلاً للدول العربية بهيئة الأمم المتحدة، لتوحيد الموقف كما أنها ثمنت الجهود العراقية لتدويل القضية الجزائرية، حيث أجرى محادثات مع عديد الدول العربية و الآفروآسيوية لتوحيد مواقفها تجاه السياسة الفرنسية بشمال إفريقيا أسفرت على مساندتهم لفكرة عرض القضية الجزائرية على هيئة الأمم المتحدة، قد صرح عوني الخالدي ممثل العراق بهيئة الأمم المتحدة أن الشكليات لا تعوق عرضها كالقول بأن الجزائر قطعة من فرنسا، لأنها بلاد لم تضم إلى فرنسا إلا بواسطة الاحتلال العسكري، و بالفعل فقد تمكنت هذه الدول من ترسيم المسألة الجزائرية في جدول أعمال هيئة الأمم رغم معارضة فرنسا و إنجلترا و أمريكا¹، وكانت معارضة فرنسا شديدة جداً حيث انسحب مندوبوها و اعتبروا ذلك تدخلاً في شؤونهم الداخلية².

كما حرصت جريدة البصائر على الرفع من معنويات الشعب الجزائري من خلا تتبع الانتصارات التي حققتها الحركات الوطنية في المغرب العربي وإفريقيا، وخاصة بعد اعتراف فرنسا لبعض الدول باستقلالها الداخلي أو بالاستقلال التام، مؤكدة أن استقلال الجزائر سيكون بعد استقلال تونس و المغرب مباشرة³.

أما أوضاع الثورة داخل الوطن الأسير فبينت أنها تحظى بتأييد شعبي منقطع النظير فقد استجابا الشعب لنداء الإضراب العام يوم 5 جويلية 1955م بحيث لم يفتح المواطنون دكاكينهم و محلاتهم التجارية رغم استفزازات البوليس⁴، و كرروا موقفهم وبشمولية أوسع بمناسبة الإضراب الذي دعت إليه جبهة التحرير يوم أول نوفمبر 1955م⁵، و أما عامة الشعب فقد تأكد ارتباطه بالثورة و امتثل أمرها بعدم التضحية بعيد الأضحى⁶، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على احتضان الشعب و بقوة للثورة وهي الثورة التي اندلعت من أجل تحريره من برائن الاستعمار الفرنسي.

لقد قدمت جريدة البصائر تغطية شاملة لأحداث الثورة الجزائرية، سواء على الصعيد السياسي أو العسكري، فمثلما كانت تنقل التطورات السياسية، و مواجهة محاولات الإدارة الفرنسية تحجيم الثورة و محاولة التهدة بأحياء مشاريع قديمة، و ردت عليها بأن الزمن تجاوزها لأن الثورة رجحت الكفة لصالح الجزائريين.

¹ - البصائر، العدد 301، بتاريخ 17 جانفي 1955، ص 8.

² - البصائر، العدد 318، بتاريخ 5 ماي 1955، ص 8.

³ - البصائر، العدد 359، بتاريخ 23 مارس 1956، ص 1.

⁴ - البصائر، العدد 327، بتاريخ 15 جويلية 1955، ص 8.

⁵ - البصائر، العدد 340، بتاريخ 11 نوفمبر 1955، ص 5.

⁶ - البصائر، العدد 305، بتاريخ 11 فيفري 1955، ص 1.

الفصل التطبيقي

تحليل طادة الغدرانطة

تمهيد:

بعد الاطلاع في الجزء النظري من الدراسة على مختلف الجوانب المتعلقة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من أسباب نشأتها، الداخلية والمتعلقة بآثار المستعمر الفرنسي، و إرادة نخبة من العلماء المعلمين للدفاع عن هوية الجزائر، في كونها كيان خاص و ليس جزءا تابعا لفرنسا، كما دافعت عن عروبة الجزائر و عن انتمائها الإسلامي، و الخارجية المتمثلة في النهضة الإصلاحية التي شهدتها المشرق العربي، بالإضافة إلى الأهداف التي كانت تهدف إلى تحقيقها، و المبادئ التي كافحت لتحقيقها، مبينين الدور البارز للإعلام في تشكيلها و تسهيل مهمتها الدعوية الإصلاحية.

كما بينا ارتباطها بالكفاح السياسي إلى جانب مختلف التيارات المشكلة للحركة الوطنية الجزائرية، وصولا إلى ثورة التحرير الوطني مركزين على موقفها من الثورة، و مساهمتها فيها.

أما في الجزء التطبيقي سنحلل موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية ، و ذلك من خلال دراسة و تحليل محتوى جريدتها و لسان حالها " البصائر"، تحليلا كميا و كيفيا لاستخلاص النتائج، و ذلك بعد عرض موجز للتعريف "بجريدة البصائر" .

المبحث الأول: الدراسة التقنية لجريدة البصائر:

كما أوردنا في الإطار النظري من الدراسة مختلف الوسائل الإعلامية، التي اعتمدها الجمعية في الترويج و الدعاية لأنشطتها و أفكارها، كجرائد ابن باديس : " المنتقد، الشهاب، أو صحف الجمعية: "السنة و الشريعة، الصراط السوي، ثم جريدة البصائر"، و التي تعتبر الجريدة الأطول عمراً و الأكثر أهمية من بين كل ما أصدرت الجمعية، طوال مسيرتها النضالية الممتدة من سنة 1931م إلى سنة 1956م، إذ صدرت على فترتين -سلسلتين- الأولى ما بين (1935 - 1939م) و جاءت السلسلة الثانية في الفترة التي عقبها الحرب العالمية الثانية (1947 - 1956م)، هذه الأخيرة و اكبت اندلاع الثورة الجزائرية من أول نوفمبر 1954م إلى غاية أبريل 1956م و هي التي تمثل مجتمعة البحث الخاص بهذه الدراسة و محور البحث التطبيقي، و نفرق بين فترتين مختلفتين من صدورها:

1- الفترة الأولى: (1935 - 1939م)

جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي الصحيفة الرابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ظهر أول عدد منها بتاريخ 1 شوال 1354 هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1935م، وكان مديرها و صاحب تحريرها الشيخ الطيب العقبي، و صاحب امتيازها الشيخ خير الدين، و كانت تصدر بالجزائر العاصمة و تطبع بالمطبعة العربية لصاحبها الشيخ أبو اليقظان حجمها (40x28 سم) تقع في ثماني صفحات، و كان شعارها الآية الكريمة ﴿جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها و ما أنا عليكم بحفيظ﴾¹.

و دام صدور البصائر -السلسلة الأولى- في العاصمة إلى أوائل شهر سبتمبر سنة 1937م ثم قررت الجمعية نقلها إلى قسنطينة*، و أناطت مهمة إدارتها و تحريرها للشيخ مبارك الملي، فنهض بأعبائها خير قيام، و في هذه الفترة تشرفت جريدة البصائر بالإسهام في أعمالها و عقد رحلات باسمها و باسم مجلة "الشهاب"، عبر بعض المناطق من أرض الوطن، و بقيت البصائر تؤدي مهامها العلمية و الإصلاحية و الوطنية المنوطة بها على أكمل وجه، خلال سنتين: من سبتمبر 1937م إلى سبتمبر 1939م، إلى أن أدركها إعلان الحرب العالمية الثانية فتوقفت عن الظهور طبقاً لقرار الجمعية بذلك، شأنها في ذلك شأن مجلة "الشهاب"، التي أوقفها منشؤها منذ يوم الثاني سبتمبر 1939م، فكانت مدة حياة البصائر، قرابة أربع سنين و هي أطول مدة عاشتها صحيفة للجمعية حتى ذلك اليوم².

¹ - سورة الأنعام، الآية 104.

*- كان سبب قرار نقل البصائر إلى قسنطينة لتوفرها على المطبعة الإسلامية الجزائرية و نخبة من علماء الجمعية.

² - علي مرحوم، مرجع سبق ذكره، ص 18.

سارت في تطور وبلغت من الرقي ما لم تبلغه جريدة عربية في الجزائر إذ كانت تطبع حوالي أربعة آلاف نسخة، وهو رقم قلما بلغته جريدة أخرى في تلك الظروف¹. رأت الجمعية أنه من الأحسن للبصائر أن تتوقف من تلقاء نفسها خير أن تحمل على التظاهر بمظهر لا يليق بسمعة جمعية العلماء المسلمين، "فالتعطيل خير من نشر الأباطيل" على حد تعبير البشير الإبراهيمي، وكان تاريخ العدد الأخير منها في 25 أوت 1939م².

و إن كانت هذه الجريدة تعد أطول جرائد الجمعية عمراً، و أكبرها شهرةً و أرقاها كتابةً فإنها و بغض النظر عن كل الاعتبارات، قد تكون أرقى جريدة عرفت لها الجزائر في تاريخها الحديث إلى سنة توقفها³.

اهتمامات جريدة "البصائر" في السلسلة الأولى: 1935 - 1939م. إن جريدة البصائر

هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و معنى هذا أن مبدأ الجريدة هو مبدأ الجمعية، و مبدأ الجمعية وإن تعددت مناحيه يرجع إلى كلمتين ذات مدلول واسع و هما "العلم والدين"⁴.

- التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و تعميم انتشار الفكرة الإصلاحية في مختلف جهات القطر الجزائري.

- توضيح أصول دعوة الجمعية و منابعها الصحيحة.

- محاربة الآفات الاجتماعية، من جهل و فقر و مرض، و تصحيح العقيدة، حيث ظهرت أمراض اجتماعية و نفسية لا قبل للمجتمع الجزائري بها، و من بينها الإلحاد.

- محاربة الطريقة حيث خصصت صحافة الجمعية و بالأخص جريدة "البصائر" العديد من المقالات في هذا المجال.

- الدفاع عن الشخصية الوطنية، و البعد العربي الإسلامي، و فضح أساليب الاستعمار الرامية إلى مسخ الهوية الجزائرية بفرنستها و تنصيرها.

- متابعة أنشطة الجمعية في المجالات المختلفة و منها المجال السياسي، حيث أخذ المؤتمر الإسلامي المنعقد في سنة 1936م حيزاً كبيراً من اهتماماتها.

- مساندة مختلف النشاطات المتعلقة بالقضايا الإسلامية، و منها القضية الفلسطينية وكذا تسليط الضوء عن جرائم الاستعمار التي ارتكبتها في شمال إفريقيا.

¹ - محمد بن ناصر، مرجع سبق ذكره، ص 220.

² - نفس المرجع ص 221.

³ - عبد الملك مرتاض، مرجع سبق ذكره، ص 258.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 208.

2-الفترة الثانية : 1947 - 1956 م .

بعد أن خرج "البشير الإبراهيمي" رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السجن و عودته إلى النشاط ، و بعد أن غيم على الساحة الجزائرية هدوءاً نسبياً، ارتأت الجمعية تشكيل خمس لجان، كان من بينها لجنة جريدة "البصائر" التي أوكلت للأستاذ "أحمد توفيق المدني"، و صدر العدد الأول منها بتاريخ 25 جويلية 1947م، و قد حافظت الجريدة على موعد صدورها الأسبوعي كل يوم جمعة و على شكلها أيضاً. و حمل هذا العدد تعريفاً للصحف وفقاً لمنظور رئيس الجمعية : " إنَّ الصحف في لسان العرف كالصحائف في لسان الدّين منها صحائف الأبرار و صحائف التجار، لذلك كان من حظّ الابتلاء بالتعطيل والتعويق، جريدة "البصائر" هي أحد الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء و تلك هي السنّة و الشريعة و الصراط و البصائر"¹.

و لقد تغير موعد صدور جريدة "البصائر" من يوم الجمعة إلى يوم الاثنين و هذا ابتداء من العدد العاشر، جاء في العدد التاسع أنّ هذا التغيّر مردّه أسباب بريدية و مطبعية قاهرة، بل أنّ هذا القهر وصل إلى حدّ الشحّ في تقديم الورق لها إلا لما يكفي نشر ست صفحات، و هو ما جعلها تنزل مرتين في الشهر بأربع صفحات بداية من العدد التاسع عشر، و صدر 361 عدداً خلال ثماني سنوات، رافقت فيها الحركة الإصلاحية، و النهضة العلمية التربوية و تبعت أنشطة الجمعية المختلفة.

و عند اندلاع الثورة التحريرية فتحت الجريدة صفحاتها لها إلى أن توقّفت في آخر سنتها الثامنة، و جاء في العدد 361 بتاريخ 6 أفريل 1956م و الذي يعتبر آخر عدد يصدر من جريدة البصائر: "بهذا العدد 361 تختم البصائر سنتها الثامنة، و قد وفّت ما عاهدت الله عليه، من خدمة هذه الأمة الجزائرية الماجدة و الدفاع عن حريتها ، و قد كان لها مقامات حسان في الدفاع عن قضيتي القطرين الشقيقين تونس و المغرب بصفة خاصة، و عن قضايا العالمين العربي و الإسلامي بصفة عامة، و قد عرف لها الجميع قدرها، فكافئوها بالمؤازرة و التأييد، فهي تشكرهم على عنايتهم بها و تعاهدهم في مستقبل الأيام على المضي قدماً لرفع شأن العروبة و الإسلام".*

1- البصائر، العدد 1، بتاريخ 25 جويلية 1947م، ص1.

*- توقفت جريدة البصائر عن الصدور بعدما صبّ عليها الاستعمار من جهة، و من جهة ثانية استجابة لأوامر جبهة التحرير الوطني بتوقف كل الجمعيات عن نشاطاتها والانضواء تحت لوائها، و منها جمعية العلماء و مصيرها مصير البصائر، حيث بقيت "المجاهد" اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني في الساحة الإعلامية الوطنية لوحدها، غير أنّ جمعية العلماء مثلما أوضح الشيخ محمد الصالح رمضان للرئيس الراحل "يوسف بن حدّة" أنّها تحلّ بأمر من الجبهة ولكنها توقفت بإرادة أعضائها.

الإطار القانوني لجريدة البصائر:

رافقت الجريدة عودة الجمعية للنشاط غداة الحرب العالمية الثانية، إذ اعتُبرت لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان صاحب الامتياز فيها "الشيخ البشير الإبراهيمي" تواجد مقرها في 12 شارع بوجي الجزائر العاصمة، و حُدِّد ثمنها بـ 10 فرنكات في السنة الأولى، و 15 فرنك في السنة الثانية، ثم 20 فرنكاً في السنة الثالثة، فـ 25 فرنكاً في السنة الرابعة، و أخيراً 30 فرنكاً بداية من السنة الخامسة.

إمكانات الجريدة:

الإمكانات المادية: بالنسبة للطباعة كانت جريد البصائر تطبع في المطبعة الإسلامية، التي يملكها "أبو اليقظان"، و في ما يخص هذه الأخيرة يذكر محمد ناصر: "مطبعة خاصة به و بجريدته وذلك في أوائل سنة 1931م. فاشترى الشيخ المحل الكائن - بـ 70 نهج روفيغو - ذبيح شريف حالياً- وكان محلاً ضيقاً جداً فهو لا يتجاوز 40 متر مربع رغم أن فيه طابقاً أرضياً يتزل إليه بسلم خشبي يكاد يكون واقفاً وكانت حروف التصفيف و توابعها ثم آلات الطباعة في الدهليز، وأنشئت المطبعة رسمياً بسجلها التجاري رقم 314 بتاريخ فاتح فيفري 1931¹، و من حيث النقل كانت الجمعية تعتمد على إمكاناتها الخاصة، و يتم الاتصال بالقراء عبر البريد أو الرسل الثقة.

الإمكانات البشرية:

إنَّ كلَّ الصحفيين كانوا متطوعين أي أنهم لم يكونوا يتقاضون أجوراً²، و أشهر كتابها الشيخ البشير الإبراهيمي، و العربي التبسي، و أحمد حماني، و الشعراء من أمثال الربيع بوشامة و الربيع العقون، و الصحيفة كذلك غنية بالدراسات التاريخية، أعدها المؤرخون الجزائريون منهم مبارك الملي، و عبد الوهاب بن منصور، و أحمد توفيق المدني، و عبد الرحمن الجيلالي، و رابح بونار و محمد علي دبوز، و شملت المقالات تاريخ الجزائر القديم والحديث، و جوانب كثيرة من التاريخ الإسلامي و اهتمت البصائر اهتماماً كبيراً بالأدب والشعر، و لا يخلو عدد منها من القصص وقصائد شعرية لكبار الأدباء والشعراء الجزائريين، و نذكر منهم أحمد رضا حوحو، و محمد العيد آل خليفة، و أحمد سحنون، و الربيع بوشامة، و حمزة بوكوشة، و مبارك جلواح، و فرحات الدراجي و أحمد ذياب، و عبد الكريم العقون، فتحت المجال أيضاً للشباب الطلبة و كان أشهرهم: أبو القاسم سعد الله، و عبد الله الركيبي، و أبو مدين الشافعي، و محمد الصالح رمضان، و محمد الطاهر فضلاء كما كان للصحيفة عدة مراسلين ففي تونس تواجد علي الجنوبي، و في القاهرة أبو القاسم سعد الله و أبو مدين الشافعي، و عبد الكريم محمد، و في فرنسا أحمد بن عاشور، و محمد الزاهي، و سعيد

¹ - http://www.Aboulyakdan.com/yakdan_imprimerie.

² - عادل بناس، جريدة البصائر ودورها في التعليم العربي الحر، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 2006، ص 134.

البياني، حيث كانوا يزودونها بأهم الأحداث في الساحة السياسية و الحياة الثقافية، و يقومون بمتابعة و تغطية نشاطات جمعية العلماء الجزائريين في الداخل والخارج، كما قام علي مرحوم بمجموعة من الرحلات عبر الجزائر و محمد الغسيري في المشرق العربي فنشرت كل شكل تحقيقات¹.

مصادر تمويل الجريدة:

كان تمويل جريدة "البصائر" يأتي عن طريق البيع و الاشتراكات²، الأمر الذي سبب لها كثيراً من الأزمات خاصة مع قلة الإشهار، و ظهر ذلك جلياً من خلال تذبذب صدورها أحياناً و كأمثلة على ذلك، صدور العدد 12 بتاريخ 27 أكتوبر 1947م و لم يصدر عدد 13 إلا بعد أسبوعين و ذلك بتاريخ 10 نوفمبر 1947م، و تأخر العدد 15 إلى الفاتح ديسمبر من العام نفسه. و قد استمر هذا التذبذب في الصدور، حيث صدر العدد 115 بتاريخ 10 أبريل 1950م و العدد 116 في 24 أبريل 1950م، قد تراوحت المدة بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع بين العددين 124 و 125، حيث صدر الأول في 19 جوان 1950م، و الثاني في 03 جويلية 1950، و الذي جاء فيه اعتذار من طاقم الجريدة للقراء عن غيابها .

خريطة توزيع الجريدة:

لا توجد أرقام رسمية فيم يخص سحب جريدة "البصائر"، فبسام العسلي يقول: "و بلغ عدد ما يطبع منها أسبوعياً 30 ألف"³. و كانت جريدة "البصائر" تصل إلى مختلف أنحاء القطر الجزائري بدليل أن الكثيرين مازالوا يحتفظون بأعدادها في مختلف ربوع القطر، و قد تكفل الإخوة من بني ميزاب بإيصالها إلى الجنوب، و استطاعت جريدة "البصائر" أن تجد لها قُرأاً في تونس و المغرب⁴. كما كانت توزع الجريدة في فرنسا و في كثر من الأقطار الإسلامية⁵، و لم تكن الجريدة تعاني من مسترجعاتها، وإن كنا نجهل رقم سحبها بسبب انعدام المعلومات التي تبين ذلك عدا قول بسام العسلي.

¹ - http://www.Binbadis.net/Dirasat/lire_ahmed_selmani_elsoltani.htm

² - عادل بمناس، نفس المرجع، ص 134.

³ - بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية، بيروت: دار النفائس، 1983، ص 150.

⁴ - نفس المرجع، ص 150.

⁵ - http://www.Binbadis.net/Dirasat/lire_ahmed_selmani_elsoltani.htm

أهم أركان جريدة "البصائر" في سلسلتها الثانية:

1-المقال الافتتاحي: لم تخلُ منه الجريدة طوال صدورها وكان يميّز بالطول، ففي أغلب الأحيان كان يتجاوز الصفحة الأولى إلى الصفحة الثانية، و من أشهر كتّابه الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي"، و بعد مغادرته الوطن و استقراره في المشرق العربي تولّاهُ أحمد توفيق المدني، و العربي التبسي نائب رئيس الجمعية في تلك الفترة، إضافة إلى "باعزيز بوبكر" و"محمد خير الدّين" و يندرج تحت المقال الافتتاحي نوعان:

أ-الخطاب الافتتاحي: الذي يقدم معلومات للقارئ أو توجيهات.

ب-المقال الافتتاحي: الذي يُعالج قضية ما ويتخذ موقفا منها.

1-منبر السياسة العالمية: كان يكتبه "أحمد توفيق المدني" باسم مستعار، هو أبي محمد حيث كان يعالج أخباراً متفرقة من العالم مع تقديم تعليق وجزءاً منها مركزاً على الدول الكبرى فقد كان يواكب مختلف الأحداث كالحرب الباردة، و العلاقات بين الدول و مكانة المشرق منها.

2-المشرق في صحف الغرب: ظهر هذا الركن في بداية العدد الـ13، و فيه قراءة بسيطة لما تناوله الصحف الغربية بخصوص قضايا المشرق.

3-صفحة الشعر: و تظهر أحياناً في شكل نفحات من الشعر الحديث، و تُمن كانوا ينشرون فيها نجد: حلول البدوي، و الربيع بوشامة، و أحمد سحنون، و عبد الكريم العقون.

4-بريد البصائر: و ظهر هذا الركن في السنة الثانية، و هو إذ يتناول إسهامات المعلمين في المدارس و حفلاتها و لقاءات أعضاء الشعب.

5-صفحة القراء: رافق هذا الركن ركن بريد البصائر و قد اختص هو الآخر في نقل انشغالات القراء .

6-الشمال الإفريقي: ظهر هذا الركن بداية من العدد الخامس والثمانين، و يذكر أنباءً عن الجزائر و المغرب تونس و طرابلس، وهذا في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية و السياسية و الدّينية.

7-أخبار الشعب: اتّخذ هذا الركن من الصفحة الأخيرة موقعاً له، و يتناول أنباءً عن شُعب الجمعية و مختلف أنشطتها الإصلاحية و التربوية.

8-منبر الوعظ و الإرشاد: و هو عمود ظهر في السنة الخامسة، كان يكتبه الشيخ "أحمد سحنون" و يتناول من خلاله قضايا دينية و أموراً أخلاقية.

9- أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: و هو ركن غير ثابت الحجم، إذ يأخذ أحياناً صفحة كاملة، مثل العدد 245 و أخرى نصفها كما جاء في العدد 255.

10- العلوم والفنون والاختراع: ولقد ظهر هذا الركن بداية السنة السادسة حيث

أرادت جريدة "البصائر" أن تواكب العصر من خلال هذا الركن، و تمّما نقرأ فيه: هل تؤثر قنابل الذرة أو الهيدروجين على حالة الطقس كما ورد، في العدد 265 الصادر بتاريخ 2 أفريل 1954م.

11-يوميات الأزمة الجزائرية: صدر ابتداءً من العدد 298 و واكب هذا الركن الثورة

الجزائرية بذكر أهم الأحداث و الأحاديث، و طالما ازدادت مساحة هذا الركن إذ تجاوزت الصفحتين في آخر أعداد "البصائر" مثلما حدث في العدد رقم 325 المصادف لتاريخ 01 جويلية 1955م.

12-ماذا تقوله الصحافة الأجنبية: تدرج فيه مقالات و أخبار تخص القضية الجزائرية

التي ترد في مختلف الصحف الفرنسية و العالمية.

بالإضافة إلى نشر كتابات المعلمين و المتطوعين، و الترويج لأمهات الكتب، كلسان العرب و عيون البصائر، كما قامت جريدة البصائر بنشر الكتب، و قصص مثلما هو الشأن لكتاب "تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمان الجيلالي ، أو "حمار" لرضا حوحو .

اهتمامات جريدة "البصائر" في سلسلتها الثانية:

واصلت جريدة البصائر نهجها في الدفاع عن قضايا الأمة العربية و الإسلامية، و أنّضح ذلك جلياً من خلال شعارها "العروبة و الإسلام"، و برز ذلك بشكل واضح في سلسلتها الثانية حول موضوع التعليم العربي الحر و مدارسه، و كلّ ما ارتبط به من مدارس، و معلّمين و مصادر التمويل، و برامج التنظيم الداخلي، إضافة إلى سبل تأطيره و تحديات هذا التعليم للحكومة الفرنسية و قد ضمّن الشيخ الإبراهيمي "جريدة البصائر" عشر مقالات افتتاحية حول موضوع التعليم العربي و الحكومة.

كما تناولت جريدة "البصائر" قضية الدّين الإسلامي و الإدارة سيما في القضاء، الحج المساجد، الأوقاف، رمضان و الأعياد الإسلامية، و أتبع الشيخ "الإبراهيمي" مقالات التعليم العربي بمقالات أخرى تتضمن فضل الدين عن الحكومة مستغرباً كيف يحدث ذلك في فرنسا، ولا يُطبّق في الجزائر، واهتمت الجريدة كذلك بالقضايا الاجتماعية، كإصلاح الأسرة و ما تعلّق بها من زواج و طلاق و ميراث، و تعدّد الزوجات.

و قد حاولت الجريدة الانفتاح على العالم عبر ركن منبر السياسة الإعلامية، الذي كان يكتبه الأستاذ "أحمد توفيق المدني" بكنية "أبي محمّد" حيث كان يعطي رأيه في مختلف القضايا العالمية.

إضافة إلى ركن الشمال الإفريقي، الذي كان يُعنى بأقطار المغرب العربي دون نسيان ركن يوميات الأزمة الجزائرية الذي ما فتئ يستهلك عدّة صفحات من الجريدة منذ اندلاع الثورة المظفرة كما سبق ذكره.

و من جهة أخرى فقد دعت الجريدة مختلف الجمعيات و الأحزاب السياسية إلى ضرورة التوحيد في مواجهات التحدّيات التي تهدد الأمة الجزائرية، التي رسخت في فكر "ابن باديس" وظلت كذلك في عهد "البشير الإبراهيمي" و "العربي التبسي".

أزمات عاشتها جريدة البصائر:

لم تكن مسيرة جريدة "البصائر" سهلة نظراً لعدّة أسباب نذكر من بينها الأزمة المالية الخانقة التي مرت بها في سنتها الأولى، كما تعرضت جريدة البصائر لمشكلات مالية في عامي 1948م و 1950م فاضطرت إلى تقليص عدد صفحاتها إلى أربع صفحات مرة كل شهر و فتحت قائمة الاككتاب فجاءتها الأموال من كل أنحاء الجزائر و من المغتربين الجزائريين كما هو واضح من قوائم المتبرعين التي تحرص الصحيفة على نشرها، تنويهاً بالمحسنين و تحفيزاً للمتريدين¹.

و قد لخصها البشير "الإبراهيمي فيما يلي: "تُعاني جريدة "البصائر" أزمة مالية خانقة بعض أسبابها الرئيسية غلاء الورق و الطبع، غلاءً فجائياً لم نقرأ له حساباً في ظرف واسع، وبعض أسبابها الثانوية تضييع البريد لكثير من الطرود، فلا تصل إلى الباعة، و لا تبقى عندنا، و تخسرُ "البصائر" نفقاتها، و منها تهاون بعض الباعة في إرجاع المخلفات على الفور لتصرف إلى جهات أخرى"².

و حاول رئيس الجمعية آنذاك "محمد البشير الإبراهيمي"، رفقة الهيئة المحررة الاتصال بالقراء المتبرّعين، كما اتبعت قامت الجمعية أسلوب آخر في عملية توزيع الجريدة باعتمادها أوراق اكتتاب خاصة بهذا الشأن، و سارت جريدة "البصائر" بذلك بخطى ثابتة تُدافع عن الدّين الإسلامي، و عن اللسان العربي، حتى جاءت السنة الثالثة من السلسلة الثانية، و عادت الأزمة المالية لتعصف بها من جديد، بل أنّها دفعتها إلى الاختفاء فترة من الزمن، و يُوضح الشيخ "الإبراهيمي" هذه الحالة من خلال افتتاحية العدد 134 حيث يقول: " إن هاته الجريدة توشك أن تتعطل عن القيام بواجبها مكرهة، إذ هي لا تعتمد في مواردها المالية إلاّ على اشتراكات المشتركين و دخل الباعة، و ليس لها اعتماد أو إعانات أو إعلانات تقوّي ميزانيتها".

¹ - <http://www.Chihab.net/modules.php?name=News&file>

² - البشير الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، ج3، مرجع سبق ذكره، ص200.

ثمَّ يواصل البشير الإبراهيمي طالباً المساعدة من أنصار "البصائر"، كما سّمّاهم بقوله:
" و نحثُّ أنصار "البصائر" و أحببنا على مُساعدة جريدتكم وإغاثتها في هذه الحالة السيئة التي
تحتازها و نقدّم لهؤلاء تشكراتنا الخالصة"¹.

لجنة تحرير جريدة البصائر بعد قيام ثورة أول نوفمبر 1954م :

يقول الأستاذ أحمد توفيق المدني أنه ابتداء من بداية الثورة 1954م اجتمعت لجنة تحرير
البصائر المتكونة من السادة:

- الأستاذ حمزة بوكوشة و الشيخ أحمد سحنون و أحمد توفيق المدني و عبد اللطيف
سلطاني و باعزيز بن عمر و ذلك بحضور الشيخ العربي التبسي نائب رئيس الجمعية في غياب
رئيسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي المقيم في القاهرة، و حضور الشيخ محمد خير الدين و اتفق
الجميع على أن يتولى الأستاذ أحمد توفيق المدني ما يلي:

1. تحرير الافتتاحية.
2. تحرير مقال تغطية أحداث الثورة.
3. تحرير موضوع السياسة العالمية.
4. تحرير موضوع العلوم والفنون و الاختراعات².

و يضيف أحمد التوفيق المدني: " من بداية قيام الثورة حتى توقفت جريدة البصائر عن
الصدور بتاريخ 6 أبريل 1956م بأمر من إدارة الاحتلال كانت كل الافتتاحيات ما عدا افتتاحية
واحد فقط كانت بعنوان المجلس الجزائري كتبها باعزيز بن عمر و الباقي كلها كانت بقلم الأستاذ
أحمد توفيق المدني ثم يقول: " كانت الافتتاحية بعد كتابتها ترسل إلى المسؤولين عن الثورة في
العاصمة للنظر في محتواها ثم بعد ذلك تعاد إلى البصائر ثم ترسل البصائر كلها بما فيها الافتتاحية
للقراءة العسكرية الفرنسية و كثيراً ما كانت تقوم مُشادات بين توفيق المدني و بين الرقابة العسكرية
و في بعض الأحيان تعطل البصائر عن الصدور"³.

¹ - نفس المرجع، ص 201..

² - تركي رايح ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤساؤها الفلانة، مرجع سبق ذكره، ص 52

³ - نفس المرجع ص 53

المبحث الثاني: الثورة التحريرية من خلال التحليل الكمي لجريدة البصائر.

يرتبط تحليل المضمون بالاتجاه الكمي، حيث يعتمد التحليل الكمي على العد و القياس و ذلك باستخدام الأساليب الإحصائية و الرياضية للتوصل إلى نتائج حول المادة المدروسة، أي أن الهدف منها هو زيادة كفاءة التحليل و التعبير عن المضمون تعبيراً صحيحاً يُبعدنا عن دائرة التقديرات الذاتية.

إن المقصود بالتحليل الكمي هو عرض المحتوى بطريقة منظمة تترجم فيها ظواهر المحتوى و البيانات الوصفية إلى أرقام يُقدمها الباحث في شكل جداول تساعد في ثلاثة أمور هامة هي:

- المعالجة الإحصائية للبيانات.
- إبراز الاتجاهات السائدة في المحتوى.
- المقارنة بين البيانات¹.

إن تجسيد هذه الخطوة يتم على أساس تحديد دقيق لفئات و وحدات التحليل، و في إطار موضوع دراستنا فقد تم الاعتماد على التحليل الكمي لحساب حجم المساحة التي أفردتها جريدة البصائر لدراسة موضوع الثورة التحريرية المباركة من خلال التطرق إلى المساحة التي ميزت عينة التحليل و مساحة التحليل التي خصصت لمعالجة أخبار و تطورات أحداث الثورة، و كذا معرفة الأنواع الصحفية التي اعتمدت عليها الجريدة، دون إغفال موقعها على صفحات الجريدة و اتجاهها المضاميني، بواسطة استمارة تحليل المضمون.

و كما أشرنا للعينة في الجانب المنهجي من الدراسة، حيث أننا اعتمدنا على طريقة الحصر الشامل لكل الأعداد الصادرة أثناء فترة الدراسة، أي ابتداءً من العدد 292 الصادر في 6 نوفمبر 1954 م إلى غاية العدد الصادر في غاية العدد 361 الصادر في 6 أبريل 1956 م. مع الأخذ بعين الاعتبار الأعداد المصادرة من طرف فرنسا و هي الأعداد التي تحمل الأرقام التالية: 339، 335، 333، و قد نص على ذلك في الأعداد الموالية، أما العدد 341 فلم يتم العثور عليه و لم تشر الأعداد اللاحقة إلى حجزه، و بعد حذف هذه الأخيرة تبلغ عينة الدراسة 66 عدداً كما بينها الجدول الخاص بالعينة (أنظر الصفحة رقم 20 من الدراسة).

في هذا المبحث سيتمّ تفرّغ النتائج المتوصّل إليها في جداول تتضمن الفئات المتعلقة بالشكل و المحتوى و يتم التعبير عنها بواسطة القطاعات الدائرية و الجداول التكرارية إن اقتضى الأمر ذلك، و تظهر أهمية التحليل الكمي في كونه يستنتق النتائج، و تظهر أهميتها من حيث كونها أنّ تكرار الشيء و حيازته على أكبر مساحة يدلُّ على قيمته في خط الجريدة.

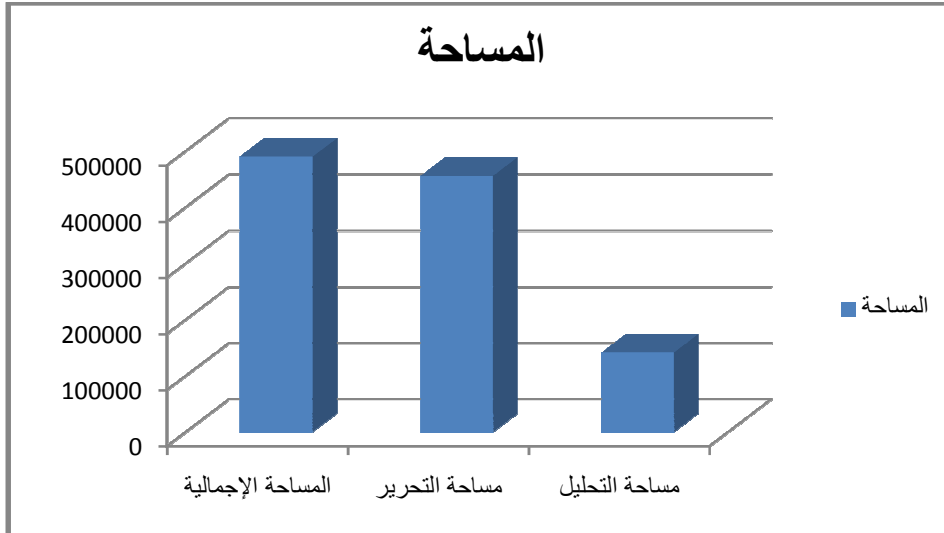
¹ - رشدي طعمية، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1987، ص 145.

1- التحليل الكمي لفئات الشكل :

الجدول رقم (01) : يمثل مساحة موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

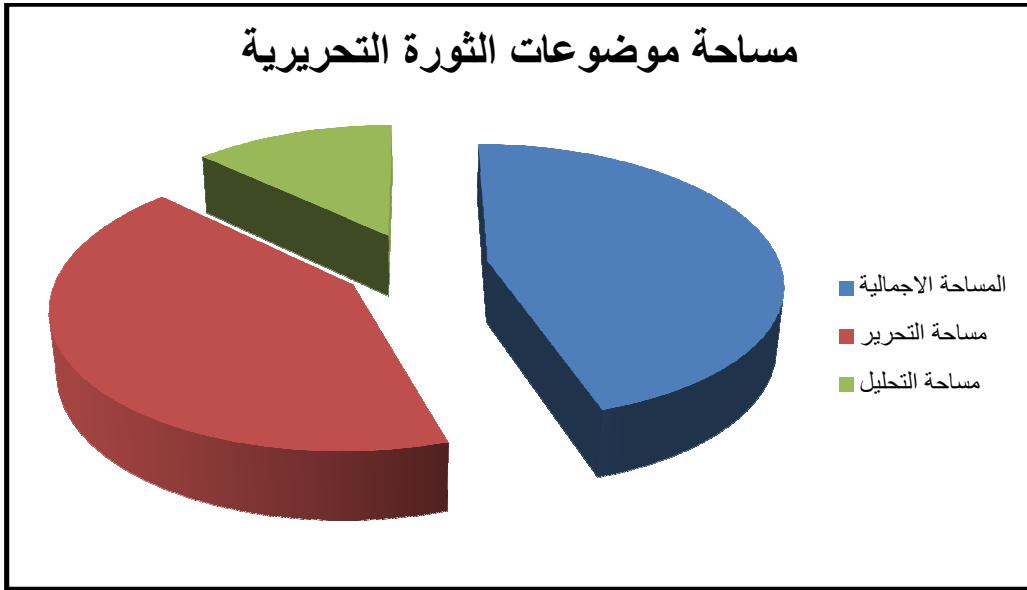
النسبة %	حجم المساحة	توزيع المساحة
100%	490200 سم ²	المساحة الإجمالية
92.94%	455620 سم ²	مساحة التحرير
30.96%	141094 سم ²	مساحة التحليل

من خلال الجدول أعلاه يتبين أن المساحة الإجمالية لعينة الجريدة بلغت 490200 سم²، في حين تمثلت مساحة التحرير في 455620 سم² بنسبة 92.94% من المساحة الإجمالية للعينة، في حين بلغت مساحة التحليل فقد بلغت 141094 سم² أي بنسبة تقدر بـ 30.96% من مساحة التحرير.



رسم بياني يمثل المساحة المخصصة لموضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر

يتجلى لنا من خلال هذا الرسم البياني أعلاه نسبة مساحة التحرير مقارنة بالمساحة الإجمالية لجريدة البصائر في فترة الدراسة، والتي سنبين مبرراتها لاحقاً في التحليل الكيفي، كما نلمس المساحة المعتبرة لمساحة التحليل والتي تمثلت 1/3 المساحة الإجمالية لعينة الدراسة، وهي نسبة معتبرة جداً.



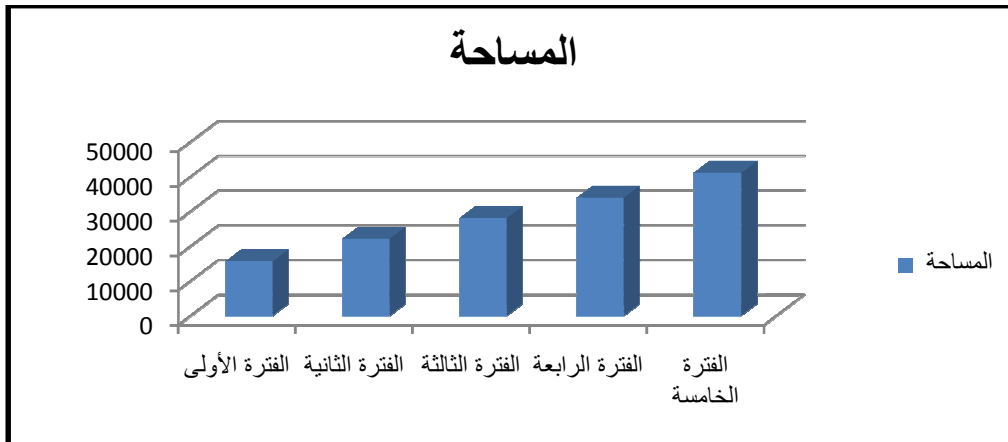
دائرة نسبية تمثل مساحة موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر

أردنا من خلال هذه الدائرة النسبية أن نوضح توضيحاً بارزاً نسبة كل مساحة مقارنة بالأخرى، حيث تظهر جلياً نسبة مساحة التحرير مقارنة بالمساحة الإجمالية لعينة الدراسة، كما تظهر المساحة المعتبرة المخصصة للتحليل والمُخصصة لتناول موضوع الثورة التحريرية، وهو ما يظهر الاهتمام الكبير الذي أولته الجريدة للموضوع كحدث .

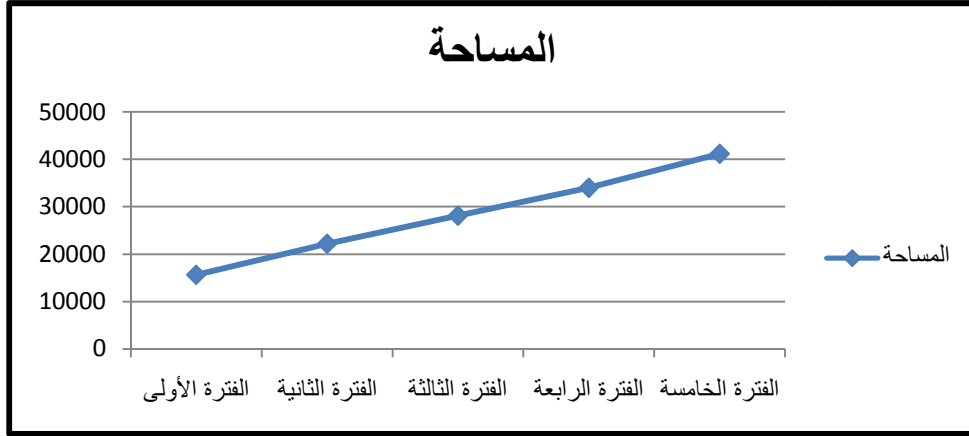
الجدول رقم (02): يمثل مساحة موضوعات الثورة التحريرية حسب الفترات.

النسبة	المساحة سم ²	الفترة
11.08%	15640	من 05-11-1954 إلى 04-02-1955 م
15.72%	22191.5	من 11-02-1955 إلى 06-05-1955 م
19.92%	28112.5	من 13-05-1955 إلى 26-08-1955 م
24.08%	33988	من 02-09-1955 إلى 30-11-1955 م
29.17%	41162	من 02-12-1955 إلى 06-04-1956 م
100%	141094	المجموع

من خلال الجدول أعلاه الموضح لمساحة التحليل حسب الفترات، يتبين أن الفترة الأولى بلغت 15640 سم²، و في الفترة الثانية بلغت 22191.5 سم²، أما في الفترة الثالثة فبلغت 28112.5 سم²، في حين أن الفترة الرابعة بلغت فيها مساحة التحليل 33988 سم²، أما الفترة الخامسة 41162 سم².

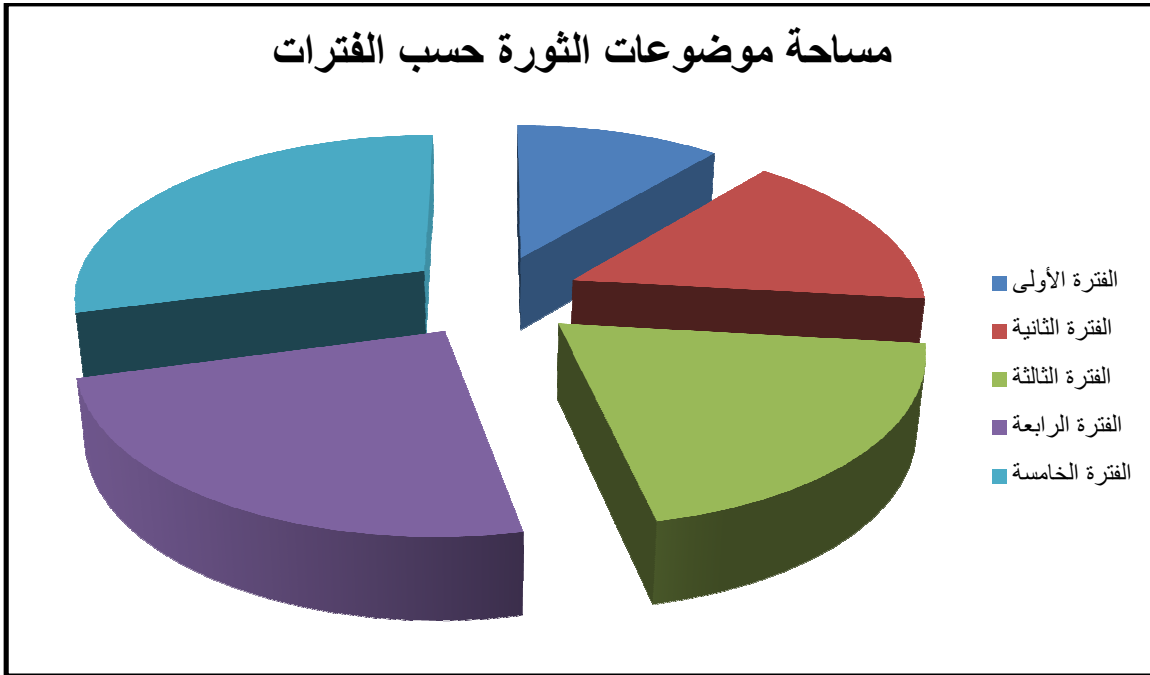


رسم بياني يمثل مساحة الموضوعات حسب الفترات



منحنى بياني يمثل مساحة الموضوعات حسب الفترات

من خلال الرسم و المنحنى البياني، يتجلى واضحاً التصاعد المستمر لمساحة التحليل التي تناولت موضوع الثورة التحريرية في جريدة البصائر، و ما يفسره تزايد وتيرة الأحداث من جهة و تزايد اهتمام الجريدة بهذه الأحداث والمستجدات، حيث أضفى المنحنى البياني توضيحاً أكثر للرسم البياني لتساعد مساحة التحليل.



دائرة نسبية تمثل توزيع المساحة الموضوعات حسب الفترات

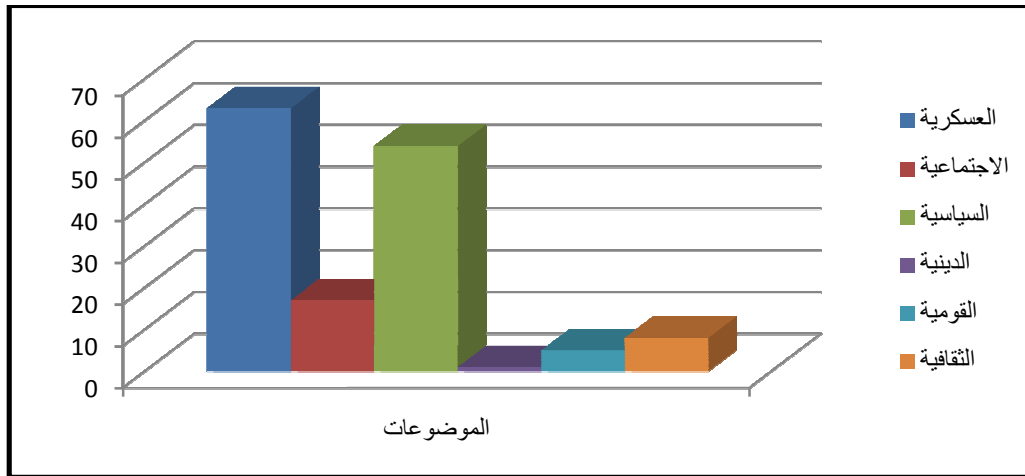
من خلال إلقاء نظرة على الدائرة النسبية أعلاه نلمس التقارب في مساحة التحليل والاهتمام من طرف جريدة البصائر في الفترات الثالثة و الرابعة و الخامسة على التوالي، و التزايد من مرحلة لأخرى، و هو الأمر الذي سنتطرق إليه بالتفصيل في التحليل الكيفي.

2- التحليل الكمي لفئات المحتوى

الجدول رقم (03) : يمثل الموضوعات التي تناولت الثورة الجزائرية في جريدة البصائر.

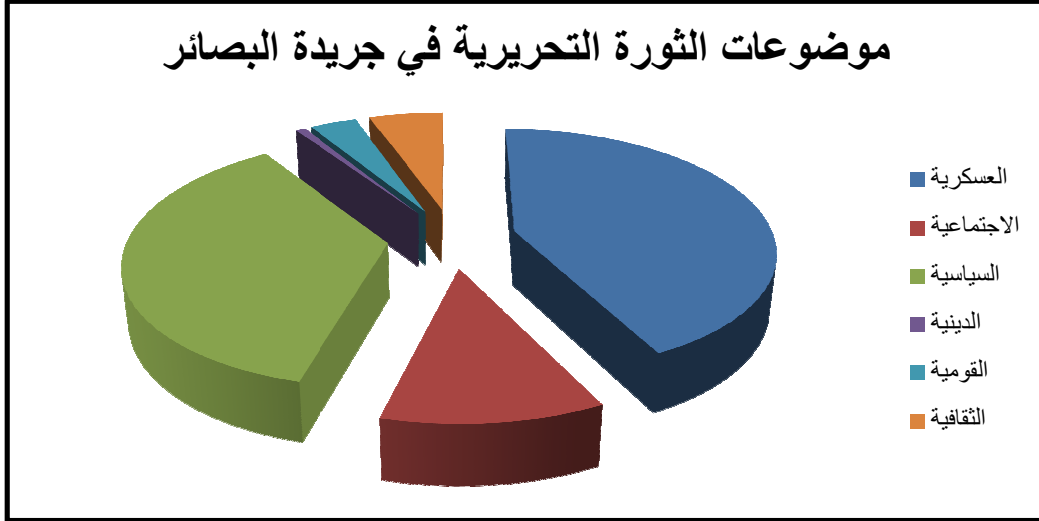
النسبة %	التكرار	الموضوعات
42.59%	69	المواضيع العسكرية
10.49%	17	المواضيع الاجتماعية
38.27%	62	المواضيع السياسية
0.61%	01	المواضيع الدينية
3.08%	05	المواضيع القومية
4.93%	08	المواضيع الثقافية
100%	162	المجموع

من خلال الاطلاع على الجدول أعلاه الذي يمثل الموضوعات التي تناولت موضوع الثورة التحريرية في جريدة البصائر، يتبين لنا أن الموضوعات العسكرية احتلت المرتبة الأولى من حيث التكرار بـ 69 موضوع و بنسبة تقدر بـ 42.59% من مجموع الموضوعات، تلتها الموضوعات السياسية بـ 62 موضوع و بنسبة 38.27%، ثم الموضوعات الاجتماعية بـ 17 موضوع و بنسبة 10.49%، أما الموضوعات الثقافية فوردت في 08 موضوعات و بنسبة 4.93%، في حين أن الموضوعات القومية جاءت في 05 موضوعات بنسبة 3.08%، أما الموضوعات الدينية فكانت ممثلة بموضوع واحد و بنسبة 0.61% من مجموع الموضوعات.



رسم بياني يمثل موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

نلمس من خلال الرسم البياني تركيز جريدة البصائر في تناولها و معالجتها لموضوع الثورة التحريرية على الموضوعات العسكرية والسياسية و هو ما يوضحه الرسم أعلاه، نظراً لاهتمام الجريدة بالموضوعات العسكرية والسياسية دون إهمال الموضوعات الأخرى المرتبطة بالثورة كالثقافية والدينية و القومية و الاجتماعية التي تمس الحياة العامة للمجتمع الجزائري.



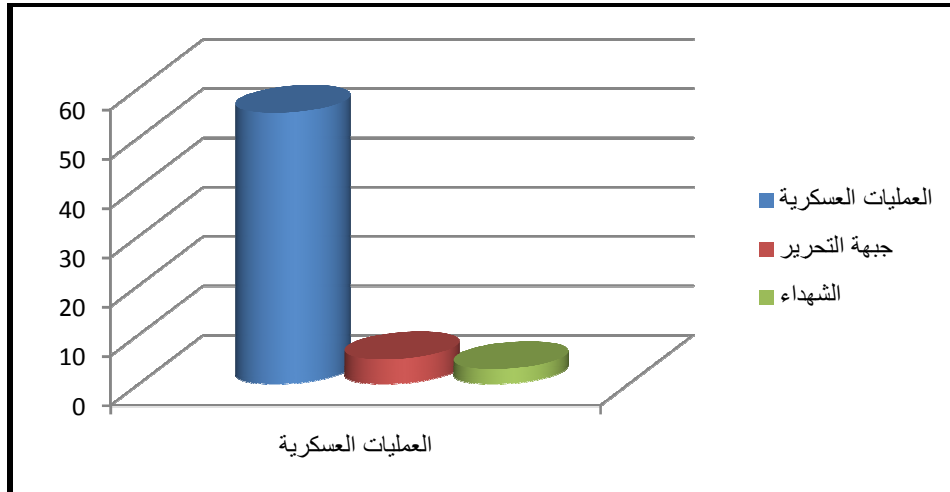
دائرة نسبية تمثل موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر

من خلال الدائرة النسبية أعلاه، التي توضح لنا بصورة كبيرة تفاوت حجم الموضوعات المختلفة التي تناولت موضوع الثورة التحريرية على صفحات جريدة البصائر، و التي أرادت من خلالها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تغطية مختلف جوانب الظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري خلال الثورة التحريرية.

الجدول رقم (04) : يحدد فئات الموضوعات العسكرية.

النسبة %	التكرار	الموضوعات العسكرية
85.50%	59	العمليات العسكرية
10.14%	07	جيش التحرير
3.12%	03	الشهداء
100%	69	المجموع

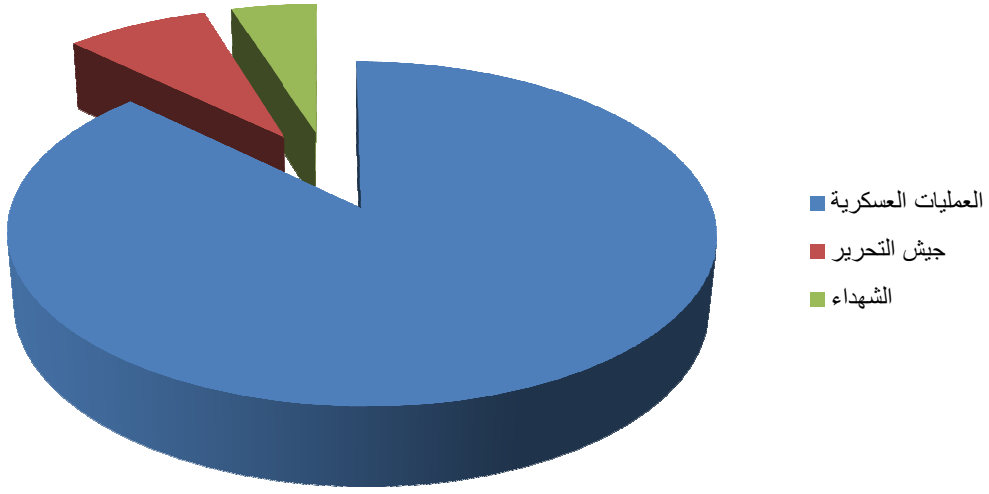
يحدد الجدول أعلاه فئات الموضوعات العسكرية التي تناولت موضوع الثورة التحريرية في جريدة البصائر، حيث غلبت فئة العمليات العسكرية بـ 59 موضوع بنسبة 85.50% من مجموع الموضوعات العسكرية، تلتها فئة جيش التحرير بـ 7 موضوعات وبنسبة 10.14%، ثم فئة الشهداء بـ 3 موضوعات وبنسبة 3.12% من مجموع الموضوعات.



رسم بياني يوضح فئات الموضوعات العسكرية في جريدة البصائر

طغت فئة العمليات العسكرية على الفئات الأخرى في الفئات المتعلقة بالموضوعات العسكرية من خلال ما يوضحه الرسم البياني أعلاه، وهو ما يبين اهتمام جريدة البصائر بتغطية العمليات العسكرية و الحربية التي كانت تشهدها البلاد في فترة الدراسة، وهذا للوقوف على آخر المستجدات و تتبع أحداث الثورة والحملات العسكرية التي يقوم بها العدو ضد الثوار وكذلك أعمال الثوار من معارك و هجمات ضد مراكز العدو وكذا العمليات التخريبية التي تمس المصالح الحيوية لفرنسا.

فئات الموضوعات العسكرية



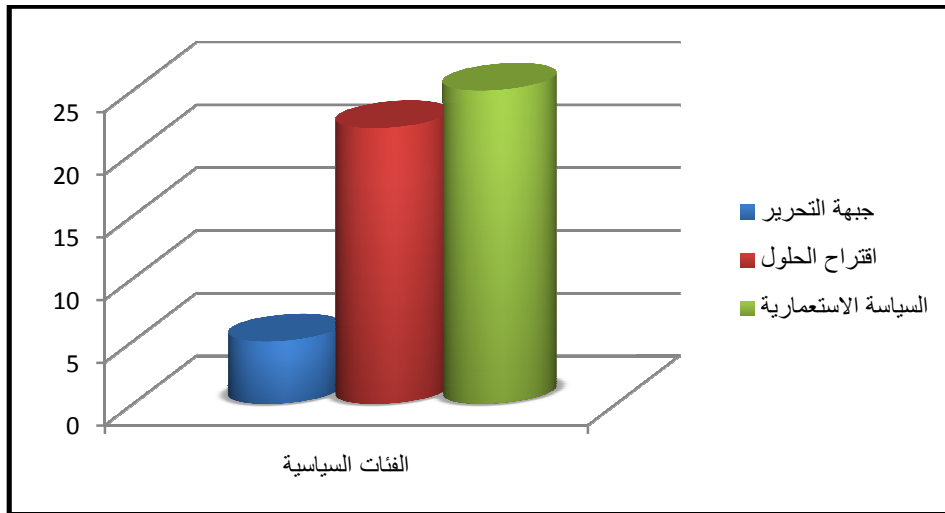
دائرة نسبية تمثل فئات الموضوعات العسكرية في جريدة البصائر

إن الاهتمام الكبير الذي خصصته جريدة البصائر لفئة العمليات العسكرية يتجلى واضحاً من خلال الدائرة النسبية أعلاه، و التي تبين وزن العمليات العسكرية و الحربية في طبيعة المعالجة الإعلامية للجريدة لموضوع الثورة التحريرية.

جدول رقم (05) : يوضح فئات الموضوعات السياسية.

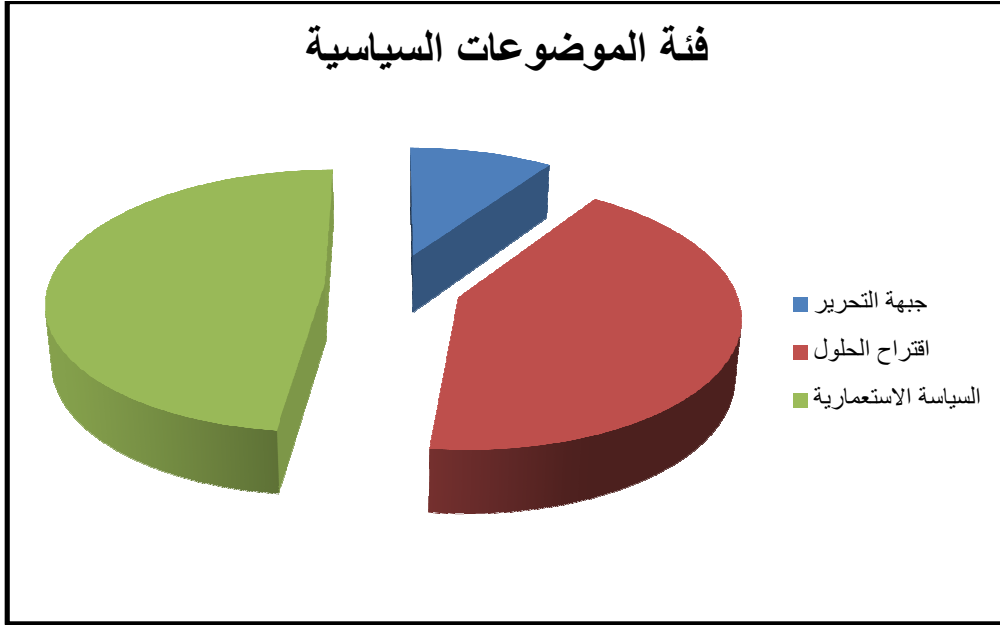
النسبة %	التكرار	الموضوعات السياسية
12.90%	08	جبهة التحرير
41.93%	26	اقتراح الحلول
45.16%	28	السياسة الاستعمارية
100%	62	المجموع

من خلال الجدول أعلاه، يتبين لنا أن فئة السياسة الاستعمارية جاءت أولاً بـ 28 موضوع وبنسبة 45.16% من مجموع الموضوعات السياسية، تلتها فئة اقتراح الحلول بـ 26 موضوع وبنسبة 41.93%، ثم فئة جبهة التحرير بـ 8 موضوعات وبنسبة تقدر بـ 12.90%.



رسم بياني يمثل فئات الموضوعات السياسية في جريدة البصائر

من خلال الرسم البياني الموضح، يتبين لنا اهتمام جريدة البصائر بفئة السياسة الاستعمارية وفئة اقتراح الحلول على حساب جبهة التحرير، وهذا لا يعني أن قلة الاهتمام يُفهم على أنه إهمالاً من الجريدة، ولكنها اعتمدت في معالجتها للموضوع على مصطلح جبهة التحرير في الفترات الأخيرة لمدة الدراسة فقط.



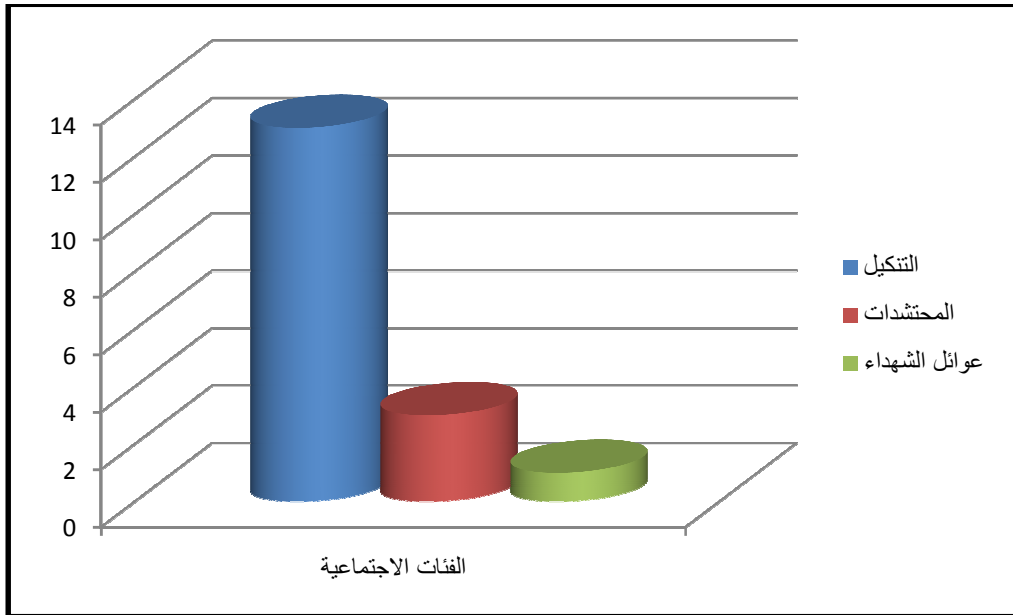
دائرة نسبية تمثل فئة الموضوعات السياسية في جريدة البصائر

من خلال الدائرة النسبية التي تمت الاستعانة بها لتوضيح المعنى أكثر، نلمس مساحة كل من السياسة الاستعمارية و اقتراح الحلول مقابل المساحة المخصصة لفئة جبهة التحرير، و هو الأمر الذي نقف عنده في التحليل الكيفي للدراسة.

جدول رقم (06) يمثل المواضيع الاجتماعية.

النسبة %	التكرار	الفئات
76.47%	13	التنكيل الاستعماري للمدنيين
17.64%	03	المحتشدات
5.88%	01	عوائل الشهداء
100%	17	المجموع

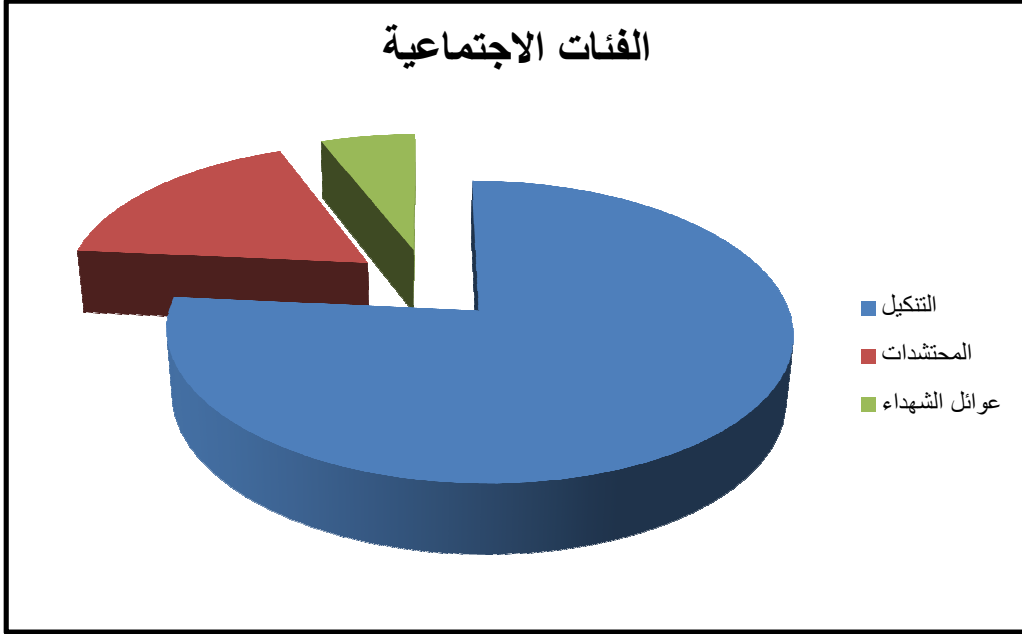
يمثل الجدول أعلاه فئات الموضوعات الاجتماعية في جريدة البصائر، حيث احتلت فئة التنكيل الاستعماري للمدنيين الصدارة بـ 13 موضوع وبنسبة 76.47%، تلتها الموضوعات بـ 3 موضوعات و بنسبة 17.64%، ثم فئة عوائل الشهداء بموضوع واحد وبنسبة 5.88% من مجموع الفئات الاجتماعية.



رسم بياني يمثل فئات الموضوعات الاجتماعية في جريدة البصائر

إن الاعتماد على المنحنى البياني يكون لتوضيح ما تقدم سالفاً في الجداول من أرقام، حيث يتبين أن جريدة البصائر وظفت فئة التنكيل الاستعماري للمدنيين بصورة كبيرة مقارنة بفئتي المحتشدات و عوائل الشهداء وهو الأمر الذي سنقف عنده بالتحليل الوافي في التحليل الكيفي للدراسة.

الفئات الاجتماعية



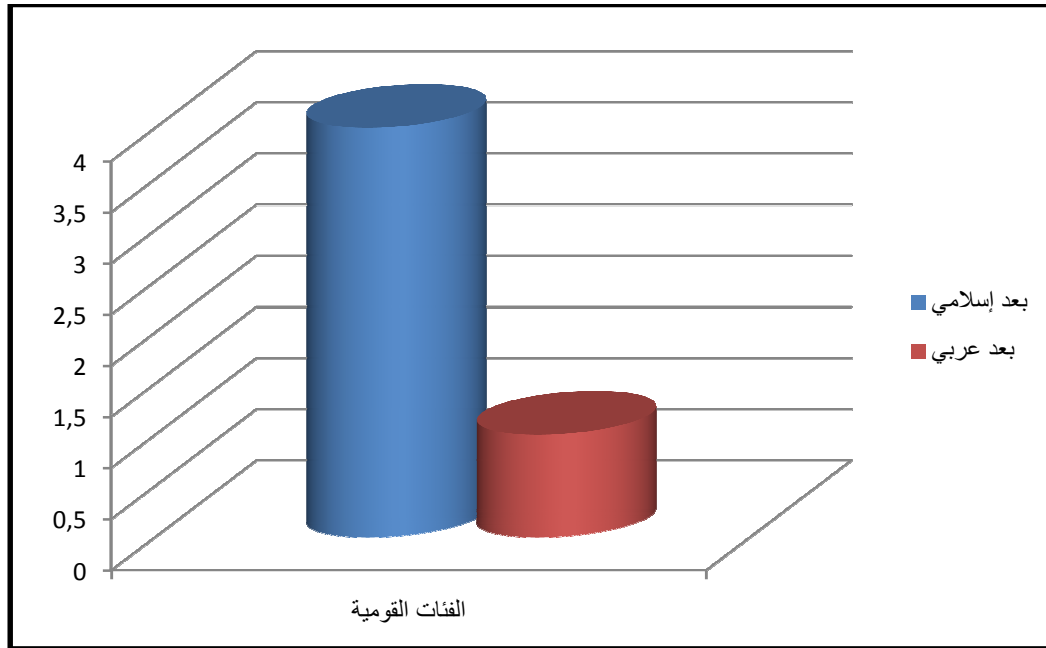
دائرة نسبية تمثل فئات الموضوعات الاجتماعية

إن ما تمت الإشارة إليه سابقاً يظهر جلياً مع الدائرة النسبية التي تبرز مكانة فئة التنكيل مقارنة بفئتي المحتشدات و عوائل الشهداء، و التي أرادت من خلالها جريدة البصائر إبراز الحياة الاجتماعية التي يعيشها المواطن الجزائري في فترة الدراسة.

جدول رقم (07) : يوضح فئات الموضوعات القومية .

النسبة %	التكرار	الموضوعات القومية
62.5%	05	البعد الإسلامي
37.5%	03	البعد العربي
100%	08	المجموع

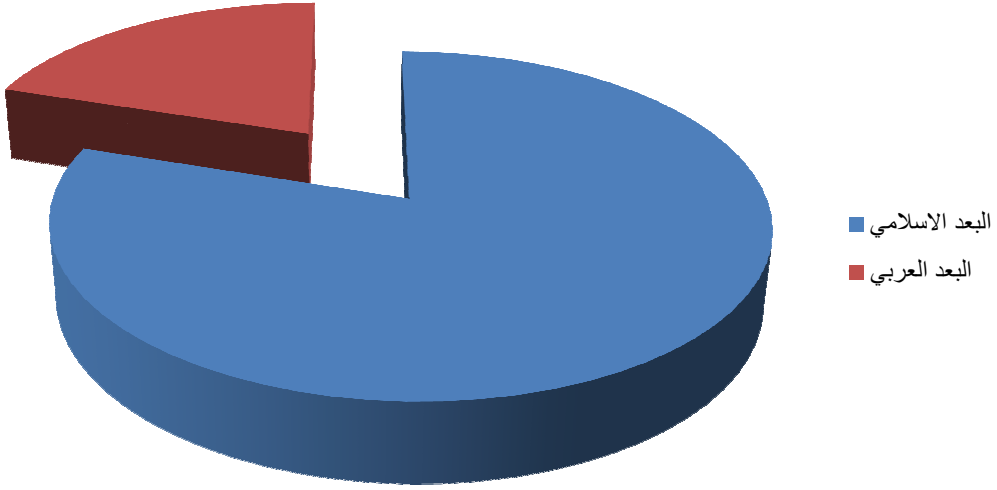
يمثل الجدول أعلاه فئات الموضوعات القومية في جريدة البصائر، حيث وردت فئة البعد الإسلامي في 5 موضوعات وبنسبة 62.5%، بينما جاءت فئة البعد العربي في موضوع واحد و بنسبة 37.5% من مجموع الموضوعات القومية.



رسم بياني يمثل فئات الموضوعات القومية في جريدة البصائر

يوضح الرسم البياني أعلاه غلبة البعد الإسلامي في التغطية الصحفية للشورة التحريرية في جريدة البصائر، وهذا على حساب البعد العربي، وهذا ليبدل على الاتجاه الإسلامي والعربي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الفئات القومية



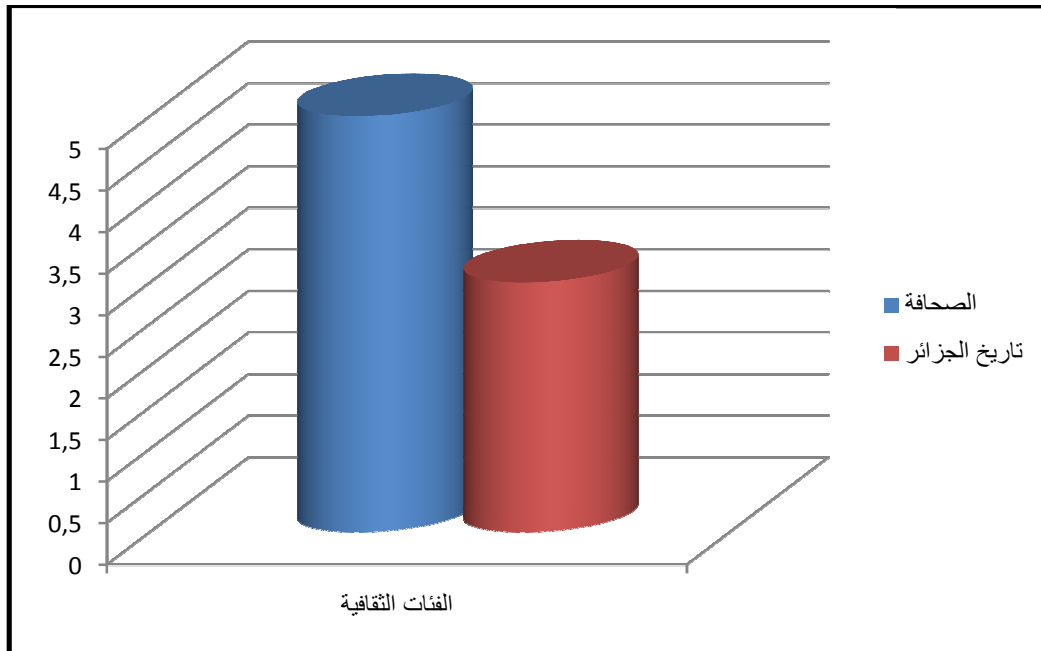
دائرة نسبية تمثل فئة الموضوعات القومية في جريدة البصائر

إن التيار الإسلامي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظهر جلياً من خلال ما تبينه الدائرة النسبية أعلاه، حيث نلمس المساحة المخصصة للبعد الإسلامي مقارنة بالبعد العربي في الموضوعات القومية، وسنقوم بالوقوف عند هذه النقطة بمزيد من التوضيح في التحليل الكيفي.

جدول رقم (08) : يوضح فئات الموضوعات الثقافية.

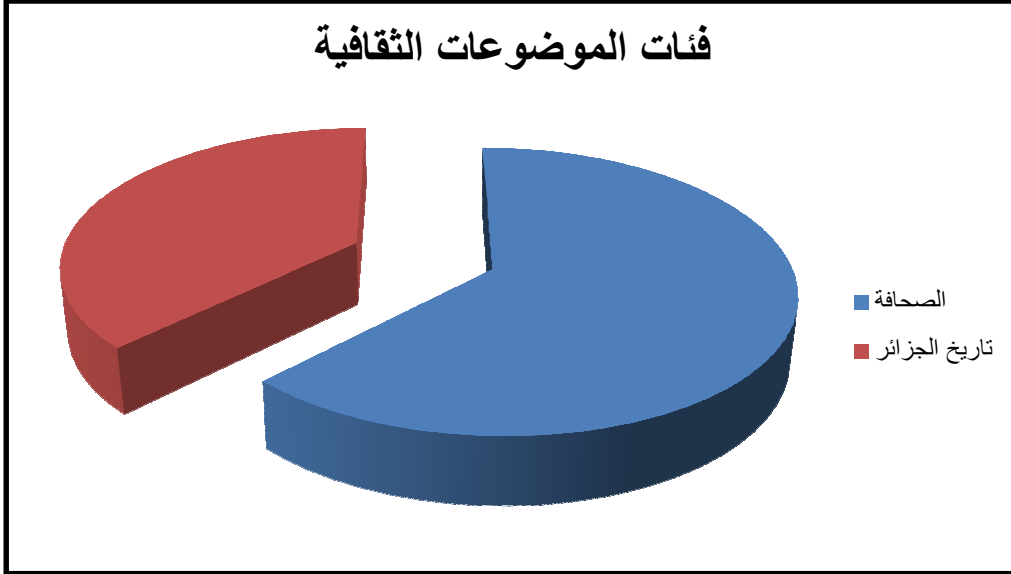
النسبة %	التكرار	الموضوعات الثقافية
62.5%	05	الصحافة
37.5%	03	تاريخ الجزائر
100%	08	المجموع

يمثل الجدول أعلاه فئة الموضوعات الثقافية في جريدة البصائر، حيث كانت فئة الصحافة ممثلة بـ 05 موضوعات وبنسبة 62.50%، في حين أن فئة تاريخ الجزائر جاءت في 03 موضوعات و بنسبة 37.50% من مجموع الموضوعات الثقافية.



رسم بياني يمثل فئات الموضوعات الثقافية في جريدة البصائر

يلاحظ من خلال الرسم البياني أعلاه التقارب النسبي بين فئتي الصحافة و تاريخ الجزائر و التي ركزت عليهما جريدة البصائر في معالجتها لموضوع الثورة التحريرية في إطارها المتعلق بالشق الثقافي.



دائرة نسبية تمثل فئات الموضوعات الثقافية في جريدة البصائر

يظهر التقارب بين الفئتين في الدائرة النسبية أعلاه، حيث ركزت جريدة البصائر مواضيعها حول المضايقات التي كانت تشنها السلطات الاستعمارية ضد الصحافة ومن بينها جريدة البصائر و باقي الصحف والعناوين الجزائرية. كما لم تغفل ربط جزائر الثورة بتاريخها الحافل بالكفاح ضد المستعمر الفرنسي.

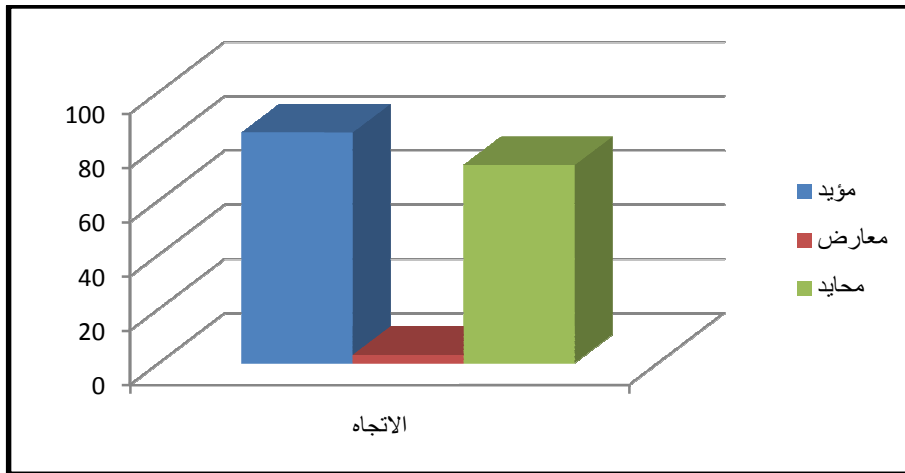
فئات المواضيع الدينية

أما في ما يخص الموضوعات ذات الطابع الديني والمتمثلة في التأصيل الديني "الجهاد" فجاءت بتكرار واحد فقط، ولذلك لم نضع لها جدولاً خاصاً بها.

الجدول رقم (09) : يمثل اتجاه الموضوعات التي تناولت الثورة في جريدة البصائر.

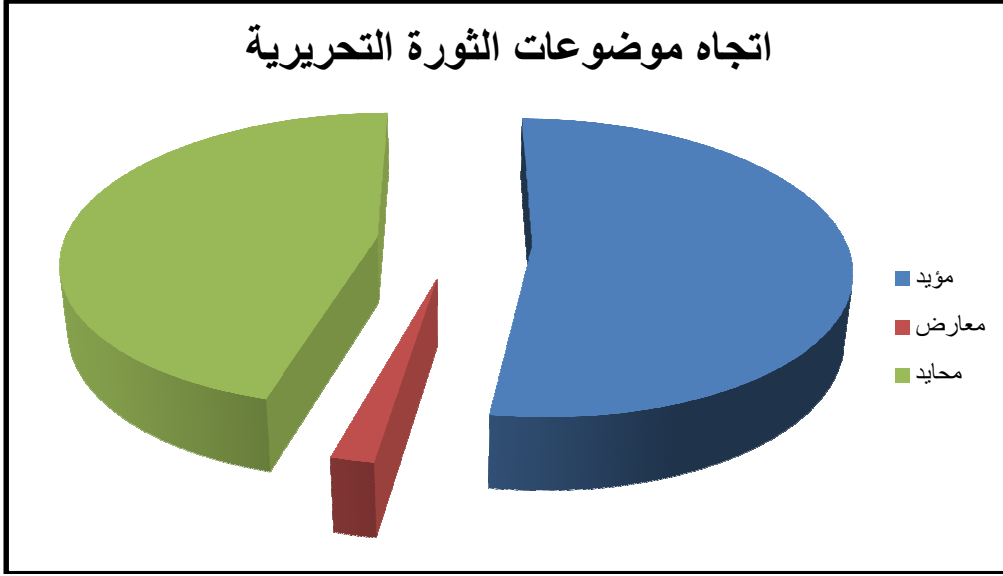
الاتجاه	التكرار	النسبة %
مؤيد	85	52.46%
معارض	03	1.85%
محايد	74	45.67%
المجموع	162	100%

يمثل الجدول أعلاه اتجاه موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر، حيث بلغت درجة تأييد موضوعات الجريدة للثورة في المرتبة الأولى بـ 85 موضوع مؤيد وبنسبة 52.46% من مجموع الموضوعات، في حين بلغت نسبة الموضوعات المحايدة 45.67% بتكرار 74 موضوع محايد، أما الموضوعات المعارضة للثورة التحريرية فقد بلغت 03 موضوعات بنسبة 01.85% من مجموع الموضوعات. و إذا حذفنا المواضيع المحايدة، نجد نسبة التأييد تقدر بـ 96.5% ونسبة الاتجاه المعارض تقدر بـ 3.5% وهي نسبة ضئيلة.



رسم بياني يمثل اتجاه موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

يبين الرسم البياني الاتجاه العام لموضوعات جريدة البصائر في تناولها للثورة التحريرية، حيث نلمس التقارب النسبي بين الاتجاه المعارض والاتجاه المحايد، مع العلم أن نسبة 52.46% من موضوعات الجريدة كانت مؤيدة للثورة التحريرية، مع وجود بعض الموضوعات المعارضة في بعض المواضيع الخاصة بالثورة التحريرية .



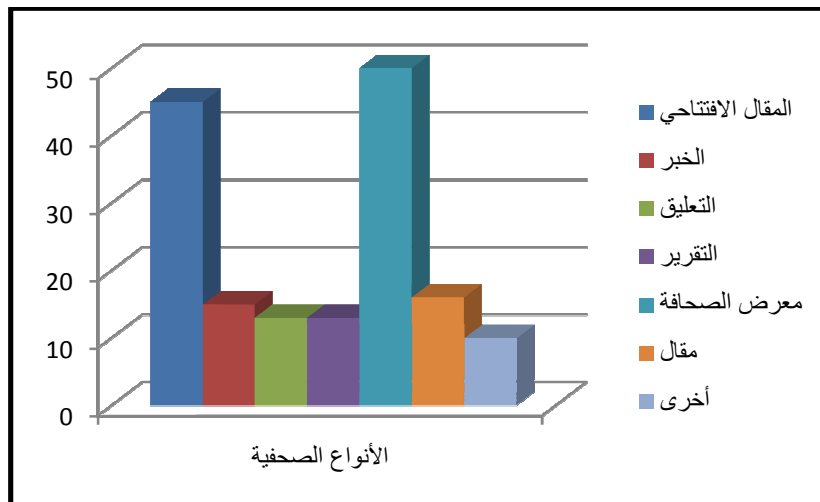
دائرة نسبية توضح الاتجاه العام لموضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر

تُظهر الدائرة النسبية المُرفقة أن نسبة التأييد لقيام الثورة التحريرية مع تقارب ملحوظ مع الموضوعات المحايدة، وهذا خوفاً من الضغوطات الممارسة من طرف السلطة الاستعمارية في تلك الفترة.

الجدول رقم (10) : يمثل الأنواع الصحفية التي تناولت الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

النسبة %	التكرار	الظلول الصحفي
27.77%	45	المقال الافتتاحي
9.25%	15	الخبر
8.02%	13	التعليق
8.02%	13	التقرير
30.86%	50	معرض الصحافة
9.86%	16	مقال
6.17%	10	أخرى
100%	162	المجموع

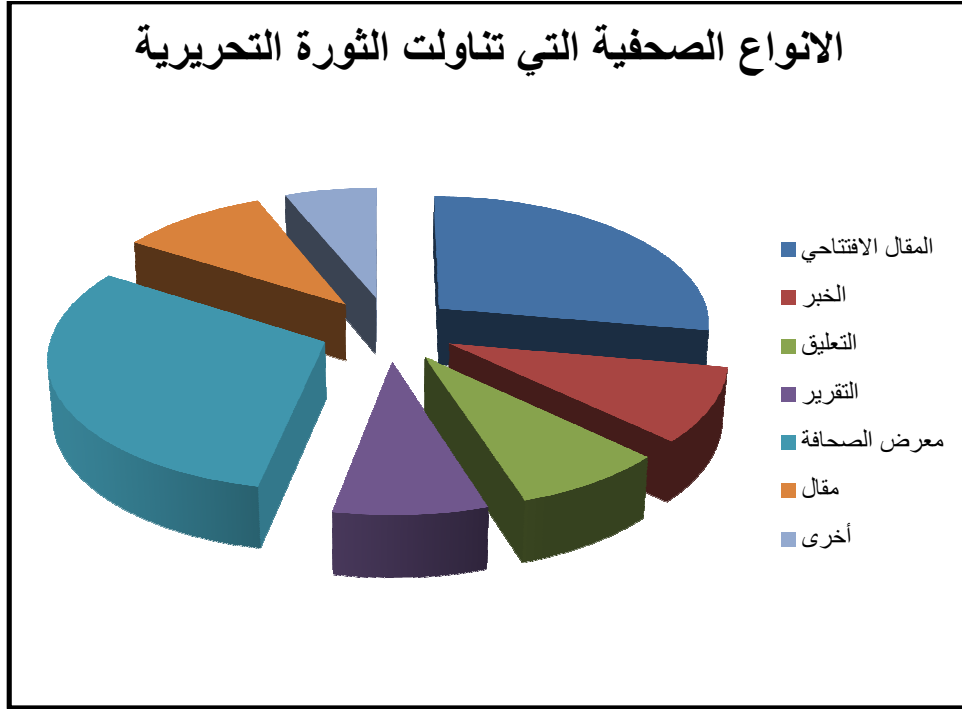
يبين الجدول أعلاه مختلف الأنواع الصحفية المستخدمة في معالجة موضوع الثورة التحريرية في جريدة البصائر، حيث كان معرض الصحافة في الصدارة بـ 50 موضوع و بنسبة 30.86% تلاه المقال الافتتاحي بـ 45 موضوع و بنسبة 27.77%، ثم المقال بـ 16 موضوع و بنسبة 9.86%، ثم الخبر بـ 15 موضوع و بنسبة 9.25%، ثم التقرير و التعليق بـ 13 موضوع و بنسبة 8.02%، وفي الأخير المواضيع الأخرى بـ 10 موضوعات و بنسبة 6.17%.



رسم بياني يمثل الأنواع الصحفية التي تناولت الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

يتجلى من خلال الرسم البياني السابق والخاص بالأنواع الصحفية المعتمدة في تناول الثورة التحريرية في جريدة البصائر تعدد الأنواع والقوالب الصحفية، حيث اعتمدت بنسبة كبيرة على

معرض الصحافة والافتتاحية، مع تقارب ملحوظ بين كل من الخبر و التعليق و التقرير و المقال و الموضوعات الأخرى، و هذا التنوع يفسر مدى اهتمام الجريدة بموضوع الثورة و محاولتها معالجته بتنوع كبير.



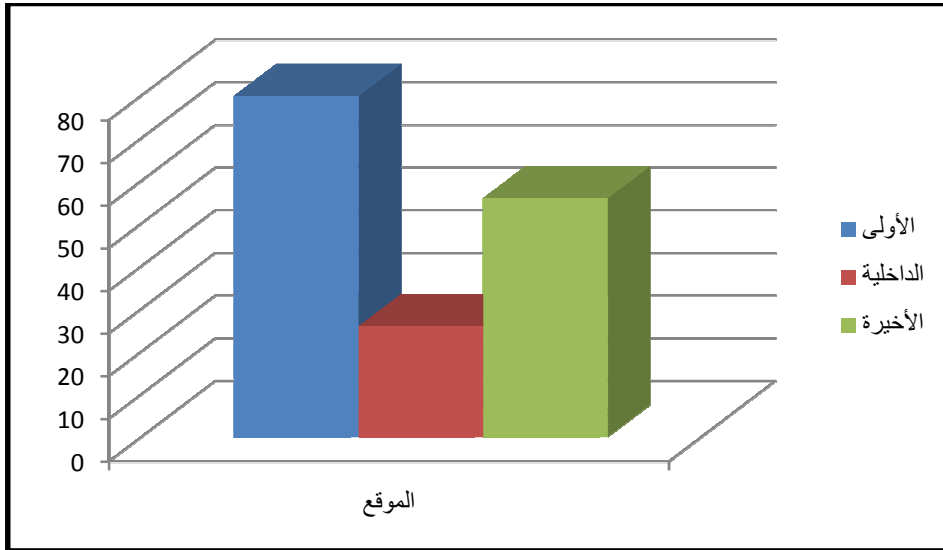
دائرة نسبية تمثل الأنواع الصحفية المعتمدة في تناول موضوع الثورة في جريدة البصائر

إن تنوع الأنواع الصحفية في جريدة البصائر في تناولها لموضوع الثورة التحريرية يظهر بصورة كبيرة و ملحوظة من خلال الدائرة النسبية أعلاه، و التي تُبرز التعدد في القوالب الصحفية مع نسبة كبيرة لمعرض الصحافة و المقال الافتتاحي.

الجدول رقم (11) : يمثل موقع موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

النسبة %	التكرار	الموقع
49.39%	80	الأولى
16.05%	26	الداخلية
34.56%	56	الأخيرة
100%	162	المجموع

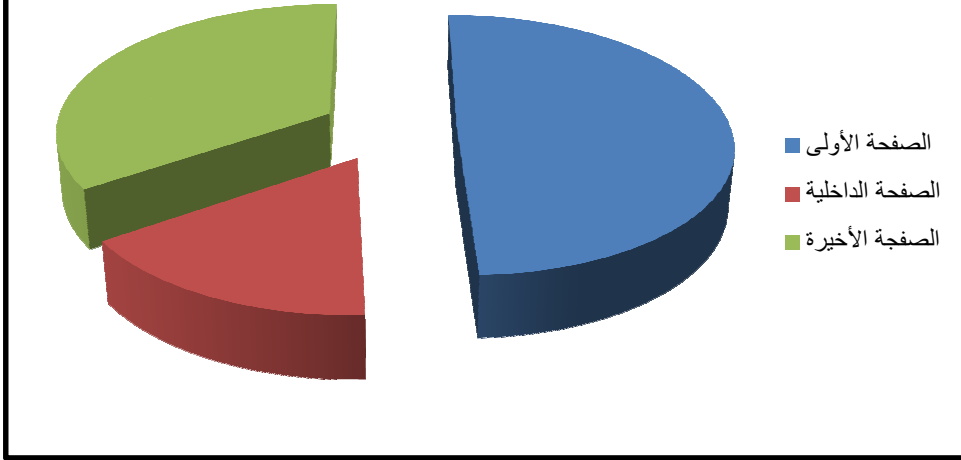
من خلال الجدول أعلاه الذي يحدد موقع موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر يتبين لنا أن مجمل المواضيع تم تناولها في الصفحة الأولى بـ 80 موضوع و بنسبة تقدر بـ 49.39%، ثم الصفحة الأخيرة بـ 56 موضوع و بنسبة 34.56%، ثم الصفحة الداخلية بـ 26 موضوع و بنسبة 16.05%.



رسم بياني يمثل موقع موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

احتلت موضوعات الثورة مكانة مرموقة في الصفحات الأولى لجريدة البصائر و كما حازت الصفحة الأخيرة نسبة معتبرة، و التي تفسر على الاهتمام الكبير للجريدة في تناول الموضوع مع كما خصصت نسبة من المواضيع في صفحاتها الداخلية.

موقع موضوعات الثورة في جريدة البصائر



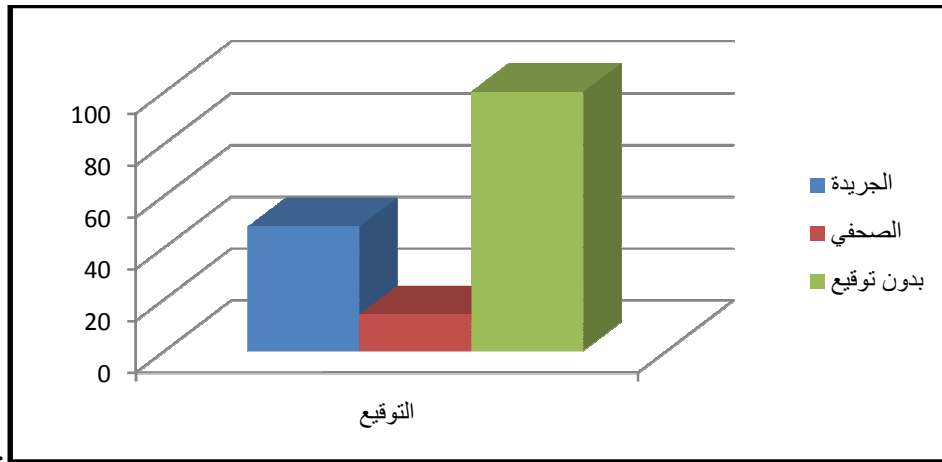
دائرة نسبية تمثل موقع موضوعات الثورة في جريدة البصائر

يظهر من خلال الدائرة النسبية أن نصف المساحة المخصصة لموضوعات الثورة التحريرية كان في الصفحة الأولى، و نسبة معتبرة للصفحة الأخيرة بالمقابل مع الصفحات الداخلية.

الجدول رقم (12) : يمثل مصادر موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر.

النسبة %	التكرار	التوقيع
29.62%	48	الجريدة
8.64%	14	الصحفي
61.72%	100	بدون توقيع
100%	162	المجموع

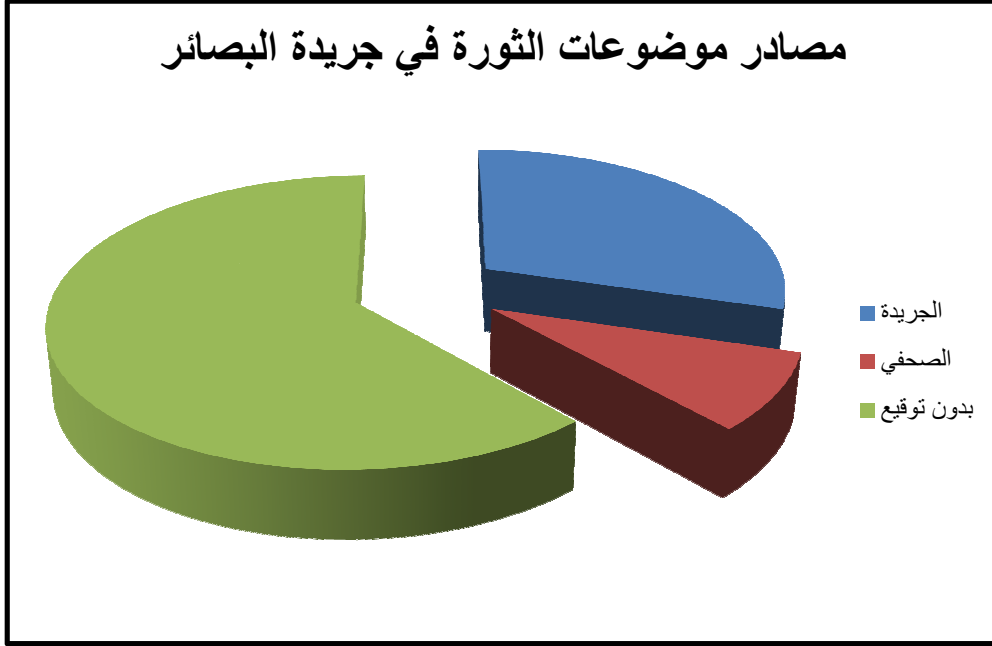
من خلال الجدول أعلاه يتبين أن جريدة البصائر في تناولها لموضوع الثورة التحريرية اعتمدت بنسبة كبيرة على الموضوعات بدون توقيع وذلك بـ 100 موضوع و بنسبة تقدر بـ 61.72%، تلتها الموضوعات التي حملت توقيع الجريدة بـ 48 توقيع و بنسبة 29.62%، ثم الموضوعات الموقعة من طرف الصحفي بـ 14 موضوع بنسبة 8.64%.



رسم بياني يمثل موقع موضوعات الثورة التحريرية في جريدة البصائر

إن القراءة الأولية للرسم البياني تُظهر اعتماد الجريدة في تناول موضوعات الثورة التحريرية على الموضوعات التي لا تحمل أي توقيع بنسبة كبيرة، و نسبة معتبرة على الموضوعات الممضية من طرف الجريدة بحد ذاتها، بالمقابل مع الموضوعات التي حملت توقيع الصحفي.

مصادر موضوعات الثورة في جريدة البصائر



دائرة نسبية توضح مصادر موضوعات الثورة في جريدة البصائر

تبرُز الموضوعات التي لا تحمل أي توقيع من خلال الدائرة النسبية و التي اعتمدها جريدة البصائر في تناول الثورة التحريرية على صفحاتها، ويعتبر عدم توقيع الكاتب لمقالاته نوع من الحماية من الرقابة العسكرية الفرنسية، وهذا ما يفسر هيمنة المصادر المجهولة ، و نسبة متفاوتة بالنسبة للموضوعات التي حملت توقيع الجريدة والصحفي على التوالي.

المبحث الثالث: الثورة التحريرية من خلال التحليل الكيفي لمحتوى جريدة البصائر.

إذا كان التحليل الكمي يجيب عن السؤال كيف قيل؟ من خلال تبويب المادة الإعلامية وإخراجها على شكل جداول و رموز، فإن التحليل الكيفي يقوم باستنطاق هذه الجداول و الرموز من أجل الوصول إلى نتائج البحث المرجوة : حيث يقوم هذا النوع من التحليل بالغوص في أعماق المادة المكتوبة انطلاقاً من المساحة المخصصة لموضوع ما ، فعلى الرغم من صغر حجم بعض المساحات المكتوبة إلا أنها تحوي ضمن فقراتها معاني كثيرة قد لا تتوفر في موضوع أفردت له مساحات واسعة، كما أن هذا النوع من التحليل لا يهتم بلغة الأرقام في تفسير المضامين المدروسة بل يركز على إبراز ما تتميز به الأشياء من خصائص و صفات تميزها عن بعضها البعض¹.

I- التحليل الكيفي لفئات الشكل:

أ - فئة المساحة: تتناول هذه النقطة الحيز المكاني المخصص لموضوع حدث الثورة التحريرية الكبرى المتضمنة في المساحة المطبوعة لجريدة البصائر، على مستوى أعدادها خلال الفترة المستهدفة بالدراسة (1954-1956 م).

إن الهدف من البحث في هذه النقطة يتمثل أساساً في تحديد الأهمية الإعلامية التي حظي بها الثورة التحريرية من طرف جمعية العلماء المسلمين من خلال صفحات جريدة البصائر، و عليه فإن التمهيد لمعرفة درجة حضور الموضوع " الثورة" على صفحات الجريدة، و ذلك بالنظر إلى أن حجم المساحة المطبوعة ليس وحدات متناثرة فوق كل صفحة، و إنما هي مجموع مُحصلة إنتاج هذه العناصر و استخدامها في كل صفحة من صفحات الجريدة ، إذ لا بد أن يخضع إلى الخط السياسي لجريدة البصائر و يحقق رأيها في الأخبار و الأفكار و مواقفها من وقائعها، بحكم أن الجريدة وُجدت للتعبير عن أفكار و مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أي بالإجابة عن السؤال: كيف تناولت جريدة البصائر موضوع ثورة أول نوفمبر 1954 م.؟

من خلال تحليلنا الكمي لفئة المساحة المكتوبة تبين لنا أن موضوع الثورة التحريرية احتل مساحة هامة ضمن صفحات جريدة البصائر ، و التي قُدرت بـ 29% من المساحة الكلية للجريدة، و بنسبة 30% من مساحة التحرير* . هذا و قد عرفت نسبة التحليل تصاعداً تدريجياً حتى نهاية الفترة الأخيرة (أي مع آخر أعداد جريدة البصائر من سنة 1956 م)، و ما يمكن قوله أن الجريدة اهتمت بالثورة التحريرية و تابعت تغطية أحداثها آخذة منحى تصاعدياً.

و هذا يدل على أن التغطية المكثفة للأحداث جاءت مباشرة مع انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954م، مما يبين أن الجريدة تفاعلت كميّاً معه كحدث جديد على الساحة الجزائرية وسأيرت

¹ - أحمد بن مورسلي، مناهج البحث العلمي في علوم و الاتصال: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 258.

* - و يعود هذا إلى أن جريدة البصائر لم تكن تنشر مساحات إخبارية كبيرة .

تطور الأحداث، خاصة بعد أحداث 20 أوت 1955م، و كذا ردود الأفعال التي رافقت الحدث حيث أن ثلث مساحة الجريدة يعتبر معدلاً كبيراً خاصة إذا علمنا أن جريدة البصائر من المفروض أنهما لا تهتم إلا باللغة العربية و الدين الإسلامي، فدخول موضوع الثورة يُعتبر متغيراً جديداً ليصبح جزءاً من اهتمامات الجريدة، و مما يؤكد ذلك هو ثلث المساحة الكلية مُخصصة بالكامل للتتبع أحداث الثورة و تطوراتها الميدانية.

كما يتبين لنا من خلال الأرقام المتضمنة في الجدول رقم (02) الخاص بفترات الدراسة الخمسة التي تناولت فيها جريدة البصائر لأحداث ثورة الفاتح نوفمبر 1954 م المنحني التصاعدي لحجم مساحة التغطية الصحفية المُخصصة للمواضيع ذات الصلة بالثورة كلما ازدادت الثورة انتشاراً و لهيباً. كما يمكن أن نلاحظ أن هذه الزيادة في حجم مساحة التحليل كانت على حساب المواضيع الأخرى و خاصة الدينية منها و التي تُعتبر المصدر الرئيسي الذي يُغذي صفحات جريدة البصائر من نشأتها الأولى.، كما تُؤشر زيادة المساحة الخاصة بتغطية تطورات الثورة إلى أن أعضاء الجمعية تحولوا إلى أقلام ثورية تُرافع عن حقوق الجزائريين و تشد أزر الشعب الجزائري و التيقن بنهاية العدو المُستعمر. و يبدو أن أهداف جمعية العلماء المسلمين تحولت مرحلياً بفعل الثورة من تحقيق أهداف تربوية تعليمية إلى تحقيق الهدف الأسمى في هذه المرحلة و هو تحقيق الاستقلال بدعم العمل الثوري . ويُعدّ العدد 383 الصادر بتاريخ 21 أكتوبر 1955م، أكثر الأعداد من حيث مساحة التحليل، نتيجة تناول الجريدة لمناقشة القضية الجزائرية أمام المجلس الوطني الفرنسي.

ب - العناصر التبوغرافية: نتطرق في هذه النقطة إلى الكيفية التي تم من خلالها استخدام العناصر التبوغرافية في تغطية موضوع الثورة الجزائرية الكبرى، و هذه العناصر لها دلالتها المتميزة و تأثيراتها المتباينة على القارئ، فمثلاً العناوين أكثر لفتاً للانتباه من النصوص، و كما أن الصورة أفضل تعبيراً من الكلمة المكتوبة.

- النصوص: النص عبارة عما تضمنته الجريدة من معلومات على مختلف صفحاتها، و قد بلغت مساحتها 141094 سم² أي بمساحة تقدر بـ 30.96% من المساحة الإجمالية لجريدة البصائر، و تُعبر هذه المساحة على أن الجريدة لم توظف الصور في تناولها لموضوع الثورة التحريرية و هو الأمر الذي يوضح الأهمية البالغة التي تميز بها موضوع الثورة في الجريدة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الصورة لم تكن توظف بدرجة كبيرة في تلك الفترة عكس الفترة الحالية التي تعتبر فيها الصورة ركيزة أساسية في تحرير الخبر.

- العناوين: إن العناوين هي النوافذ التي نطل منها على صفحات الجرائد، و بالتالي فإنها تتنوع من صفحة لأخرى و من موضوع لآخر و من محرر لآخر، هذا و قد تعددت العناوين الصحفية في جريدة البصائر و لم تحتل مساحة كبيرة من حجم المساحة التحريرية حيث كانت

تكتب بخط صغير الحجم ، كما أن بعض المواضيع لم يكن لها عناوين وتكتفي باسم الركن الذي تكتب فيه ، كما جاءت العناوين على شكل جمل تحمل فكرة معينة وأتت العناوين بصيغ مختلفة نذكرها فيما يلي :

- **العنوان الإخباري:** وهو العنوان الذي يحمل معلومات عن الموضوع المصاحب له و يقدم معلومات جديدة تتصل بالخبر الأساسي بجياد تام، حيث نلمس هذا النوع من العناوين في العدد رقم 295 "المجلس الجزائري و الحوادث الأخيرة"، و في العدد 348 "الاتحاد الديمقراطي للبيات الجزائري اتجاه الأزمة الجزائرية"، و في العدد 338 "القضية الجزائرية أمام المجلس الوطني الفرنسي"، و في هذه العناوين نلمس الصبغة الإخبارية البحتة الخالية من الذاتية و المحسنات اللغوية: لأن دورها إخباري بحت يقدم معلومات واقعة لا غير.

-**العنوان المقارن المكون من متغيرين:** و يقوم هذا العنوان على أساس المفاضلة بين الأفكار و الآراء و إبراز جوانب التفاصيل، و يعتمد على عنصر المقابلة بين حقيقتين أو أكثر من الحقائق المتصلة بالخبر، و نذكر كأمثلة عن هذا النوع من العناوين ما ورد في العدد رقم 357 "قوة السلاح لا تقهر الأفكار"، و في العدد 360 "قضية فناء أو بقاء"، و في العدد 353 "يريدون كل شيء، فيخسرون كل شيء"، و تتجلى الغاية من استخدام هذا النوع من العناوين لتوضيح المعنى و تفسيره بطريقة لغوية جميلة انطلاقاً من أن الأمور تعرف من أضدادها، فلجأ محررو جريدة البصائر إلى هذا النوع من العناوين المقارنة نظراً لتحكمهم في اللغة العربية أولاً و ثانياً لإدخال صبغة لغوية جميلة على المعنى .

- **العنوان التساؤلي:** و يكون هذا العنوان على شكل سؤال هام و مثير، و يهيم الجمهور و يفضل ألا يزيد العنوان عن سطر واحد، و من أمثلة هذا النوع الذي وظفته جريدة البصائر ما نجده في العدد رقم 321 "من المسؤول عن هذه الدماء؟"، و في العدد 322 "هل تسير القضية الجزائرية في طريق الحل؟"، و في العدد 328 "كيف يمكن اجتناب الحرب في القطر الجزائري؟"، و في العدد 346 " و هذه المعتشادات متى تزول؟"، و يتمثل الدور الرئيسي لهذا النوع من العناوين التي تأتي في شكل تساؤلات في إثارة و جذب انتباه القارئ إلى الموضوع و إثارة غرائزه للتفكير و التأمل أكثر في حيثيات الموضوع، لأن القارئ و بمجرد الإطلاع على العنوان يتساءل عن الإجابة داخل صلب الموضوع و يطرح العديد من التساؤلات الخاصة به قبل قراءته للمقال و هذا هو الدور الذي يسعى إليه كاتب المقال أو الموضوع خاصة إذا ما تعلق بالثورة الجزائرية التي انتظرها الشعب الجزائري أكثر من قرن و ربع من الوقت .

- **العنوان الوصفي:** و يقوم على رسم صورة وصفية للموضوع في ذهن القارئ، بحيث تجذبه هذه الصورة لقراءة الموضوع، وهذا العنوان يستخدم الألفاظ القوية التي تدعو القارئ إلى القراءة، و نجد كأمثلة عن هذا النوع من العناوين في العدد رقم 298 " **الجزائر في هترق الطرق** "، و في العدد 323 " **السير نحو النجاج** "، و يتمثل دور هذا النوع من العناوين في رسم صورة عن الواقع و توضيحه بأسلوب جميل للقارئ للتوضيح و اجتناب الملل.

- **العنوان النقدي:** و هو العنوان الذي يتخذ موقف من الأحداث ، و بالتالي فهو يُستخدم بكثرة في الأحاديث الصحفية و المقالات و التحقيقات، و نجد هذا النوع في العدد رقم 294 " **كلا يجب ألا تنتصر الرجعية** "، و في العدد 296 " **لا تلعبوا بالنار** "، و في العدد 324 " **كلا بل هي محتشادات** "، و في العدد 327 " **أليس فيكم رجلاً رشيداً!؟** "، و يتمثل دور هذا العنوان النقدي لإضفاء التفسير و تحليل المعنى و إعطائه بعداً صحفياً جَمِلاً يحمل العديد من المعاني المفخخة و التي تجعل من المقال الصحفي ذا أهمية و يحمل سمة الشوق لقراءته .

- **العنوان المثل أو الحكمة:** و يكون العنوان مَثَل أو حكمة معروفة لدى الجماهير تتفق و طبيعة المضمون الذي يحمله النص الخبري، و ورد هذا النوع من العناوين في العدد رقم 301 " **مأصفة في كأس** "، و في العدد 297 " **الجزائر فوق كفة مخربته** "، و هذا النوع من العناوين يتخذ من المثل و الحكمة اقتباساً له لإضفاء رونق لغوي للمقال و هو ما يجذب القراء إليه.

- **العنوان المقتبس:** و يكون في المعتاد مقتبساً من تصريح المسؤول أو الشخصية التي يتم إجراء الحوار معها، و قد يتضمن الاقتباس آيات من القرآن الكريم تكون متطابقة مع المضمون الذي يهدف إليه المعنى، و ظهر هذا النوع من العناوين في العدد رقم 320 " **إنهم يكيدون كيداً** " و هو عنوان مقتبس من القرآن الكريم، و في العدد 321 " **ظلمات فوق بعضها البعض** " و هو كذلك عنوان مقتبس من القرآن الكريم ، و من خلال هذه العناوين نلمس الصبغة الدينية في تحرير أخبار الثورة التحريرية على صفحات جريدة البصائر.

و ما يُمكن أن نلاحظه إجمالاً عن هذه العناوين الموظفة من طرف أقلام الجمعية في كتابة مقالاتهم أنها كانت مرآة عاكسة لخلفية تكوينهم الديني و كذلك نزعتهم نحو الكتابة الأدبية، و هو ما جعلهم يُوظفون مُختلف أنواع العناوين المعروفة في الكتابة الصحفية.

ج - الموقع : يعكس موقع توزيع موضوع الثورة الجزائرية على صفحات جريدة البصائر من حيث المساحة أو الموقع مع وزنه كحدث و كثقل سياسي، لأن الأحداث تُصنف حسب الأهمية بالنسبة للجريدة، أي أن عنصر المكان المخصص للموضوع في الجريدة يعكس مدى

محاولة تقريب الحدث من القارئ و هو الشعب الجزائري القابع تحت نير المستعمر من طرف طاقم تحرير جريدة البصائر، التي لها رسالة ثورية تعبوية تؤدبها.

و من خلال التحليل الكمي لموقع موضوعات الثورة الجزائرية في جريدة البصائر، يتضح لنا أن معظم الموضوعات احتلتها الصفحة الأولى بنسبة 49% من المساحة الإجمالية مقابل 34% جاءت في الصفحة الأخيرة، في حين تناولت الجريدة في صفحاتها الداخلية موضوع الثورة المباركة بنسبة 16%، مع العلم أن عدد صفحات الجريدة البالغة ثمانية فإن متوسط تناول الحدث يُمثل نسبة 4.33% لكل صفحة.

إن تركيز طاقم جريدة البصائر على تناول موضوع الثورة كان في الصفحة الأولى و الأخيرة بنسبة معتبرة جداً، و هو ما يعكس الاهتمام الكبير الذي أولته جريدة البصائر للحدث و مدى حرصها الشديد على معالجة أحداث الثورة معالجة إعلامية تعكس حرص جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مواكبة أحداث الثورة الجزائرية و مباركتها بالقلم و التحليل الصحفي و هذا لا يعني أن الصفحات الداخلية لا تدل على مدى الاهتمام لكن ليس بنفس قيمة الصفحات الأولى و الأخيرة، لأنها تعبر بالضرورة على تركيز الجريدة على موضوع الثورة و جعلها من بين أولوياتها في التغطية الإعلامية.

II - التحليل الكيفي لفئات المحتوى:

أ - فئة الأنواع الصحفية:

تعددت و تنوعت الأنواع الصحفية التي استعملت من طرف جريدة البصائر، في تغطيتها لأحداث الثورة الجزائرية، بحيث أننا نجد نوعين صحفيين إخباريين و هما الخبر و التقرير، بينما شملت أنواع الرأي كل من : المقال، التعليق، و الافتتاحية، و كذلك المقابلة¹. بالإضافة إلى وجود نوع صحفي آخر و هو معرض الصحافة أدرجنا ركن " يوميات الأزمة الجزائرية " فيه، رغم أن كتاب و أقلام البصائر من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ليسوا خريجي مدارس الصحافة و لكنهم كانوا يكتبون انطلاقاً من واجب ديني و وطني، مستمدين بعض التقنيات الصحفية من صحافة المشرق و من صحافة الفرنسيين ، و هو ما يجعل تصنيف هذه الأنواع الصحفية أمر صعب : مثل النوع الذي كتب به أحمد توفيق المدني في كتابة ركن " يوميات الأزمة الجزائرية " حيث لجأ إلى هذا الأسلوب حتى يتفادى تأويلات الرقابة الفرنسية التي كانت تراقب محتويات الجريدة بصفة دقيقة و مستمرة، و هي طريقة ذكية منه حيث استطاع التحدث عن الثورة و أحداثها و معاركها و عن شموليتها عبر كل القطر الجزائري ، متفادياً بذلك رد فعل الاستعمار، إذ كان يقوم

¹ - محمد لعقاب، الصحفي الناجح، الجزائر: دار هومة، ص 49.

بترجمة أخبار الثورة الصادرة عن الصحف الفرنسية خلال أسبوع كامل، وهي تشبه إلى حد بعيد النشرات الحائطية، التي تنشرها مختلف الحركات التحريرية المسلحة لعرض أعمالها و انتصاراتها على الجماهير الشعبية.

1- الخبر: لم يحتل مكانة مهمة عبر صفحات جريدة البصائر: ويُعتبر الخبر كأداة تستعمل لنقل معلومات عن أحداث جديدة، و كانت معظم الأخبار تتحدث عن مستجدات الأحداث على الساحة الوطنية، و كذا ردود الفعل الخارجية و الداخلية، و أشارت الأخبار التي نشرتها البصائر إلى بعض تفاعلات الحدث على المستوى الدولي بنقل أصداء الثورة في الخارج لتكريس مبدأ تدويل القضية الجزائرية على المستوى العربي، الإسلامي، و الدولي، و الهدف منه تقديم الخبر كما جاء من المصدر، و لكن دائماً يكون مختاراً بما يخدم هدف الجريدة، في إبراز القضايا التي تمهها و تخدم خطها التحريري.

ففي العدد رقم 354 الصادر بتاريخ 17 فيفري 1956م وُرد خبر تحت عنوان " في جبهة التحرير الوطني" حول الندوة الصحفية التي عقدها محمد خيضر، و التي تناولت إمكانية عقد هدنة بين جبهة التحرير الوطني و فرنسا ، فالإضافة إلى التطرق إلى الكفاح المشترك مع المغرب و تونس، و في العدد 356 الصادر بتاريخ 02 مارس 1956م خبر تحت عنوان "عَلَم الفلاحة بباريس"، و الذي تناول حفلة جماعة أصدقاء الاستعمار بباريس و قيامهم برفع العَلَم الجزائري و المؤلف من أبيض و الأخضر و يتوسطها هلال و نجوم حمراء، و في العدد 355 الصادر بتاريخ 24 فيفري 1956م وُرد خبر تحت عنوان "ضد تنفيذ الإعدام" الذي يتناول الرسالة التي أرسلها الأستاذان جون كاسو و جون جاك مايو لرجال الحكومة الفرنسية باسم جمعية المثقفين ضد استمرار حرب الشمال الإفريقي، يترجون فيها توقيف تنفيذ أحكام الإعدام. و هذه المواضيع في مجملها عبارة عن أخبار الهدف من نشرها الترويج لنشاط زعماء الجبهة في الخارج و كذا في الداخل، مع إبراز مختلف النشاطات التي تؤيد و تساند مطالب الجزائريين في الاستقلال و التحرر.

2- الافتتاحية: هي المقال الذي يُنشر عادة في الصفحة الأولى من الصحيفة بقلم رئيس التحرير، و مصدق عليه من قبله أو يعبر عن رأي محرري الصحيفة أو ناشريها ، و في تعريف آخر للافتتاحية: " هي مصدر موضوعي عن رأي الصحيفة تدعمه الحقائق و الأدلة و الإحصائيات في أهم أحداث اليوم التي تمس مصالح أكبر عدد من القراء و تشير اهتمامهم و تدفعهم إلى العمل على تنمية المجتمع وترقيته"¹. و تُقدم رأي الوسيلة الإعلامية حول حدث ما، و هي من أنواع الرأي

¹ - عبد العالي رزاق، المقال و المقالي، دار هومة للطباعة والنشر توزيع، ط1، 2006، الجزائر، ص46.

خاصة و أن جريدة البصائر هي جريدة رأي بالدرجة الأولى، لذلك جاءت مقالات افتتاحية كثيرة تتحدث عن أحداث الثورة التحريرية. و عن إبراز مواقف جمعية العلماء منها، خاصة التضيق الذي مارسه المستعمر على الشعب الجزائري، و وضعه في حالة أشبه بالأسر.

و من بين الافتتاحيات نجد ما ورد في العدد رقم 293 الصادر بتاريخ 19 نوفمبر 1954م بعنوان "لنجاهه الحقائق بالحكمة و العقل"، و التي أرجعت فيه جريدة البصائر سبب الثورة إلى اليأس و حالات الاستياء التي كان يُمِر بها الشعب الجزائري طيلة فترة الاستعمار و يُضيف كاتب المقال بأن " الثورة ستزداد شغلة لهيها غير كامل نطاق الوطن، كلما زاد رد فعل فرنسا العنيف " كما جاءت افتتاحية في العدد رقم 321 الصادر بتاريخ 3 جوان 1955م تحت عنوان "ظلمات بعضها فوق بعض" تهاجم قضية المحتشدين مطالبة بإلغائها معتبرة أنها فضيحة ستبقى أبد الدهر لا تمحوها الأيام، و في العدد 323 الصادر بتاريخ 17 جوان 1955م، وردت افتتاحية أخرى بعنوان "سير نحو النجاح" تتحدث فيه عن تطور الحركة الثورية : " لكن الأفكار التحريرية العظمى في كل عصر و في كل مصر، تلعو و لا يعلى عليها، و تنتصر رغم العقبات و التعذيب و التنكيل، و اليوم نرى أن الفكرة التحريرية الجزائرية قد أخذت تحطم الستار الحديدي الذي ضربته حولها أيدي الطغيان الاستعماري الذي يعاني سكرات الموت الذي لا حياة من بعده"¹، كما تهاجم فكرة الجزائر قطعة من فرنسا. كما نجد مقال افتتاحي في العدد 353 الصادر بتاريخ 10 فيفري 1956م تحت عنوان " يريدون كل شيء فيخسرون كل شيء " تحدث فيه عن المظاهرة التي قام بها المعمرون ضد رئيس الوزراء و المطالبة بعزل الوالي العام جاك سوستيل و الذي شرع في البحث عن المفاوضات مع الجزائريين لإيجاد حل لأزمة الجزائرية. حيث ردت على تعنتهم " يريدون أن لا تنال الجزائر - جزائرنا نحن - أي حق من حقوق المواطنين الأحرار " مخاطبتا إياهم " كُنّا نُريد أن تكون جزائر الغد الحرة المستقلة ، لنا و لهم .. فأبو ذلك فأعلنوا أنهم لا يريدونها إلا لُقمة سائغة لهم و حدهم ، فهل من حرج علينا إن نادينا نحن اليوم بأننا نُريدها أيضا و حدنا " .

و عادة ما يكون شكل المقال الافتتاحي الذي من ابرز سماته تواجده على صدر الصفحة الأولى، و غالباً ما تكون ملحقمة بتتمة في الصفحة الثانية، كما زوجت بين الأسلوب الأدبي و الأسلوب الصحفي.

3- التعليق: هو بمثابة الرأي السياسي المسؤول الصادر عن جهاز التحرير²، و يقدم وجهة نظر محددة و رأي واضح حول حدث ما (ما وراء الحدث). و يعكس التعليق

1- جريدة البصائر، العدد 323، الصادرة بتاريخ 17 جوان 1955، ص1.

2- محمد لعقاب : نفس المرجع ، ص78.

وجهة نظر كُتاب جريدة البصائر عن مُختلف الأحداث الوطنية التي تُخص التطورات الميدانية و كذلك إبداء التعليقات عن لإجراءات و المواقف الفرنسية ، و قد يكون موضوع التعليق سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو ثقافياً إنطاقاً من طبيعة موضوع التعليق في حد ذاته ، و يختلف مكان التعليق في الصحيفة حسب أهمية موضوعه و إستراتيجية الجريدة في توزيع المواضيع حسب الأهمية على مواقع الصّفحات. و ما يُعرف أيضا على العمود أنه عادة يؤخذ مكان قارا و لكاتب واحد ليتعود عليه عين القارئ.

و يساهم التعليق في توضيح الخبر للقارئ مع رأي كاتبه ، على أن يعتمد التعليق على المنطق و الحجّة و الوضوح، و كمثال عن هذا النوع الصحفي ما ورد في العدد 354 لجريدة البصائر الصادر بتاريخ 17/02/1956م، تحت عنوان "هل من آلات تلد الأوروبيين" و يُعدّ فيه كاتب المقال عدد المستوطنين الأوروبيين الذين بلغ عددهم مليون نسمة، و كيف قفز إلى مليون و مائتي ألف، ثم إلى مليون و نصف، مُعلق بسخرية بـ "إنهم اكتشفوا آلة تنتج النوع البشري الأوروبي حسب الطلب، أو ربما زادوا على العدد غدا ما يملكون من دواب و دواجن".

كما ورد تعليق آخر تحت عنوان " العلم في خدمة الاستعمار" الصادر بتاريخ 16 مارس 1956 م عدد 358 ، الذي شجّب فيه صاحب التعليق قيام أساتذة التعليم الثانوي و الجامعي بجمع إماءات في عريضة يُطالبون الحكومة الفرنسية أن تُبقي الوضع بما تحوى أنفسهم من بقاءها خاضعة للنظام الاستعماري ، مُعلقة عليهم بتهكم " هذا النظام الاستعماري الذي أجمعت جميع الشعوب في هذا العصر على مُطاردته و إراحة الإنسانية من ويلاته و موبقاته ، فكيف بهذه الفئة أن تنزل بالعلم من عليائه إلى حضيض خدمة الاستعمار و السير في ركابه".

كما نجد تعليق أورده جريدة البصائر في العدد 355 الصادر بتاريخ 24 فيفري 1956م تحت العنوان " درس في التاريخ " حيث وصفت دهشة الوزير م. لاكوسست عندما قام بحضور درس في الجامعة الجزائرية عن تاريخ الثورة الفرنسية، حيث أوضح كاتب التعليق " أن هذا النوع من الدروس مما لا يعسر فهمه هذه الأيام على الصغار و الكبار معا...لنشيد بهذه الثورة و تمجيدها لأنها ناضلت من أجل الحرية و العدالة و المساواة".

4- التقرير: و يعرفه محمد لعقاب على أنه من أهم الأنواع الصحفية الإخبارية لأنه يقوم بنقل تفاصيل الواقع و الأحداث و الظروف المحيطة بنا، فإذا كان الخبر مثلاً يعلن عن الواقعة أو عن نتيجتها فإن التقرير يقوم بنقل تفاصيل مجرياتها و سمي التقرير أيضا بالتغطية الصحفية، حيث يتحول الصحفي إلى ناقل فقط أي ينقل ما يجري و لا يقحم ذاتيته أو آراءه الخاصة التي يمكن التعبير عنها بنوع صحفي آخر من أنواع الرأي، و يستخدم لنقل معلومات من خلال عنصر ذاتي (شاهد

عيان)¹. ففي العدد رقم 295 الصادر بتاريخ 03 ديسمبر 1954م، نجد تقرير بعنوان "المجلس الجزائري و الحوادث الأخيرة"، الذي سرد بعض مجريات جلسات النقاش في المجلس الجزائري، و في تقرير العدد 338 الصادر بتاريخ 21 أكتوبر 1955م تحت عنوان "القضية الجزائرية أمام المجلس الوطني الفرنسي" أين أشارت جريدة البصائر إلى مناقشات المجلس الوطني الفرنسي حول القضية الجزائرية، نظراً للأهمية التاريخية التي اكتسبتها هذه المناقشات.

5- المقال: و هو رؤية يقدمها كاتب معين داخل الجريدة لظواهر و أحداث يختارها، و عادة ما يكتب المقال من طرف مُتمرسين في الكتابة الصحفية و من ذوي خبرة محترمة في العمل الإعلامي، كما يختلف نوع المقال باختلاف الموضوع المُتناول من طرف الصحفي فهناك : المقال العلمي، و المقال السياسي، و المقال الاجتماعي، و المقال الاقتصادي، و المقال النقدي، و المقال الثقافي.... الخ.

يخضع المقال إلى شروط ضابطة عند كتابته تخص الأسلوب الذي يأخذ من الأسلوب العلمي في تحليل الأفكار و تعميق النقاش و الاستناد إلى التدليل و التفسير مع إعطاء أمثلة و شواهد لتوضيح الموضوع المكتوب. كما يتجلى بوضوح رأي صاحب المقال و يُدافع عليه، و هو ما يجعل كاتب المقال مُتحيّز و لا يخضع إلى الكتابة الصحفية المُترنة و الموضوعية.

و لقد وظفت جريدة البصائر المقال في العدد رقم 352 الصادر بتاريخ 03 فيفري 1953م تحت عنوان " القضية الجزائرية قضية حرية أو موت" لكاتبه الشيخ عبد الرحمن شيبان و الذي تكلم فيه عن إفلاس النظام الاستعماري و الدليل على ذلك الاستقلالات المتوالية من منصب الولاية العامة، و أن مصير الأمة الجزائرية قد أصبح في أيدي أبطال الملحمة القائمة، و دعا النظام الفرنسي إلى عدم جدوى الإصلاحات القديمة من إدماج و مساواة، موجهها كلامه للفرنسيين: فليدرك أحفاد الثورة الفرنسية هذه الحقيقة الناصعة، و ليسارعوا إلى التفاهم مع رجال الثورة الجزائرية و على أساسها و هداها". و في مقال العدد 358 الصادر بتاريخ 16 مارس 1956 تحت عنوان " تنبؤات الشعراء أو من جبالنا" و تكلم فيه كاتبه عن دعوة الأم عبر العصور إلى الثورة على العبودية و التمتع بالحرية، مُعطيًا نماذج من الشعر الجزائري التي كُتبت قبل الثورة و تنبأت بقيام الثورة مثل: الشعر الذي كتبه ابن باديس سنة 1939 يقول فيه:

اشهدي يا سما *** و اكتبنا يا وجود

إننا للحمى *** سنكون الحدود

فتزيح البلا *** و نفك القيود

و شعر آخر نُظِم في سنة 1944م:

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال لاستقلال وطنينا

قائلا في الأخير أن هذه الأشعار كانت أمنية، و لكن هذه الأمنية أصبحت حقيقة واقعة و حجة دامغة و لا يُماري فيها إلا الذين يُخادعون أنفسهم و لا يَشعرون.

كما نجد مقال في العدد 359 الصادر في 23 مارس 1956م تحت عنوان " ما بعد استقلال المغرب " الذي كتبه حمزة بوكوشة و الذي استبشر فيه استقلال الجزائر بعدما تحررت الجارة المغرب من محالب المستعمر الفرنسي.

6- معرض الصحافة: و هي عبارة عن: " مقتطفات من الصحف تصاغ و شك شكل معين و تتمحور حول موضوع معين " أو " هو تركيب لمجموعة من مقتطفات الصحف و بعض المقالات الصحية التي يعاد إنتاجها كاملة " كما يُنظر إلى معرض الصحافة على أنه " مقارنة بين ما تنشره الصحف، بأخذ مقتطفات من المقالات و الافتتاحيات، تجمعها و تقوم بتركيب "مقتبسات" منها و ترتيب وفق زاوية خاصة حول موضوع معين"¹.

كما أن " معرض الصحافة هو استكشاف لما تنشره الصحف من أجل فهم وجهات النظر و الأطروحات التي تلتقي أو تتعارض في الصحيفة حول موضوع أو حدث ما، و يقدم من خلاله توجهات و رأي كل صحيفة ". و لتوضيح أكثر وظيفة هذا النوع الصحفي في وسائل الإعلام المعاصرة من خلال محاولة الإجابة عن هذا السؤال: هل نخبر الجمهور بما تضمنته الصحف؟ و يُفترض هنا أن الجمهور المستهدف لا يمتلك الوقت أو المال أو المزاج لقراءة كل الصحف من جهة، و لفحص كل ما جاء فيها من جهة أخرى، و لخص كل ما جاء بها من جهة أخرى².

و لم يظهر معرض " أقوال الصحف " كنوع صحفي بدافع إعلامي و إخباري، بل جاء ليساير ميلاد صحافة الرأي الشغوفة بمعرفة مواقف الخصم السياسي و الرد عليها، قبل أن تتعدد الغاية من استخدامه، حيث أصبحت وسائل الإعلام تنتج و تنشره كنص إبداعي، كما يعتبره البعض من الأنواع الإعلامية الإبداعية، الذي يعمل على تقديم و عرض أهم محتويات الصحف بشكل معين و بأسلوب معين، و ليس له قواعد خاصة أو ثابتة مثل الخبر أو التقرير أو المقابلة و غيرها من الأنواع الصحفية³، و تكمن أهميته في محاولة الصحفي الإفلات من الرقابة و تمكين وسائل إعلام أخرى من تمرير ما يصعب تمريره⁴.

¹ - نصر الدين لعباضي، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، مرجع سبق ذكره، ص 202

² - نفس المرجع، ص 201.

³ - محمد لعقاب، مرجع سبق ذكره، ص 179.

⁴ - نفس المرجع، ص 181.

و لقد اعتمدت جريدة البصائر اعتماداً كبيراً على معرض الصحافة كَنوع صُحفي عبر صفحاتها و وُظف هذا النوع للمرة الأولى في العدد رقم 352، تحت عنوان "ماذا يقولون عن القضية الجزائرية"، لتقدم فيه الجريدة مقتطفات لأخبار و أحداث من أهم الصحف العالمية التي تحدثت عن تطور القضية الجزائرية و اختارت البصائر مقالات تصب في صالح مطالب القضية الجزائرية، و كانت أغلب هذه المقتطفات من جرائد مثل جريدة "لوموند"، و "الاكسبريس" و صحيفة "الإيكونومست" الإنجليزية التي تحدثت عن قوة الثورة الجزائرية، و التي دعت ضمن مقالاتها إلى وُجوب رضوخ المعمرين و الحكومة الفرنسية لرغبات الشعب الجزائري شرعية مطالبه الثورية، كما أفردت جريدة البصائر حيزاً أسبوعياً أسمته "يوميات الأزمة الجزائرية" حيث جمعت فيه كل الأخبار التي وردت في مختلف الصحف و المجالات الصادرة في الجزائر باللغتين العربية و الفرنسية، و ذلك بعد ترجمتها و تبويبها حسب الجهات الجغرافية، و كذلك حسب نوع العمليات، سواء كانت عسكرية: مثل الكمائن، أو عمليات تخريبية، العمليات العسكرية.

فئات صحفية أخرى: و اقتصر اعتماد جريدة البصائر على نوعين صُحفيين و هما: المقابلة و البرقية .

المقابلة: و لقد أوردت جريدة البصائر في أعدادها نسبة قليلة من المقابلات الصحفية ففي العدد 318 الصادر بتاريخ 13 ماي 1955م وُردت مقابلة مع الأستاذ أحمد توفيق المدني التي أجراها مع جريدة الجزائر الجمهورية، تحت عنوان "كيف يمكن أن تحيا الجزائر؟"، و تناول من خلالها سبب عدم حل مشكل الجزائر، و الذي أرجعه إلى المعمرين الذين يتجاهلون عمداً الحقائق التاريخية و الجغرافية، و يرى أن الحل لا يمكن أن يقع إلا بصفة واحدة هي الاعتراف بالجزائريين بحقهم في إدارة بلادهم بأنفسهم، و إن القطر الجزائري الذي سيحيى حياته الجديدة لا يرى النور إلا بواسطة مذاكرات بين الحكومة الفرنسية و بين الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري.

البرقية: نشرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على صفحات جريدة البصائر في العدد 338 الصادر في 21 أكتوبر 1955م، و التي وجهتها إلى رئيس مجلس الوزراء، و وزير الداخلية و الوالي العام، و إلى أعضاء الهيئة النيابية، و ذلك بمناسبة مناقشة المجلس الوطني الفرنسي القضية الجزائرية. ناصحة السلطة الاستعمارية بوجوب إتباع سياسة الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري و إرضاء رغباته بالمُفاهمة الصادقة مع ممثليه الحقيقيين .

III- التحليل الكيفي لفئات المحتوى :

أ- فئة الموضوع : و يتضح من خلال الجدول رقم (03) أهم المواضيع التي ركزت عليها جريدة "البصائر" في تناول الثورة الجزائرية و إبداء موقفها منها، و هي ستة فئات، و كان لكل موضوع عناصره الفرعية وفق الترتيب الآتي:

1) فئة الموضوعات العسكرية وتضم كل من:

أ - العمليات العسكرية.

ب - جيش التحرير الوطني.

ج - الشهداء.

2) فئة الموضوعات الاجتماعية، و تحتوي على:

أ- التنكيل الاستعماري بالمدينين.

ب- المحتشدات.

ج- عوائل الشهداء.

3) فئة الموضوعات السياسية و تتضمن:

أ- جبهة التحرير الوطني.

ب- اقتراح الحلول.

ج- السياسة الاستعمارية.

4) فئة الموضوعات الدينية ، و فيه:

أ- التأصيل الديني للقتال " الجهاد".

5) الموضوعات القومية، و يتفرع إلى بعدين:

أ- البعد العربي.

ب- البعد الإسلامي.

6) الموضوعات الثقافية، و تشمل:

أ- الصحافة.

ب- التاريخ الوطني .

إن هذا التنوع في الموضوعات جعل جريدة البصائر تُلم بموضوع الثورة الجزائرية من زوايا

عديدة بحيث وقفت في:

أ-1) الموضوعات العسكرية¹:

و لقد ركزت جريدة "البصائر" في تناولها لهذا الموضوع على تبيان كل ما يتعلّق بالأمر

العسكرية من أحداث ميدانية : اشتباكات مع قوات العدو الفرنسي، و المعارك الميدانية التي قام بها

¹ - أنظر الدراسة النظرية، ص 203.

أفراد جيش التحرير الوطني في ساحات الجهاد المختلفة عبر مناطق الوطن ، و كذلك ركزت على الهجمات التي استهدفت المراكز الحاسمة للمستعمر مثل : أسلاك الهاتف ، مُستودعات السلاح و كذا على مراكز حراسة الغابات ، بالإضافة إلى عمليات التمشيط و الحصار التي قامت بها قوات الجيش الفرنسي خاصة في منطقة جبال الأوراس و غيرها من المناطق التي يُستهدف فيها العدو و قد اعتمدت في الغالب على رُكن يوميات الأزمة الجزائرية في تغطيتها للنشاطات العسكرية.

و الملاحظ أن فئات الموضوعات العسكرية احتلت نسبة كبيرة من ضمن مساحة التحرير من منطلق أن الفترة المدروسة كانت فترة حرب و ذلك بنسبة 85.5% من مجموع المواضيع العسكرية الكلية التي رافقت تطورات أحداث الثورة التحريرية، مما يُبين أهمية هذه العمليات العسكرية سواء من حيث كثرة عددها أو للخسائر التي أحدثتها في صفوف العدو على الجبهة الداخلية من خلال توسع نطاق العمل الثوري المسلح عبر المناطق المختلفة للجزائر و على الجانب الآخر إعطاء صَداها الإعلامي على المستوى المحلي و الدولي ، و تكذيب إدعاءات فرنسا التي وصفت العمليات العسكرية التي كان يقوم بها جيش التحرير ضد قوى العدو بأنها أعمال شغب يقوم بها مجموعة من قطاع الطُّرق، و بأنها أفعال معزولة لا تتعلّق بثورة شعبية مُنظمة شاملة تسعى إلى تحقيق هدف وحيد و هو تحرير الجزائر. و يبدو أن جريدة البصائر أدركت أهمية و ثقل البُعد الإعلامي في حسم المعارك العسكرية على الجبال و في شوارع المدن الجزائرية و مدى ارتباط هذا الأخير على سياسة فرنسا داخليا و التأثير على موقفها من احتلال الجزائر : بالنظر إلى فداحة الخسائر البشرية و تكلفة الحرب النهائية على الجزائر.

بينما اشتملت فئة المواضيع المتعلقة بجيش التحرير على نسبة 10.14% من مجموع الموضوعات العسكرية الكلية ، في حين أن هناك ارتباط وثيق بين المواضيع المتعلقة بجيش التحرير و المواضيع العسكرية يصل حد التداخل أو أنها علاقة بين الفاعل و نتائج الأفعال، بحيث أن جيش التحرير الوطني هو قائد العمليات العسكرية في جبهات القتال المختلفة. أما فئة المواضيع المتعلقة بالشهداء فتضمنت نسبة 3.12% فقط من مجموع الموضوعات العسكرية الكلية.

أ-2) فئة المواضيع السياسية¹:

و لقد حظي الجانب السياسي باهتمام بالغ من طرف جريدة البصائر ، حيث تناولت الجريدة مُختلف ردود الفعل الطبقة السياسية تُجاه الثورة سواء من طرف الإدارة الفرنسية أو من

¹ - أنظر الدراسة النظرية، ص 200. و كذلك ص 204.

طرف الأحزاب السياسية الجزائرية المختلفة ، و كذا الكشف عن حيل و مُخططات المُستعمر الفرنسي في مُحاولته إحياء السياسات القديمة التي اقترحت لإيجاد حل للمُشكلة الجزائرية و التي أثبتت فشلها بسبب مُماطلة إدارة الحكومة الفرنسية في تطبيقها على أرض الواقع ، رغم أنها لا تُستجيب لمطلب الشعب الجزائري المُنادي بتحرير أرضه الطاهرة من دنس المُستعمر الفرنسي. حيث كانت فرنسا تُراهن على فشل الثورة الجزائرية، و لكن جريدة البصائر ردت بحزم عليهم بقولها " حان وقت العمل و لا مجال للتهاون و التراجع عن تحقيق الغاية الأسمى و هي التخلص من المُستعمر الفرنسي".

كما أشارت جريدة البصائر مرارا إلى استحالة إخماد نار ثورة الجزائرية بالقوة العسكرية للجيش الفرنسي لأن التعنت الفرنسي سيزيد من لهيب الثورة الجزائرية، و عملت جريدة البصائر على فضح المعمرين الذين حاولوا الاحتفاظ بامتيازاتهم على حساب المواطنين الجزائريين الذين وصفتهم بالرجعيين، و الفئة التي تريد كل شيء بمحاولتها الاحتفاظ بالامتيازات التي تحوزها على حساب أغلبية الشعب الجزائري، متنبئة لها بخسارة كل شيء. و أن كل سياسة مبنية على ترقيع الماضي وإجراء إصلاحات على قاعدة النظام الاستعماري الحالية مهما تغير اسمها إنما هو من قبيل العبث والاستهتار والإمعان في الزج بالأمة الجزائرية في مضيق اليأس الذي لا يحدث إلا الانفجار و يقول كلمة صريحة علنية يرحو أن يسمعها المسؤولون في باريس وأن يسمعها العالم أجمع وهي أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية و سريعة إلا بالاعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحر و جنسيتها الخاصة و حكومتها القومية و مجلسها التشريعي المطلق التصرف.

و لقد أفردت جريدة البصائر صفحتها لعرض جلسات المجلس الجزائري أثناء مُناقشته للقضية الجزائرية و كذلك عرض مُناقشات المجلس الوطني الفرنسي. بينما استبشرت جريدة البصائر بأن أي حل سياسي لن يكون إلا في صالح الجزائريين، خاصة بعدما استمدت الثورة قوتها ميدانيا و كسبت تعاطفا و تأييدا دوليا. و أدت بذلك مُخلفات الثورة الجزائرية إلى إسقاط الحكومات الفرنسية الواحدة تلو الأخرى. و ساهمت في تداول الكثير على منصب الحاكم العام الذي تحول فيما بعد إلى منصب الوزير المقيم ، كما فسحت جريدة المجال لآراء السياسية المعبرة عن رأي جبهة التحرير الوطني ، في نقلها مقابلة مع جريدة "لوموند" التي أخرجتها مع أحد شخصيات جبهة التحرير الوطني و كذلك نقلت جريدة البصائر رأي أحمد التوفيق المدني و تصوره لكيفية حل الأزمة الجزائرية و، في حين تعددت الأنواع الصحفية التي عالجت و تناولت المواضيع السياسية مبرزة الحلول المقترحة للخروج من المأزق . و ما يؤكد ذلك بيان 7 جانفي 1956: "أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة والإقدام على بناء النظام الحر الجديد إلا بواسطة التفاهم

الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل والعقد الذين أظهرهم الكفاح الجزائري".

أ-3) فئة الموضوعات الاجتماعية:

أما فيما يتعلق بالموضوعات الاجتماعية ، فقد تكلمت في معظمها عن معاناة الشعب الجزائري من إجراءات العقاب الجماعي الذي فرضته الإدارة الفرنسية ، و عن تهجير السكان وكذلك السجون و المعتقلات التي حشدت فرنسا السكان فيها ، و هاجمتها و دعت إلى ضرورة التخلي عنها و نقل الأضرار التي لحقت المدنيين العزل جراء الاعتقالات العشوائية التي مارسها الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى نقل صور الدمار و التشريد الذي مورس على الفئات الضعيفة كرد فعل لاستهدافها من الثوار، كما انتقدت الجريدة الأحكام الجائرة الردعية التي أصدرتها المحاكم العسكرية الفرنسية ضد المواطنين الجزائريين. كما تحدثت جريدة البصائر عن مصير عوائل الأسرى و المعتقلين و الشهداء من أجل إحاطتهم بالعبارة و مد لهم أيدي المساعدة. في بلاغها 06 جانفي 1956: "يترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبوا ضحية القمع الأعمى الفظيع و يدعو الأمة للقيام بواجبها نحو أبنائهم و عائلاتهم و كفالتهم كفالة يوجبها الإسلام و تفرضها المروءة و الشرف. و يبعث بصادق الود و عظيم التقدير و العطف لسائر رجال الأمة الأحرار الأبرار الذين أوصدت عليهم أبواب السجون أو أطبقت عليهم الأسلاك الشائكة في المحتشدات و يشاركونهم في تلك الحن التي تقبلوها بثغور باسمه و صدور رحبة و يعلمهم أن الأمة الحية الشاغرة لن تنسى لهم تضحياتهم".

أ-4) فئة الموضوعات الدينية:

أما فيما يخص الموضوعات الدينية المتعلقة بالثورة فجاء بتكرار واحد، في العدد 252 موضوع بعنوان "نظرهم إلى جمعية العلماء" والذي يرى بأن البلاغ الذي أذاعته الجمعية ذات الأهداف الدينية الدينية يعتبر انحرافا في عقد جبهة التحرير بالرغم من أن للتوجه العام الذي تأسست عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و مُخالف للخط الافتتاحي لجريدة البصائر الذي يُعتبر فيه الجانب الديني عموده الأساسي : لأن الظرف التاريخي كان للثورة و العمل العسكري من جهة و من جهة أخرى لتفويت الفرصة على فرنسا و تقول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أفتت رسميا للثوار أن ما يقومون به هو جهاد في سبيل الله ضد العدو فتوقف صوت دعايتها .

أ-5) فئة الموضوعات القومية:

لقد اعتنت جريدة البصائر بالمواضيع ذات الأبعاد القومية ، بحيث غلبت عليها فئة المواضيع ذات البعد الإسلامي : و هو مؤشر دال على الخط العام للجريدة و يُبرز شخصية أعضاء جمعية العلماء المسلمين في إعلاء كلمة الإسلام بحيث يُعتبر هذا الأخير المصباح المنير للتحرير البلاد

و العباد من استعمار الجهل و المُستعمر الفرنسي، كما وظفت جريدة البصائر و من خلالها أعطاء جمعية العلماء المسلمين البُعد الديني لاستعطاف الدول الإسلامية (السعودية ، أندونيسيا إيران مصر ، العراق ، سوريا.... الخ) من توظيف الخطاب الديني لكسب التأييد السياسي في المحافل الدولية و طلب المساعدة بالمال و السلاح للثورة الجزائرية.

كما تناولت جريدة البصائر مواضيع ذات البعد العربي و القومي، و هي تَتِمَّة لفئة المواضيع ذات البُعد الإسلامي حتى يكتمل الخط الافتتاحي للجريدة كما أسلفنا الذكر هذا من جهة ، و من جهة أُخرى أن جريدة البصائر كانت تُخاطب أصحاب الألسنة العربية بوصفهم مواطنين جزائريون أو عرب في الدول العربية الشقيقة من أجل حشد الالتفاف و مُساعدة الثورة الجزائرية في حربها الضروس ضد فرنسا المُستعمرة.

و عليه فإن جريدة البصائر حافظت على انتمائها الإسلامي العربي في مُعالجة أحداث الثورة و لقد حَرَصت على إسماع صوتها خارج الحدود من خلال إطلاع الرأي العام العربي على تطورات الأحداث على أرض الجزائر سياسياً و عسكرياً.

لقد أخذت الموضوعات القومية نصيبها من التناول الإعلامي ، وإن كان قليلا نوعا ما وقد عاجلت فيه ارتباط الجزائر وقضيتها بالعالم الإسلامي عموما و بالوطن العربي خصوصا، و ذلك لإظهار تعاطف و تفاعل دول العالم الإسلامي و الغربي مع نضال الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي الذي ظل يردد أن الجزائر جزء من فرنسا .

أ-6) المواضيع ذات الطابع الثقافي:

و اشتملت هذه الفئة على المواضيع الثقافية مثل :موضوعات الصحافة والتاريخ الوطني: فبالنسبة للصحافة ترى جريدة "البصائر" أنَّها همزة الوصل بين الشعب الجزائري و أحداث ثورة أول نوفمبر 1954 م، خاصة و أنها عبرت عن غياب دعاية قوية لجهة التحرير الوطني في تلك الفترة و كلفت نفسها بمقاومة الدعاية الفرنسية المغرضة التي كانت تهدف إلى تحجيم الثورة الجزائرية، كما استغللت الفرصة لأداء واجبها في الدفاع عن مصالح الجزائريين و الدعاية لثورتهم الجيدة ، رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها حين قالت : " و هذا القلم الذي شُجِد في سبيل الوطن، لن يسكت إلى أن يسقط شهيدا في ميدان الحق، أو يخر صريعا في ميدان التحرير"¹. و تناولت جريدة البصائر المضايقات و المصادرات التي استهدفت أعدادها، خاصة إذا ما نشرت موضوعات ترى الرقابة الفرنسية أنَّها تضر بمصلحة الوجود الفرنسي في الجزائر، أما بالنسبة لاهتمام جريدة البصائر بالمواضيع التاريخ الوطني، فيمكن تفسير ذلك على أن الجريدة كانت تُركز على نُقطتين نرى أنَّها

¹ - البصائر ، العدد 316 ، الصادرة بتاريخ 1955/04/26م.ص1.

مُهمة في نظر الجمعية : إذ تتعلق النقطة الأولى بإطلاع الشباب الناشئ على تاريخ الأجداد الحافل بالنضال المسلح ضد قوى المحتلين عبر المراحل التاريخية المختلفة التي عرفتھا الجزائر. و ضرورة مواصلة النضال المسلح ضد قوى الشر الاستعمارية حتى تَطْلُع شمس الحرية على سماء الجزائر. أما النقطة الثانية التي أرادتها الجمعية من خلال كتابة التاريخ الجزائري هي التذكير بحتمية سير عجلة التاريخ، لأن تاريخ الحاضر يكتب بطولات و أحداث الماضي ، و لكن تاريخ العَد هو الذي يصنعه رجال الجزائر اليوم في ثورته ضد المستعمر الفرنسي. وفي الأخير يمكن القول أن البصائر ومن خلال تغطيتها لأحداث الثورة الجزائرية، تناولت كل المواضيع التي رأت أنها تخدم القضية الجزائرية، وتكون في مصلحة الشعب وتبرز عدالة وشرعية المطالب الجزائرية، ويمكن أن يساعد في نصره قضيته.

ب- فئة الاتجاه:

و تمثل هذه الفئة طبيعة اتجاه مضمون موضوعات الثورة في جريدة البصائر، حيث يتمثل هذا الاتجاه في : معارضة أو مساندة أو الحياد عن موقف جريدة البصائر من أقلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تُجاه قيام الثورة التحريرية، نجد نسبة التأييد تقدر بـ 96.5% ونسبة الاتجاه المعارض تقدر بـ 3.5%. حيث لاحتضنا من خلال الدراسة التحليلية وجود بعض المؤشرات المعارضة للثورة لدى جمعية العلماء المسلمين مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة ، حيث أنها تمسكت بفكرة اقتراح الحلول السلمية دون اللجوء للأعمال الثورة العسكرية غير مضمونة العواقب، رغم أن بيان أول نوفمبر أقر بوضوح الدعوة إلى العنف الثوري المسلح و حل جميع التنظيمات السياسية و الانخراط تحت لواء جبهة التحرير، و يظهر هذا جلياً في العديد من أعداد الجريدة : كالعقد 304 الصادر بتاريخ 04 فيفري 1955م الذي تناول بيان الجمعية المؤرخ في 28 جانفي 1955م، حيث دعا فيه السلطات الاستعمارية إلى معالجة الأزمة الجزائرية وفق قاعدة ديمقراطية حرة بالتنسيق مع الأحزاب و الهيئات و المنظمات، فليست أعمال العنف هي التي تقضي على الثورة الظاهرة و الخفية، بل لا تقضي على ذلك إلا سياسة الانجازات الحقيقية التي تنتظرها الأمة الجزائرية¹.

و يظهر هذا التيار السلبى المتعدد كذلك في العدد 315 الصادر بتاريخ 22 أفريل 1955م، الذي تضمنه النداء الذي وجه باسم الأساتذة و المعلمين، حيث دعا إلى استئناف النضال السياسي السلمى بقوله: "آن لأحرار الجزائر أن يجتمعوا في حركة سياسية و جزائرية واسعة، فإنها ساعة تحمل المسؤوليات العظمى قد دنت، فليتقدم الأحرار الجزائريون بشجاعة و حكمة للنضال السياسي السلمى، بتشكيل هيئة في أقرب وقت تتولى الدفاع عن قضية بلادنا المقدسة، و تُبلغ

¹ - البصائر، العدد 304، الصادر بتاريخ 04 فيفري 1955، ص1.

صوت أمتنا المنكوبة بكل صدق و أمانة، فإلى تنظيم اتحاد يتألف من الشعب و يسانده الشعب و يعمل لخير الشعب"¹.

و بالمقابل برز كذلك الاتجاه المؤيد لقيام الثورة الجزائرية و العمل وفق مبادئ أول نوفمبر 1954م، حيث اتضح هذا التيار في العدد 297 الصادر في 17 ديسمبر 1954 م و الذي كشف العمليات البشعة التي يقوم بها الاستعمار الوحشي ضد الجزائريين، و التي فاقت كل التصورات من اعتقالات و تنكيل ... إلخ.² و أيضا في العدد 303 الصادر بتاريخ 11 فيفري 1955م، الذي نلمس فيه اقتناع جمعية العلماء المسلمين بحتمية نجاح الصورة التحريرية كونها ثورة شعبية قامت لتحقيق آمال و تطلعات الشعب الجزائري، بزرع روح التضامن و الوحدة الوطنية و غرس فكرة تحطيم الهيمنة الاستعمارية المتغطرة³.

كما يتضح في العدد 313 الصادر بتاريخ 08 أفريل 1955م وقوف جمعية العلماء بالتصدي للمحاولات الاستعمارية و فضحها أمام العالم، و تبيان أن هذه السياسة لن تعيق الشعب الجزائري في المطالبة بحقه المشروع في الاستقلال، و إبراز الدور البارز الذي أصبحت تلعبه الثورة المسلحة⁴.

و فيما يخص الاتجاه المحايد داخل جريدة البصائر في تناول موضوع الثورة التحريرية، فقد ظهر في الأعداد التي عالجت موضوع الثورة الجزائرية من خلال معرض الصحافة المتمثل في يوميات الأزمة الجزائرية الذي كان يعده الأستاذ أحمد توفيق المدني، و التي بدأ في تحريره منذ العدد 298 الصادر بتاريخ 24 ديسمبر 1954م بصفة منتظمة و متوالية في جميع الأعداد التي تلت حتى آخر عدد، و ذلك باعتياده على نشر أخبار الثورة الجزائرية، و بالإضافة إلى كتابة بعض الافتتاحيات و المقالات المتعلقة بتطورات الثورة الميدانية..

نتائج الدراسة :

- اهتمت جريدة البصائر بموضوع الثورة التحريرية اهتماما بالغاً فخصصت البصائر أعداد كاملة للحديث عن الثورة الجزائرية، ففي كثير من الأحيان غابت عن محتويات الجريدة المواضيع الدينية و التعليمية ، ولعل المساحة التحريرية التي خصصتها ، لتغطية أحداث الثورة دليل على ذلك والتي بلغت 30.96 % .

¹ - جريدة البصائر، العدد 315، الصادر بتاريخ 22 أفريل 1955، ص 1.

² - جريدة البصائر، العدد 297، الصادر بتاريخ 17 ديسمبر 1954، ص 1.

³ - جريدة البصائر، العدد 303، الصادر بتاريخ 11 فيفري 1955، ص 1.

⁴ - جريدة البصائر، العدد 313، الصادر بتاريخ 08 أفريل 1955، ص 1.

- اعتمدت جريدة البصائر كثيراً على المقالات الافتتاحية في معالجتها لموضوع الثورة الجزائرية التحريرية، و هذا دليل على إيمانها الراسخ، بأن هذه الأحداث ثورة حقيقية وليست مجرد أحداث كما ادعت آلة فرنسا الدعائية.

- إن طريقة تناول أخبار الثورة الجزائرية في جريدة البصائر من خلال ركن "يوميات الأزمة الجزائرية" يُعطي الانطباع بأن الثورة منظمة و متواجدة عبر كامل التراب الوطني، لأن العمليات العسكرية التي كان يقوم بها ثوار جيش التحرير الوطني حقيقية و تتم بطريقة مُخططة و ليست عمليات تخريبية متفرقة مثلما يدعي المستعمر الفرنسي.

- أظهرت نتائج الدراسة بأن عدم تأييد البصائر للثورة مباشرة لا يعني موقفاً سلبياً من طرف الجمعية تجاه الثورة التحريرية: فمثلما لم تُؤيد الجمعية جبهة التحرير الوطني، ولم تمنع مناقضتها من الالتحاق بصفوف الثوار و التعاون معهم، و عليه يمكن اعتبار ذلك الموقف المتردد موقفاً تكتيكياً أكثر منه موقف عدائياً من قيام الثورة، أي مؤيدة لها ضمناً و محايداً ظاهرياً.

- أخذ المحتوى التحريري لجريدة البصائر في تأييده للثورة منحى تصاعدي ساير تطور أحداث الثورة، فكلما زادت انتشارا و تطورت العمليات العسكرية الثورية زاد معها المحتوى المؤيد للثورة المسلحة، وقد بلغ أوجه بعد أحداث أوت 1955م، والذي اتضح جلياً في البيان الشهير الصادر بتاريخ 07 جانفي 1956م.

- بينت الدراسة أن نجاح البصائر في المحافظة على وجودها على الساحة الإعلامية طوال الفترة الممتدة من نوفمبر 1954م إلى غاية أفريل 1956م، يُعتبر إنجازاً في حد ذاته، إذ لم يكن من السهل صدور صحيفة عربية في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر، و هذه الأخيرة لاحقاً فرنسا و أوقفتها عن الصدور أو زالت من الساحة الإعلامية لأسباب أخرى، و يرجع الفضل في ذلك إلى الإستراتيجية الحذرة التي تبنتها الجريدة.

- لن نستطيع فهم الموقف الحقيقي لجمعية العلماء إلا إذا فرقنا بين مصطلحين هامين وهما: "جبهة التحرير الوطني" و المصطلح الآخر هو "الثورة"، إذ يمكننا الاستنتاج من خلال التحليل أن الجمعية أيدت الثورة كفعل وطني منذ اندلاعها و كعمل كانت تعمل لحدوثه و تريد حدوثه، في حين ظلت مترددة فيما يخص الجهة التي تقف وراء الثورة التحريرية، و ما صاحب انطلاقها من محاولات الاستيلاء عليها من طرف المصاليين و إنكار جبهة التحرير هذه الادعاءات و لم يتم التأييد إلا في أواخر 1955م.

- لقد فتحت الجريدة صفحاتها للمقالات، و الأخبار الفرنسية المصدر و ذلك بعد تعريبها سواء من صحفيين و صفتهم بالأصدقاء أو الأحرار الفرنسيين، أو جملة الأخبار الواردة في الصحافة

الفرنسية و العالمية لكي تكون مصدر أخبار عن الثورة للذين لا يجسنون اللغة الفرنسية من بين الجزائريين.

- لعبت جريدة البصائر دورا مهما في توثيق المجازر و عمليات الترحيل و فضح سياسة المحتشدات، كما ردت على الدعاية الفرنسية، يوم كانت الإمكانات الإعلامية شبه منعدمة لدى جبهة التحرير الوطني ، و قدمت ضريبة تمثلت في دفعت حياتها بعد أن تم إيقافها نهائيا ، كما دفعت بخيرة رجالها و يتعلق الأمر بالشهيد العربي التبسي الذي قدم روحه في سبيل الله و الوطن.

- دافعت جريدة البصائر عن حقوق الشعب الجزائري في العيش الحر الكريم، ووقفت في وجه الدعاية الفرنسية التي تريد هضم حقوقهم.

خلافة

خاتمة:

لقد لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا كبيرا في الحركة الوطنية، خاصة في الجانب الثقافي والعلمي وذلك من خلال نشر الوعي الديني بواسطة التربية والتعليم العربي الحر، و ملأت الفراغ الذي أوجدته فرنسا بعد القضاء على الأوقاف الإسلامية و تحطيم النظام التربوي الذي ساد قبل الاحتلال ، كما أنها تفتنت مبكرا لدور التحرير الثقافي من خلال تكوين و تجنيد النخب المتعلمة القادرة على انتزاع الاستقلال و قيادة الأمة الجزائرية.

و لا يمكن إغفال مساهمات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحياة السياسية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، و رأينا ذلك من خلال الإطار النظري للدراسة، كيف أنها شاركت في المؤتمر الإسلامي، و كذا نشاطها السياسي بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ أبدت رأيها في كل الأحداث و التطورات السياسية و الثقافية، حيث ساندت و دعمت الثورة الجزائرية و الذي جاء تنويجا لنضال كل الجزائري : سياسيا و عسكريا و ثقافيا و تربويا.

و من خلال دراستنا لموقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة الجزائرية عبر جريدة البصائر نستطيع القول أن التغطية الإعلامية التي خصصتها الجمعية للثورة على صفحات جريدة البصائر، دليل على اهتمامها العميق بالحدث كمتغير جديد أولته اهتماماً كبيراً ، حيث خصصت نسبة معتبرة من مساحتها التحريرية للحديث عن نشاط الثوار على الصعيد السياسي و العسكري في داخل و خارج البلاد، كما حاولت الإحاطة بكل جهود دعم الثورة من طرف الأصدقاء العرب و الدول الإسلامية و الأجنبية.

من خلال التحليل و قفنا على الطريقة التي اتبعتها الجريدة في تغطية الحدث، يمكن أن نلمس الطريقة الذكية حتى لا نقول الاحترافية التي تعاملت بها مع الأحداث و التطورات الميدانية، و ذلك بالاعتماد على مختلف الأنواع التحريرية، و التنوع في المصادر الصحفية التي تضيف على الموضوع مصداقية، و تكسب الجريدة الرأي العام ، باعتبار الصدى الإعلامي لجريدة البصائر، نظرا لطبيعة و خصوصية هذه المرحلة التاريخية التي عرفت تضيقا شديدا من طرف الرقابة العسكرية الصارمة في ضل انعدام الوسائل الدعاية الخاصة بالثورة الجزائرية خلال فترة الدراسة من 1954م إلى 1956م.

و نظراً للظرف التاريخي المتميز الذي كانت تمر به الثورة الجزائرية تحتم على جريدة البصائر مواكبة الأحداث بكل أبعادها لضمان تغطيتها بشكل كامل و مستمر و نقل صداها إعلامياً على المستويين الداخلي و الخارجي ، و هذا ما تعكسه المساحة الكبيرة التي خصصتها الجريدة لمعالجة المواضيع المتعلقة بالثورة مقارنة مع باقي المواضيع الأخرى التي تضمنتها صفحات الجريدة ، كما يُشير هذا من جهة أخرى إلى مدى تفاعل و تعاطف محرري جريدة البصائر مع إنجازات الثوار في ساحات القتال و مع انتصارات دبلوماسية الثورة الجزائرية التي حققتها دولياً.

و لقد وظفت جريدة البصائر لتحقيق هدف مساندة الثورة إعلامياً مختلف الأنواع الصحفية مثل: الأخبار، التعليقات، المقالات التحليلية و النقدية، الافتتاحية، معرض الصحافة... الخ ، كما استعانت بمصادر متنوعة في تغطيتها لأحداث الثورة الجزائرية قصد الوقوف على حيثيات الموضوع و التحكم فيه و محاولة حصره من جميع الزوايا لتقديم تغطية إعلامية متكاملة من خلال بتعبئة الرأي العام من أجل الالتفاف بالثورة و دعمها مادياً و عسكرياً، بعيداً عن الإعلام المُلحق الفرنسي الذي كان يُشوه حقائق الحرب الفرنسية في الجزائر.

إن الانتماء الوطني لجريدة البصائر، و كذا بُعدها العربي الإسلامي ساهم في تشكيل موقفها المؤيد للثورة الجزائرية بصفة عامة، و لو أن موقف الجريدة كان مُضمراً في البدايات الأولى لاندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م ، و لكن مع اشتدادها تزايد الموقف المؤيد لها عبر المضامين التي تناولت موضوع الثورة . و يبدو أن لهذا الموقف تبريراته الإستراتيجية بالنسبة لجريدة البصائر و من ورائها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما يعكس الموقف الحذر الذي ميز الكتابات الأولى حول الثورة الجزائرية.

و يتضح الموقف المؤيد للثورة الجزائرية بالنظر لحجم المساحة المعتبرة التي خصصتها جريدة البصائر لإبراز موقفها من الثورة الجزائرية من خلال متابعة أحداثها و عرض تطوراتها و المرافعة لمطالبها والداعمة لاستقلال الجزائر و طناً و شعباً .

لقد كانت البصائر السجل الحافل بأحداث التاريخ الجزائري، كما كانت ذلك الملتقى الذي جمع علماء الجزائر، والحافظ الأمين لعلمهم المنشور، فلولاها لما وصل علمهم إلينا، كما دونت أحداث التاريخ فكانت بمثابة العين التي نبصر بها إلى صفحة مجيدة من تاريخ الجزائر الحديث والذي

يختص بأعظم ثورات القرن العشرين ،الذي يشكو دوما من عدم كتابته، فلا غرابة حين وصفها الأستاذ أبو القاسم سعد الله بـ " الجريدة الكثر" في تقديمه للإصدار الخاص بسلسلتها المطبوعة.

إن الكتابة الموضوعية للتاريخ تقتضي على الباحثين الوقوف وقفة إكبار وإجلال لعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بوصفهم أنوار الأمة الجزائرية التي أضاءت طريق أول نوفمبر 1954م إلى غاية بزوغ شمس استقلال الجزائر يوم 5 جويلية 1962م . بالإضافة إلى ضرورة إعادة قراءة مقالات و نصوص و كتابات جريدة البصائر قراءة عميقة ومستفيضة من منظور حديث وفق شروط ومتطلبات سياق تلك الفترة من تاريخ الجزائر : لأن فهم وتفسير المواقف و الأحداث التاريخية يختلف من فترة إلى أخرى " فترة حرب التحرير" و " فترة استقلال الجزائر" وحتى بين من عاشوا الأحداث وبين من نقلت لهم هذه الأحداث.

المراجع

المراجع:

القرآن الكريم

أولاً: الكتب:

باللغة العربية:

1. آيت أحمد حسين، روح الاستقلال ، مذكرات مكافح 1942 م-1952، تر: سعيد جعفر ، منشورات البرزخ 2002.
2. أسعد عبد الحميد طلعت، التسويق الفعال، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط9، 1999.
3. بدر أحمد ، أصول البحث العلمي ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط9 ، 1966.
4. الإبراهيمي محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1935
5. الإبراهيمي محمد البشير ، عيون البصائر، الجزائر ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971.
6. الإبراهيمي محمد البشير ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985 .
7. الإبراهيمي محمد البشير، الآثار، جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، 2، 3، 4، 5، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.
8. إمام إبراهيم ، أصول الإعلام الإسلامي، مصر، دار الفكر العربي، 1985.
9. بن إبراهيم بن العقون عبد الرحمن ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1947-1954)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ج2، ج3، 1984.1986.
10. بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، بيروت، دار الفكر، 1969.
11. بن نبي مالك، شروط النهضة، بيروت، دار الفكر. 1969.
12. بن نبي مالك ، وجهة العالم الإسلامي، تر، عبد الصبور شاهين، سوريا، دار الفكر، ط2، 2002.
13. بن مورسلي أحمد ، منهج البحث في علوم الإعلام و الاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003.
14. البلاسي نبيل أحمد ، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
15. بومالي أحسن ، إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى 1954-1956، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر والتوزيع د ت.
16. بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1997.
17. بوعزيز يحيى ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.
18. بوعزيز يحيى ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1930-1954)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1995.
19. بوعزيز يحيى ، مع تاريخ في الملتقيات الوطني والدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999. بوعزيز يحيى ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
20. بو الصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، دار البعث الجزائر، 1981.

21. بو الصمصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1996.
22. جوليان شارل أندري ، أفريقيا الشمالية تسير، تر: منجي سليم، تونس، الدار التونسية للنشر، 1976.
23. الجندي أنور ، تاريخ الصحافة الإسلامية، مصر، توزيع دار الأنصار، ج 1، 1983.
24. دبو محمد علي ، هضة الجزائر وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، المطبعة العربية، 1971.
25. دليو فضيل ، الاتصال مفاهيمه - نظرياته - وسائله، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.
26. هارمان و آخرون، الجريدة أو الصحافة عند المسلمين، تر: إبراهيم خورشيد و آخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1984.
27. الورتيلاني الفضيل ، الجزائر الثائرة، الجزائر، 1963.
28. زرهوني الطاهر ، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1994.
29. زوزو عبد الحميد ، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985.
30. الزيري محمد العربي ، الثورة في عامها الأول، قسنطينة، مطبعة البعث، 1984.
31. الزيري محمد العربي ، تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)، ج2، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
32. حماني أحمد ، صراع بين السنة والبدعة مجلد 2، قسنطينة، دار البعث، 1984.
33. حميداتوا محمد مصطفى ، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، قطر، كتاب الأمة، عدد55، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997.
34. حسن سمير محمد ، بحوث الإعلام - الأسس والمبادئ، القاهرة، عالم الكتب، 1999.
35. حمدي أحمد ، الثورة الجزائرية والإعلام، دراسة في الإعلام الثوري، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
36. حجاب محمد منير ، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية ، القاهرة، دار الفجر ، ط3، 2002.
37. طالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، ط2، ج1، ج2، ج3، ج4 بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
38. طعمية رشدي ، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1987.
39. يوسف محمد ، الجزائر في ظل المسيرة النضالية ، المنظمة الخاصة ، تر: محمد الشريف بن دالي حسين ، الجزائر، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ، 2002 .
40. كافي علي ، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، مذكرات، الجزائر، دار القصة للنشر، 1999 .
41. لعقاب محمد ، الصحفي الناجح، الجزائر: دار هومة .
42. لعياضي نصر الدين ، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2007.
43. مالكي أحمد ، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.
44. ماجدة حمود ، عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001.
45. محمد سمير ، تحليل المضمون، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1983.
46. سالم محمد بهي الدين ، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، مصر، دار الشروق، 1999.
47. محمد لحسن أزغيددي ، مؤتمر الصومام و تطور العمل الثوري التحريرية، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ، 1989.
48. محمد الصاوي محمد مبارك، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1992.

49. مطبقاني مازن صلاح ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، 1988.
50. مطبقاني مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دمشق، دار القلم، 1989.
51. الميلبي محمد ، الملتقى الثاني لتاريخ الثورة، ج2، مج2. طبع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، 1984.
52. المدني أحمد توفيق ، حياة كفاح مع ركب الثورة الجزائرية ، ج2 ح3 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، 1977.
53. المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية للنشر و الطبع.
54. ملاح عمار ، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954م ، الجزائر ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2007 .
55. ناصر محمد ، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 1980.
56. نايت بلقاسم مولود ، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجا على غرة نوفمبر، الجزائر، دار البعث، 1987
57. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1983.
58. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج3 لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992.
59. سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4 ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996.
60. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5 بيروت، دار الغرب الإسلامي.
61. عبد الرحمن عززي وآخرون، عالم الاتصال، الجزائر ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية. 1991
62. عباس محمد ، رواد الوطنية، الجزائر، دار هومة، 2004.
63. عجّان عزّة ، من هو الصحفي، الجزائر، دار النشر غير موجودة، 2006.
64. عبد الحميد محمد ، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.
65. عبد الحميد محمد ، دراسات الجمهور في بحوث الإعلام، مصر ، عالم الكتب، 1993.
66. عبد الحميد محمد ، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصر، عالم الكتب، 2000.
67. عمر أحمد مصطفى ، البحث الإعلامي ومفهومه، إجراءاته ومنهجه، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط2، 2002.
68. عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1930 - 1962 ج1) الجزائر ، رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري ، دار هومة.
69. عبد الرحمان عواطف و آخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، بيروت، العربي للنشر و التوزيع، 1983.
70. عبد الرحمن عواطف ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية، الكويت، عالم المعرفة، 1984.
71. عبد الرحمن عواطف ، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة في الجزائر 54-62، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
72. العبد عاطف عدلي و زكي أحمد، الأسلوب الإحصائي و استخداماته في بحوث الرأي العام، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993.
73. العلوي محمد الطيب ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، الجزائر، قسنطينة، دار البعث ، 1985 .
74. العاني فؤاد توفيق ، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993.
75. عجال كمال وآخرون، آثار الشيخ الطيب العقبي، باتنة، جامعة العقيد الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005
76. العسلي بسام ، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة التحريرية الجزائرية، بيروت، دار النفائس. 1982.

77. فضلاء محمد الطاهر ، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، قسنطينة، دار البعث، 1968.
78. فضلاء محمد الطاهر ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، دار البعث ، 1984.
79. الصيد سليمان ، رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين من ثورة أول نوفمبر 1954. الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع ، 1995.
80. صاري الجيلالي و قداش محفوظ ، الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الإصلاحي ، والطريق الثوري ، تر: عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987م.
81. القورصو محمد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الدور الثقافي والدور السياسي، الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005.
82. قاسم محمد ، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، مصر، دار المعارف، 1968.
83. رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970.
84. رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.
85. رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
86. رابح تركي ، جمعية العلماء المسلمين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2004.
87. رزاق عبد العالي ، المقال والمقالي، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر توزيع، ط1، 2006.
88. الرفاعي أحمد حسين ا، مناهج البحث العلمي- تطبيقات إدارية واقتصادية، عمان، دار وائل للنشر، ط1، 1998.
89. شريط عبد الله ، المشكلة الإيديولوجية و قضايا التنمية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1981.
90. شريط عبد الله ، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1995.
91. الخطيب أحمد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
92. خضور أديب ، الخبر الصحفي، دمشق، مطابع البعث، دون تاريخ النشر.
93. خير الدين محمد ، مذكرات، ج1 الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
94. غالب عبد الرحيم ، مئة عام من تاريخ الصحافة لسان الحال، بيروت، جروب برس ، 1988.
95. أشغال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر بمناسبة ذكرى استشهاد العلامة العربي التبسي، الجزائر، دار الهدى.
96. سلسلة الملتقيات، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. 1998.

- 1- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie Contemporaine 1830-1973 (que sois-je) (Paris: Universitaire de France).
- 2- Ben youcef .Ben khaedda ; les origins du 1^{er} Novembre 1954 .ed dahlal-
Alger 1989.
- 3- Kaddache Mahfoud : Histoire du nationalisme Algérien : Question
national et politique algérienne (1919 – 1951). Alger, ENAL .2em
édition. 1993, 2Tomes.
- 4- Harbi Mohamed : La Guerre Commence en Algérie ; édition
Complexe, paris, 1984.
- 5- Mucchielli Roger: P'analyse de contenu des documents et des
communications, application pratique, paris, 1988
- 6- Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, Paris, Dalloz, 5éme
ed, 1981
- 7- Merad Ali, Le réformisme Musulman en Algérie de 1925 à 1940
(Paris: Mortain, 1967.
- 8- Stora Ben Jamine, Missali Hadj, édition L' harmattan, paris 1986

ثانيا : موسوعات ومعاجم:

1. أبو عمران الشيخ و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر، جامعة الجزائر، 1995.
2. الموصلي أحمد ، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي و إيران و تركيا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،
ط1، يناير 2004.
3. حمدان محمد و آخرون، الموسوعة الصحفية العربية، ج4، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، إدارة الثقافة، 1994.
4. حجاب محمد منير ، المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، ط1، 2004.
5. حجاب محمد منير ، الموسوعة الإعلامية، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، المجلد السادس، 2003.
6. الكيالي عبد الوهاب و آخرون، موسوعة السياسة ، ج 1 بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1990 ، ط3.
7. الكيالي عبد الوهاب و آخرون، موسوعة السياسة ، ج2 بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1991 ، ط2.
8. نعمه أنطوان و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، بيروت ، دار المشرق، ط2، 2002.
9. شلبي كرم ، معجم المصطلحات الإعلامية، عربي إنجليزي، بيروت، دار الجيل، ط2، 1994.
10. الشويخات أحمد و آخرون ، الموسوعة العربية العالمية ، ج 8، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، 1996.
11. غيث محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1989.

ثالثا : رسائل ودراسات:

1. أعراب مراد ، خطة سوستال لمواجهة الثورة 1955، مذكرة ماجستير، الجزائر، قسم التاريخ، 2002.
2. بهناس عادل ، البصائر ودورها في التعليم العربي الحر، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 2006.
3. بو الصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحرركات الجزائرية الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1983.
4. حشلاف علي ، "المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931-1939"، أطروحة شهادة الماجستير، جامعة الجزائر ، معهد علوم الإعلام والاتصال 1994م.
5. حمدي أحمد ، مبادئ الإعلام والدعاية لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقاتها في صحيفة المجاهد من سنة 1956 إلى 1962، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 1985.
6. ساحل عبد الحميد ، أصول الدعوة الإصلاحية، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 2001.
7. عيساوي أحمد ، الشيخ العربي بلقاسم التبسي مصلحا، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، كلية أصول الدين، 2001.

رابعا : مجلات وصحف:

المجلات والدوريات:

1. مجلة التاريخ، الجزائر، جامعة الجزائر، العدد 11، السداسي الثاني، 1981م.
2. مجلة الذاكرة، العدد 2، المتحف الوطني للمجاهد 1995م
3. مجلة الذاكرة، العدد 3. المتحف الوطني للمجاهد 1998م
4. مجلة الأصالة، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية، العدد8، الصادرة في ماي جوان 1972.
5. مجلة الأصالة، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية، العدد 68-69، أفريل 1979.
6. مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21، القاهرة، سنة 1966.
7. مجلة المعيار، الجزائر، قسنطينة، كلية علوم أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 6، جوان 2003.
8. مجلة المصادر، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد13، السداسي الأول 2006.
9. مجلة الرسالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، عدد 1 — 1980، 2.
10. مجلة المجتمع، عدد 1676 بتاريخ 2005/11/12.
11. مجلة الثقافة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، وزارة الثقافة العدد 26 ، ماي 1975.
12. مجلة الثقافة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، وزارة الثقافة العدد33، جوان-جويلية 1976 .
13. مجلة الثقافة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، وزارة الثقافة العدد 38 ، أفريل — ماي 1977.
14. مجلة الثقافة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، وزارة الثقافة، العدد43، السنة 8، أفريل - ماي، 1978.
15. مجلة الموافقات، الجزائر: جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإسلامية. العدد4. 1996.
16. مجلة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، العدد 02 ، نوفمبر 2004.

17. مجلة حضارة الإسلام، العدد 1، السنة الخامسة، تموز 1964.
18. مجلة حضارة الإسلام ، العدد2، السنة السابعة، جويلية 1966.
19. مجلة رسالة المسجد، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية، العدد 1، أوت 2003.

الجزائر:

20. جريدة البصائر السلسلة الأولى 1937 1940م.
21. جريدة البصائر السلسلة الثانية 1947 – 1956م.
22. جريدة الشهاب و مجلة الشهاب.
23. جريدة المنتقد .
24. الشهاب الجديد، العدد1، أفريل 2002م.
25. جريدة العرب الأسبوعي الصادرة بتاريخ 11/ 11/ 2008.
26. جريدة الشروق اليومي، العدد 1676، بتاريخ 03/05/2006
27. جريدة الشروق اليومي، العدد 1475، الصادرة بتاريخ 05 سبتمبر 2005.
28. جريدة المنار، العدد 6، الصادر بتاريخ 1951/07/30.

باللغة الفرنسية :

- 1 -Abdelkader Djeghloul : **La Formation des intellectuels Algériens modernes ,1880-1930** , Revue Algérienne des Sciences juridique, économique et politique , 22-4- décembre 1985.

خامسا : المواقع الكترونية:

www.Alasr.ws
www.Aboulyakdan.com
www.Manareldjazair.com
www.azzaman.com

www.qaradawi.net
www.Elmokhtar.net
www.Chihab.net
www.Aboulyakdan.com.
www.Ahmadmahsas.nom.dz
www.cnerh-nov54.dz
www.Tasfiatarbia.com
www.qaradawi.net

الملاحق

ملحق رقم (1)

استمارة تحليل المضمون:

بيانات خاصة بالوثيقة محل الدراسة:

1	اسم الجريدة
2	تاريخ الصدور
3	
4	

العدد 5

بيانات كمية خاصة بفئات التحليل:

I- فئة الموضوع:

8	7	6	9
12	11	10	
16	15	14	13
19	18	17	
	21	20	
	24	23	22
28	27	26	25

II- فئة الاتجاه:

32	31	30	29
----	----	----	----

III- فئة الأنواع الصحفية

38	37	36	35	34	33
----	----	----	----	----	----

ملاحظات:

دليل الاستمارة

1- البيانات الخاصة بالوثائق محلّ الدراسة:

يشير الرقم: 1 إلى طبعة الوثيقة محل الدراسة وهي جريدة "البصائر" أمّا المربعات من 2 إلى 4 فتشير إلى اليوم والشهر والسنة، والمربع الخامس إلى رقم الوثيقة.

2- البيانات الخاصة بفئات التحليل:

أ- فئة الموضوع:

ويشير الرقم 6 إلى فئة الثورة والكفاح المسلح وأساليبه أما الأرقام من 7 إلى 12 فتشير إلى عناصره حسب الترتيب الآتي:

الثورة ، الثوار ، جيش التحرير الوطني، جبهم التحرير الوطني، الشهداء، ويشير الرقم 13 إلى فئة المواضيع ذات الطابع الاجتماعي وأرقامه 14، 15، 16، وتمثل بالتوالي: التنكيل الاستعماري بالمدينين، المحتشدات، عوائل الشهداء.

والرقم 17 يمثل فئة المواضيع ذات الطابع الدّيني، حيث يشير الرقم 18 التّأصيل الديني للقتال " الجهاد".

أما الرقم 19 فيمثل الجانب السياسي وعناصره: سياسة فرنسا نحو الثورة الجزائرية ورقمها 21 المفاوضات ورقمها 20.

وللمواضيع ذات الطابع القومي اختير الرقم 22 حيث يمثل رقم 23 البعد العربي للكفاح و 24 البعد الإسلامي للقتال.

و تُرك الرقم 25 للمواضيع ذات الطابع الثقافي حيث يشير الرقم 26 للغة العربية و 27 للتاريخ الوطني، وأخيرا 28 للصحافة.

ب - جاءت فئة الاتجاه تحت الرقم 29 مقسمة من 30 إلى 32 حسب التأييد، المعارضة والحياد بالترتيب.

ج- أخيرا الأنواع الصحفية بالرقم 33 حيث يشير الرقم 34 للمقال الافتتاحي و 35 للتعليق، 36 للخبر، و 37 للمقال الافتتاحي، 38 يشير إلى معرض الصحافة.

3- ملاحظات:

ملحق رقم : (2)

بلاغ من الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الحالة الحاضرة في القطر الجزائري وموقف الجمعية منها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد يوم السبت 23 جمادى الأولى من عام 1355 هـ الموافق لـ 07 جانفي 1956 بمركز الجمعية لعاصمة الجزائر، بعد إطلاعه على التقريرين الأدبي والمالي ومصادفته عليهما وبعد اتخاذه للقرارات العامة في دائرة الجمعية بما يصلح به حالها ومالها.

يقرر أنه كجزء عام حي من أجزاء الأمة الجزائرية لا يستطيع السكوت عما هو واقع في القطر الجزائري من فظائع ومجازر وموبقات أصبحت أخبارها منشورة في الخافقين ولا التغافل عن كل ما يتعلق بمستقبل الحياة في القطر الجزائري، فيعلن بكل صراحة أن النظام الاستعماري المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات التي وقعت في القطر الجزائر، وذلك بما أحدثه فيه من ميز عنصري مخجل وما سلكه فيه من سياسة التفتير والتجهيل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة للعنصر الإسلامي وما حارب به الدين الإسلامي في اقدس مقدساته وما أجهز به على التعليم العربي القرآني في كل جهة من جهاته وما تعمده من محق جنسية الأمة ومحاولة ابتلاعها ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها وما أعلنه مرارا رغم إرادتها من إلحاقها وإدماجها إلى أن أوصل الأمة بكل ذلك على درجة اليأس فعمدت إلى الأعمال التي يوجبها اليأس ويرفع عقيرته بالاحتجاج الصارم العنيف على ما ارتكب في مختلف جهات البلاد من أعمال البطش والإرهاب والتنكيل وما وقع من الفظائع والفضائح والمنكرات بدعوى الزجر ومحاولة إخماد الثورة كما يحتج الاحتجاج الصارخ على تلك المظالم الكثيرة والمتعددة التي وقعت على مدارس جمعية العلماء وما وقع على المعلمين فيها من حيف وجور بين سجن وتغريم وإبعاد إلى المحتشدات وبترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبوا ضحية القمع الأعمى الفظيع ويدعو الأمة للقيام بواجبها نحو أبنائهم وعائلاتهم وكفالتهم كفالة يوجبها الإسلام وتفرضها المروءة والشرف ويبعث بصادق الود وعظيم التقدير والعطف لسائر رجال الأمة الأحرار الأبرار الذين أوصدت عليهم أبواب السجون أو أطبقت عليهم الأسلاك الشائكة في المحتشدات ويشاركهم في تلك المحن التي تقبلوها بتغور باسمه وصدور رحبة ويعلمهم أن الأمة الحية الشاغرة لن تنسى لهم تضحياتهم وأهم سيكونون إذا في طليعة العاملين على إنشاء الهيكل الوطني العظيم ويعلن مرة أخرى أن كل سياسة مبنية على ترقيع الماضي وإجراء إصلاحات على قاعدة النظام الاستعماري الحالية

مهما تغير اسمها إنما هو من قبيل العبث والاستهتار والإمعان في الزج بالأمة الجزائرية في مضيق اليأس الذي لا يحدث إلا الانفجار ويقول كلمة صريحة علنية يرجو أن يسمعها المسؤولون في باريس وأن يسمعها العالم أجمع وهي أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية وسريعة إلا بالاعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحر وجنسيته الخاصة وحكومتها القومية ومجلسها التشريعي المطلق التصرف في دائرة احترام مصالح الجميع والمحافظة على حقوق الجميع ويؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة والإقدام على بناء النظام الحر الجديد إلا بواسطة التفاهم الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل والعقد الذين أظهرهم الكفاح الجزائري ويوصي الأمة ختاماً بالحق ويوصيها بالصبر ويستحثها على العمل الصالح والثبات وتوحيد الصفوف ونسيان الخلافات القديمة حتى تستطيع متضافرة أن تصل قريباً إلى الدرجة الرفيعة التي أهلها لها جهادها المستمر منذ أحقاب وكفاحها الشريف الذي أصبح في العالم مضرب المثل وتاريخها الحافل بجلائل الأعمال لقوي عزيز " صدق الله العظيم.

الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر عدد 349 السنة الثامنة الصادرة في 29 جمادى الأولى 1375 هـ الموافق لـ

13 يناير 1956 م.

الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الكاتب العام

الرئيس

أحمد توفيق المدني

العربي التبسي

ملحق رقم (3): بيان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة اندلاع الثورة يوم 1 نوفمبر 1954

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوجه نداء إلى الشعب الجزائري

بمناسبة اندلاع الثورة يوم 1 نوفمبر 1954

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

أيها المسلمون الجزائريون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

حياكم الله وأحياكم، وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نوراً يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطق الذي يقوم القلوب الغلف وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب الأوهام.

وكان العالم يسمع بلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تشوروا، وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، وكانت فرنسا تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية في الحروب الاستعمارية فموتت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدة، بل في سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها، ولو أن العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء.

أيها الاخوة الجزائريون :

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع القرن وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين نصف هذه المدة فما رعت في حربها لكم ديناً، ولا عهداً، ولا قانوناً، ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية، من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتحريق القبائل كاملة بديارها وحيواناتها وأقواتها.

ثم حاربتكم معها في صفها وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت أعداءها وحمت وطنها الأصلي، فما رعت لكم جميلاً، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم ثم تخذلكم، وتحيا بأبنائكم ثم تقتلكم، كما وقع معها في شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة أبنائكم الذين ماتوا في سبيلها وجلبوا لها النصر، إلا أنها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟

طالبتموها بلسان الحق والعدل والقانون والإنسانية من أربعين سنة، بأن ترفق بكم وتنفس عنكم الخناق قليلاً فما استجابت، ثم طالبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية فما رضيت، ثم طالبتموها بحكمكم الطبيعي الذي يقرمك عليه كل إنسان وهو إرجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم، فأغلقت آذانها في إصرار وعتو، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء

أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها، فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها، ثم هي في هذه المراحل كلها سائرة في معاملتكم من فطيع إلى أفضح.

أيها الأخوة الجزائريون الأبطال :

لم تُبقِ لكم فرنسا شيئاً تخافون عليه أو تدارونها لأجله، ولم تبقِ لكم خيطاً من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها؟ أم تخافون على الأموال وقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها، وقد أصبحت فيها غرباء حفاة عراة جياعا أسعدكم من يعمل فيها رقيقاً زراعياً معها ويشترى، حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة في النفس! أم تخافون على القصور وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين، ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام الذي ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله ومحت آثاره من الأرض، وهي تجتهد في محو آثاره من النفوس.

أيها الأخوة المسلمون :

إن فرنسا لم تبق لكم ديناً ولا دنياً، وكل إنسان في هذا الوجود البشري إنما يعيش بدين ويجيا بدين، فإذا فقدتها فبطن الأرض خير له من ظهرها.

وإنما سارت بكم من دركة إلى دركة حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم وشعائركم وضمائركم، فالصلاة على هواها، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين عزمها على إحداث «إسلام جزائري» ومعناه إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين.

إن الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن.

إنكم في نظر العالم العاقل المنصف لم تثوروا، وإنما أثارتم فرنسا بظلمها الشنيع وعتوها الطاغية، واستعبادها الفظيع لكم قرناً وربع قرن، وامتهاها لشرفكم وكرامتكم، وتعديها على دينكم.

إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه من زمان بعيد، ولكنكم صبرتم، ورجوتم من الصخرة أن تلين، فطمعتم في الحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي، فأعيدكم بالله وبالإسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، إن التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدى.

إن شريعة فرنسا أنها تأخذ البريء بذنب المجرم، وإنما تنظر إليكم مسلمين أو ثائرين نظرة واحدة وهي أنها عدو لكم وأنكم عدو لها، و والله لو سألتموها ألف سنة لما تغيرت نظرتها العدائية لكم، وهي لذلك مصممة على محو دينكم وعروبكم وجميع مقوماتكم. إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت. إنكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم. ما كان للمسلم أن يخاف وهو يعلم إنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن يخجل بماله أو بمهجته في سبيل الله والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها مبايعة مع الله، وما كان له أن يرضى الدنية إذا رضيها في دنياه. أخلصوا العمل لله، وأخلصوا بصائرهم في الله، واذكروا دائما وفي جميع أعمالكم ما دعاكم إليه القرآن في سبيل الحق، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ وقول الله: ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

أيها الأخوة الأحرار :

إني كلما ذكرت ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرت فظائعها في معاملة المسلمين - لا شيء إلا لأنهم مسلمون - كلما ذكرت ذلك احتقرت نفسي واحتقرت المسلمين وخجلت من الله أن يراني ويراهم، مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما استعرضت الواجبات وجدت أوجبها وألزمها في أعناقنا الجهاد المقدس، فهو الذي يسقط علينا الواجب ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الجهاد المقدس فهو السبيل الوحيد إلى إحدى الحسينيين : إما موت وراءه الجنة وإما حياة وراءها العزة والكرامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد البشير الإبراهيمي

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

انظر : سليمان الصيد الحامي : رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

من ثورة نوفمبر 1954، ص : 44، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995 م).

ملحق رقم (4): بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتأييد الثورة التحريرية

"إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء"

حياكم الله أيها الثائرون الأبطال، وبارك في جهادكم وأمدكم بنصره وتوفيقه. وكتب
ميتكم في الشهداء الأبرار، وحيكم في عباده الأحرار. لقد أثبتتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق.
الأولى أنكم سفهتكم دعوى فرنسا المفترية التي تزعم أن الجزائر راضية مطمئنة فارمتموها أن
الرضى بالاستعمار كفر، وأن الاطمئنان لحكمه ذل. وأن الثورة على ظلمها فرض.
الثانية أنكم شددتم عضد إخوانكم المجاهدين في تونس ومراكش. وقويتهم آمالهم في النصر،
وثبتتم عزائمهم في النضال...

الثالثة أنكم وصلتم بثورتكم هذه حلقات الجهاد ضد المعتدين الظالمين. الذي كان طبيعة
دائمة في الجزائر منذ كان. وكشفتكم عن حقيقة الرائعة في أباء الضيم والموت في سبيل العزة، وجلوتم
عن نفسيته الجبارة ما علق بها في السنين الأخيرة من صداء الفتور.
الرابعة أنكم بيضتم وجوها، وأقررتهم عيوننا، وسررتهم نفوسنا، مملوءة بحبكم معجبة
بصفحاتكم القديمة في الجهاد رائية لحالتكم الحاضرة.

أيها المجاهدون الأحرار، إن فرنسا لم تترك لا ديننا ولا دنيا إلى أن يقول: اعلّموا أن الجهاد
للخلاص من هذا الاستعباد. قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا، فرضه عليكم دينكم، وفرضته
قوميتكم. وفرضته رجولتكم. وفرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم، ثم فرضته أخيرا مصلحة
بقائكم. لأنكم اليوم أمام أمرين، إما الحياة أو الموت. إما بقاء كريم أو فناء شريف.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

الفضيل الورتيلاني

أنظر: الجزائر الثائرة: للشيخ الفضيل الورتيلاني، الجزائر، 1963، ص 171.

ملحق رقم (5): ترجمة لشخصيات
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

العربي التبسي:

اسمه فرحاتي العربي أو العربي بن بلقاسم المعروف بالتبسي نسبة إلى مسقط رأسه مدينة تبسة التي ولد بأحد قرافها أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر، وأمين عام جمعية العلماء والمجاهد البارز الذي خطفته يد التعصب والغدر الفرنسية عام 1957 ولم يُسمع له ذكر بعدها. وُلد الشيخ العربي عام 1891 في بلدة (ايسطح) من أعمال (تبسة) التابعة لقسنطينة. حفظ القرآن في قريته ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلم في زاوية نفطة (زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز)، انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة؛ فنال منه شهادة الأهلية وعزم على الانتقال إلى القاهرة (مصر) لمتابعة التحصيل العلمي في الأزهر حيث واصل دراسته فنال شهادة العالمية من الأزهر. عاد إلى الجزائر عام 1927 فاشتغل بالتدريس في الغرب الجزائري بمدينة سيق، ثم عاد إلى تبسة واتخذها مركزاً له. بعد استقراره بتبسة وتوليه وظيفة التعليم بالمدرسة الحرة بدأ الشيخ العربي التبسي نشاطه الإصلاحية والدعوى من مسجد صغير في قلب المدينة انطلق الشيخ في دروسه التعليمية وواصل الليل بالنهار لإنقاذ هذا الشعب من الجهل وذل الاستعمار ، وبدأت آثار هذا الجهد تظهر في التغيير الاجتماعي والنفسي لأهل تبسة؛ حيث بدأت تختفي مظاهر التأثر بالفرنسيين وبدأ الناس يلتفون حول رجال الإصلاح. وكالعادة ضيق على الشيخ، فصحه ابن باديس بالانتقال إلى غرب الجزائر، فاستجاب لذلك، ولكن أنصاره في تبسة ألحوا عليه بالعودة وأسسوا مدرسة طلبوا منه أن يكون أول مدير لها. عند تأسيس جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين كان من بين ابرز أعضائها وأصبح كاتباً عاماً لها سنة 1935، ثم نائباً لرئيسها البشير الإبراهيمي بعد وفاة ابن باديس ونفي الإبراهيمي حيث اتجهت الأنظار إلى الشيخ العربي ليحمل المسؤولية ويتابع الرسالة الإسلامية وتوافد إليه طلاب العلم من كل مكان، وفي عام 1947 تولى العربي إدارة معهد ابن باديس في قسنطينة فقام بالمهمة خير قيام. يقول عنه الإبراهيمي: "الأستاذ التبسي - كما شهد الاحتبار وصدق التجربة - مدير بارع ومربٍ كامل خرجته الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم وخرجه القرآن والسيرة النبوية ، فجاءت هذه العوامل في رجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب". وفي عام 1956 انتقل الشيخ إلى العاصمة لإدارة شؤون الجمعية فيها، واستأنف دروسه في التفسير وكان شجاعاً لا يخاف فرنسا وبطشها، يتكلم بالحق، ويدعو للجهاد ولم يأبه لتحذير الناصحين المحبين له الذين خافوا عليه من فرنسا والتي كانت تعلم مكاتته بين صفوف الجماهير ، وأثره عندما يدعوها للجهاد، وهو ليس من الناس الذين يتكلمون ولا يفعلون، بل يقول: "لو كنت في صحتي وشبابي ما زدت يوماً واحداً في المدينة؛ أُسرِع إلى الجبل، فأحمل السلاح، فأقاتل مع المجاهدين". وفي 17 من أبريل عام 1957 امتدت يد (الجيش السري) الذي شكّله غلاة الفرنسيين المتعصبين لتخطف الشيخ العربي من منزله، واعتقاله بعد ذلك في ظروف غامضة ولا يزال قبره مجهولاً لحد الآن. وليكون في عداد الشهداء، رحمه الله رحمة واسعة.

العباس بن الشيخ الحسين:

المملكة العربية السعودية وقدم خدمات إعلامية ودبلوماسية ومالية معتبرة هناك للثورة ، وبعد الاستقلال عين كسفير للجمهورية في نفس البلد لكنه ما لبث أن التحق بباريس ليكون عميد مسجدها حتى وافته المنية عام 1989 ..

الشيخ عبد اللطيف سلطاني:

من مواليد القنطرة بولاية باتنة تتلمذ على يد ابن باديس بقسنطينة، وتخرج من الزيتونة ليتحقق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عمل بالقرام وغيرها، واستقر بعد الحرب العالمية الثانية بالجزائر العاصمة وقد أصبح منذ 1946 عضوا إداريا بها ثم أمينا لمليتها عام 1951 إلى غاية توقف نشاطها وتكفل بتسيير شؤون مركز جمعية العلماء بالعاصمة، عرف بلهجته الشديدة ضد حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ولكن لم يظهر له أي نشاط سياسي يذكر، وبعد اندلاع الثورة كان مقيما بالعاصمة وقد ساعد على توزيع بعض المنشور وإخفائها ، وكان على اتصال برجال الثورة خاصة عبان رمضان وبن خدة وقد هيئت قرارات مؤتمر الصومام بمقرله بساحة أول ماي، وطلب منه مرارا الخروج من الجزائر لخدمة الثورة فرفض وفضل البقاء في الداخل، ومن المرجح أن يكون قد أعان الثورة من مالية الجمعية التي كانت تحت يده وبعد غلق مركز الجمعية بالعاصمة إلى الاستقلال، وكان من المعارضين للنهج الاشتراكي مما جعله عرضة لتحديد إقامته، وقد توفي تحت الإقامة الجبرية عام 1984.

الشيخ أحمد التوفيق المدني:

ولد في تونس عام 1889 من أبوين جزائريين درس بالزيتونة، وانخرط في صفوف الحركة الوطنية التونسية مما جعل فرنسا ترجعه

ولد عام 1913 بسيدي خليفة قرب مدينة ميله من أسرة دينية، تعلم بمسقط رأسه ثم ارتحل إلى جامعة القرويين بالمغرب الأقصى وتحصل منه على العالمية، واتصل هناك بالحركات المغربية ثم بحزب الشعب الجزائري عن طريق محمد قنانش، وبعد إنهاء دراسته عاد إلى مسقط رأسه واتصل بالشيخ عبد الحميد بن باديس فأرسله ليقود حركة الإصلاح وجمعية العلماء بعناية وفي نفس الوقت بقي على اتصال بحزب الشعب وأثناء حوادث 08 ماي 1945 أُلقي عليه القبض وأودع سجن الحراش مع مناضلين من حزب الشعب وجمعية العلماء وغيرهم، وهناك ساءت علاقته مع بعض مناضلي حزب الشعب لتصرفات لم تعجبه فقرر الخروج من الحزب وبعد الإفراج عنه أخذ يتقرب إلى فرحات عباس ثم انظم إليه بعد ذلك، وقد أُنتخب في المجلس الإداري للجمعية سنة 1946، وعُين أستاذا بمعهد بن باديس من أول سنة فتح فيها، ويمتاز بقدراته الخطابية ونشاطه الدائم وقد كُلف برئاسة لجنة الدعاية والتنظيم لجمعية العلماء، وبعد اندلاع الثورة بقي يمارس وظائفه السابقة وكان من معلمي الجمعية الذين أمضوا على البيانين المعروفين، وأثناء هجوم عشرين أوت قررت قيادة الشمال القسنطيني تصفيته ضمن القائمة المشهورة ولكنه نجح من ذلك واتصل بالعاصمة وبعد ذلك كلفته جمعية العلماء بالاتصال مع رئيس الجمعية بالمشرق ليوضح له الوضع الداخلي بالجزائر أواخر سنة 1955 وانعقاد الاجتماع الأخير للجمعية جانفي 1956 أرسله عبان رمضان رفقة التوفيق المدني وعناصر أخرى من حزب البيان وحركة الانتصار في وفد جبهة التحرير الوطني بالقاهرة وقد عين ممثلا للجبهة في

الشيخ احمد بوشمال:

إلى الجزائر بسبب نشاطاته السياسية، واستقر بالجزائر العاصمة وتقرّب إلى جمعية العلماء وكتب في جرائدها، وقد شارك تحت جناح العلماء في حركة أحباب البيان والحريّة وقد ساهم بكتبه التاريخية في بعث الشعور الوطني الجزائري، وعند تجديد المجلس الإداري للجمعية سنة 1951 انتخب عضواً به بعد أن تحصل على الجنسية الجزائرية، وأصبح منذ ذلك التاريخ الكاتب العام لجمعية العلماء، وقد شارك في تكوين الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريّة واحترامها بصفته الشخصية المستقلة قبل انتخابه بمجلس الجمعية، وتتولى الإشراف على تحرير جريدة البصائر بعد سفر إبراهيمي إلى المشرق، وقد كان ضمن وفد العلماء في المفاوضات مع الوالي العام سوستيل، وبعد التأييد الواضح من الجمعية للثورة، عين ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني والتحق رفقة فرحات عباس بالقاهرة في أفريل 1956، وعندما ذهب أحمد بن بلة إلى الرباط أوكل إليه مهمة الإشراف على الوفد، وأوصى بذلك السلطات المصرية، ولكن الوفد الخارجي بالقاهرة رفض ذلك باعتبار أن الأمين دباغين هو رئيس الوفد، وقد عين عضواً بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية ثم بالحكومة المؤقتة كوزير للثقافة ولكنه انسحب منها بسبب انتقادات وُجّهت له واتهامه بالاتصال بالمخابرات الفرنسية، وقد عينه بن بلة وزيراً للأوقاف في أول حكومة جزائرية، وكُلف في الثمانينيات بتسيير المركز الوطني للدراسات التاريخية، توفي العام 1983 بالجزائر، له عدة مؤلفات منها هذه الجزائر، حرب الثلاثمائة سنة، تاريخ صقلية، حياة كفاح "3" أجزاء، وقد انتفده الكثير من المعاصرين له.

من تلاميذ بن باديس بقسنطينة، معلم ثم مدير مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة أنتخب عضواً بالمجلس الإداري للجمعية عام 1951، وشغل منصب نائب أمين المال وهو من أبرز الشخصيات الإصلاحية بقسنطينة وصاحب المطبعة الإسلامية بما أصدر مع زملائه عدة جرائد، وبعد اندلاع الثورة كان من جملة المعلمين والأساتذة التابعين للجمعية الذين أمضوا البيانين المعروفين، وقد اعتقل عدة مرات ولكنه كان يستفيد من الإفراج لعلاقاته ومكائنه في قسنطينة وبعد مقتل أحد ضباط الشرطة الفرنسية بقسنطينة أعتقل هو وزملائه تم اغتيال سنة 1958، وقد عمل لصالح جبهة التحرير الوطني منذ سنة 1956 على الأقل وكان مضطرباً بمهمة جمع المال والشؤون المتعلقة بذلك.

الشيخ أحمد حماني:

من مواليد الميلية عام 1915 تلميذ عبد الحميد ابن باديس وخريج الزيتونة ثم أستاذ بمعهد ابن باديس، انتخب عضواً بالمجلس الإداري للجمعية سنة 1951 وهو عضو اللجنة بالمعهد، بعد اندلاع الثورة كان ممن أمضوا البيانين، وبعد التحاق مزهودي وبوغابة وحرث (سعدي) بالجيش وخروج بعضهم إلى الخارج، كلف بمهمة الاتصال بين الشمال القسنطيني والعاصمة، فالقي عليه القبض وهو يقوم بهذه المهمة فأودع في عدة سجون إلى الاستقلال، وقد تقلد عدة وظائف منها رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى.

الشيخ نعيم النعيمي:

خريج جامع الزيتونة وعضو إداري بجمعية العلماء منذ 1951 وأستاذ بمعهد بن

الاستقلال عين بالمجلس الشعبي الوطني الأول وقد احتج ضد سياسة بن بلة مع رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبراهيمي اثر بيان 1964 فنفاه إلى الصحراء، وبعد الاطاحة به عرض عليه هواري بومدين العمل معه، وعينه سفيرا للجزائر بجمهورية مصر ولكنه تخلى عن ذلك ليستقر في بيته.

الشيخ محمد صالح رمضان:

من مواليد 1914 بالقنطرة بباتنة، تلميذ عبد الحميد بن باديس، ثم بمدرسة التربية والتعليم في نهاية الثلاثينيات ومعلم مدرسة غليزان عام 1944، ليصبح مديرا لمدرسة الحديث بتلمسان خلفا للإبراهيمي عام 1946 واستقر هناك إلى عام 1953 ليعود إلى الجزائر العاصمة، وهو عضو لجنة التربية والتعليم ومفتش لمدارس جمعية العلماء، وفي سنة 1955 حاولت بعض العناصر المصالية ربط جمعية العلماء بما عن طريقه ولكنه كان على اتصال بجهة التحرير الوطني واستغل هذه العلاقة لمحاولة ربط الاتصال بين المصاليين وعبان رمضان وأثمر ذلك دخول هذه العناصر في جبهة التحرير باسم الولاية السادسة (الصحراء)، وهو عضو المحكمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بالعاصمة عمل بعد الاستقلال في حقل الثقافة وهو من الشعراء والكتاب.

الشيخ أبو بكر الأغواطي :

من تلاميذ مبارك المليي بالأغواط ، عضو بالمجلس الإداري للجمعية ومراقبها العام خلال الأربعينيات والخمسينيات، له عدة مقالات بجريدة البصائر ينتقد فيها سلوكات مناضلي وطلبة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

الشيخ عبد الوهاب بن المنصور:

باديس، وهو معروف بمناصرتة لحزب فرحات عباس، التحق بتونس سنة 1958، وعمل مع جبهة التحرير الوطني هناك وخاصة مع اللاجئين الجزائريين، ويعتبر من الخطباء المفوهين.

الشيخ محمد العدوي:

من ضواحي المسيلة، تخرج من الزيتونة بشهادة التطويغ، وهو متضلع في القضايا الفقهية، عمل أستاذ بمعهد بن باديس وكان ضمن لجنة الفتوى ثم لجنة معهد بن باديس، وهو معروف بدروسه الوعظية وبشعبيته في قسنطينة حتى لقب بابن باديس الثاني، أختطف مع أحمد رضا حوحو في بداية سنة 1956 ثم قتل بعد ذلك.

الشيخ إبراهيم مزهودي:

من مواليد 1922 بالحمامات قرب تبسة تلميذ الشيخ العربي التبسي بمدرسة تهذيب البنين، وبعدها بالزيتونة وتخرج منها عام 1949 درس بمدارس جمعية العلماء، وأسندت له مهمة تفقد شعب الجمعية بعمالة قسنطينة وهو عضو لجنة التعليم العربي الحر، ثم مفتشا بمدارس جمعية العلماء، واختاره التبسي من معلمي وتلاميذ الجمعية، وعند افتضاح أمره للسلطات الفرنسية قرر الالتحاق بجيش التحرير الوطني فكان ذلك في بداية 1956 وأصبح نائبا لزيغوت يوسف ومثل منطقة الشمال القسنطيني في مؤتمر الصومام وعين عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية، ورقي إلى درجة "رائد" وقد كلف بمهمة إصلاح أوضاع الولاية الأولى (الأوراس)، وفي عام 1957 خرج إلى تونس في مهمة جلب السلاح واستقر به المقام هناك ليتولى الإشراف على المجاهد باللغة العربية، وعند تأسيس الحكومة المؤقتة برئاسة عباس فرحات أصبح مزهودي كاتباً للحكومة، وعند

بفرنسا وعندما اندلعت الثورة قدم هناك عدة خدمات جليلة لجهة التحرير الوطني.

الفضيل الورتلاني:

من بني ورتيلان من أنجب و أفضل تلاميذ بن باديس، كلف سنة 1937 رفقة بعض زملائه بنشر دعوة جمعية العلماء بين المهاجرين بفرنسا وتفطنت السلطة الفرنسية لخطورة نشاطاته و اتصالاته فحاولت القبض عليه ولكنه غادر التراب الفرنسي قبل تمكنهم من ذلك والتحق بالشرق العربي، حيث وجد الجو مناسباً لنشاطه السياسي فساهم في تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ومكتب المغرب العربي وربط الاتصالات مع الجمعيات الدينية الموجودة آنذاك كالإخوان المسلمين وشباب محمد بمصر، وعباد الرحمن بلبنان.

وعند اندلاع الثورة أصدر يوم 03 نوفمبر بياناً مؤيداً لها في الصحف المصرية ثم عززه مع الإبراهيمي يوم 15 نوفمبر 1954 ببيان آخر ومع ذلك فإنه كان على غير تفاهم مع وفد جبهة التحرير الوطني بالقاهرة حتى بعد تجديد الوفد سنة 1956 ولكنه فيما يظهر عدل عن نظراته السابقة وعمل مع جبهة التحرير بداية من سنة 1957 حين عين ممثلاً لها بتركيا، ولكن المنية عاجلته وتوفي بمستشفى أنقرة سنة 1959.

الشيخ محمد المنصور الغسيري:

ولد بالغسيرة بالأوراس عام 1915 تعلم بيسكرة ثم تتلمذ على يد بن باديس بقسنطينة من 1933 إلى 1937 ثم عمل مدرسا بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ومدارس أخرى، وعين مفتشا لمدارس جمعية العلماء، وهو عضو بلجنة التعليم الحر وقد عين مديرا لمدرسة سكيكدة، و في سنة 1956 علم

ولد بالمغرب من أبوين تلمسانيين، تخرج من جامع القرويين وعمل مع الحركة الوطنية المغربية وخلال الحرب العالمية الثانية عمل في الجيش الفرنسي، فعزل من الحركة الوطنية المغربية بسبب ذلك، ورجع بعد الحرب العالمية إلى الجزائر واتصل بالعلماء، فأهله نشاطه وعلمه لان يكسب ثقة العلماء فعين مديرا لمدرسة ندرومة التابعة للجمعية وكتب عدة مقالات تاريخية في البصائر، وانتخب بمجلس الجمعية سنة 1951، وبعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية خرج إلى المغرب .

سعيد الزموشي:

من مواليد عين البيضاء بأم البواقي، تلميذ ابن باديس وخريج الزيتونة، أستاذ بمعهد ابن باديس وعضو المجلس الإداري للجمعية ولجنة الدفاع التابعة له، اشتغل مديرا بمدرسة الفلاح بوهران، ثم دار الحديث بتلمسان وهو الممثل الجهوي للجمعية بعمالة وهران وهو معروف بخطاباته الحماسية ودروس وعظمه الممتازة، حاولت الإدارة الفرنسية استغلال نفوذه سنة 1956 في تشويه صورة الجمعية وموقفها من الثورة ولكنه تظن للأمر وأبطل مكيدتها، وبعدها خرج إلى المغرب وظل هناك مهمشا اثر تدهور حالته الصحية، ولعلها بسبب ذلك التهميش من ممثلي جبهة التحرير بالمغرب.

سعيد صالح:

من تلاميذ بن باديس وهو من واد الساحل من القبائل الصغرى اختارته جمعية العلماء رفقة الورتلاني وبعض شبابها للعمل مع المهاجرين الجزائريين بفرنسا عام 1937 وبعد الحرب العالمية عاد إلى الجزائر ودرس وأدار عدة مدارس للجمعية ثم عين أخيرا ممثلا للعلماء

1955 والتحق بعد عام 1956 بتونس وعمل بجريدة المقاومة و بالنظام المدني هناك، إلى الاستقلال، انتخب نائبا بالمجلس الوطني، ومفتشا للتعليم الثانوي ثم وزيرا للشؤون الدينية، حاليا رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الشيخ احمد السرحاني:

من الأوراس، تلميذ بن باديس وخريج الزيتونة ثم أستاذ بمعهد بن باديس كان على علاقة بالثوار بالأوراس من الأيام الأولى للثورة وكان إحدى طرق الاتصال بين الأوراس والشمال القسنطيني والعاصمة عبر لجنة إبراهيم مزهودي .

محمد الأمين سلطاني:

معلم ومدير مدرسة جمعية العلماء، كان على اتصال بالثوار من الشهور الأولى للثورة، واستشهد بعد ذلك.

محمد الأمير:

من أريس بالأوراس ومدير مدرسة الجمعية بها، كانت له صلوات وطيدة مع مصطفى بن بولعيد، اعتقل في السنوات الأولى للثورة.

الشيخ عبد القادر الياجوري:

من مواليد قمار بالوادي، تعلم بها ثم بالزيتونة وتحصل منها على شهادة التطويع، بعد عودته إلى الجزائر شرع في التعليم والوعظ وخاصة مع الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي رئيس الطريقة القادرية، فدبرت له السلطة الفرنسية مكيدة وسجنتهما مع زميل الياجوري "على بن سعد" بقسنطينة عام 1938، ونفي على اثر

عن طريق أحد المعلمين بقسنطينة أنه ضمن من تنوي فرنسا القبض عليهم فاختمى عن الأنظار والتحق بالعاصمة ومن هناك إلى المشرق حيث عين نائبا لعدد الحميد مهري في مكتب جبهة التحرير الوطني في دمشق، توفي بعد الاستقلال.

محمد الشبوكي:

من الشريعة ولاية تبسة، تلميذ العربي التبسي، معلم بمدرسة الشريعة التابعة لجمعية العلماء ومديرها، عضو إداري بالجمعية منذ 1951، وعضو للجنة الدعائية والصحافة ألقى عليه القبض في عام 1955 بمدرسته وبقي بالسجن إلى غاية الاستقلال وهو شاعر.

مطروح العيد:

من تبسة وتلميذ التبسي، معلم بمدرسة تبسة لجمعية العلماء.

الطاهر سعدي حراث:

من تبسة، تلميذ التبسي، أستاذ بمعهد ابن باديس، من أفراد شبكة الاتصال التي كونها إبراهيم مزهودي للاتصال بقيادة الثورة بنواحي تبسة ثم بالعاصمة خرج إلى تونس بعد افتضاح أمره، وعمل مع جبهة التحرير الوطني، توفي بعد الاستقلال.

الطاهر حركاتي:

من أعمدة الحركة الإصلاحية بباتنة وله علاقات وطيدة مع حزب البيان بها وهو من تلاميذ عبد الحميد بن باديس، وقدم خدمات جليلة للثورة هناك.

الشيخ عبد الرحمان شيبان:

ولد بمشدالة عام 1918، تعلم هناك، ثم بقسنطينة على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم بالزيتونة، وكان من مؤسسي جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين ورئيسا لها، أستاذ بمعهد عبد الحميد بن باديس، ممن أمضوا بياني

بفرنسا 1938، ثم عاد خلال الحرب العالمية، لياشر التعليم والوعظ بعدة مدارس ومساجد حرة، وفي أوت 1954 عين بمدرسة البليدة ومسجدها الحر، وهناك ربط اتصالات مع قيادة الثورة بالناحية كسويداني بوجمعة، واكتشفت السلطات الفرنسية أمره فاعتقلته وأودعته عدة سجون إلى أن أطلق صراحه عام 1960 مع بقاء الرقابة الشديدة عليه، إلى الاستقلال، توفي عام 1989 بقسنطينة.

حملاوي بو الزرد:

من دوار بني هارون (القرارم) تلميذ جمعية العلماء، ثم معلم بمدرسة عنابة، كان واسع الاتصال بين طوبال وجماعة قسنطينة وعنابة، ألقى عليه القبض سنة 1955 وبقي في السجن إلى الاستقلال، لياشر مهمة التعليم والتفتيش إلى التقاعد.

محمد العيد آل خليفة:

شاعر جمعية العلماء أو شاعر المغرب العربي، وسيرته معروفة، أثناء اندلاع الثورة كان مديرا لمدرسة عين مليلة لجمعية العلماء، ومن هناك اعتقله الفرنسيون ثم حددوا إقامته قرب بسكرة إلى الاستقلال، وأثناء هذه الإقامة أُلّف عدة قصائد شعرية تمجيدا لثورة نوفمبر توفي عام 1979.

أحمد رضا حوحو:

الكاتب القصصي المعروف من مواليد بسكرة، ارتحل إلى الجزيرة العربية ثم عاد إلى بسكرة لياشر مع جمعية العلماء، كان الكاتب العام لمعهد بن باديس، استشهد عام 1956 بقسنطينة بعد اختطافه بقليل وهو من موقعي يياني 1955.

الشيخ الصادق حماني:

استفادته من الإفراج إلى العمالة الوهرانية، وبعد الحرب العالمية الثانية عاد للعمل في جمعية العلماء المسلمين وانتخب عضوا بالمجلس الإداري لها وهو معروف بممولاته السياسية لحركة الانتشار ومع ذلك فقد كان محل تقدير واحترام من الجميع، شغل أستاذا بمعهد بن باديس وهو عضو لجنة التعليم ورئيسها فمدير لمدرسة الفلاح بوهراون وبها ألقى القبض عليه خلال الثورة فأودع عدة سجون إلى الاستقلال عمل بعد ذلك في سلك التعليم بوهراون في الوعظ والإرشاد إلى وفاته عام 1989.

الشيخ علي المرحوم:

من بسكرة، معلم بمدرسة الفلاح بسطيف، له علاقة أسرية بالعربي بن مهدي، عمل مع جبهة التحرير في المغرب خلال الثورة، توفي بعد الاستقلال.

الشيخ مصطفى بوغابة:

من مواليد عام 1926 بقسنطينة، تلميذ بمدرسة التربية والتعليم ثم بالزيتونة، عمل أستاذا بمعهد بن باديس ومدارس الجمعية، وهو عضو بارز في لجنة الاتصالات التي كونها مزهودي، وقد خلفه في رئاستها بعد التحاقه بالجيش الوطني، ثم التحق هو نفسه بالثورة وخرج إلى تونس بتكليف من قيادة الثورة بالولاية الثانية وهناك عمل مع نظام الثورة حتى الاستقلال وقد اشتغل بالتعليم بقسنطينة.

علي المغربي:

من بلدة فرفار قرب بسكرة، خريج الزيتونة، عضو المجلس الإداري للجمعية 1946 ونائب رئيس مجلس المالية.

محمد الصالح بن عتيق:

من مواليد الميلية تتلمذ على يد الشيخ بن باديس ثم بالزيتونة، عمل مع وفد الجمعية

مدير مدرسة تليملي لجمعية العلماء،
وأحد شعراء الجزائر، استشهد خلال الثورة.

- الربيع بوشامة:

من قترات، درس على يد الشيخ عبد
الحميد بن باديس، وقد حكم عليه بالإعدام
عقب حوادث 08 ماي 1945 بسطيف ثم
استفاد من العفو، علم بمدرسة الثبات بالحراش،
وفي سنة 1952 أرسل ليرأس شعبة الجمعية
بفرنسا، ولكن ما لبث أن عاد إلى مدرسته من
جديد، وفي سنة 1955 اتصل به عميروش
وكان قد عرفه بباريس أين كان عميروش رئيس
شعبة لجمعية العلماء بإحدى ضواحيها
وتوطدت الاتصالات أكثر، وفي سنة 1958
كلف عميروش الربيع بوشامة لإعادة تنظيم
الجبهة في مدينة الجزائر، وبدأ في ذلك ولكن
اكتشاف إحدى خلايا جبهة التحرير ببلكور
كان كاف لمعرفة اتصاله بالثورة وعندئذ
اقتحمت السلطة الفرنسية المدرسة واقتادته منها
بعد تعذيب شديد تم اغتياله سنة 1959.

- الصديق بوشاشي:

من قلعة بني عباس، مراقب دار الطلبة
بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، استشهد
خلال الثورة.

- علي الساسي :

من مواليد تبسه، تلميذ التبسي بمدرسة
تهذيب البنين وتخرج من الزيتونة والتحق بمدارس
الجمعية ، ثم بمعهد عبد الحميد بن باديس، أحد
المضامين على بياني 1955، عين عام 1957
عضو بجماعة الخمسة (المجلس البلدي) وقاضيا
بالولاية الأولى جهة أم البواقي، اشتغل بعد
الاستقلال في التعليم ثم مدير الشؤون الدينية
لولاية أم البواقي.

- حمزة بوكوشة:

تلميذ عبد الحميد بن باديس، معلم
ثم مدير التربية والتعليم بقسنطينة، صاحب
جريدة الشعلة، توفي بعد الاستقلال وهو من
موقعي بياني 1955.

العربي سعدوني:

من تلاميذ جمعية العلماء وعضو
بعثتها إلى تونس وجمعية طلبتها هناك، ثم معلم
بمدرسة البرج ومن هناك كانت له اتصالات
خلال الثورة مع العقيد عميروش ولجنة الاتصال
لإبراهيم مزهودي، ثم خرج إلى تونس، وبعد
الاستقلال عمل وزيرا للأوقاف.

من مواليد فرجوة، تلميذ جمعية
العلماء وعضو بعثتها إلى الزيتونة، مدير مدرسة
شاطودان (شلغوم العيد حاليا)، وهناك ربط
الاتصال مع الثورة ولما افتضح أمره فر إلى
الجزائر العاصمة حيث كان عضو بالمحكمة
المدينة لجبهة التحرير الوطني، وبعد انفراط
عقدها عمل مع الربيع بوشامة .

محمد كحلوش:

من منطقة ديدوش مراد حاليا شمال
قسنطينة من مناضلي حركة الانتصار وكان
يعمل مراقبا عاما بمعهد بن باديس، كان رابطة
الاتصال مع زيغوت يوسف، قائد الولاية الثانية،
استشهد خلال الثورة، من موقعي بياني 1955.

الشيخ مصباح حويذق:

من مواليد الوادي، خريج الزيتونة
ومعلم بمدارس جمعية العلماء ومدير مدرسة
معسكر حتى اندلاع الثورة، ألقى عليه القبض
في بداية العام 1956، وبقي في السجن إلى
الاستقلال، عمل إماما بالحراش وانتقد سياسة
بومدين خاصة الاشتراكية، فتعرض للإقامة
الجبرية، وتوفي بعد ذلك.

عبد الكريم العقون:

أحمد حسين:

أستاذ بمعهد عبد الحميد بن باديس
وعضو المكتب الإداري ولجنة المعهد، توفي بعد
الاستقلال.

أحمد زوزو:

من ضواحي باتنة، تلميذ بن باديس
بقسنطينة، خريج الزيتونة علم بعدة مدارس
لجمعية العلماء، وساهم في حملات الوعظ
والإرشاد التي كانت تنظمها جمعية العلماء،
وخلال شهر رمضان لعام 1954 عين واعظا
بمصلى بعين الحمام ببلاد القبائل الكبرى فوقف
ضده السلطات الفرنسية وأعوانها وبعض
الطريقين، وقد عمل أستاذا بمعهد ابن باديس،
وليس لنا معلومات وافية عن نشاطه خلال
الثورة سوى أنه كان ممن أمضوا على بياني
الجمعية .

- الشيخ محمد عابد السماقي:

من أولاد جلال بيسكرة، من تلاميذ
بن باديس ثم من معاونيه في التربية والتعليم وهو
مشهور بوطنيته وخدمته للعلم ترأس مؤتمر
المعلمين الأحرار عام 1946 لجمعية العلماء
ليختفي بعد ذلك، علم بمدرسة الإخاء بيسكرة
ولكنه خرج منها بسبب عدم تفاهمه مع خير
الدين وتحول إلى عين مليلة وبقي يدرس بها إلى
اندلاع الثورة حيث كان من السباقين إلى حمل
السلاح رغم تقدم السن به وألقي عليه القبض
فأودع السجن إلى الاستقلال، توفي عام
1968.

- الشيخ صالح بوذراع:

تلميذ عبد الحميد بن باديس ثم معلم
بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، حاول خلال
الحرب العالمية الثانية رفقة العربي رولا وغيره
إعلان الثورة لكنهم فشلوا، وعرف بميوله إلى

من تلاميذ عبد الحميد بن باديس،
ولد بالوادي، تعلم بها ثم بقسنطينة فالزيتونة التي
تخرج منها لياشر التعليم في عدة مناطق في
القبائل والغرب الجزائري انتخب عام 1938
عضوا بالمكتب الإداري لجمعية العلماء، وهو
عضو لجنة التعليم ثم لجنة البصائر ومن المحررين
الرئيسيين بها مثل شركة آمال التجارية بالغرب
الجزائري، كان بالجزائر العاصمة أثناء اندلاع
الثورة وعمل لها رفقة زميله احمد سحنون
وكلف بالاتصال بمنطقة الغرب الجزائري
(عمالة وهران) بعد الاستقلال عمل بوزارة
الأوقات ثم بالمحكمة العليا وبعد حصوله على
ليسانس حقوق عمل محاميا، وهو كاتب
وشاعر، توفي سنة 1994.

- عمر دردور:

من تلاميذ بن باديس ممثل جمعية
العلماء بالأوراس وباتنة، سجن خلال سنة
1937 بتهمة التحريض ضد السلطة الفرنسية،
كان على علاقة بالسيد بن بولعيد والأمير
صالح، عمل على تجنيد الشباب وجمع

- محمد المليبي الإبراهيمي:

ابن الشيخ مبارك المليبي وتلميذ جمعية
العلماء، وعضو بعثتها إلى الزيتونة وكاتب عام
جمعية طلبتها هناك، ثم أستاذ بمعهد بن باديس
بقسنطينة، كان ضمن لجنة الاتصال بالمعهد،
التحق بعد سنة 1956 بتونس أين تولى تحرير
جريدة المجاهد بالعربية، عمل بعد الاستقلال
سفيرا في اليونان، وهو من الموقعين على بياني
1955.

- الشيخ أحمد سحنون:

كاتب وشاعر وواعظ، عضو المكتب
الإداري لجمعية العلماء ولجنة البصائر، سجن
خلال الثورة إلى الاستقلال.

حزب الشعب وعمل على توحيد فصائله ولكنه فشل فالتزم الصمت وتفرغ للتعليم، وبعد اندلاع الثورة بقليل التحق بها واستشهد في ميدان الشرف وهو من الموقعين على بياني 1955.

- المعلم العربي رولا:

من مدينة جيجل أستاذ بالمدرسة الفرنسية وأستاذ اللغة الفرنسية بمعهد بن باديس، وطني غيور، ومحب لجمعية العلماء الجزائريين ولكن مستقل سياسيا وهو معروف بأرائه الصائبة وثاقب نظره، ألقى عليه القبض وسجن مع كثير من معلمي جمعية العلماء، وكان يرأسل بن خدة وديغول وغيرهما من أطراف المسألة الجزائرية فأعجب به من راسله، توفي بعد الاستقلال.

محمد الزاهي الملي:

معلم بمدارس جمعية العلماء، أستشهد خلال الثورة كانت له علاقات مع حزب الشعب وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

الفهرس

فهرس الموضوعات

1	مقدمة
5	الإشكالية
6	التساؤلات
7	أسباب اختيار الموضوع
7	أهمية الدراسة وأهدافها
12_8	تحديد المصطلحات
20_13	المنهج و أدوات الدراسة
21	صعوبات البحث
22	الدراسات السابقة
26	الفصل الأول: العمل الإعلامي ودوره في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
27	تمهيد
28	المبحث الأول: النهضة الإصلاحية في المشرق العربي و انعكاساتها على علماء الجزائر
32_28	المطلب الأول: رواد النهضة الإصلاحية في المشرق العربي
37_33	المطلب الثاني: الصحافة الإسلامية في المشرق العربي
43_38	المطلب الثالث: تأثير الفكر الإصلاحي على العلماء المسلمين الجزائريين
44	المبحث الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
50_44	المطلب الأول: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
56_50	المطلب الثاني: الأسس الفكرية لمبادئ و أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
60_56	المطلب الثالث: الآراء السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت غطاء العمل الثقافي
61	المبحث الثالث: مكانة العمل الإعلامي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
65_61	المطلب الأول: ظهور الصحافة الإصلاحية في الجزائر
77_65	المطلب الثاني: العمل الصحفي يجمع شمل العلماء الإصلاحيين
86_77	المطلب الثالث: وسائل الإعلام عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
87	الفصل الثاني: مسار الجهاد التربوي و السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين
88	تمهيد
89	المبحث الأول: أسبقية التعليم على العمل المسلح

المطلب الأول: دعائم الفكر التربوي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس.....	96_89
المطلب الثاني: جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ميدان التربية و التعليم	102_97
المطلب الثالث: الجمعية في مواجهة الاستعمار و الطُرُقيين.....	108_102
المبحث الثاني: إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العمل السياسي و الثوري.....	108
المطلب الأول: مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي سنة 1936.....	112_109
المطلب الثاني: موقع الجمعية في الساحة السياسية وعلاقتها بالأحزاب.....	119_113
المطلب الثالث: جمعية العلماء المسلمين و العمل الثوري.....	125_120
المبحث الثالث: جمعية العلماء المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية.....	125
المطلب الأول: العمل الإصلاحي أثناء الحرب العلمية الثانية.....	131_126
المطلب الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية	137_131
المطلب الثالث : أوضاع الجمعية قبيل الثورة التحريرية.....	145_138
الفصل الثالث: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية.....	146
تمهيد	147
المبحث الأول: اندلاع الثورة التحريرية و المواقف المختلفة تجاهها	148
المطلب الأول : البدايات الأولى للثورة التحريرية الجزائرية.....	160_148
المطلب الثاني: رد الفعل الفرنسي من العمل المسلح للثورة الجزائرية.....	163_160
المطلب الثالث: مواقف الأحزاب السياسية من الثورة التحريرية.....	168_163
المبحث الثاني: موقف جمعية العلماء المسلمين تجاه الثورة من خلال رجالها.....	169-168
المطلب الأول: موقف الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية من العمل الثوري.....	175_170
المطلب الثاني : دور الشيخ العربي التبسي نائب رئيس الجمعية من العمل الثوري.....	181_176
المطلب الثالث : تفاعل أعضاء الجمعية مع الثورة التحريرية.....	185_182
المبحث الثالث : موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية.....	186
المطلب الأول: المشهد الإعلامي ما بين 1952 - 1954.....	190_186
المطلب الثاني: الإستراتيجية الإعلامية لجهة و جيش التحرير الوطني.....	196_190
المطلب الثالث: جريدة البصائر محور موازي للثورة التحريرية.....	205_197
الفصل التطبيقي :...تحليل مادة الدراسة	206
تمهيد	207
المبحث الأول الدراسة التقنية لجريدة البصائر.....	216_208

المبحث الثاني : الثورة التحريرية من خلال التحليل الكمي لجريدة البصائر.....

241_217

المبحث الثالث : الثورة التحريرية من خلال التحليل الكيفي لمحتوى جريدة البصائر..... 242 –

259

التنتائج.....261_260.....

المخاتمة.....265_262.....

المراجع.

الملاحق

فهرس الجداول

فهرس الأشكال البيانية

فهرس الموضوعات

